سكب العبرات

للموت والقبر والسكرات

تأليف

سيد بن حسين العفاني

قدم له

الشيخ أبو بكر الجزائري

الشيخ صفوت نور الدين — الشيخ محمد إسماعيل المقدم

المجلد الثاني

مكتبة معاذ بن جبل

بني سويف ت: ٠٨٢/٤٩٢٥٢٢

محمول: ٠١٢/٣٤٣٩١٦٨٠



سكب العبرات
للموت والقبر والسكرات

الطبعة الأولى

سنة ١٤٢٠ هـ - سنة ٢٠٠٠م

التوزيع داخل جمهورية مصر العربية

مكتبة معاذ بن جبل

جوال: ٠١٢٣٤٣٩١٦٨

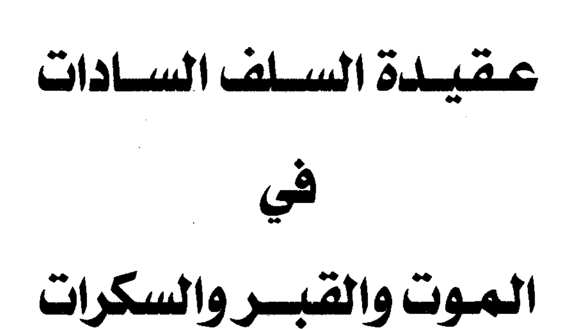
بني سويف ت: ٣١٧٣٤٤/ ٠٨٢

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

١٧٧٩٥ / ٩٩

مطبعة العمرانية للأوفست

الجيزة ت: ٥٨١٧٥٥٠



عقيدة السلف السادات في الموت والقبر والسكرات

«كن على الجادة وإن أبطأ بك السير

فإن أمير القوم يرعى القافلة»



عقيدة السلف السادات في الموت والقبر والسكرات

• هذه عقيدة السلف في البرزخ والموت والسكرات.. من مات عليها لقي الخير كل الخير فتمسك بها.. إذا أتى نهر اللَّه بطل نهر معقل.. اقصد البحر وخل القنوات.. وإياك وبنيات الطريق من عقائد أهل البدع مهما زخرفوها.. عليك يا أخي بالكتاب والسنة وعقيدة سلف الأمة.. عليك بطريق السلف وإن قلّ عليه السالكون.. كن على الجادة وإن أبطأ بك السير فإن أمير القوم يرعى القافلة، وضع نصب عينيك قول سفيان: «لو أعلم أني أموت على السنة ما بكيت»... وهاك طرفًا من أزاهيرهم:

الموت

• الموت هو القيامة الصغرى وهو المعاد الأول وهو البرزخ:

• قال القرطبي في «التذكرة» (٤):

«الموت انقطاع تعلق الروح بالبدن، ومفارقته وحيلولة بينهما، وتبدل حال، وانتقال من دار إلى دار».

قال الشيخ عمر سليمان الأشقر في كتابه «القيامة الصغرى» ص(١١ - ١٢):

«القيامة الصغرى هي الموت، فكل من مات فقد قامت قيامته، وحان حينه، ففي «صحيح البخاري»، و«مسلم» عن عائشة قالت: كان رجال من الأعراب يأتون النبي ﷺ فيسألونه عن الساعة، فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: «**إن يعش هذا، لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم**»[١].

---

(١) «مشكاة المصابيح» (٣/٤٨).

قال ابن كثير: «والمراد انخرام قرنهم، ودخولهم في عالم الآخرة، فإن كل من مات فقد دخل في حكم الآخرة، وبعض الناس يقول: من مات فقد قامت قيامته، وهذا الكلام بهذا المعنى صحيح»[1] .

وقد أشار ابن كثير إلى أن هذا القول يقوله الفلاسفة، ويريدون به معنى فاسداً. فإن الملاحدة يريدون أن الموت هو القيامة ولا قيامة بعدها. يقول ابن كثير: «وقد يقول هذا بعض الملاحدة، ويشيرون به إلى شيء آخر من الباطل، فأما الساعة العظمى، وهي وقت اجتماع الأولين والآخرين في صعيد واحد، فهذا ما استأثر اللَّه بعلم وقته»[2] .

● قال الإمام ابن القيم في كتابه «الروح» ص(٩٩):

«وقد ذكر سبحانه وتعالى هاتين القيامتين - وهما الصغرى والكبرى - في سورة المؤمنين، وسورة الواقعة، وسورة القيامة، وسورة المطففين، وسورة الفجر وغيرها من السور. وقد اقتضى عدله وحكمته أن جعلها داري جزاء المحسن والمسيء ولكن توفية الجزاء إنما يكون يوم المعاد الثاني في دار القرار كما قال تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقد اقتضى عدله وأوجبت أسماؤه الحسنى وكماله المقدس تنعيم أبدان أوليائه وأرواحهم، وتعذيب أبدان أعدائه وأرواحهم، فلا بد أن يذيق بدن المطيع له وروحه من النعيم واللذة ما يليق به، ويذيق بدن الفاجر العاصي له وروحه من الألم والعقوبة ما يستحقه. هذا موجب عدله وحكمته وكماله المقدس» ا.هـ.

● وكما سُمّي الموت بالقيامة الصغرى فيُسمّى أيضًا بالمعاد الأول:

---

(١) «النهاية» لابن كثير (١/ ٢٤).

(٢) المصدر السابق.

قال ابن القيم في كتابه «الروح» ص(٩٩):

«إن اللَّه سبحانه وتعالى جعل لابن آدم معادين وبعثين يجزى فيهما للذين أساءوا بما علموا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى.

فالبعث الأول: مفارقة الروح للبدن ومصيرها إلى دار الجزاء الأول.

والبعث الثاني: يوم يرد اللَّه الأرواح إلى أجسادها، ويبعثها من قبورها إلى الجنة أو النار، وهو الحشر الثاني، ولهذا في الحديث الصحيح.

وتؤمن بالبعث الآخر فإن البعث الأول لا ينكره أحد، وإن أنكر كثير من الناس الجزاء فيه والنعيم والعذاب».

● والموت وما بعده برزخ بين الدنيا والآخرة.

قال الشيخ عمر الأشقر في «القيامة الصغرى» ص(١٣):

«البرزخ في كلام العرب الحاجز بين الشيئين، قال تعالى: ﴿**وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا**﴾ [الفرقان: ٥٣]، أي حاجزًا والبرزخ في الشريعة: الدار التي تعقب الموت إلى البعث. قال تعالى: ﴿**وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ [المؤمنون: ١٠٠]. قال مجاهد: هو ما بين الموت والبعث، وقيل للشعبي: مات فلان، قال: ليس هو في دار الدنيا، ولا في الآخرة»[١].

* البرزخ أول دار الجزاء

● وقال ابن القيم: «وعذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه، وهو ما بين الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿**وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾. وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة»[٢].

---

(١) «التذكرة» للقرطبي ص(١٠٠).

(٢) «الروح» لابن القيم ص(١٠٠).

* الموت صفة وجودية وليس عدمًا:

● قال ابن أبي العز الحنفي في «شرح الطحاوية» ص(١٢٦):

● الموت صفة وجودية، خلافًا للفلاسفة ومن وافقهم. قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك: ٢]. والعدم لا يوصف بكونه مخلوقًا. وفي الحديث: أنه: «**يؤتى بالموت يوم القيامة على صورة كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار**»[١] . وهو وإن كان عرضًا فاللَّه تعالى يقلبه عينًا، كما ورد في العمل الصالح: «**أنه يأتي صاحبه في صورة الشاب الحسن، والعمل القبيح على أقبح صورة**»[٢] . وورد في القرآن: «**أنه يأتي على صورة الشاب الشاحب اللون**»[٣] ، الحديث. أي قراءة القارئ[٤] .

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد، فأخرجه البخاري في تفسير سورة مريم: باب ﴿**وأنذرهم يوم الحسرة**﴾ (٨/٤٢٨/ح ٤٧٣٠)، وأخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها: باب النار يدخلها الجبارون (٤/٢١٨٨/ح ٢٨٤٩)، وأخرجاه أيضًا من حديث ابن عمر، فأخرجه البخاري في الرقاق: باب صفة الجنة والنار (١١/ ٤١٥/ ح ٦٥٤٨)، وأخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها: باب النار يدخلها الجبارون (٤/ ٢١٨٩/ ح ٢٨٥٠).

(٢) من حديث البراء بن عازب في ذكر عذاب القبر، وأخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧، ٢٩٥ ـ ٢٩٦).

(٣) من حديث بريدة كما في «سنن ابن ماجه»، و«مسند أحمد»، وفيه: «وإن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب...» الحديث، أخرجه ابن ماجه في «الأدب» : باب ثواب القرآن (٢/ ١٢٤٢/ ح ٣٧٨١)، وأخرجه أحمد (٥/ ٣٤٨، ٣٥٢)، وأخرجه الدارمي في كتاب فضائل القرآن من السنن: باب في فضل سورة البقرة وآل عمران (٢/ ٥٤٣/ ح ٣٣٩١)، وفيه بشير بن المهاجر لذا حكم عليه الشيخ الألباني بأن حديثه يحتمل التحسين ص(١٢٦)، وكذا الأرناؤوط ص(٩٤).

(٤) قوله وورد في القرآن: أي ورد في شأن القرآن، أي في شأن قراءة العبد، أي المقصود في الحديث، أن عمل الإنسان يأتيه، وأطلق على القراءة التي هي أفعال العباد قرآنًا، وليس المراد بالقرآن هنا: المكتوب بين دفتي المصحف، ويدل على أنه ليس المراد نفس القرآن: تعدد المجيء ويلزم منه الثواب، وانظر: «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٧٩).

وورد في الأعمال: «**أنها توضع في الميزان**»[١] ، والأعيان هي التي تقبل الوزن دون الأعراض. وورد في سورة البقرة وآل عمران: أنهما يوم القيامة: «**يظلان صاحبهما كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف**»[٢] ، وفي «الصحيح»: «**أن أعمال العباد تصعد إلى السماء**»[٣] .

● قال الحسن - رحمه اللّه - في قوله: ﴿**أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي**

(١) وقد يكون للأعراض موازين خاصة بها فاللّه أعلم.

(٢) هو قطعة من حديث بريدة والغياية والغمامة: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه كالسحابة وغيرها، والغياية أقل من الغمامة في الكثافة وأقرب إلى رأس صاحبها، وقوله: (أو فرقان من طير صواف): أي طائفتان من طير باسطات أجنحتها متصلاً بعضها ببعض.

(٣) كما في حديث رفاعة بن رافع الزرقي وفيه: «كنا نصلي يومًا وراء النبي ﷺ فلما رفع رأسه من الركعة قال: «سمع اللّه لمن حمده»، قال رجل وراءه: ربنا لك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، فلما انصرف قال: «من المتكلم؟» قال: أنا، قال: «رأيت بضعة وثلاثين ملكًا يبتدرونها أيهم يكتبها أول. وأخرجه البخاري في الأذان الباب بعد (فضل اللّهم ربنا لك الحمد) (٢/ ٢٨٤/ ح ٧٩٩)، ورواه الترمذي، وأبو داود بلفظ: «لقد ابتدرها بضعة وثلاثين ملكًا أيهم يصعد بها»، وأخرجه الترمذي في أبواب الصلاة: باب ما جاء في الرجل يعطس في الصلاة (٢/ ٢٥٤/ ح ٤٠٤)، وأبو داود في الصلاة: باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء (١/ ٢٠٥/ ح ٧٧٣)، وله شاهد من حديث عبد اللّه بن أبي أوفى نحوه وفيه: «واللّه لقد رأيت كلامك يصعد في السماء حتى فتح باب فدخل فيه»، أخرجه أحمد (٤/ ٣٥٥، ٣٥٦)، وفي حديث عبد اللّه بن السائب عند الترمذي أن رسول اللّه ﷺ كان يصلي أربعًا بعد أن تزول الشمس قبل الظهر وقال: إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء وأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح». أخرجه في أبواب الصلاة من كتاب الوتر: باب ما جاء في الصلاة عند الزوال (٢/ ٣٤٢/ ح ٤٧٨)، وقال الترمذي: حسن غريب، وعلق أحمد شاكر: بل صحيح متصل الإسناد رواته ثقات، وأخرج الترمذي عن أنس مرفوعًا: «ما من مؤمن إلا وله بابان، باب يصعد منه عمله، وباب ينزل منه رزقه، فإذا مات بكيا عليه، فذلك قوله عز وجل: ﴿**فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين**﴾ تفسير الدخان (٥/ ٣٥٤ / ح ٣٢٥٥)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث.

صُدُورِكُمْ﴾ [الإسراء: ٥١]، قال: الموت»[١] .

● قال الشنقيطي ـ رحمه اللَّه ـ في «أضواء البيان» (٨/ ٣٨٨):

«الآية تدل على أن الموت أمر وجودي لا عدمي كما زعم الفلاسفة؛ لأنه لو كان عدميًّا، لما تعلق به الخلق.

الوفاة الكبرى والوفاة الصغرى أو الـموت والنـوم

النوم شبيه الموت، ولـذلك يسميه علماؤنا بالوفاة الـصغرى فالنوم وفاة، والقيام من النـوم بعث ونشور ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ [الأنعـام: ٦٠]، وفي النوم تقبـض أرواح العباد، ومن شاء الحق أن يمسك روحه في حال نومه أمسـكها، ومن شاء بقاءها ردها إلى الأجل الذي حدده الحق، قـال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢]. «فقد أخبر الحق أن كلاًّ من النفسين الممسكة والمرسلة توفيتا وفاة النـوم، وأما التي توفيت وفاة الموت فتلك قـسم ثالث، وهي التي قدمها بـقوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾... فإن اللَّه ذكر تـوفيتين: توفي الموت، وتوفي النوم، وذكر إمساك المتوفاه، وإرسال الأخرى.

ومعلوم أنه يمسـك كل ميتة سواء ماتت في النـوم أو قبل ذلك، ويرسل من لم تمت، وقوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ يتناول ما ماتت في اليقظـة وما ماتت في النوم، فـلما ذكر التوفـيتين ذكر أنه يمسكـها في إحدى

---

(١) «كتاب العظمة» لأبي الشيخ الأصبهاني (٣/ ٩٢٥)، و«تفسير ابن جرير» (١٥/ ٩٨).

التوفيتين ويرسلها في الأخرى، وهذا ظاهر اللفظ بلا تكلف»[1] .

• معنى قول اللَّه تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[آل عمران: ٥٥]:

• قال ابن كثير في «تفسيره» ما ملخصه: «اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾، فقال قتادة وغيره: هذا من المقدم والمؤخر تقديره «إني رافعك إلي ومتوفيك» يعني: بعد ذلك.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: إني متوفيك أي مميتك. . .

وقال الأكثرون المراد بالوفاة هنا النوم[2] كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ وكان رسول اللَّه ﷺ إذا قام من النوم قال: «**الحمد للَّه الذي أحيانا بعد ما أماتنا**»[3] .

وعن الحسن أنه قال في قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾: يعني وفاة النوم رفعه اللَّه في منامه»ا.هـ.

فالمعاني الصحيحة في تفسير الآية ثلاثة:

١ ـ رأي الجمهور الذي اختاره ابن كثير ورواه عن الحسن. وهو الرأي

---

(١) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٥/ ٤٥٢).

(٢) قال الشوكاني ـ رحمه اللَّه ـ في «فتح القدير» (١/ ٣٤٤): «إنما احتاج المفسرون إلى تأويل الوفاة بما ذكر؛ لأن الصحيح أن اللَّه رفعه إلى السماء من غير وفاة كما رجحه كثير من المفسرين واختاره ابن جرير الطبري ووجه ذلك أنه قد صح في الأخبار عن النبي ﷺ ونزوله وقتله الدجال.

(٣) جزء من حديث حذيفة رواه البخاري في كتاب الدعوات: باب ما يقول إذا أصبح. وابن السني في «عمل اليوم والليلة».

الذي يفسر التوفي بالإنامة.

٢ ـ رأي قتادة: وهو أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، والتقدير: إني رافعك ومتوفيك، أي: بعد النزول.

٣ ـ رأي ابن جرير[1] في أن المراد بالتوفي هو نفس الرفع. والمعنى إني قابضك من الأرض ومستوفيك ببدنك وروحك، وينسب هذا التفسير إلى ابن زيد وهذه الأقوال الثلاثة متفقة على أنه رفع حيًّا وإن كان بعضها أصح وأولى بالقبول من بعض، فأصحها الأول، وهو قول الجمهور، ويليه قول قتادة، ويليه قول ابن جرير واللَّه أعلم»[2].

● قال اللَّه تعالى: ﴿**وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾ [النساء: ١٥٧ ـ ١٥٨].

قال الشيخ الهراس: «وكيف يتوهم متوهم أن المراد بقوله تعالى: ﴿**بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ**﴾ هو رفع روحه وهو إنما ذكر لإبطال ما زعموه من قتله وصلبه ورفع الروح لا يبطل القتل والصلب بل يجامعهما، فإنهم لو قتلوه فرضًا لرُفعت روحه إلى اللَّه، على أن في إخباره عز وجل بأنه رفعه إليه ما يشعر باختصاصه بذلك والذي يمكن أن يختص به عيسى هو رفعه حيًّا بجسده وروحه؛ لأن أرواح جميع الأنبياء بل المؤمنين ترفع إلى اللَّه بعد الموت لا فرق بين عيسى وغيره فلا تظهر فيه الخصوصية ثم ختم الآية بقوله: ﴿**وَكَانَ اللَّهُ**

---

(١) في تفسيره «جامع البيان» (٦/ ٤٦١).

(٢) «فصل المقال في رفع عيسى عليه السلام حيًّا ونزوله وقتله الدجال» للشيخ محمد خليل هراس ص(١٢) ـ مكتبة السنة.

عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ يدل على أنه مشهد تجلّت فيه عزة اللَّه وحكمته ولا يتم ذلك إلا حيث يكون المشهد غريبًا مثيرًا، فأي غرابة أو إثارة في موته، ثم رفع روحه وهو كما قلنا عام في جميع المؤمنين»[١] .

● **لا لابن حزم.. ولمحمد عبده ومحمد رشيد رضا والشيخ شلتوت:**

ولا التفات إلى ما ذهب إليه ابن حزم[٢] وقوله بموت عيسى ورفعه وقوفًا مع لفظ ﴿ **إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ** ﴾ فلم يخالف في الرفع وإنما خالف في الحياة.

ولا التفات إلى قول محمد عبده وتلميذه محمد رشيد رضا والشيخ شلتوت ﴿ **إِنِّي مُتَوَفِّيكَ** ﴾ أي: مميتك حتف أنفك ثم أرفعك إليّ ونسب محمد عبده هذا القول إلى جمهور المفسرين حتى نشرت جريدة البشرى القاديانية التي تصدر في بيروت في عدديها ٥، ٦ أن الأزهر يعترف بوفاة المسيح الناصري بناء على فتوى الشيخ شلتوت التي نشرتها مجلة الرسالة في العدد (٤٦٢)، وقال فيها بموت عيسى عليه السلام، وأنه ليس في القرآن الكريم ولا السنة المطهرة مستند يصلح لتكوين عقيدة يطمئن إليها القلب بأن عيسى رفع بجسمه إلى السماء وأنه حي إلى الآن فيها وأنه سينزل منها آخر الزمان إلى الأرض، أو قول «صاحب المنار»: «إن الدجال رمز للخرافات والدجل والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها والأخذ بأسرارها وحكمها»، وهذا مخالف أشد المخالفة لكلام السلف من أئمة التفسير والمحدثين ومنافٍ لعقيدة السلف.

---

(١) «فصل المقال» ص(١٣).
(٢) «المحلى» (١/ ٢٨).

● قال الحافظ ابن حجر في «تلخيص الحبير»:

«وأما رفع عيسى عليه السلام فاتفق أصحاب الأخبار والتفسير على أنه رفع ببدنه حيًّا»[١] .

● وقال في «الفتح» (٦/ ٢٦٧):

«إن عيسى رفع وهو حي علي الصحيح».

● وقال الإمام أبو حيان في «تفسيره» المطبوع على «البحر المحيط» (٢/ ٤٧٣): وأجمعت الأمة على أن عيسى عليه السلام حي في السماء».

● وقال ابن عطية الغرناطي: «وأجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر من أن عيسى في السماء حي».

● وقال الطحاوي: «ونؤمن بخروج الدجال الأعور العين ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء»... إلى أن قال: «والإيمان بأن المسيح الدجال خارج مكتوب بين عينيه كافر والأحاديث التي جاءت فيه والإيمان بأن ذلك كائن وأن عيسى بن مريم عليه السلام ينزل فيقتله بباب لد»[٢] .

● ويقول أبو الحسن الأشعري في «مقالات الإسلاميين»:

«ويصدقون - أي أهل السنة - بخروج الدجال وأن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام يقتله»[٣] .

● ويقول الآجري في كتابه «الشريعة»:

«باب الإيمان بنزول عيسى بن مريم عليه السلام حكمًا عدلاً فيقيم الحق ويقتل الدجال».

---

(١) «تلخيص الحبير» ص(٣١٩).

(٢) «شرح الطحاوية» ص(٤٩٩).

(٣) «مقالات الإسلاميين» ص(٣٤٥).

قال: «والذين يقاتلون مع عيسى عليه السلام هم أمة محمد ﷺ والذين يقاتلون عيسى هم اليهود مع الدجال، فيقتل عيسى الدجال ويقتل المسلمون اليهود، ثم يموت عيسى ويصلي عليه المسلمون ويدفن مع النبي ﷺ ومع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما»[١].

● وقال السفاريني في «لوامع الأنوار البهية: «ومنها - أي من علامات الساعة العظمى - العلامة الثالثة: أن ينزل من السماء السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ونزوله ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة»[٢] ثم قال: «وأما الإجماع فقد أجمعت الأمة على نزوله، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه».

● وأحاديث نزول عيسى بن مريم من السماء وقتله للدجال متواترة تواترًا معنويًّا وممن صرح بتواترها العلامة الطبري والنووي والقاضي عياض وابن حجر وابن تيمية وابن القيم والذهبي وابن كثير والعلامة الأُبِّيّ وابن عطية وأبو حيان الأندلسي والشوكاني والألوسي ومحمد صديق حسن خان، ومحمد حبيب اللَّه الشنقيطي والسفاريني والكتاني والكشميري والألباني والشيخ أحمد شاكر والكوثري والغماري.

● عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الأنبياء إخوة لعلات**[٣] **أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وإني أوْلى الناس بعيسى بن مريم؛ لأنه لم يكن نبي**

---

(١) «الشريعة» للآجري.

(٢) «لوامع الأنوار البهية» لمحمد بن أحمد السفاريني (٢/ ٩٤).

(٣) علات أي: ضرائر «الفتح» (٦/ ٤٨٩).

قال ابن الأثير في «النهاية» (٣/ ٢٩١) أولاد العلات: الذين أمهاتهم مختلفة وأبوهم واحد وأراد أن إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة.

بيني وبينه وإنه نازل فاعرفوه رجل مربوع[1] إلى الحمرة والبياض عليه ثوبان ممصَّران[2] كأن رأسه يقطر إن لم يصبه بلل فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس إلى الإسلام ويُهلك اللَّه في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك اللَّه في زمانه المسيح الدجال، ثم تقع الأمانة[3] على الأرض حتى ترتع[4] الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون»[5] .

الموت حق على الجن والإنس

● قال الشيخ الأشقر:

«الموت حتم لازم لا مناص منه لكل حي من المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]. وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

ولو نجا أحد من الموت لنجا منه خيرة اللَّه من خلقه محمد ﷺ

---

(١) مربوع: أي معتدل القامة بين الطويل والقصير.

(٢) ممصّران: أي فيهما صفرة خفيفة.

(٣) الأمانة: أي الأمنة والسلام.

(٤) ترتع: أي تلعب.

(٥) رواه أحمد (٩٢٥٩)، وأبو داود (٤/ ١١٧)، وابن جرير (٩/ ٣٨٨)، وابن حبان (٨/ ٢٧٧)، والحاكم (٢/ ٥٩٥)، وصححه ووافقه الذهبي، وابن أبي شيبة (١٥/ ١٥٨)، وصحح سند أحمد الشيخ أحمد شاكر وكذا سند الطبري. وأما الجزء الأول من الحديث فقد ثبت في روايات كثيرة.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وقد واسى اللَّه رسوله بأن الموت سنته في خلقه ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

والموت حق على الإنس والجن، ففي «الصحيح» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت، والإنس والجن يموتون».

للموت وقت وأجل محدد

للموت وقت يأتي فيه، فلا يستطيع أحد أن يتجاوز الأجل الذي ضربه اللَّه، وقد قدر اللَّه آجال العباد، وجرى بذلك القلم في اللوح المحفوظ، وكتبته الملائكة الكرام والمرء في بطن أمه، فلا يتأخر المرء عما كتب له ولا يتقدم، وكل إنسان مات أو قتل أو غرق أو سقط من طائرة أو سيارة أو احترق أو غير ذلك من الأسباب، فإنه قد مات بأجله الذي قدره اللَّه وأمضاه، وقد دلت على ذلك نصوص كثيرة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّه كِتَابًا مُّؤَجَّلاً﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وقال: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

وقال: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨]، وقال: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [الواقعة: ٦٠].

---

(١) رواه مسلم في كتاب القدر من «صحيحه»، وأحمد في «المسند» (١/ ٣٩٠، ٤١٣، ٤٤٥).

(٢) رواه مسلم في «صحيحه» (٤/ ٢٠٤٤/ ح ٢٦٥٣).

وفي «صحيح مسلم» عن عبد اللّه بن مسعود قال: قالت أم حبيبة زوج النبي ﷺ، ورضي الله عنها: «اللّهم أمتعني بزوجي رسول اللّه، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية».

قال: فقال النبي ﷺ: **«لقد سألت اللّه لآجال مضروبة، وأيام معدودة، وأرزاق مقسومة. لن يعجل شيء قبل أجله، ولن يؤخر اللّه شيئًا بعد أجله، ولو كنت سألت اللّه أن يعيذك من عذاب النار، وعذاب في القبر كان خيرًا وأفضل»**[١].

● وعن عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: **«كتب اللّه مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وكان عرشه على الماء»**[٢].

● وعن عبد اللّه بن مسعود رضي الله عنه قال: «حدثنا رسول اللّه ﷺ - وهو الصادق المصدوق - قال: **«إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد...»**[٣] الحديث.

● وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«وكّل اللّه بالرحم ملكًا، فيقول: أي رب نطفة، أي رب علقة، أي رب مضغة، فإذا أراد اللّه أن يقضي خلقها، قال: أي رب ذكر أم أنثى، أشقي أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟**

---

(١) رواه مسلم في كتاب القدر من «صحيحه»، وأحمد في «المسند» (١/ ٣٩٠، ٤١٣، ٤٤٥).

(٢) رواه مسلم في «صحيحه» (٤/ ٢٠٤٤/ ح ٢٦٥٣).

(٣) رواه البخاري ومسلم والسياق له، وأبو داود والترمذي.

فيكتب كل ذلك في بطن أمه»[١] .

* معنى المحو والإثبات في الصحف، وزيادة الأجل ونقصانه:

● قد يشكل على بعض الناس مواضع في كتاب اللَّه وأحاديث رسول اللَّه ﷺ فيقول بعضهم: إذا كان اللَّه علم كل ما هو كائن، وكتب ذلك كله عنده في كتاب فما معنى قوله: ﴿**يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ**﴾ [الرعد: ٣٩].

وإذا كانت الأرزاق والأعمار والآجال مكتوبة لا تزيد ولا تنقص فما توجيهكم لقوله ﷺ : «**من سرّه أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه**»[٢] .

وكيف تفسرون قول نوح لقومه: ﴿**أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى**﴾ [نوح: ٣].

● وما قولكم في الحديث الذي فيه أن اللَّه جعل عمر داود عليه السلام مائة سنة بعد أن كان أربعين سنة؟.

والجواب أن الأرزاق والأعمار نوعان:

● نوع جرى به القدر وكتب في أم الكتاب، فهذا لا يتغيّر ولا يتبدل، ونوع أعلم اللَّه به ملائكته فهذا هو الذي يزيد وينقص، ولذلك قال اللَّه تعالى: ﴿**يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾ . وأم الكتاب هو اللوح المحفوظ الذي قدّر اللَّه فيه الأمور على ما هي عليه.

ففي كتب الملائكة يزيد العمر وينقص، وكذلك الرزق بحسب الأسباب،

---

(١) رواه البخاري «فتح» (١١/ ٤٧٧)، ومسلم (٤/ ٢٠٣٨/ ح ٢٦٤٦)، والسياق للبخاري.
(٢) رواه البخاري (٤/ ٣٠١)، ومسلم (١٥/ ١١٤).

فإن الملائكة يكتبون له رزقًا وأجلاً، فإذا وصل رحمه زيد له في الرزق والأجل، وإلا فإنه ينقص له منهما[(١)] .

● [والأجل أجلان:

● **أجل مطلق**: يعلمه اللَّه، و«أجل مقيّد» وبهذا يتبيّن معنى قوله ﷺ : «**من سرّه أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه**»، فإن اللَّه أمر الملَك أن يكتب له أجلاً وقال: «إن وصل رحمه زدته كذا وكذا»، الملك لا يعلم أيزداد أم لا؟ لكن اللَّه يعلم ما يستقر عليه الأمر فإذا جاء ذلك لا يتقدم ولا يتأخر»[(٢)] .

● يقول ابن حجر العسقلاني: «الذي سبق في علم اللَّه لا يتغيّر ولا يتبدّل، والذي يجوز عليه التغيير والتبديل ما يبدو للناس من عمل العامل، ولا يبعد أن يتعلق ذلك بما في علم الحفظة والموكلين بالآدمي، فيقع فيه المحو والإثبات، كالزيادة في العمر والنقص، وأما ما في علم اللَّه فلا محو فيه ولا إثبات والعلم عند اللَّه» [(٣)]][(٤)] .

● **معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[فاطر: ١١]**:

اختلف في معنى الآية على قولين:

● **أولهما**: أن ما يعمر من معمر فيطول عمره، ولا ينقص من عمر آخر غيره عن عمر هذا الذي عمّر طويلاً إلا في كتاب عنده مكتوب قبل أن تحمل

---

(١) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٨/ ٥٤٠).

(٢) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٤/ ٥١٧).

(٣) «فتح الباري» (١١/ ٤٨٨).

(٤) «القضاء والقدر» للدكتور عمر الأشقر ص(٦٦ ـ ٦٧).

به أمه، وقبل أن تضعه، ولا يزداد فيما كتب له ولا ينقص، وهو قول ابن عباس وغيره. والضمير في ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ على هذا القول عائد على الجنس، كما يقال: عندي ثوب ونصفه، أي: ونصف ثوب آخر.

● **والقول الثاني**: هو ما قاله سعيد بن جبير وغيره:

قال سعيد بن جبير: في أول الصحيفة مكتوب عمره، ثم يكتب بعد ذلك: ذهب يوم، ذهب يومان، حتى يأتي على أجله[1].

أي أن ما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره بفناء ما فني من أيام حياته فذلك هو نقصان عمره، والضمير على هذا القول عائد على المعمر الأول.

ومعنى الكلام: ما يطول عمر أحد ولا يذهب من عمره شيء فينقص إلا وهو في كتاب عند اللَّه مكتوب.

● ذكرهما ابن جرير في «تفسيره» (١٢/ ١٢٢ ـ ١٢٣) وذهب إلى ترجيح القول الأول؛ لأنه أشبه وأظهر.

وذكرهما ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٥٠) ووافق ابن جرير في اختياره للقول الأول.

● وقد قال بذلك أيضًا شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٤/ ٤٩٠ ـ ٤٩١) وذكر أن التعمير والتقصير يراد بهما شيئان:

● **أحدهما**: أن هذا يطول عمره، وهذا يقصر عمره، فيكون تقصيره نقصًا له بالنسبة إلى غيره، كما أن المعمر يطول عمره فيكون التعمير زيادة له بالنسبة إلى الآخر.

---

(١) «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٤٤٧)، والماوردي في «تفسيره» (٣/ ٣٧١).

● **والثاني**: قد يراد بالنقص النقص من العمر المكتوب كما يراد بالزيادة الزيادة في العمر المكتوب.

وفي «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «**من سرّه أن يُبسط له في رزقه وينسأ له في عمره فليصل رحمه**». . . ثم قال: «وقد قال بعض الناس: إن المراد به البركة في العمر بأن يعمل في الزمن القصير ما لا يعمله غيره إلا في الكثير، قالوا: لأن الرزق والأجل مقدران مكتوبان فيقال لهؤلاء: تلك البركة. وهي الزيادة في العمل والنفع - أيضًا مقدّرة مكتوبة وتتناول لجميع الأشياء.

فالجواب المحقق: «أن اللَّه يكتب للعبد أجلاً في صحف الملائكة فإذا وصل رحمه زاد في ذلك المكتوب، وإن عمل ما يوجب النقص نقص من ذلك»[(١)] .

وقت الموت من الغيب الذي استأثر اللَّه به

وقت الموت من الغيب الذي استأثر اللَّه بعلمه، قال تعالى: ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَآ إِلا هُوَ** ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [لقمان: ٣٤].

وقد روى البخاري في «صحيحه» عن ابن عمر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا اللَّه** ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ**

---

(١) انظر: «تفسير الماوردي» (٣/ ٣٧٠)، و«تفسير القرطبي» (١٤/ ٣٣٣)، و«فتح الباري» (٤/ ٣٠١، ٣٠٢)، (١٠/ ٤١٦).

وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾»[١] .

* حضور الشيطان عند الموت:

قال القرطبي: سمعت شيخنا الإمام أبا العباس أحمد بن عمر القرطبي، يقول: حضرت أخا شيخنا أبي جعفر أحمد بن محمد القرطبي بقرطبة، وقد احتضر، فقيل له: قل لا إله إلا اللّه، فكان يقول: لا لا، فلما أفاق، ذكرنا له ذلك، فقال: أتاني شيطانان عن يميني وعن شمالي، يقول أحدهما: مت يهوديًا فإنه خير الأديان، والآخر يقول: مت نصرانيًّا فإنه خير الأديان، فكنت أقول لهما: لا لا...»[٢] .

ولكن هذا ليس لازمًا لكل أحد كما يقول ابن تيمية، بل من الناس من تعرض عليه الأديان قبل موته، ومنهم من لا تعرض عليه، وقد وقع ذلك لأقوام، وهذا كله من فتنة المحيا والممات التي أمرنا أن نستعيذ بها في صلاتنا[٣] ، وقد ذكر الشيخ ابن تيمية أن الشيطان أحرص ما يكون على إغواء الإنسان وقت موته؛ لأنه وقت الحاجة، واستدل بالحديث الذي في «الصحيح»: «**الأعمال بخواتيمها**»، وقال ﷺ: «**إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن العبد ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخلها**»، ولهذا روي: «أن

---

(١) رواه البخاري في كتاب الاستسقاء وفي كتاب التفسير.

(٢) «التذكرة» للقرطبي ص(٣٤).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٥٥).

الشيطان أشد ما يكون على ابن آدم حين الموت، يقول لأعوانه: دونكم هذا فإنه إن فاتكم لن تظفروا به أبدًا»[١] .

* ملك الموت:

من اعتقاد أهل السنة والجماعة إيمانهم بملك الموت قبل إيمانهم بالملائكة الآخرين.

وملك الموت هو المتولي لقبض الأرواح واستخراجها. ولم يرد التصريح باسمه في الأحاديث الصحيحة، وإنما وردت تسميته بعزرائيل في بعض الآثار، عن قتادة وأشعث بن أسلم وغيرهما وهو المشهور.

قال ابن بطة: «الإيمان بملك الموت ﷺ أنه يقبض الأرواح، ثم ترد في الأجساد في القبور وهو يتصف بصفات من القدرة والسلطان وعظم الخلق وغيرهما من الصفات التي جعلته قادرًا على قبض أرواح كثيرة في أماكن مختلفة بعيدة الأطراف في لحظة واحدة»[٢] .

● قال اللَّه تعالى: ﴿**قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ**﴾ [السجدة: ١١].

قال ابن عباس: «خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب»[٣] .

وصح عن مجاهد أنه قال عن ملك الموت: «حُويت له الأرض فجُعلت

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٥٦).

(٢) «الشرح والإبانة» لابن بطة ص(٢٢٢)، و«البداية والنهاية» (١/ ٤٧)، و«شرح الطحاوية» ص(٤٤٠)، و«التذكرة» للقرطبي (١/ ٨٨)، و«تفسير القرطبي» (١٤/ ٩٤).

(٣) «العظمة» لأبي الشيخ (٣/ ٩٢٤)، و«العرش» لابن أبي شيبة، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص(٥٠٥)، وهو موقوف ورجال إسناده ثقات.

له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء»[١].

● **قال ابن جرير الطبري:**

«إن قال قائل: أو ليس الذي يقبض الأرواح ملك الموت، فكيف قيل: ﴿**تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا**﴾ والرسل جملة وهو واحد، أو ليس قد قال: ﴿**قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ**﴾.

ثم أجاب عن ذلك بقوله: «قيل: جائز أن يكون اللَّه تعالى أعان الملك الموت بأعوان من عنده، فيقولون ذلك بأمر ملك الموت، فيكون التوفي مضافًا - وإن كان ذلك من فعل أعوان ملك الموت - إلى ملك الموت، إذ كان فعلهم ما فعلوا من ذلك بأمره.

كما يضاف قتل من قتله أعوان السلطان وجلد من جلدوه بأمر السلطان وإن لم يكن السلطان باشر ذلك بنفسه ولا وَلِيه بيده، وقد تأول ذلك كذلك جماعة من أهل التأويل»[٢] ا.هـ.

● وذهب آخرون إلى أن الذي يتولى قبض الأرواح هو ملك الموت نفسه فقال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٤٥٧): «والظاهر من هذه الآية أن ملك الموت شخص معين من الملائكة وأن له أعوانًا كما هو المتبادر من حديث البراء ابن عازب».

فهو يدل على أن ملك الموت هو الذي يلي قبض الأرواح وينزل معه ملائكة آخرون.

ورد عن قتادة أنه قال: تلي قبضها الرسل، ثم تدفعها إليه. وورد عن

---

(١) «تفسير الطبري» (٢١/ ٩٨)، و«الحبائك في أخبار الملائك» ص(٣٥).

(٢) «تفسير الطبري» (٧/ ٢١٦).

ابن عباس وإبراهيم النخعي أن ملك الموت هو الذي يلي قبض الأنفس.

● قال العلامة الشنقيطي:

«قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ الآية.

أسند في هذه الآية الكريمة التوفي إلى ملك واحد، وأسنده في آيات أخر إلى جماعة من الملائكة كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ﴾، وقوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾[1]، وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ﴾ الآية، وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُوٓا أَيْدِيهِمْ﴾ الآية، وأسنده في آية أخرى إلى نفسه جل وعلا وهي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ الآية.

والجواب عن هذا ظاهر، وهو أن إسناده التوفي إلى نفسه؛ لأن ملك الموت لا يقدر أن يقبض روح أحد إلا بإذنه ومشيئته تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً﴾، وأسنده لملك الموت؛ لأنه هو المأمور بقبض الأرواح، وأسنده للملائكه لأن ملك الموت له أعوان من الملائكة تحت رئاسته، يفعلون بأمره وينزعون الروح إلى الحلقوم، فيأخذها ملك الموت، والعلم عند الله تعالى[2].

● **تنبيه:**

قال القرطبي في «التذكرة»: سُئل الإمام مالك بن أنس عن البراغيث أملك الموت يقبض أرواحها؟ فأطرق مليًّا ثم قال: ألها نَفْس؟ قال: نعم. قال: ملك الموت يقبض أرواحها ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ ا.هـ.

---

(١) قال ابن عباس: أعوان ملك الموت.

(٢) «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» للشنقيطي ص(٢٣٦) ـ مطبعة المدني.

* تخيير الأنبيـــاء عنـــد المـــوت:

هذه خاصية الأنبياء وليست لأحد من البشر سواهم.

روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: خطب رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم الناس وقال: «**إن اللَّه خيّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند اللَّه!**»، قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أن يُخبر رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم عن عبد خُيِّر، فكان رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا».

يخيّر الأنبياء بين البقاء في الدنيا والانتقال إلى ذلك المقام، ولا شك أن كل رسول يفضل النعيم المقيم على الدنيا وما فيها.

ففي «صحيح البخاري» عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح: «**إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يخيّر**»، فلما نزل به ورأسه على فخذي غشي عليه ساعة، ثم أفاق، فأشخص بصره إلى السقف، ثم قال: «**اللّهم الرفيق الأعلى**»، قلت: إذن لا يختارنا، وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا به، قالت: «فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «**اللّهم في الرفيق الأعلى**»[1] وجاء في إحدى رواياته[2]: «فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه: وأخذته بُحةٌ يقول: ﴿**مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا**﴾ [النساء: ٦٩]، قالت: فظننت أنه خيِّر يومئذ».

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق: باب من أحب لقاء اللَّه، «فتح الباري» (١١/ ٣٥٧)، وقد أخرجه أيضًا مسلم في «صحيحه»، ومالك في «موطئه»، والترمذي في «سننه»، وقد ساق روايات الحديث عن عائشة ابن الأثير في «جامع الأصول» (١١/ ٦٧).

(٢) وهي عند جميعهم.

* فقء موسى عليه السلام عين ملك الموت:

● عن أبي هريرة ﷺ قال: «أُرسل[١] ملك الموت إلى موسى عليهما السلام، فلما جاءه صكّه، فرجع إلى ربه، فقال: أرسلتني إلى عبدٍ لا يريد الموت[٢]. قال: ارجع إليه فقل له: يضع يده على متن ثور، فله بما غطّى يده بكل شعرة سنة. قال: أيْ رب، ثم ماذا؟ قال: ثم الموت. قال: فالآن. قال: فسأل اللَّه أن يدنيه من الأرض المقدسة رمْية بحجر.

قال أبو هريرة ﷺ: فقال رسول اللَّه ﷺ: «**لو كنتُ ثمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر**»[٣].

● قال ابن حجر في «الفتح» (٦/ ٥١٠):

«قال ابن خزيمة: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث، وقالوا: إن كان موسى عرفه فقد استخف به، وإن كان لم يعرفه فكيف لم يقتص له من فقء عينه؟ والجواب أن اللَّه لم يبعث ملك الموت لموسى وهو يريد قبض روحه حينئذ، وإنما بعثه إليه اختباراً وإنما لطم موسى ملك الموت؛ لأنه رأى آدميًّا دخل داره بغير إذنه ولم يعلم أنه ملك الموت، وقد أباح الشارع فقء عين الناظر في دار المسلم بغير إذن، وقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم وإلى لوط في صورة آدميين فلم يعرفاهم ابتداء، ولو عرفهم إبراهيم لما قدّم لها المأكول، ولو عرفهم لوط لما خاف عليهم من قومه.

---

(١) عند أحمد، ومسلم: «جاء ملك الموت إلى موسى فقال: أجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها» وعند الطبري: «كان ملك الموت يأتي الناس عيانًا، فأتى موسى فلطمه ففقأ عينه».

(٢) زاد همام: «وقد فقأ عينه، فردّ اللَّه عليه عينه» وفي رواية: «فقال: يا رب عبدك موسى فقأ عيني، ولولا كرامته عليك لشققت عليه».

(٣) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد، وعبد الرزاق، والطبري.

وعلى تقدير أن يكون عرفه فمن أين لـهذا المبتدع مشروعية القصاص بين الملائكة والبشر؟ ثم من أين له أن ملـك الموت طلب القصاص من موسى فلم يقتص له؟ ولخص الخطابي كلام ابن خزيمة وزاد فيه أن موسى دفعه عن نفسه لما ركب فيه من الحدة وأن اللَّه ردّ عين ملـك الموت ليعلم موسى أنه جاءه من عند اللَّه؛ فلهذا استسلم حينئذ.

وقال النـووي: لا يمتنع أن يـأذن اللَّه لموسـى في هذه اللـطمة امتـحانًا للملطوم. وقال غيره: إنما لطمه؛ لأنــه جاء لقبض روحه من قبل أن يخيره، لما ثبت أنه لم يقبـض نبي حتى يخيّر، فلهذا لما خيّره فـي المرة الثانية أذعن، قيـل: وهذا أولى الأقوال بـالصواب، وفيـه نظر؛ لأنـه يعود أصل الـسؤال فيُقال: لم أقدم ملك الموت على قبض نبي اللَّه وأخلّ بالشرط؟ فيعود الجواب أن ذلك وقع امتحانًا».

● وقال ابن حبان في «صحيحه»: «ذكر خبـر شنّع به على منتحلي سنن المصطفـى ﷺ مَن حُرِم التوفيـق لإدراك معناه»، ثم روى الحديـث وعقّب قائلاً: «إن اللَّه جلّ وعلاَ بعث رسول اللَّه ﷺ معلمًا لخلقه؟ فأنزله موضع الإبانـة عن مراده، فـبلغ ﷺ رسـالته، وبيّـن عن آياتـه بألفـاظ مجمـلة ومفسرة، عقلهـا عنه أصحابه أو بعضهم، وهذا الخبـر من الأخبار التي يُدرك معناه من لم يُحرم التوفيق لإصابة الحق.

وذاك أن اللَّـه جل وعـلا أرسل ملـك الموت إلـى موسى رسـالة ابـتلاء واختبار، وأمـره أن يقول له: أجب ربك، أمـر اختبار وابتلاء، لا أمـرًا يريد اللَّه جل وعلا إمضـاءه، كما أمر خليله ﷺ بذبح ابنه أمـر اختبار وابتلاء، دون الأمر الذي أراد اللَّـه جل وعلا إمضاءه. . .»، ثم ذكر نحـو ما قال ابن خزيمة وقال: «فلو كانت المرة الأولى عرفـه موسى أنه ملك الموت، لاستعمل

ما استعمل في المرة الأخرى عند تيقنه وعلمه به، ضد قول من زعم أن أصحاب الحديث حمّالة الحطب، ورعاة الليل، يجمعون ما لا ينتفعون به، ويروون ما لا يُؤجرون عليه، ويقولون بما يبطله الإسلام، جهلاً منه لمعاني الأخبار، وترك التفقه في الآثار، معتمداً منه على رأيه المنكوس، وقياسه المعكوس».

● وقال ابن حبان أيضًا: (١٤/ ١١٧): «هذه اللفظة: «أجب ربك» قد تُوهم مَن لم يتبحر في العلم، أن التأويل الذي قلناه للخبر مدخول، وذلك في قول ملك الموت لموسى: (أجب ربك) بيان أنه عرفه، وليس كذلك؛ لأن موسى عليه السلام لما شال يده ولطمه، قال له: (أجب ربك)، وتوهم موسى أنه يتعوّذ بهذه اللفظة، دون أن يكون رسول اللَّه إليه، فكان قوله: (أجب ربك) الكشف عن قصد البداية في نفس الابتلاء والاختبار الذي أريد منه» ا. هـ.

وهذا الحديث وأمثاله فرق ما بين أصحاب الحديث ـ الذين يُسلّمون لحديث النبي ﷺ ويقولون: ما جاءنا عن رسول اللَّه ﷺ فعلى العين والرأس ـ وبين أفراخ المعتزلة من العقلانيين الذين يحكمون عقولهم ويضعونها فوق النقل، وجهلوا أن الشرع يأتي بمحارات العقول لا بمحالات العقول، وجهلوا أن الشرع حاكم والعقل محكوم عليه.

هل أنتمُ إلا الفراش ... وقد رأى ناراً توهّجْ
فدنا فأحرق نفسه ... ولو اهتدى رشداً لأبعدْ
فلتخسأ الحكماء عن ... رب له الأفلاك تسجدْ

* * *

القبـــور

القبر أول منــازل الآخــرة.

ضمّة القبـــــر

إن للقبر ضمّــة لا ينجو منها أحد صالحًا كان أو عاصــيًا، صغيرًا كان أو كبيرًا، وضمّة القبر غير عذاب القبر.

ففي «سنن النسائي» عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قــال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: «**هذا الذي تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفًا من الملائكة، لقد ضم ضمة، ثم فرج عنه**»[1] . وفي «مسند الإمام أحمد» عن ابن عمر أيضًا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «**إن للقبر ضغطة لو كان أحد ناجيًا منها لنجا سعد بن معاذ**» رواه أحمد في «مسنده»[2] ، وفي مسندي الطبراني «الكبير» و«الأوسط» عن ابن عبــاس رضي الله عنهما: أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «**لو نجا أحد من ضمة القبر، لنجا سعد بن معاذ، ولقد ضم ضمة، ثم روخي عنه**»[3] . ومما يدل على أن ضمة القبر لازمة لكل إنسان أن الصبيان لا ينجون منها، ففي «مسند الطبراني الكبير» عن أبي أيوب الأنصاري بإسناد صحيح، وهو في «مسنده الأوسط»، وفي «الكامل» لابن عدي عن أنس أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «**لو أفلت أحد من ضمة القبر لنجا هذا الصبي**»[4] .

---

(١) رواه النسائي، في كتاب الجنائز: باب ضمة القبر وضغطته (٤/ ١٠٠)، وقال الشيخ ناصر الدين الألباني في «مشكاة المصابيح» (١/ ٤٩): وسنده صحيح على شرط مسلم.

(٢) قال الشيخ ناصر الدين الألباني في «صحيح الجامع» (٢/ ٢٣٦): إسناده صحيح.

(٣) قال في «صحيح الجامع» (٥/ ٧١): إسناده صحيح.

(٤) «صحيح الجامع» (٥/ ٥٦).

سؤال المَلَكين وفتنة القبر

● يؤمن أهل السنة والجماعة بسؤال المَلَكين وفتنة القبر والأخبار التي في فتنة القبر أخبار متواترة، نقل هذا التواتر ونص عليه:

● شيخ الإسلام ابن تيمية، وشيخ الإسلام ابن القيم، وابن أبي العز «شارح الطحاوية»، والسيوطي في «شرح الصدور»، والكتاني في «نظم المتناثر»، والألباني[1] .

● قال ابن القيم: «أما أحاديث عذاب القبر ومساءلة منكر ونكير فكثيرة، متواترة عن النبي ﷺ»[2]

● ويقول «شارح الطحاوية»:

«وقد تواترت الأخبار عن رسول اللّه ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول. فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا» ا. هـ.

وهذه الفتنة عظيمة في هولها وخطرها تقرب من فتنة الدجال أعظم فتنة.

يقول ﷺ: **«ما من شيء لم أكن رأيته، إلا رأيته في مقامي هذا، حتى الجنة والنار، ولقد أوحي إليّ أنكم تفتنون في قبوركم، مِثلَ**

---

(١) قول الشيخ الألباني في تعليقه على «الآيات البينات» ص(٨٩).
(٢) «الروح» ص(٧٠).

أو قريبًا من فتنة المسيح الدجال...»[١] الحديث.

● وفي «سنن الترمذي» عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إذا قبر الميت ـ أو قال: أحدكم ـ أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: ما كان يقول، هو عبد اللَّه ورسوله، أشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأن محمدًا عبده ورسوله... وإن كان منافقًا قال: سمعت الناس يقولون قولاً، فقلت مثله، لا أدري...»[٢].

وجاء في الحديث الذي يرويه البراء بن عازب عن الرسول ﷺ: «فيأتيه ملكان شديد الانتهار فينتهرانه، ويجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن، فذلك حين يقول اللَّه عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾، فيقول: ربي اللَّه، وديني الإسلام، ونبي محمد ﷺ، فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي»، وقال في العبد الكافر أو الفاجر: «ويأتيه ملكان شديدا الانتهار، فينتهرانه، ويجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه، هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه، هاه لا أدري، فيقولان: فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فلا يهتدي لاسمه، فيقال: محمد، فيقول: هاه، هاه، لا أدري، سمعت الناس يقولون ذاك، فيقولان: لا دريت ولا تلوت[٣] فينادي

---

(١) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم عن أسماء بنت أبي بكر.

(٢) رواه الترمذي، كتاب الجنائز: باب ما جاء في عذاب القبر (٣/ ٣٨٣)، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وقال محقق الكتاب الشيخ أحمد شاكر: لم يخرجه من أصحاب الكتب الستة سوى الترمذي، وقد رمز له الشيخ ناصر الدين الألباني بالحسن في «صحيح الجامع الصغير» (١/ ٢٥٩)، وحسنه في «ظلال الجنة» (٨٦٤)، وأورده في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (ح ١٣٩١). وقال: إسناده جيد رجاله كلهم ثقات رجال مسلم.

(٣) أي: لا دريت ولا تبعت الناس بأن تقول شيئًا يقولونه.

مناديٍ أن كذب عبدي»[١] .

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم، إذا انصرفوا: أتاه ملكان، فيقعدانه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل، محمد؟ فأما المؤمن، فيقول: أشهد أنه عبد اللَّه ورسوله... وأما الكافر أو المنافق**، وفي رواية: «**وأما الكافر والمنافق - فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس فيه، فيقال: لا دريت، ولا تليت...**» رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي[٢] .

ولم يكن الرسول ﷺ يعلم في أول الأمر أن هذه الأمة تفتن في قبورها، ثم أوحى اللَّه له بهذا العلم، فقد حدَّث عروة بن الزبير عن خالته عائشة، قالت: دخل عليَّ رسول اللَّه ﷺ ، وعندي امرأة من اليهود، وهي تقول: هل شعرت أنكم تفتنون في القبور؟ قالت: فارتاع رسول اللَّه ﷺ ، وقال: «**إنما تفتن اليهود**»، قالت عائشة: فلبثنا ليالي، ثم قال رسول اللَّه ﷺ : «**هل شعرت أنه أوحي إلي تفتنون في القبور**» قالت عائشة: فسمعت رسول اللَّه ﷺ ، بعد: يستعيذ من عذاب القبر»[٣] .

---

(١) **حديث صحيح**: وسبق تخريجه.

(٢) «جامع الأصول» (١١/ ١٧٣).

(٤) رواه مسلم في «صحيحه»، كتاب المساجد: باب استحباب التعوذ من عذاب القبر (ح٥٨٤).

تنبيه هام: قال الشيخ الألباني في تحقيقه للآيات البينات في عدم سماع الأموات ص(٨١) عن منكر ونكير قال: «ثبت ذكرهما باسمهما في حديث أبي هريرة مرفوعًا وله شاهد من حديث البراء عند البيهقي في «الشعب» (١/ ١٨١)، وآخر موقوف على ابن عباس، رواه الطبراني في «الأوسط» وحسّن إسناده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٥٤).

وقال ابن الألوسي في «الآيات البينات على عدم سماع الأموات» ص(٨٩ - ٩٠): «وأنكر الجبائي وابنه، والبلخي تسمية الملكين منكرًا ونكيرًا، مع الاعتراف بهما، وإنما المنكر ما =

● قال الحافظ ابن كثير: «وهما فَتَّانَا القبر موكلان بسؤال الميت في قبره عن ربه ودينه ونبيه ويمتحنان البر والفاجر وهما أزرقان أفرقان لهما أنياب وأشكال مزعجة وأصوات مفزعة أجارنا اللَّه من عذاب القبر وثبتنا بالقول الثابت»[١] ا.هـ.

* سؤال القبر للروح والبدن معًا، وعودة الروح إلى الجسد وقت السؤال:

● قال «شارح الطحاوية» ص(٤٥١):

«وليس السؤال في القبر للروح وحدها، كما قال ابن حزم وغيره، وأفسد منه قول من قال: إنه للبدن بلا روح! والأحاديث الصحيحة ترد القولين. وكذلك عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعًا، باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب مفردة عن البدن ومتصلة به».

● قال ابن حجر في «الفتح» (٣/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨) في قصة أصحاب القليب ووقوف النبي ﷺ عليهم:

«قد أخذ ابن جرير وجماعة من الكرّامية من هذه القصة أن السؤال في القبر يقع على البدن فقط، وأن اللَّه يخلق فيه إدراكًا بحيث يسمع ويعلم ويلذ ويألم.

يصدر من الكافر عند تلجلجه إذا سئل، والنكير تقريع الملكين له». وقال الألباني معلقًا: «ثبوت ذكرهما في الأحاديث الصحيحة بدون تسمية، حتى بلغت مبلغ التواتر، وقد ساقها السيوطي في «شرح الصدور» ص(٤٨ ـ ٥٩)، وأما التسمية فهي ثابتة في حديث أبي هريرة، والبراء، فمن أنكرها بعد ثبوتها فقد جهل!».

(١) «البداية والنهاية» (١/ ٤٤).

وذهب ابن حزم وابن هبيرة إلى أن السؤال يقع على الروح فقط من غير عود إلى الجسم.

وخالفهم الجمهور فقالوا: تعاد الروح إلى الجسد أو بعضه كما ثبت في الحديث، ولو كان على الروح فقط لم يكن للبدن بذلك اختصاص، ولا يمنع من كون الميت قد تتفرق أجزاؤه؛ لأن اللَّه قادر أن يعيد الحياة إلى جزء من الجسد ويقع عليه السؤال، كما هو قادر على أن يجمع أجزاءه، والحامل للقائلين بأن السؤال يقع على الروح فقط أن الميت قد يشاهد في قبره حال المسألة لا أثر فيه من إقعاد ولا غيره، ولا ضيق ولا سعة، وكذلك غير المقبور كالمصلوب.

وجوابهم أن ذلك غير ممتنع في القدرة، بل له نظير في العادة وهو النائم فإنه يجد لذة وألمًا لا يدركه جليسه، بل اليقظان قد يدرك ألمًا أو لذة لما يسمعه أو يفكر فيه ـ ولا يدرك ذلك جليسه، وإنما أتى الغلط من قياس الغائب على الشاهد وأحوال ما بعد الموت على ما قبله، والظاهر أن اللَّه تعالى صرف أبصار العباد وأسماعهم عن مشاهدة ذلك وستره عنهم إبقاءً عليهم لئلا يتافنوا، وليست للجوارح الدنيوية قدرة على إدراك أمر الملكوت إلا من شاء اللَّه. وقد ثبتت الأحاديث بما ذهب إليه الجمهور كقوله: «**إنه ليسمع خفق نعالهم**»، وقوله: «**يضربانه بين أذنيه**»، وقوله: «**فيقعدانه**»، وكل ذلك من صفات الأجساد، وذهب أبو الهذيل ومن تبعه إلى أن الميت لا يشعر بالتعذيب ولا بغيره إلا بين النفختين، قالوا: وحاله كحال النائم أو المغشي عليه لا يحس بالضرب ولا بغيره إلا بعد الإفاقة، والأحاديث الثابتة في السؤال حالة تولي أصحاب الميت عنه ترد عليهم».

● وممن ذهب إلى أن السؤال والعذاب على الأجساد دون الأرواح

جماعة من الحنابلة.

قال الشيخ الألباني في تعليقه على «الآيات البينات» ص(٨٩):

«قال الحافظ ابن رجب (١/ ق٨١): «وممن ذكر ذلك من أصحابنا ابن عقيل في «كتاب الإرشاد» له وابن الزاغوني، وحكي عن ابن جرير الطبري أيضًا... لكن أنكره الجمهور كما قال ابن القيم - في «الروح» - ص(٥٠)».

* سؤال الملكين عن أصول التوحيد:

يُسأل العبد في قبره عن اللَّه عز وجل، وعن الإسلام، وعن رسول اللَّه ﷺ ويُسأل عن عمله، ويُسأل عن كتاب اللَّه عز وجل كما جاء في حديث البراء.

فأما المؤمن فيثبته اللَّه بالقول الثابت في الحياة الدنيا، وأما الكافر أو المنافق فيقول: هاه[١] هاه لا أدري! سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته.

* هل يُفتن الكافر في قبره؟

«دلت الأحاديث التي سقناها على أن الكفار يفتنون في قبورهم، وقد خالف في ذلك الحكيم الترمذي وابن عبد البر والسيوطي[٢] ، واحتج الحكيم الترمذي على عدم السؤال بأن الأمم الماضية إن رفضت الاستجابة لرسلها عوجلت بالعذاب، بخلاف هذه الأمة، فقد أمسك عنها العذاب، وبعث الرسول ﷺ بالسيف، فمن دخل في الإسلام مخافة القتل، ثم نافق عذب في قبره، وهذا الذي قاله فيه نظر، فإن اللَّه لم يهلك مكذبي الأمم بعد نزول

(١) قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ١٨٧): هي كلمة تُقال في الضحك وفي الإبعاد وقد تقال للتوجع وهو أليق بمعنى الحديث واللَّه أعلم.
(٢) «لوامع الأنوار البهية» (٢/ ١٠).

التوراة[١] ، واحتج ابن عبد البر بقوله عليه السلام في الحديث الصحيح: «**إن هذه الأمة تبتلى في قبورها**»، ومنهم من يرويه. تسأل[٢] ، والأحاديث الصحيحة ترد هذا الفهم، وتدل على أن هذا ليس خاصًّا بالمؤمنين، وليس خاصًا بهذه الأمة. وقد ذهب إلى أن السؤال عام عبد الحق الإشبيلي، وابن القيم، والقرطبي، والسفاريني وغيرهم[٣] »[٤] .

● قال الإمام ابن القيم في كتابة «الروح» ص(١١٢ ـ ١١٥) في «المسألة الحادية عشرة»: [إن السؤال في القبر هل هو عام في حق المسلمين والمنافقين والكفار أو يختص بالمسلم والمنافق؟

فقال أبو عمر بن عبد البر في «كتاب التمهيد»: والآثار الدالة تدل على أن الفتنة في القبر لا تكون إلا لمؤمن أو منافق، من كان منسوبًا إلى أهل القبلة ودين الإسلام بظاهر الشهادة.

وأما الكافر الجاحد المبطل فليس ممن يسأل عن ربه ودينه ونبيه، وإنما يسأل عن هذا أهل الإسلام، فيثبت اللَّه الذين آمنوا ويرتاب المبطلون، والقرآن والسنة تدل على خلاف هذا القول، وأن السؤال للكافر والمسلم، قال اللَّه تعالى: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ**﴾ [إبراهيم: ٢٧]. وقد ثبت في «الصحيح» أنها نزلت في عذاب القبر حين يسأل: من ربك وما دينك ومن نبيك؟

وفي «الصحيحين» عن أنس بن مالك، عن النبي صلى اللَّه عليه وآله

---

(١) انظر: «لوامع الأنوار البهية» للسفاريني (٢/ ١٠).
(٢) «لوامع الأنوار البهية» للسفاريني (٢/ ١٠)، و«تذكرة القرطبي» (١٤٧).
(٣) «لوامع الأنوار البهية» للسفاريني (٢/ ١٠)، و«تذكرة القرطبي» (١٤٧).
(٤) «القيامة الصغرى» ص(٤٦).

وسلم أنه قال: «**إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم**» وذكر الحديث.

زاد البخاري: «**وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت ويضرب بمطرقة من حديد يصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين**». هكذا في البخاري. وأما المنافق والكافر بالواو».

ثم قال بعد سوقه للأدلة من حديث البراء وأبي سعيد:

«وهذا صريح في أن السؤال للكافر والمنافق، وقول أبي عمر ـ رحمه اللَّه ـ: وأما الكافر الجاحد المبطل فليس ممن يسأل عن ربه ودينه ونبيه، فيقال له: ليس كذلك بل هو من جملة المسئولين وأولى بالسؤال من غيره، وقد أخبر اللَّه في كتابه أنه يسأل الكافر يوم القيامة. قال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [القصص: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [الحجر: ٩٢]، وقال تعالى: ﴿**فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [الأعراف: ٦] فإذا سئلوا يوم القيامة فكيف لا يسألون في قبورهم فليس لما ذكره أبو عمر ـ رحمه اللَّه ـ وجه».

* سؤال منكر ونكير هل هو مختص بهذه الأمة أو يكون لها ولغيرها:

● قال الإمام ابن القيم في كتابه «الروح» (١١٦ ـ ١١٧):

«وأما المسألة الثانية عشرة وهي أن سؤال منكر ونكير هل هو مختص بهذه الأمة أو يكون لها ولغيرها؟.

فهذا موضع قد تكلم فيه الناس، فقال أبو عبد اللَّه الترمذي: إنما سؤال

الميت في هـذه الأمة خاصة؛ لأن الأمم قبلنا كـانت الرسل تأتيهم بـالرسالة، فإذا أبوا كفت الرسل واعـتزلوهم وعوجلوا بالعذاب، فلما بـعث اللَّه محمدًا صلى اللَّه عليـه وآله وسلم بالرحمة إمامًا للخلـق، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنـبيـاء: ١٠٧]. أمسك عنهـم العذاب وأعطى السيف حتى يدخل في دين الإسلام من دخل لمهابة السيف، ثم يرسخ الإيمان في قلبه فأمهلـوا فمن ها هنا ظهر أمر النفاق، وكانوا يسـرون الكفر ويعلنون الإيمان، فكانوا بين المسلمين في ستر، فلمـا ماتوا قيض اللَّه لهم فتاني القبر، ليستخرج سـرهم بالسؤال وليميز اللَّـه الخبيث من الطيب، فيثبت اللَّه الذين آمنوا بالقول الثـابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويضل اللَّـه الظالمين ويفعل اللَّه ما يشاء.

وخالف في ذلك آخرون مـنهم عبد الحق الإشبيلي والـقرطبي، وقالوا: السؤال لـهذه الأمة ولغـيرها، وتوقـف في ذلك آخرون مـنهم أبو عـمر بن عبد البـر فقال: في حديث زيـد بن ثابت، عن النـبي صلى اللَّه عـليه وآله وسلم أنه قال: «**إن هذه الأمة تبتلى في قبورها**». ومنهم من يرويه: تسأل.

وعلى هذا اللفظ يحتمل أن تكون هذه الأمة خصت بذلك، فهذا أمر لا يقطـع عليه. وقـد احتج من خـصه بهذه الأمة بـقوله صلـى اللَّه علـيه وآله وسلم: «**إن هذه الأمة تبتلى في قبورها**». وبقوله: «**أوحي إليّ أنكم تفتنون في قبوركم**»، وهذا ظاهر في الاختصاص بهذه الأمة.

قالوا: ويدل على قـول الملكين له: «ما كنت تقول فـي هذا الرجل الذي بعث فيكـم؟ فيقول: المؤمن أشهد أنه عـبد اللَّه ورسوله، فهذا خـاص بالنبي صلى اللَّه عـليه وآله وسلم، وقوله فـي الحديث الآخر: «**إنكـم بي تمـتحـنون وعني تسألون**»، وقال آخرون ولا يدل هذا على اختصاص السؤال بهذه الأمة

دون سائر الأمم فإن قوله: «إن هذه الأمـــة»، إما أن يراد به أمة الـناس، كما قال تـعالـى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّـةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَآئِرٍ يَطِيـرُ بِجَنَاحَيْـهِ إِلآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨].

وكل جنس مـن أجناس الحيوان يسمى أمـة، وفي الحديث: «لـــولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها». وفيه أيضًا حديث النبي الذي قرصته نملة فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحـى اللَّه إليه من أجل أن قرصتك نملة واحدة أحرقت أمـة من الأمم تسبح اللَّـه. وإن كان المراد به أمته ﷺ الـذي بعث فيهم لم يكن فيه ما ينفي سؤال غيرهم من الأمم، بل قد يكون ذكرهم إخبارًا بأنهم مسئولون في قبورهم، وأن ذلك لا يـختص بمن قبلهم لفضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم، وكذلك قولـه صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «أوحـي إلي أنكم تفتنون في قبوركم». وكذلك إخباره عن قول الملكين: «ما هذا الرجل الذي بـعث فيـكم؟» هو إخبار لأمته بما تمتحن بـه في قبورها، والظاهر واللَّه أعلم أن كل نبي مع أمـته كذلك وأنهم معذبون في قبورهــم بعد السؤال لهم وإقامة الحجة عليهم، كما يعذبون في الآخرة بعد السؤال وإقامة الحجة. واللَّه سبحانه وتعالى أعلم» ا.هـ.

* هل يفتن غير المكلفين من الأطفال والمجانين؟

● قال الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه «الروح» ص(١١٧ ـ ١١٩):

«أما المسألة الثالثة عشرة وهي أن الأطفال هل يمتحنون في قبورهم؟

اختلف الناس في ذلك على قولين: هما وجهان لأصحاب أحمد.

وحجة من قال: إنهم يـسـألون أنه يشـرع الصـلاة علـيــهم والدعـاء لهم وسؤال اللَّه أن يقيهم عذاب القبر وفتنة القبر.

كما ذكر مالك في موطئه عن أبي هريرة ﷺ: «أنه صلى الله عليه وآله وسلم صلى على جنازة صبي فسمع من دعائه: اللَّه قه عذاب القبر».

واحتجوا بما رواه علي بن معبد عن عائشة ﷺ، أنه مر عليها بجنازة صبي صغير، فقيل لها ما يبكيك يا أم المؤمنين؟ فقالك: هذا الصبي بكيت له شفقة عليه من ضمة القبر.

واحتجوا بما رواه هناد بن السري: ثنا أبو معاوية، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة ﷺ، قال: إن كان ليصلي على المنفوس ما إن عمل خطيئة قط، فيقول: اللَّهم أجره من عذاب القبر. قالوا: واللَّه سبحانه يكمل لهم عقولهم ليعرفوا بذلك منزلتهم ويلهمون الجواب عما يسألون عنه. قالوا: وقد دل على ذلك الأحاديث الكثيرة، التي فيها أنهم يمتحنون في الآخرة.

وحكاه الأشعري عن أهل السنة والحديث: فإذا امتحنوا في الآخرة لم يمتنع امتحانهم في القبور.

قال الآخرون: السؤال إنما يكون لمن عقل الرسول والمرسل، فيسأل هل آمن بالرسول وأطاعه أم لا؟ فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فأما الطفل الذي لا تمييز له بوجه ما فكيف يقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ ولو رد إليه عقله في القبر، فإنه لا يسأل عما لم يتمكن من معرفته والعلم به، ولا فائدة في هذا السؤال، وهذا بخلاف امتحانهم في الآخرة، فإن اللَّه سبحانه يرسل إليهم رسولاً ويأمرهم بطاعة أمره وعقولهم معهم، فمن أطاعه منهم نجا، ومن عصاه أدخله النار، فذلك امتحان بأمر يأمرهم به ويفعلونه ذلك الوقت لا إنه سؤال عن أمر

مضى لهم في الدنيا من طاعة أو عصيان، كسؤال الملكين في القبر.

وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه فليس المراد بعذاب القبر فيه عقوبة الطفل، على ترك طاعة أو فعل معصية قطعًا، فإن اللَّه لا يعذب أحدًا بلا ذنب عمله، بل عذاب القبر قد يراد به الألم الذي يحصل للميت بسبب غيره، وإن لم يكن عقوبة على عمل عمله، ومنه قوله صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «**إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه**»، أي: يتألم بذلك ويتوجع منه لا أنه يعاقب بذنب الحي ﴿**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ**﴾ [الأنعام: ١٦٤]. وهذا كقول النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «**السفر قطعة من العذاب**» فالعذاب أعم من العقوبة.

ولا ريب أن في القبر من الآلام والهموم والحسرات ما قد يسري أثره إلى الطفل، فيتألم به فيشرع للمصلي عليه أن يسأل اللَّه تعالى له أن يقيه ذلك العذاب. واللَّه أعلم» ا.هـ.

● قال الشيخ عمر سليمان الأشقر:

«هل يفتن غير المكلفين؟

الفتنة عامة لجميع المكلفين إلا النبيين فقد اختلف فيهم[1]، وإلا الشهداء والمرابطين ونحوهم ممن جاءت النصوص دالة على نجاتهم من الفتنة.

واختلف في غير المكلفين من الصبيان والمجانين، فذهب جمع من العلماء إلى أنهم لا يفتنون منهم القاضي أبو يعلى وابن عقيل، ووجهة نظر هؤلاء أن المحنة تكون لمن كلف، أما من رفع عنه القلم فلا يدخل في المحنة، إذ لا معنى لسؤاله عن شيء لم يكلف به.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٥٧) كذا سيأتي مفصلاً في فتاوى شيخ الإسلام.

وقال آخرون: بل يفتنون، وهذا قول أبي الحكيم الهمداني، وأبي الحسن ابن عبدوس، ونقله عن أصحاب الشافعي، وقد روى مالك وغيره عن أبي هريرة ﷺ أن الرسول ﷺ صلى على طفل، فقال: «**اللَّهم قه عذاب القبر وفتنة القبر**»، وهذا القول موافق لقول من قال: إنهم يمتحنون في الآخرة، وأنهم مكلفون يوم القيامة، كما هو قول أكثر أهل العلم وأهل السنة من أهل الحديث والكلام، وهو الذي ذكره أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة واختاره، وهو مقتضى نصوص الإمام أحمد»[1] ا.هـ.

● قال ابن القيم في كتابه «الروح» ص(١١٠):

«وقد اختلف في الأنبياء هل يُسألون في قبورهم؟ على قولين. وهما وجهان في مذهب أحمد وغيره» ا.هـ.

● **تنبيه**: سيأتي ذكر الذين لا يفتنون في قبورهم وهم:

١ ـ من يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة من المسلمين.

٢ ـ من مات مرابطًا. ٣ ـ من مات بداء البطن.

٤ ـ من مات شهيدًا. قال ﷺ : «**كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة**».

قال ابن القيم في «الروح»: قد امتحن نفاقه من إيمانه ببارقة السيف على رأسه، فلم يفرّ فلو كان منافقًا لما صبر لبارقة السيف على رأسه، فدل على أن إيمانه هو الذي حمله على بذل نفسه للَّه وتسليمها له وهاج من قلبه حمية الغضب للَّه ورسوله وإظهار دينه وإعزاز كلمته، هذا قد أظهر صدق ما في ضميره حيث برز للقتل فاستغنى بذلك عن الامتحان في قبره».

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٥٧، ٢٧٧).

عذاب القبر حق ومنكرُه زنديق وأحاديثه متواترة

أنكر الزنادقة قديمًا وحديثًا عذاب القبر ونعيمه، وقالوا: بأنه خزعبلات وشككوا الجهلة في ثبوته في الكتاب والسنة حتى تردد كثير من الناس في هذه العقيدة الثابتة الراسخة وإنا للَّه وإنا إليه راجعون(١) .

ورحم اللَّه من قال: كان النفاق على عهد رسول اللَّه ﷺ فأما الآن فإما الإسلام وإما السيف.

وأنكر عذاب القبر ونفاه مطلقًا الخوارج وبعض المعتزلة: «كضرار بن عمرو وبشر المريسي ومن وافقهما، وخالفهم في ذلك أكثر المعتزلة وجميع أهل السنة وغيرهم وأكثروا من الاحتجاج له. وذهب بعض المعتزلة كالجياني إلى أنه يقع على الكفار دون المؤمنين»(٢) .

● قال ابن القيم: «إن نعيم البرزخ وعذابه مذكور في القرآن في غير موضع»(٣) .

وقد ترجم البخاري في كتاب الجنائز لعذاب القبر(٤) فقال: باب ما جاء في عذاب القبر، وساق في الترجمة قوله تعالى: ﴿**إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ**﴾ [الأنعام: ٩٣]، وقوله تعالى: ﴿**سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ**﴾ [التوبة: ١٠١]. وقوله تعالى: ﴿**وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾**

(١) «حياة القبر في ضوء الكتاب والسنة» للدكتور ياسر برهامي ص(٤).
(٢) «فتح الباري» (٣/ ٢٧٥).
(٣) «الروح» ص(١٠٢).
(٤) «فتح الباري» (٣/ ٢٣٣).

النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥ - ٤٦].

● والآية الأولى التي ساقها البخاري [الأنعام: ٩٣]، «وجه الدلالة من هذه الآية أنه إذا كان يفعل به هذا وهو محتضر بين ظهراني أهله صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم وهم لا يرون شيئًا من ذلك ولا يسمعون شيئًا من ذلك التقريع والتوبيخ ولا يدرون بشيء من ذلك الضرب، غير أنهم يرون مجرد احتضاره وسياق نفسه، ولا يعلمون بشيء مما يقاسي من الشدائد، فلأن يُفعل له في قبره أعظم منه ولا يعلمه من كشف عليه أولى وأظهر؛ لأنهم لم يطلعوا على ما يناله بين أظهرهم فكيف وقد انتقل إلى عالم غير عالمهم ودار غير دارهم[١].

● الآية الثانية: [التوبة: ١٠١] تدل على أن هناك عذابين سيصيبان المنافقين قبل عذاب يوم القيامة، العذاب الأول: ما يصيبهم اللَّه به في الدنيا إما بعقاب من عنده وإما بأيدي المؤمنين، والعذاب الثاني: عذاب القبر، قال الحسن البصري: «سنعذبهم مرتين: عذاب الدنيا، وعذاب القبر»[٢].

وقال الطبري: «والأغلب أن إحدى المرتين عذاب القبر، والأخرى تحتمل أحد ما تقدم ذكره من الجوع أو السبي أو القتل والإذلال أو غير ذلك»[٣].

قال ابن جرير: سنعذب هؤلاء المنافقين مرتين: إحداهما في الدنيا والآخرى في القبر.

قال ابن عباس: العذاب الثاني في القبر.

---

(١) «معارج القبول» للشيخ حافظ حكمي.
(٢) «فتح الباري» (٣/ ٢٣٣).
(٣) «فتح الباري» (٣/ ٢٣٣).

وقال مجاهد: سنعذبهم مرتين بالجوع وعذاب القبر.

وقال قتادة: عذابًا في الدنيا وعذابًا في القبر.

وهو قول الحسن، وابن جريج[١].

● **والآية الثالثة**: حجة واضحة لأهل السنة الذين أثبتوا عذاب القبر، فإن الحق تبارك وتعالى قرر أن آل فرعون يعرضون على النار غدوًا وعشيًا، وهذا قبل يوم القيامة؛ لأنه قال بعد ذلك: ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾، قال القرطبي: «الجمهور على أن هذا العرض يكون في البرزخ، وهو حجة في تثبيت عذاب القبر»[٢].

● **الآية الرابعة**: ومن الإشارات القرآنية الواضحة الدالة على فتنة القبر وعذابه قوله تبارك وتعالى: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**﴾ [إبراهيم: ٢٧].

ففي الحديث الذي يرويه البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا أقعد المؤمن في قبره أتى ثم شهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾**، وفي رواية أخرى: وزاد: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ **نزلت في عذاب القبر**»[٣].

● **الآية الخامسة**: قوله تعالى: ﴿**فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [الطور: ٤٥ ـ ٤٧]، وهذا

---

(١) «الطبري» (٦/ ٩ ـ ١١).

(٢) «فتح الباري» (١١/ ٢٣٣).

(٣) رواه البخاري في «صحيحه»، كتاب الجنائز: باب ما جاء في عذاب القبر، «فتح الباري» (٣/ ٢٣١).

يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا وأن يراد به عذابهم في البرزخ وهو أظهر؛ لأن كثيرًا منهم مات ولم يعذب في الدنيا وقد يقال وهو أظهر: إن من مات منهم عذب في البرزخ، ومن بقي منهم عذب في الدنيا بالقتل وغيره، فهو وعيد بعذابهم في الدنيا وفي البرزخ»[1] .

قال ابن جرير في «تفسيره» (١١/ ٣٦ ـ ٣٧):

«عن البراء: ﴿ **عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ** ﴾ قال: عذاب القبر.

وعن قتادة: أن ابن عباس كان يقول: إنكم لتجدون عذاب القبر في كتاب اللَّه ﴿ **وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ** ﴾ .

قال ابن جرير: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن اللَّه تعالى ذكره أخبر أن للذين ظلموا أنفسهم بكفرهم به عذابًا دون يومهم الذي فيه يصعقون، وذلك يوم القيامة، فعذاب القبر دون يوم القيامة؛ لأنه في البرزخ، والجوع الذي أصاب كفار قريش. . .».

● **الآية السادسة**: قوله تعالى: ﴿ **وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ [السجدة: ٢١]، وقد احتج بهذه الآية جماعة منهم عبد اللَّه بن عباس على عذاب القبر، وفي الاحتجاج بها شيء؛ لأن هذا عذاب في الدنيا يستدعى به رجوعهم من الكفر ولم يكن هذا مما يخفى على حبر الأمة وترجمان القرآن، لكن من فقهه في القرآن ودقة فهمه فيه، فهم منها عذاب القبر فإنه سبحانه أخبر أن له فيهم عذابين أدنى وأكبر، فأخبر أنه يذيقهم بعض الأدنى ليرجعوا، فدل على أنه بقي لهم من الأدنى بقية

---

(١) «الروح» لابن القيم ص(١٠٢) ، و«الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ١٢٠): قال: «رواه ابن جرير وابن المنذر».

يعذبون بها بعد عذاب الدنيا، ولهذا قال من العذاب الأدنى ولم يقل ولنذيقنهم العذاب الأدنى. فتأمله.

وهذا نظير قول النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «**فيفتح له طاقة إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها**» ولم يقل فيأتيه حرها وسمومها، فإن الذي وصل إليه بعض ذلك وبقي له أكثره والذي ذاقه أعداء اللَّه في الدنيا بعض العذاب الأدنى، وبقي لهم ما هو أعظم منه»[1].

● قال مجاهد: الأدنى في القبور وعذاب الدنيا ذكره ابن جرير في «تفسيره» (٩/ ١١٠).

● **الآية السابعة**: قوله تعالى: ﴿**فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا**﴾ [طه: ١٢٤].

قال رسول اللَّه ﷺ: «**عَذابَ القَبرِ**»[2].

● **الآية الثامنة**: قال تعالى: ﴿**وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً (٧٤) إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا**﴾ [الإسراء: ٧٤ ـ ٧٥].

قال الحسن البصري: هو عذاب القبر. وقال عطاء: عذاب القبر[3].

● **الآية التاسعة**: قوله تعالى: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي**

---

(١) «الروح» ص(١٠٢) وهو مروي عن البراء بن عازب ومجاهد وأبي عبيدة يعني به عذاب القبر كما في «معارج القبول».

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٣٨) من حديث أبي هريرة وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وقال الحافظ ابن كثير (٣/ ١٦٩): رواه البزار بإسناد جيد. وقال السيوطي في «الإكليل» (١٧٧): إسناده جيد. وورد موقوفًا أيضًا على أبي هريرة، وابن مسعود وغيرهما راجع «إثبات عذاب القبر» للبيهقي ص(٦٠)، و«الزهد» (١/ ٢١٤) لهناد بن السري.

(٣) «إثبات عذاب القبر» للبيهقي ص(١٠٣).

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

في حديث البراء بن عازب عن النبي ﷺ: «**إذا أُقعد المؤمن في قبره أتى ثم شهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّـه فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾**»، وفي رواية أخرى: وزاد: **﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ نزلت في عذاب القبر**»[1] .

● **الآيـة العاشـرة**: قوله تعالى: **﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾** [نوح: ٢٥].

قال فخر الدين الرازي في «مفاتيح الغيب»: «تمسّك أصحابنا في إثبات عذاب القبر بقوله: **﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾** وذلك من وجهين:

الأول: أن الفاء في قوله تعالى: **﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾** تدل على أنه حصلت تلك الحالة عقيب الإغراق فلا يمكن حملها على عذاب الآخرة، وإلا بطلت دلالة هذه الفاء.

الثاني: أنه قال: **﴿فَأُدْخِلُوا﴾** على سبيل الإخبار عن الماضي. وهذا إنما يصدق لو وقع ذلك»[2] ا.هـ.

● قال القرطبي في «تفسيره»: **﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾** أي: بعد إغراقهم.

قال القشيري: وهذا يدل على عذاب القبر[3] .

● قال الألوسي في «روح المعاني»:

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه»، كتاب الجنائز: باب ما جاء في عذاب القبر، «فتح الباري» (٣/ ٢٣١).

(٢) «مفاتيح الغيب» للرازي (١٥/ ٧٥١).

(٣) «تفسير القرطبي» (١٠/ ٦٧٩٠).

«﴿فَأُدْخِلُواْ نَـارًا﴾ هي نار البرزخ والمراد: عذاب القبر. ومن مات في ماء أو نار أو أكلته السباع أو الطير مثلاً أصابه ما يصيب المقبور من العذاب»[١] ا.هـ.

● قال الشيخ أبو بكر الجزائري في «أيسر التفاسير»:

« ﴿فَأُدْخِلُواْ نَارًا﴾ أي: بمجرد ما يغرق الشخص وتخرج روحه يدخل النار في البرزخ»[٢] .

● **الآية الحادية عشرة:** قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ**﴾ [النحل: ٢٨ ـ ٢٩].

● قال العلامة ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٨٨):

«يخبر تعالى عن حال المشركين الظالمي أنفسهم عند احتضارهم ومجيء الملائكة إليهم. . .

وهم يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم، وينال أجسادهم في قبورها من حرها وسمومها، فإذا كان يوم القيامة سلكت أرواحهم في أجسادهم وخلدت في نار جهنم، كما قال تعالى: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾» ا.هـ.

● **الآية الأخيرة:** ﴿**فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ**

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٠/ ٦٧٩٠).
(٢) «أيسر التفاسير» للشيخ الجزائري (٥/ ٤٤٤).

﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٣: ٩٤].

وقد استدل بهذه الآيات الإمام ابن القيم على عذاب القبر في كتابه «الروح» ص(١٠٢ ـ ١٠٣).

* * *

عذاب القبر في السنة المطهرة

● اعلم يا أخي أن الأحاديث الواردة في عذاب القبر متواترة، وهي أخبار ثابتة توجب العلم وتنفي الشك والريب، وإنكار المتواتر كفر.

● ولقد نص على التواتر جمع من أهل العلم منهم:

● شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية: في «مفتاح دار السعادة» (١/ ٤٣)، و«الروح» ص(٧٠) يقول ـ رحمه اللَّه ـ في «الروح»: «أما أحاديث عذاب القبر ومساءلة منكر ونكير فكثيرة، متواترة عن النبي ﷺ».

● وابن أبي العز الحنفي شارح الطحاوية.

يقول شارح الطحاوية: «وقد تواترت الأخبار عن رسول اللَّه ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول بل إن الشرع قد يأتي بما تحار فيه العقول، فإن عودة الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا»[1].

● والسيوطي في «شرح الصدور» ص(١١٧) قال:

«باب فتنة القبر وسؤال الملكين: قد تواترت الأحاديث بذلك.

● وجزم بتواتر أحاديث عذاب القبر الكتاني في «نظم المتناثر» ص(١١٣، ١١٤).

● قال الشيخ حافظ حكمي:

«وأما نصوص السنة في إثبات عذاب القبر فقد بلغت الأحاديث في ذلك

---

(١) «شرح الطحاوية» ص(٤٥٠).

مبلغ التواتر، إذ رواها أئمة السنة وحملة الحديث ونقاده عن الجم الغفير والجمع الكثير من أصحاب رسول اللَّه ﷺ، منهم أنس بن مالك وعبد اللَّه بن عباس والبراء بن عازب وعمر بن الخطاب وابنه عبد اللَّه وعائشة أم المؤمنين وأسماء بنت أبي بكر وأبو أيوب الأنصاري وأم خالد وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وسمرة بن جندب وعثمان وعلي وزيد بن ثابت وجابر بن عبد اللَّه وسعد بن أبي وقاص وزيد بن أرقم وأبو بكرة وعبد الرحمن بن سمرة وعبد اللَّه بن عمرو بن العاص وأبوه عمرو وأبو قتادة وعبد اللَّه بن مسعود وأبو طلحة وأسماء أيضًا وعبد الرحمن بن حسنة وتميم الداري وحُذيفة وأبو موسى والنعمان بن بشير وعوف بن مالك»[1].

وهذه جملة من الأحاديث في إثبات عذاب القبر نلقم بها المبتدعة والزنادقة حجرًا:

(١) حديث أنس رضي الله عنه:

عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **العبدُ إذا وضع في قبره وتولّى وذهب أصحابه حتى أَنَّه لَيَسْمَعُ قرعَ نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فيقول: أشهد أَنَّهُ عبد اللَّه ورسوله. فيقال انظر إلى مقعدك من النَّار أبدلك اللَّه به مقعدًا من الجنة. قال النبي ﷺ: فيراهما جميعًا. وأَمَّا الكافرُ أو المنافقُ فيقول: لا أدري، كُنْتُ أقول ما يقول الناسُ. فيقال: لا دَرَيْتَ ولا تليت، ثم يُضربُ بمطرقةٍ من حديد ضربة بين أذنيه فيصيحُ صَيْحَةً يسمعها من يليه إلا الثقلين**»[2] رواه مسلم من طرق عن قتادة بنحوه وزاد فيه:

---

(١) «شرح الطحاوية» (٢/ ٧٢٢ ـ ٧٢٣) ـ دار ابن القيم.

(٢) البخاري (٣/ ٢٣٢) في الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر.

«قال قتادة: وذكر لنا أَنَّهُ يفسح له في قبره سبعون ذراعًا ـ يعني المؤمن ـ ويملأ عليه خضرًا إلى يوم يبعثون»[١]. ولهما عنه ﷺ عن النبي ﷺ: «**وأعوذ بك من عذاب القبر**»[٢]. ولمسلم عنه ﷺ أن النبي قال: «**لولا أن لا تدافنوا لدعوت اللَّه أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع**»[٣].

(٢) حديث عبد اللَّه بن عباس رضي الله عنهما:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: «مرّ النبي ﷺ على قبرين فقال: «**إنَّهما ليعذَّبان، وما يعذبان في كبير**»، ثم قال: «**بلَى أَمَّا أحدهما فكان يسعى بالنَّميمة، وأما الآخرُ فكان لا يستتر من بوله**»، ثم قال: «أَخَذَ عودًا رطبًا فكسره باثنتين ثم غرز كل واحدٍ منهما على قبر ثم قال: «**لعلّه يخفف عنهما ما لم ييبسا**» رواه في مواضع في صحيحه. ورواه مسلم أيضًا وغيره[٤].

(٣) وعن ابن عباس رضي الله عنهما:

أنَّ رسول اللَّه ﷺ: «كان يعلمهم هذا الدعاء كما يُعلِّم السورةَ من القرآن قولوا: «**اللَّهم إنَّا نعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجَّال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات**»[٥].

---

(١) «مسلم (٤/ ٢٢٠٠/ح ٢٨٧٠) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها: باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه.

(٢) «البخاري (١١/ ١٧٦) في الدعوات: باب التعوذ من فتنة المحيا والممات، ومسلم (٤/ ٢٠٧٩/ح ٢٧٠٦) في الذكر والدعاء: باب التعوذ من العجز والكسل وغيره.

(٣) مسلم (٤/ ٢٢٠٠/ح ٢٢٦٨) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها: باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه.

(٤) البخاري (١/ ٣١٧) في الوضوء: باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله وغيره، ومسلم (١/ ٢٤٠/ح ٢٩٢) في الإيمان: باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه.

(٥) مسلم (١/ ٤١٣/ح ٥٩٠) في المساجد: باب ما يستعاذ منه في الصلاة. ورواه مالك في =

(٤) حديث البراء بن عازب رضي الله عنه:

عن النبي ﷺ قال: «**إذا أقعد المؤمن في قبره أتيَ ثم شهد أن لا إله إلا اللَّه وأنَّ محمدًا رسولُ اللَّه فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾** [إبراهيم: ٢٧] رواه في مواضع ووافقه عليه مسلم وغيره[١].

وروى الإمام أحمد عنه رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول اللَّه ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحَدْ، فجلس رسول اللَّه ﷺ وجلسنا حوله كأنَّ على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الأرض، فرفع رأسه فقال: «**استعيذوا باللَّه من عذاب القبر**» ـ مرتين أو ثلاثًا ـ ثم قال: «**إنَّ العبدَ المؤمنَ إذا كان في انقطاع من الدنيا واقفالٍ إلى الآخرة نزل إليه ملائكة منَ السماء...**» الحديث[٢].

وقد سبق ذكره في فصل مستقل.

= «الموطأ» (١/ ٢١٥)، والترمذي (٥/ ٥٢٤/ ح ٣٤٩٤) في الدعوات: باب الاستعاذة، والنسائي (٨/ ٢٧٦ و٢٧٧) في الاستعاذة: باب الاستعاذة من فتنة الممات، وابن ماجه (٢/ ١٦٦٢/ ح ٣٨٤٠) في الدعاء: باب ما تعوذ منه رسول اللَّه ﷺ، قال ابن الأثير: رواه الجماعة إلا البخاري «جامع الأصول» (٤/ ٣٧٠)، وانظر: «تحفة الأشراف» (٥/ ٢٧/ ح ٥٧٥٠).

(١) البخاري (٣/ ٢٣١ ـ ٢٣٢) في الجنائز: باب ما جاء في عذاب القبر، ومسلم (٤/ ٢٢٠١/ ح ٢٨٧١) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها: باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النَّار عليه.

(٢) رواه أحمد (٤/ ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧)، وأبو داود (٤/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠/ ح ٤٧٥٣، ٤٧٥٤) في السنة: باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، والنسائي (١/ ٢٨٢)، وابن ماجه (١/ ٤٩٤/ ح ١٥٤٨) في الجنائز: باب ما جاء في الجلوس في المقابر، والطيالسي (ح ٧٥٣)، والآجري في الشريعة ص(٣٦٧ ـ ٣٧٠)، والحاكم (١/ ٣٧ ـ ٤٠)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأقرّه الذهبي، وهو كما قالا. والبيهقي في «عذاب القبر» (ح ٢٠).

(٥) حديث عمر بن الخطاب ﷺ:

«إن رسول اللَّـه ﷺ كان يرينـا مصارعَ أهل بـدرٍ بالأمس يقـول: هذا مصرعُ فلان غدًا إنْ شاء الـلَّه تعالى. قال: فقال عمر: فوالذي بـعثه بالحقِّ ما أخطأوا الحدود التي حَدَّ رسول اللَّهِ ﷺ . قال فجـعلوا في بئرٍ بعضهم على بعض، وانطلق رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى انتهى إليهم فقال: «**يا فلانَ ابن فلانَ ويا فلانَ ابن فلان، هل وجدتم ما وعدكم اللَّه ورسولُهُ حقًّا؟ فإني وجدتُ ما وعدني اللَّه حقًّا**». قال عمر: يا رسول اللَّه كيف تكلم أجسادًا لا أرواح فيها؟ قال: «**ما أنْتُمْ بأسمع لما أقول منهم، غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا عليَّ شيئًا**»[1].

(٦) حديث آخر لعمر بن الخطاب:

عن عمر ﷺ أنَّ النبي ﷺ كان يتعـوَّذُ من الجبن والبخل وعذاب القبر وفتنة الصَّدر»[2] .

(٧) حديث عبد اللَّه بن عمر ﷺ:

عن عبد اللَّه بن عـمر ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إنَّ أحَـدكـمْ إذا مات عـرض عليه مقعــده بالغداة والعشيِّ، إن كـان من أهــل الجنة فمـن أهل الجنــة، وإنْ كان من أَهْلِ النــار فمن أهـلِ النَّــارِ، فيقـال: هذا مقـعدك حتى**

---

(١) مسلم (٤/ ٢٢٠٢/ح ٢٨٧٣) في الجنة وصـفة نعيمها وأهلها: باب عرض مـقعد الميت من الجنة أو النار عنه.

(٢) رواه أحمد (١/ ٢٢)، وأبو داود (٢/ ٩٠/ح ١٥٣٩) في الصلاة: باب الاستعاذة، والنسائي (٨/ ٢٥٥) في الاستعاذة: بـاب الاستعاذة من فتنة الـصدر: باب الاستعاذة من فتـنة الدنيا، والاستعـاذة من البخل، وابـن ماجه (٢/ ١٢٦٣/ح ٣٨٤٤) في الـدعاء: باب ما تعـوذ منه رسول اللَّه ﷺ ، وابن حبان (٦٠٥ ـ ٦٠٦/ح ٢٤٤٥ ـ موارد) وهو حديث حسن.

يبعثُكَ اللّه يَومَ القيامة»[١] .

(٨) وعنه ﵁ قال:

«اطلعَ النبيُّ ﷺ على أَهلِ القليبِ فقال: «**وجدتُم ما وعدَكُمْ ربُّكُم حقًّا؟**» فقيل له: تدعو أمواتًا؟ فقال: «**ما أنتُمْ بأسمع منهُمْ ولكن لا يجيبون**»[٢] .

(٩) حديث عائشة ﵂:

عن عائشة زوج النبي ﷺ أنَّ يهوديَّةً جاءَتْ تسألها فقالت لها: أعاذك اللّه من عذاب القبر، فسألت عائشة ﵂ رسول اللّه ﷺ أيعذب الناس في قبورهم؟ فقال رسولُ اللّه ﷺ عائذًا باللّه من ذلك ـ ثم ذكر حديثَ الكسوفِ بطوله وفيه آخره ـ ثُمَّ أمرهم أن يتعوذُوا من عذاب القبر» ورواه مسلم بنحوه[٣] .

(١٠) وعنها ﵂:

أنَّ يهوديةً دخلتْ عليها فذكرت عذابَ القبر، فسألت عائشةُ رسول اللّه ﷺ عن عذاب القبر فقال: «**عذاب القبر حق**» ـ قالت عائشة: فما رأيتُ رسول اللّه ﷺ بعدُ صلّى صلاة إلا تعوَّذَ من عذاب القبر» ووافقه عليه مسلم وغيره[٤] .

---

(١) رواه البخاري (٣/ ٢٤٣) في الجنائز: باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، وفي بدء الخلق، وفي الرِّقاق، ومسلم (٤/ ٢١٩٩/ح ٢٨٦٦) في الجنة: باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.

(٢) رواه البخاري (٣/ ٢٣٢) في الجنائز: باب ما جاء في عذاب القبر، ومسلم (٢/ ٦٤٣/ح ٩٣٢) في الجنائز: باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

(٣) رواه البخاري (٢/ ٥٣٨) في الكسوف، باب: التعوذ من عذاب القبر، ومسلم (١/ ٤١٠/ح ٥٨٤). وفي المساجد: باب استحباب التعوذ من عذاب القبر.

(٤) رواه البخاري (٣/ ٢٣٢) في الجنائز: باب ما جاء في عذاب القبر، ومسلم (١/ ٤١١/ح =

(١١) وعن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسول اللَّه ﷺ وعندي امرأة من اليهود وهي تقول: هل شعرت أنكم تفتنون في القبور؟ قالت فارتاع رسول اللَّه ﷺ وقال: «**إنما تفتن يهود**». قالت عائشة فلبثنا ليالي. ثم قال رسول اللَّه ﷺ: «**هل شعرت أَنَّهُ أوحيَ إليَّ أنَّكم تفتنون في القبور**». قالت عائشة رضي الله عنها: «فسمعتُ رسول اللَّه ﷺ بعدُ يستعيذ من عذاب القبر»[١].

(١٢) وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

دخلت عليّ عجوزان من عجز يهودِ المدينة فقالتا: إنَّ أهلَ القبور، يعذَّبون في قبورهم. قالت: فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما، فخرجتا ودخل عليَّ رسولُ اللَّه ﷺ فقلت له: يا رسول اللَّه إنَّ عجوزين من عجز يهود المدينة دخلتا عليَّ فزعمتا أن أهلَ القبور يعذبون في قبورهم، فقال: صدقتا إنهم يعذبون عذابًا تسمعه البهائم، ثم قالت: فما رأيته بعدُ في صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر»[٢].

(١٣) وعنها رضي الله عنها:

أنَّ النبي ﷺ كان يقول: «**اللَّهمَّ إني أعوذُ بكَ من الكسلِ والهرمِ والمأثمِ والمغرم ومن فتنة القبرِ وعذاب القبرِ ومن فتنة النارِ وعذابِ النارِ ومن شرِّ فتنة الغنى، وأعوذُ بك من فتنةِ الفقر وأعوذ بكَ من فتنةِ المسيح الدَّجَّال. اللَّهمَّ اغسل**

= ٥٨٦) في المساجد: باب استحباب التعوذ من عذاب القبر.

(١) رواه مسلم (١/ ٤١٠/ح ٥٨٤) في المساجد: باب استحباب التعوذ من عذاب القبر. وقد تقدم

(٢) مسلم (١/ ٤١١/ح ٥٨٦) في المساجد: باب استحباب التعوذ من عذاب القبر.

عنِّي خطاياي بماءِ الثلج والبَرَدِ، ونق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدتَ بين المشرق والمغرب»[١].

(١٤) ولمسلم عنها من حديثها في الكسوف، وفيه قوله ﷺ في خطبته: «ولقد رأيتُ جهنمَ يحطمُ بعضُها بعضًا حينَ رأيتموني تأخرتُ، ورأيتُ فيها ابن لُحيّ وهو الذي سيب السوائب»[٢].

(١٥) حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما:

عن عروة بن الزبير أنهُ سمع أسماءَ بنت أبي بكر رضي الله عنهما تقول: «قام رسول اللَّه ﷺ خطيبًا فذكر فتنة القبر التي يفتن فيها المرء، فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة»[٣].

(١٦) وعنها رضي الله عنها:

حديث الكسوف بطوله، وفيه: «فلما انصرف رسول اللَّه ﷺ حمد اللَّه وأثنى عليه ثم قال: « ما من شيءٍ كنت لم أرهُ إلا قد رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار، لقد أوحي إليَّ أنكم تفتنون في القبور مثل ـ أو قريبًا ـ من فتنة الدجال ـ لا أدري أيتهما قالت أسماء ـ يؤتى أحدكم فيقال: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن ـ أو الموقن، لا أدري أي ذلك قالت أسماء ـ فيقول: محمد رسول اللَّه

---

(١) رواه البخاري (١١/ ١٧٦) في الدعوات: باب التعوذ من المأثم والمغرم: وباب الاستعاذة من فتنة الغنى: وباب التعوذ من فتنة الفقر، ومسلم (١/ ٤١١/ح ٥٨٩) في الذكر والدعاء: باب التعوذ من شر الفتن.

(٢) رواه مسلم (٢/ ٦٢٢/ ح ٩٠٤) في الكسوف: باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار.

(٣) رواه البخاري (٣/ ٢٣٢) في الجنائز: باب ما جاء في عذاب القبر.

ﷺ جاءنا بالبينات والهدى، فأجبنا وآمنا واتبعنا، فيقال له: نم صالحًا، فقد علمناك كنتَ لموقنًا، وأما المنافق ـ أو المرتاب، لا أدري أي ذلك قالت أسماء ـ فيقول: لا أدري، سمعتُ الناس يقولون شيئًا فقلته»[1] . قوله: «لا أدري أي ذلك إلخ...» التردد فيه من فاطمة بنت المنذر الراوية عن أسماء رضي الله عنها.

(١٧) حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه:

عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: «خرج النبي ﷺ وقد وَجَبَتِ الشمسُ فسمع صوتًا، فقال: يهودُ تعذب في قبورها»[2] رواه مسلم.

(١٨) حديث أم خالد رضي الله عنها:

«عن ابنة خالد بن سعيد بن العاص أنَّها سمعت النبي ﷺ وهو يتعوذ من عذاب القبر»[3] .

(١٩) حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إذا خرجت روحُ المؤمن تلقاها ملكان يُصعدانها» قال حماد فذكر من طيب ريحها وذكر المسك قال: «ويقول أهل

---

(١) رواه البخاري (١/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩) في الوضوء: باب من لم يتوضأ إلا من الغش المثقل، وفي العلم، وفي الكسوف، وفي السهو، وفي الجمعة، وفي الأذان، وفي العتق، وفي الاعتصام، ومسلم (١/ ٦٢٤/ح ٩٠٥) في الكسوف: باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف.

(٢) رواه البخاري (٣/ ٢٤١) في الجنائز: باب التعوذ من عذاب القبر، ومسلم (٤/ ٢٢٠٠/ح ٢٨٦٩) في صفة الجنة: باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.

(٣) رواه البخاري (٣/ ٢٤١) في الجنائز: باب التعوذ من عذاب القبر، وفي الدعوات: باب التعوذ من عذاب القبر (١١/ ١٧٤).

السماء: روح طيبة جاءت من قبل الأرض، صلَّى اللَّه عليك وعلى جسد كنت تعمرينه: فيـنطلق به إلى ربه عز وجل. ثم يقول: انطـلقوا به إلى آخر الأجل. قال: وإن الكافر إذا خرجت روحه» قال حماد: وذكـر نتنها وذكر لعنًا: «ويقول أهلُ السمـاء: روح خبيثة جاءت من قبـل الأرض. قال: فيقال انطلـقوا به إلى آخر الأجل، قال أبو هريرة: فرد رسول اللَّه ﷺ ريـطة كانت عليه على أنفه هكذا»[١] .

(٢٠) وعنه رضي الله عنه قال:

«كان رسول اللَّـه ﷺ يدعو: «**اللَّهم إني أعوذ بك مـن عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجَّال**»[٢] .

(٢١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه:

قال رسول اللَّه ﷺ : «إذا قبر الميتُ ـ أو قال أحدكم ـ **أتاه ملكان أسودانِ أزرقانِ يـقال لأحدهمـا: المنكـر والآخر النَّكير فيـقولان: ما كـنت تقول فـي هذا الرجل؟ فـيقول ما كـان يقول: هو عـبد اللَّه ورسـوله أشهدُ أن لا إلـه إلا اللَّه وأنَّ محمدًا عبـدهُ ورسولُه. فيقولان قد كنا نعـلم أنَّكَ تقول هذا. ثم يفسـح له في قبره سبعونَ ذراعـًا في سبعينَ ثم يـنور له فيه، ثم يـقال له: نم فيقول: أرجـع إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان نمْ كنومَةِ العروس الذي لا يوقظه إلا أحبُّ أهليه إليه حتى يبعثه اللَّه من مضجعه ذلك، وإن كان منافقًا قال: سمعت الناس يقولون، فقلت مثله، لا**

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٢٠٢/ ح ٢٨٧٢) في الجنة وصفة نعيمها: باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.

(٢) البخاري (٣/ ٢٤١) في الجنائز: باب التعوذ من عذاب القبر، ومسلم (١/ ٤١٢/ ح ٥٨٨) في المساجد: باب ما يستعاذ منه في الصلاة.

أدري. فيقولان: قد كنَّا نعلم أنَّكَ تقول ذلك. فيقال للأرض التئمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معذبًا حتى يبعثه اللَّه من مضجعه ذلك»(١) .

(٢٢) وعنه رضي الله عنه:

عن النبي ﷺ قال: «إن الميت يحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا: اخرجي أيتها النفسُ الطيبة كانت في الجسدِ الطيب، اخرجي حميدة وأبشري بروحٍ وريحان، وربٍّ غير غضبان. قال: فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال فلان. فيقولونَ مرحبًا بالروحِ الطيبةِ كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان ـ قال: فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها اللَّه عز وجل. وإذا كان الرجلُ السُّوءُ والعياذ باللَّه قالوا: اخرجي أيتها النفسُ الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة وأبشري بجحيم وغَساقٍ وآخر من شكله أزواج. فلا يزالُ يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقال هذا فلانٌ فيقولون: لا مرحبًا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمةً فإنه لا تفتح لك أبوابُ السماء، فيرسلُ من السماءِ ثم يصير إلى القبر»(٢) .

---

(١) رواه الترمذي (٣/ ٣٨٣/ ح ١٠٧١) في الجنائز: باب ما جاء من عذاب القبر. وقال: حديث حسن غريب، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٤٠٢/ ح ٨٦٤)، والآجري ص(٣٦٥)، وابن حبان ص(١٩٧/ ح ٧٨٠ ـ موارد) وهو حديث حسن. وقال الألباني: إسناده حسن، وقال الشيخ شعيب: إسناده قوي.

(٢) رواه أحمد (٤/ ٣٦٤) ورواه ابن ماجه من حديث أبي بكر بن أبي شيبة عن شبابة عن ابن أبي ذئب (٢/ ١٤٢٦/ ح ٤٢٦٨) في الزهد: باب ذكر القبر والبلى وإسناده صحيح. وأخرجه البيهقي في «إثبات عذاب القبر» ص(٤٩) وقال: صحيح ا.هـ.

(٢٣) وعنه ﷺ:

عن رسول اللَّه ﷺ قال: «إنَّ المؤمنَ إذا قُبضَ أتته ملائكةُ الرحمة بحريرةٍ بيضاءَ فيقولون: اخرجي إلى روح اللَّه، فتخرج كأطيب ريح مسك، حتى أنه ليناوله بعضهم بعضًا يشمونه حتى يأتوا به باب السماءِ فيقال: ما هذه الريح الطيبة التي جاءَت من قبل الأرض؟ ولا يأتون السماء إلا قالوا مثل ذلك حتى يأتوا به أرواحَ المؤمنين فلهم أشد فرحًا به من أهل الغائب بغائبهم. فيقولون: ما فَعَلَ فلان؟ فيقولون: دعوهُ حتى يستريح فإنه كان في غمٍّ فيقول: قد مات أما أتاكم؟ فيقولون: ذهب به إلى أمه الهاوية. وأما الكافر فيأتيه ملائكة العذاب بمسح فيقولون: اخرجي إلى غضب اللَّه تعالى فتخرج كأنتنِ ريح جيفة فيذهب به إلى باب الأرض» زاد في رواية: «وأما الكافر إذا قبضت نفسه وذهب بها إلى باب الأرض تقول خزنة الأرض ما وجدنا ريحًا أنتن من هذه فيبلغ الأرض السفلى»[١] .

(٢٤) وعن أبي هريرة ﷺ:

قال: قال رسول اللَّه ﷺ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] قال: «ذلك إذا قيل له في القبر: من ربكَ، وما دينُكَ، ومَنْ نبيُّكَ؟ فيقول: ربي اللَّهُ، وديني الإسلامُ، ونبيي محمد ﷺ جاءنا بالبينات من عند اللَّه فآمنت به وصدقت. فيقال له: صدقت، على هذا عشتَ وعليه مت وعليه تبعث»[٢] .

---

(١) أخرجه النسائي (٤/ ٩٨)، والحاكم (١/ ٣٥٣)، وقال: هذه الأسانيد كلها صحيحة ووافقه الذهبي. وقال الألباني في «الصحيحة» (٣/ ٢٩٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٧/ ٢٨٣)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٣/ ٢١٥)، وابن مردويه «الدر المنثور» (٥/ ٣٢) وسنده حسن . وقال الشيخ محمود شاكر: هذا خبر صحيح الإسناد.

(٢٥) وعنه رضي الله عنه:

عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، إن الميت ليسمع خفق نعالكم حين تولون عنه مدبرين، فإن كان مؤمنًا كانت الصلاة عند رأسه والزكاة عن يمينه والصوم عن يساره وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه، فيؤتى من قِبل رأسه فتقول الصلاة: ما قبلي مدخل، فيؤتى عن يمينه فتقول الزكاة: ما قبلي مدخل فيؤتى عن يساره فيقول الصيام: ما قبلي مدخل، فيؤتى من رجليه فيقول فعل الخيرات: ما قبل مدخل، فيقال له: اجلس، فيجلس قد مثلت له الشمس قد دنت للغروب فيقال: أخبرنا عما نسألك، فيقول: دعني حتى أصلي، فيقال له: إنَّكَ ستفعَل فأخبرنا عما نسألك، فيقول: وعَمَّ تسألوني؟ فيقال: أرأيت هذا الرجل الذي كان فيكم ماذا تقول فيه، وما تشهد به عليه؟ فيقول: أمحمدٌ؟ فيقال له: نعم. فيقول: أشهدُ أنَّهُ رسول اللَّه وأنَّهُ جاءنا بالبينات من عند اللَّه فصدقناه، فيقال له: على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعليه تبعثُ إن شاء اللَّه تعالى. ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا وينور له ويفتح له باب إلى الجنة فيقال له: انظر إلى ما أعدَّ اللَّهُ لك فيها، فيزداد غطبةً وسرورًا، ثم تُجعل نسمتُهُ في النسم الطيب، وهي طيرٌ خضر يعلق بشجر الجنة، ويعاد الجسد إلى ما بدأ من التراب، وذلك قول اللَّه عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] ورواه ابن حبان وذكر جواب الكافر وعذابه[١].

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٣٨٤)، وهناد في «الزهد» (ح ٣٣٨)، وابن جرير (١٣/ ٢١٥ ـ ٢١٦)، وابن حبان ص(١٩٧ ـ ١٩٨/ ح ٧٨١ ـ موارد)، والطبراني في «الأوسط» (٣/ ٣٠١ ـ ٣٠٢/ ح ٢٦٥١)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» ص(٦١ ـ ٦٢/ ح ٦٧)، وفي «الاعتقاد» (ح/ ١٠٨)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٧٩)، وابن المنذر، وابن مردويه «الدر المنثور» (٥/ ٣١) وهو حديث حسن وقد صححه الحاكم، وأقره الذهبي، وهو كذلك لشواهد.

(٢٦) وعنه:

عن أبي حازم عن أبي هريرة أحسبه رفعه قال: «إنّ المؤمن يُنزل به الموت ويعاين ما يعاين فيودُّ لو خرجت ـ يعني نفسه ـ واللَّهُ يُحبُّ لقاءَهُ. وإنَّ المؤمنَ يصعدُ بروحه إلى السماء فتأتيه أرواح المؤمنين فتستخبره عن معارفهم من أهل الأرض، فإذا قال: تركت فلانًا في الأرض أعجبهم ذلك، وإذا قال: إن فلانًا قد مات، قالوا: ما جيء به إلينا. وإن المؤمن يجلس في قبره فيُسأل من ربك؟ فيقول: ربي اللَّه عز وجل. ويسأل من نبيك؟ فيقول: محمد ﷺ نبيي، فيقال: ماذا دينك؟ قال ديني الإسلام. فيفتح له باب في قبره فيقول أو يقال: انظر إلى مجلسك. ثم يرى القبر فكأنما كانت رقدة. وإذا كان عدوًا للَّه نزل به الموت وعاين ما عاين فإنه لا يحب أن تخرج روحه أبدًا واللَّه يبغض لقاءه، فإذا جلس في قبره أو أجلس فيقال له: من ربك؟ فيقول: لا أدري، فيقال: لا دريت؛ فيفتح له باب إلى جهنم ثم يضرب ضربة تسمعها كل دابة إلا الثقلين، ثم يقال له: نم كما ينام المنهوش» قلت لأبي هريرة: ما المنهوش؟ قال: الذي تنهشه الدواب والحيَّات، ثم يضيق عليه قبره، ثم قال: لا نعلم رواه إلا الوليد ابن مسلم، وفي بعض النسخ ابن قاسم[1] .

(٢٧) حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

عن أبي سعيد عن النبي ﷺ : «**أنه ذكر رجلاً فيمن سلف وفيمن كان**

---

(١) رواه البزار (١/ ٤١٤/ح ٨٧٤) «كشف الأستار» قال الهيثمي: ورجاله ثقات خلا سعيد بن بحر القراطيسي فإني لم أعرفه «المجمع» (٣/ ٥٦) قلت: لئن لم يعرفه هو فقد عرفه غيره، ومن عرف حجة على من لم يعرف فقد ذكره الخطيب، وقال: كان ثقة «تاريخ بغداد» (٩/ ٩٣). وليس من رواته الوليد بن مسلم بل هو ابن قاسم كما هو في «كشف الأستار» وكذلك ابن كثير (٢/ ٥٥٣).

قبلكم قال كلمة - يعني أعطاهُ اللَّه مالاً وولدًا - فلما حضرتْهُ الوفاة قال لبنيه: أيُّ أبٍ كنتُ لكم؟ قالوا خير أب. قال: فإنه لم يبتئر عند اللَّه خيرًا وإن يقدر اللَّه عليه يعذِّبه فانظروا إذا متُّ فأحرقوني حتى إذا صرت فحمًا فاسحقوني - أو قال: فاسحكوني - فإذا كان يوم ريح عاصف فاذروني فيها» . فقال نبيُّ اللَّه ﷺ : «فأخذ مواثيقهم على ذلك وربِّي. ففعلوا ثم أذروه في يومٍ عاصف، فقال اللَّه عز وجل: كن، فإذا هو رجل قائم، قال اللَّه: أي عبدي ما حملكَ على أن فعلت ما فعلت؟ قال: مخافتك، أو فرق منك. قال: فما تلافاه أن رحمه عندها» وقال مرة أخرى: «فما تلافاه» فحدثت به أبا عثمان فقال: سمعت هذا من سلمان غير أنه زاد فيه: «اذروني في البحر»[١] أو كما حدَّث - وفي رواية له عن أبي سعيد قال: «ففعلوا فجمعه اللَّه عز وجل فقال: ما حملك؟ قال: مخافتك. فتلقاه برحمة»[٢] .

(٢٨) وعنه رضي الله عنه:

قال رسول اللَّه ﷺ : «إذا وُضِعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فإنْ كانت صالحة قالت: قَدِّموني قدِّموني، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها، أَين يذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق»[٣] .

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٥١٤ - ٥١٥) في الأنبياء: باب ما ذكر عن بني إسرائيل، وفي التوحيد، ومسلم (٤/ ٢١٠٩/ح ٢٧٥٦) في التوبة: باب في سعة رحمة اللَّه تعالى وأنها سبقت غضبه.

(٢) رواه البخاري (٦/ ٥١٤) في الأنبياء: باب ما ذكر عن بني إسرائيل، والرقاق: باب الخوف من اللَّه وفي التوحيد، ومسلم(٤/ ٢١١١/ح ٢٧٥٧) في التوبة: باب في سعة رحمه اللَّه تعالى.

(٣) رواه البخاري (٣/ ٢٤٤) في الجنائز: باب كلام الميت على الجنازة وفي (٣/ ١٨١) في الجنائز: باب حمل الرجال الجنازة دون النساء، وباب قول الميت وهو على الجنازة: قدموني.

(٢٩) وعنه ﷺ:

عن أبـي سعيد ﷺ قـال: «شهدنـا مع رسول الـلّه ﷺ جنازة فـقال رسول اللَّه ﷺ: «يا أيُّها الناس، إنَّ هذه الأمة تبتلى في قبورها، فإذا الإنسان دفن وتفرَّق عنه أصحابه جاءه ملك في يده مطراق من حديد فأقعده فقال: ما تقول في هـذا الرجل؟ فإن كـان مؤمنًـا قال: أشهـدُ أن لا إله إلا اللَّه وأن مـحمدًا عـبدُهُ ورسولُهُ، فيقول له: صدقتَ. ثم يفتح له بـاب إلى النار فيقول: كان هذا منزلك لو كفرت بربك، فأمَّا إذ آمنـتَ فهذا منزلك، فيفتح له بابًا إلى الجـنة، فيريد أن ينهض إليه فيقول له: اسكن اسكن، ويفسح له في قبره. وإن كان كافرًا أو منافقًا يقول له: ما تقول في هذا الرجـل؟ فيقول: لا أدري سمعتُ الناسَ يقولون شـيئًا، فيقول: لا دريت ولا تليت ولا اهتديت. ثم يفتح له بابًا إلى الجنة فيقول: هذا منزلك لو كُنتَ آمنتَ بربكَ، فـأمَّا إذ كفرت به فإنَّ اللَّه عز وجـل أبدلك به هذا، فيفتـح له بابًا إلى النار، ثم يقمعه قمعة بالمطراق فيصيح صيحةً يسمعها خلق اللَّه عز وجل كُلُّهم غير الـثقـلـين». فقال بعض القـوم: يا رسول اللَّه ما أحَدٌ يقوم علـيه ملك في يده مطراق إلا هيل عند ذلـك، فقال رسول اللَّه ﷺ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾[1].

(٣٠) حديث عثمان ﷺ:

عن عثمان ﷺ قال: «كان النـبي ﷺ إذا فرغ من دفن الرجل وقفَ

---

(١) رواه أحمد (٣/٣و ٢٣٣ و٣٤٦)، وابن أبـي الدنيا في «ذكر الموت»، وابن أبـي عاصم في «السنة» (٢/٤٠٣/ح ٨٦٥)، والـبزار «كشـف الأسـتار» (١/٤١٢/ح ٨٧٢)، وابن جـرير (٨/ ٢١٤)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» ص(٤٣) (ح/ ٣٢٠)، وهو صحيح لشواهده. رجاله رجال الصحيح غير عباد بن راشد روى له البخاري مقرونًا على ضعف فيه، وسنده لا بأس به كما قال ابن كثير.

عليه وقال: «**استغفروا لأخيكمْ واسألوا لـه التثبيت فإنَّهُ الآن يُسألُ**»[1] قال ابـن حجر: صححه الحاكم.

(٣١) حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه:

قال أبو سعيد ولم أشهده من النبـي ﷺ في حائطٍ لبني النـجَّارِ على بغلةٍ له ونحنُ معهُ إذ حادت به فكادَت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة ـ قال كذا كان يقـول الجريري ـ فقال: «**مَنْ يعـرفَ أصحابَ هذه الأقـبر؟**» فقـال رجلٌ: أنا. قال: «**فمتى ماتَ هؤلاء؟**» قال: ماتوا في الإشراكِ. فقال: «**إنَّ هذه الأمَّةُ تُبتـلى في قبورِها، فلولا أن لا تدافنوا لدعـوتُ اللَّه أن يسمعـكم من عذاب القبر الذي أسـمع منه، ثم أقبل علينـا بوجهه فقال: تعوذوا باللَّـه من عذابِ النار**». قالوا: نعوذُ باللَّه من عذابِ النار. فقال: «**تعوذُوا باللَّه من عذاب القبر**». قالوا: نعوذ باللَّه من عذاب القبر. قال: «**تعوذُوا باللَّه منَ الفتنِ ما ظهر منها وما بطن**». قالوا: «نعوذُ باللَّه من الفتن مـا ظهر منها وما بطن. قال: «**تعوذُوا باللَّـهِ من فتنة الدجَّال**». قالوا: نعوذ باللَّه من فتنة الدجال»[2].

* * *

(١) رواه أبو داود (٣/ ٢١٥/ح ٣٢٢١) في الجنائز: بـاب الاستغفار عند القبر لـلميت. والحاكم (١/ ٣٧٠)، وقال: صحيـح الإسناد ولم يخرجاه، ووافـقه الذهبي، وهو كمـا قالا وأخرجه البيهقي (٤/ ٥٦) وفي «إثبات عذاب القبر» ص(١٢٤) (ح ٢١١و ٢١٢).
وانظـر: «تلخـيص الحبـير» لابن حـجر (٢/ ١٣٥) وقال الـنووي: إسـناده جيد «المجـموع» (٥/ ٢٩٢). وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» ص(١٥٦).

(٢) رواه مسلم (ح ٢٨٦٧) في الجـنة وصفة نعيمهـا: باب عرض مقعد الميت مـن الجنة أو النار عليه، وأحمد (١٩٠٥).

(٣٢) حديث جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما:

قال أبو الزبير أنهُ سأل جابر بن عبد اللَّه عن فتاني القبر فقال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقولُ: «**إنَّ هذه الأمَّةُ تبتلى في قبورها، فإذا أدخل المؤمن قبره وتولى عنه أصحابه جاء ملكٌ شديدٌ الانتهار فيقول له: ما كنتَ تقولُ في هذا الرجل؟ فأمَّا المؤمنُ فيقول: إنَّه رسولُ اللَّه وعبدُهُ. فيقول له الملك: انظر إلى مقعدك الذي كان لك في النار قد أنجاك اللَّه منه، وأبدلك بمقعدك الذي ترى من النارِ مقعدك الذي ترى من الجنة. فيراهما كليهما. فيقولُ المؤمنُ. دعوني أبشرُ أهلي. فيقال له: اسكن. وأمَّا المنافقُ فيقعد إذا تولى عنه أهله فيقال له: ما كنتَ تقولُ في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، أقول كما يقول الناس. فيقال له: لا دَرَيتَ، هذا مقعدك الذي كانَ لك في الجنة أبدلك مكانه مقعدك من النار.** قال جابرٌ: فسمعتُ النبي ﷺ يقول: «**يُبعث كلُّ عبدٍ في القبر على ما مات عليه، المؤمنُ على إيمانه، والمنافقُ على نفاقه**»[١] .

(٣٣) ولمسلم عنه من حديث الكسوف وفيه: «**وَعُرِضَتْ عليّ النارُ، فرأيتُ فيها امرأةً من بني إسرائي تعذب في هرةٍ لها ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكلُ من خَشَاشِ الأرضِ، ورأيتُ أبا ثمامة عمرو بن مالك يجرُّ قصبه في النار - وفي رواية - لقد جيء بالنارِ وذلك حين رأيتموني تأخَّرْتُ مخافةَ أن يصيبني من لَفْحها.**

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٤٦)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» ص(١٢٦ - ١٢٧) (ح ٢١٦)، وأخرجه ابن أبي الدنيا، والطبراني في «الأوسط» «الدر المنثور» (٥/ ٣٤)، وأخرجه مسلم الجزء الأخير قوله: «يبعث كل عبد على ما مات عليه» (٤/ ٢٢٠٦/ح ٢٨٨٧) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها: باب الأمر بحسن الظن باللَّه. وقال الألباني في «ظلال الجنة» ص(٤٠٤)، وهذا إسناد جيد في الشواهد والمتابعات وجملة «يبعث كل عبد على ما مات عليه» قد أخرجها مسلم (٨/ ١٦٥).

وحتَّى رأيتُ فيها صاحِبَ المحجنِ يجرُّ قصبه في النار، كان يسرق الحاج بمحجنه، فإن فُطِنَ له قال: إنما تعلق بمحجني، وإن غُفل عنه ذهب به. وحتى رأيتُ فيها صاحِبَةَ الهِرَّةِ التي ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكلُ من خشاش الأرضِ حتى ماتت جوعًا...»[١] الحديث.

(٣٤) حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

عن سعد رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا هؤلاء الكلمات كما تعلم الكتابة: «**اللَّهم إني أعوذُ بكَ من البُخلِ، وأعوذُ بكَ من الجُبنَ، وأعوذُ بك من أن أُردَّ إلى أَرذَلِ العُمُرِ، وأعوذُ بك من فتنةِ الدنيا وعذاب القبر**»[٢].

(٣٥) حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه:

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: «لا أقولُ لكم إلا كما كان رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم يقول، كان يقول: «**اللَّهم إني أعوذُ بك من العجزِ والكسلِ، والجُبن والبخل والهَرم، وعذابِ القبرِ. اللَّهم آت نفسي تقواها، وزكِّها أنت خيرُ من زكاها، أنت وليها ومولاها. اللَّهم إني أعوذُ بك من علمٍ لا ينفع، ومن قلبٍ لا يخشع، ومن نفسٍ لا تشبع، ومن دعوةٍ لا يُستجابُ لها**»[٣] رواه النسائي.

---

(١) رواه مسلم (١/ ٦٢٤/ح ٩١٥) في الكسوف: باب ما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الكسوف، وقد تقدم بعضه، وأبو داود، والنسائي، والبيهقي.

(٢) رواه البخاري (١١/ ١٧٩) في الدعوات: باب الاستعاذة من أرذل العمر: وباب التعوذ من البخل، وباب التعوذ من عذاب القبر، وباب التعوذ من فتنة الدنيا، وفي الجهاد: باب ما يتعوذ به من الجبن. والنسائي، وأحمد في «مسنده»، وابن حبان، وابن خزيمة في «صحيحه»، وابن أبي شيبة.

(٣) رواه مسلم (٤/ ٢٠٨٨/ح ٢٧٢٢) في الذكر: باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، والنسائي (٨/ ٢٦٠) في الاستعاذة: باب الاستعاذة من العجز، وأحمد في «مسنده»، وابن أبي شيبة، والبغوي، والبيهقي.

(٣٦) حديث أبي بكرة رضي الله عنه:

عن النبي ﷺ أنَّهُ كان يقول في أثر الصلاة: «**اللَّهم إني أعوذُ بك من الكُفرِ، وعذابِ القبر**»(١) .

(٣٧) حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما:

عن عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**اللَّهم إني أعوذُ بك من الكسل والهرم والمغرم والمأثم، وأعوذ بك من شر المسيح الدجَّال، وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من عذاب النار**»(٢) .

(٣٨) حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه:

رواه مسلم في قصة وفاته مطولاً، وفيه: «**فإذا أنا متُّ فلا تصحبني نائحةٌ، ولا نارٌ، فإذا دفنتموني فشنُّوا عليَّ التراب شنًّا، ثم أقيموا حول قبري قدر ما تُنحر جزور ويقسم لحمها، حتى أستأنس بكم، وأَنْظُر ماذا أراجع به رُسُلَ ربي عز وجل**»(٣) .

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٣٦ و ٣٩)، والنسائي(٨/ ٢٦٢) في الاستعاذة، باب الاستعاذة من الفقر، والترمذي، وأبو داود، والنسائي، في« اليوم والليلة» ص(١٤٦/ ح٢٢)، وابن حبان (٢/ ١٨٣ الإحسان) وابن السني في «اليوم والليلة» ص(٢٤ ـ ٢٥/ ح٦٩)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٥٢) ، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وهو حديث حسن، وابن خزيمة، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» وابن أبي عاصم في السنة وقال الألباني: إسناده صحيح على شرط مسلم، وأخرجه ابن حبان (٣/ ٣٠٣) وقال شعيب الأرناؤط: إسناده قوي.

(٢) رواه أحمد (٢/ ١٨٥ و ١٨٦)، والنسائي (٨/ ٢٦٩) في الاستعاذة، باب الاستعاذة من الهرم، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» ص(١٦٦) وإسناده حسن وشواهده في «الصحيحين» عن عائشة وأنس رضي الله عنهما

(٣) رواه مسلم في «الإيمان» باب كون الإسلام يهدم ما قبله.

(٣٩) حديث أم مبشر رضي الله عنها:

عن أم مبشر رضي الله عنها قالت: « دخل عليّ النبي ﷺ وأنا في حائط من حوائط بني النجار فيه قبور منهم قد ماتوا في الجاهلية، قالت: فخرج فسمعته يقول: « **استعيذوا باللَّه من عذاب القبر** » قلت: يا رسول اللَّه وللقبر عذاب؟ قال: «**إنهم ليعذَّبون عذابًا في قبورهم تسمعه البهائم**»(١) .

(٤٠) حديث أبي قتادة رضي الله عنه:

عن أبي قتادة رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ** ﴾ [إبراهيم:٢٧] الآية قال: إن المؤمن إذا مات أجلس في قبره فيقال له: من ربك؟ فيقول: اللَّه عز وجل. فيقال له: من نبيك؟ فيقول: محمد بن عبد اللَّه ﷺ . فيقال له ذلك مرات، ثم يفتح له باب إلى النار فيقال له: انظر إلى منزلك من النار لو زغت، ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقال له: انظر إلى منزلك من الجنة إذ ثبتَّ. وإذا مات الكافر أجلس في قبره فيقال له: من ربك، ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري، كنت أسمع الناس يقولون، فيقال له: لا دريت. ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقال: انظر إلى مجلسك من الجنة لو ثبت. ثم يفتح له باب إلى النار فيقال له: انظر إلى منزلك إذا زغت. فذلك قوله تعالى﴿ **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ** ﴾ [إبراهيم:٢٧] (٢) .

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٦/ ٣٦٢)، وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح المجمع(٣/ ٥٩)، وقال الألباني: إسناده صحيح على شرط مسلم، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم «ابن كثير» (٢/ ٥٥٤)، وابن منده والطبراني في «الأوسط» «الدر المنثور» (٥/ ٣٠). وإبراهيم بن يوسف هو بن إسحاق بن أبي إسحاق السبيعي، وأبو إسحاق هو السبيعي. وعامر قال عنه الحافظ: مقبول. قلت: وثقه ابن حبان، وروى عنه عدة =

(٤١) حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه:

عن عبد اللَّه رضي الله عنه قال: كان نبيُّ اللَّه صلى الله عليه وسلم إذا أمسى قال: «**أمسينا وأمسى الملكُ للَّه، والحمدُ للَّه إله إلا اللَّه وحده لا شريك له**»، قال: أراه قال: فيهن: «**له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير. رب أسألك خيرَ ما في هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر هذه الليلة وشر ما بعدها. رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، ربِّ أعوذ بك من عذاب في النار وعذابٍ في القبور**»، وإذا أصبح قال ذلك أيضًا: «**أصبحنا وأصبح الملك للَّه**»[١]. حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا حسين بن علي، عن زائدة، عن الحسن بن عبيد اللَّه إلخ بنحوه، وفيه: «**اللَّهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم وسوءِ الكبر وفتنةِ الدنيا وعذاب القبر**»[٢].

(٤٢) حديث أبي طلحة الأنصاري:

قال قتادة أخبرنا أنس بن مالك، عن طلحة: «أن نبيَّ اللَّه صلى الله عليه وسلم أمر يوم بدرٍ بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فقُذِفوا في طوى من أطواء بدرٍ خبيثٍ مخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليالٍ. فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته، فشُدَّ عليها رحلها، ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجة، حتى قام على شفة الركي فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «**يا فلان ابن فلان، يا فلان ابن فلان، أيسركم أنكم**

= وأخرج له مسلم في «صحيحه» فحديثه حسن إن شاء اللَّه تعالى.

(١) رواه مسلم (٤/٢٠٨٨/ح ٢٧٢٣) في الذكر والدعاء: باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل.

(٢) رواه مسلم (٤/٢٠٨٩/ح ٢٧٢٣) في الذكر والدعاء: باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل.

أطعتم اللَّـه ورسولهُ، فإنا قد وجدنا مـا وعدنا ربنا حـقًّـا فهـل وجدتم ما وعـدكم ربكم حقًّا؟» قال: فقال عمر: يا رسول اللَّه ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ قـال رسول الـلَّـه ﷺ: **«والذي نـفس محـمد بيده مـا أنتم بـأسمع لمـا أقول مـنهـم»**[1]. قال قتادة: أحياهم الـلَّه تعالى حتى أسمعهم قوله توبـيخًا وتصغيرًا ونقمة وحسرة وندمًا.

(٤٣) حديث عبد الرحمن بن حسنة رضي الله عنه:

عن عبد الـرحمن بن حسنة رضي الله عنه: «انـطلقتُ أنا وعمرو بـن العاص إلى النبي ﷺ، فخرج ومع درقة ثم استتر بها ثـم بال، فقلنا انظروا إليه يبول كما تبول المرأة، فســمع ذلك فقال: **«ألم تعلموا ما لقي صـاحب بني إسرائيل، كانوا إذا أصابهـم البولُ قطعـوا ما أصابه البـول منهم فنـهاهم فعذب فـي قبره»**، ورواه النسائي، وابن ماجه[2].

(٤٤) حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه:

قال: سمعته يقول: إن رجلاً حضره المـوت لَمَّا يئس من الحياة أوصى أهله إذا متُّ فاجمعوا لي حطبًا كثيـرًا، ثم أوروا نارًا حتى إذا أكلت لحمي وخلصت

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٣٠٠ ـ ٣٠١) في المغازي: باب قـتل أبي جهل، ومسلم (٤/ ٢٢٠٤/ ح ٢٨٧٥) في الجنة وصفـة نعيمها: باب عرض مقـعد الميت من الجنة أو النار عـليه، وأحمد، وابن حبان في «صحيحه».

(٢) رواه أحمد (٤/ ١٩٦)، وأبـو داود (١/ ٦/ ح ٢٢) في الطهارة: بـاب الاستبراء مـن البول، والنـسائي (١/ ٢٦ ـ ٢٨) فـي الطـهارة: باب الـبول إلى الـسـتـرة يستـتر بهـا، وابن مـاجه (١/ ١٢٤/ ح ٣٤٦) فيه: بـاب التشديـد في البول. وعـبد الواحد بـن زياد في حديـثه عن الأعمش مقال: وتابعه عـند أحمد، وابن ماجه، والنسائي أبو معاويـة فسنده صحيح جدًا، وورواه البيهقـي، وابن أبي شيبة (٣/ ٣٧٥)، (١/ ١٢٢)، والحاكم (١/ ١٨٤) وصـححه، وابن حبان في «صحـيحه» (٧/ ٣٩٧) ـ(ح ٣١٢٧) في الإحسان، وقال الشيـخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

إلى عظمي فخذوهـا فاطحنوها فذروني في اليم في يـومٍ حار أو راح، فجمعه اللَّه فقال: لـم فعلت؟ قال: خشيتك. فغـفر له». قال عقبة وأنا سمـعته يقول: حدثنا موسى، حدثنا أبو عوانة، حدثنا عبد الملك، وقال: «في يوم راح»[1] .

(٤٥) حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه:

عن أبي موسى رضي الله عنه أن الـنبي صلى الله عليه وسلم قال: **«الميتُ يعذبُ ببكاء الحي، إذا قالت النـائحةُ: وا عضداه، وا ناصراه، وا كاسـباه، جُبِذَ الميت وقيل أنـت عضدها، أنت ناصرها، أنـت كاسبها؟»**. ولفظ الترمذي: **«ما من ميت يموت فـيقوم باكيه فيـقول: وا جبلاه وا سـنداه أو نـحو ذلـك إلا وُكِّلَ بـه ملـكان يـلهـزانه: أهـكذا كنت؟»**[2] .

(٤٦) حديث عوف بن مالك رضي الله عنه:

عن عـوف بن مالك رضي الله عنه قـال: «صلّى رسول الـلَّه صلى الله عليه وسلم على جـنازةٍ فحفظت من دعـائه وهو يقول: **«اللَّهم اغفر له وارحمـه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماءِ والثلج والـبرد، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوبَ الأبيض من الدنسِ، وأبدِلهُ داراً خيراً من داره وأهلاً خيرًا من أهله وزوجًا خيراً من زوجه، وأدخله الجنة وأعذه من عـذاب القبر ومن عذاب النار»** قال: حتى تمـنيت أن أكون ذلك الميت. وفي رواية: **«وقه فتنة القبر وعذاب النار»**[3] .

---

(١) رواه البخاري (١١/ ٣١٢ ـ ٣١٣) في الرقاق: باب الخوف من اللَّه.

(٢) رواه أحمد (٤/ ٤١٤)، والترمذي (٣/ ٣٢٦/ ح ١٠٠٣) في الجنائز: باب ما جاء في كراهية البكاء على الميت، وابن ماجه (١/ ٥٠٨/ ح ١٥٩٤) فيه: باب ما جاء في الميت يعذب بما نيح عليه والحاكم (٢/ ٤٧١) وصـححه. وسنده حسن فيه. موسى بن أبـي موسى الأشعري قال عنه الحافظ مقبول. وللحديث شواهد قد تقدم بعضها.

(٣) أخرجه مسلم (٢/ ٦٦٢/ ح ٩٦٣) في الجنائز: باب الدعـاء للميت في الصلاة، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وأحمد في «مسنده»، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر».

(٤٧) ونختم بحديث سمرة بن جندب ﷺ وهو نص في عذاب البرزخ:

في «صحيح البخاري» عن سمرة بن جندب قال: كان النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: **«من رأى منكم الليلة رؤيا؟»** قال: فإن رأى أحد رؤيا قصها فيقول: **«ما شاء اللَّه»**. فسألنا يومًا فقال: **«هل رأى أحد منكم رؤيا؟»** قلنا: لا، قال: **«لكني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي وأخرجاني إلى الأرض المقدسة فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب من حديد يدخله في شدقه حتى يبلغ قفاه، ثم يفعله بشدقه الآخر مثل ذلك، ويلتئم شدقه هذا فيعود فيصنع مثله، قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بصخرة أو فهر فيشدخ بها رأسه، فإذا ضربه تدهده الحجر فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه، وعاد رأسه كما هو فعاد إليه فضربه، قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا إلى نقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يوقد تحته نار فإذا فيه رجال ونساء عراة فيأتيهم اللهب من تحتهم، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا يخرجوا، فإذا خمدت رجعوا، فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه فرده حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فرجع كما كان، فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق فانطلقنا حتى أتينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان، وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها، فصعدا بي الشجرة وأدخلاني دار لم أر قط أحسن منها، فيها شيوخ وشبان ثم صعدا بي فأدخلاني دارًا هي أحسن**

وأفضل، قلت: طوفتماني الليلة فأخبراني عما رأيت، قالا: نعم الذي رأيته يشق شدقه كذاب يحدث بالكذب فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به إلى يوم القيامة. والذي رأيته يشدخ رأسه فرجل علمه اللَّه القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار، يفعل به إلى يوم القيامة. وأما الذي رأيت في النقب فهم الزناة، والذي رأيته في النهر فآكل الربا، وأما الشيخ الذي في أصل الشجرة فإبراهيم والصبيان حوله فأولاد الناس، والذي يوقد النار فمالك خازن النار، والدار الأولى دار عامة المؤمنين، وأما هذه الدار فدار الشهداء، وأنا جبريل وهذا ميكائيل فرفع رأسه فرفعت رأسي فإذا قصر مثل السحابة قالا: ذلك منزلك، قلت: دعاني أدخل منزلي قالا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله فلو استكملته أتيت منزلك»(١) .

● **قال الإمام ابن القيم:**

«وهذا نص في عذاب البرزخ فإن رؤيا الأنبياء وحي مطابق لما في نفس الأمر»(٢) .

عذاب القبر هو عذاب البرزخ

● قال في «شرح الطحاوية»:

اعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، قبر أو لم يقبر، أكلته السباع أو احترق حتى صار رمادًا ونسف في الهواء، أو صلب أو غرق في البحر ـ وصل إلى روحه وبدنه من

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» كتاب التعبير: باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، وفي صفة الصلاة، وفي التهجد، وفي الجنائز، وفي البيوع، وفي الجهاد، وفي بدء الخلق، وفي الأنبياء. ورواه مسلم، وأحمد [طرفًا يسيرًا من أوله].

(٢) «الروح» لابن القيم ص(٧٨ ـ ٧٩).

العذاب ما يصل إلى المقبور[١] .

وما ورد من إجلاسه واختلاف أضلاعه ونحو ذلك ـ فيجب أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير، فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله، ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان، فكم حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب ما لا يعلمه إلا اللَّه. بل سوء الفهم عن اللَّه ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، وهو أصل كل خطأ في الفروع والأصول، ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد[٢] . واللَّه المستعان.

فالحاصل أن الدور ثلاث: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار. وقد جعل اللَّه لكل دار أحكامًا تخصها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان، والأرواح تبع لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح، والأبدان تبع لها، فإذا جاء يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم ـ صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعًا.

فإذا تأملت هذا المعنى حق التأمل، ظهر لك أن كون القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار مطابق للعقل، وأنه حق لا مرية فيه، وبذلك يتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم[٣] .

● **قال الإمام ابن القيم:**

إنه ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه

---

(١) «الروح» ص(١٠٦).

(٢) «الروح» ص(١١٣).

(٣) «الروح» ص(١١٤، ١١٥).

وهو ما بين الدنيا والآخرة، وقال تعالى: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]. وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة، وسمي عذاب القبر ونعيمه، وأنه روضة أو حفرة نار، باعتبار غالب الخلق. فالمصلوب والحرق والغرق وأكيل السباع والطيور له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه الذي تقتضيه أعماله، وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتهما، فقد ظن بعض الأوائل أنه إذا حرق جسده بالنار وصار رمادًا، وذري بعضه في البحر وبعضه في البر في يوم شديد الريح أنه ينجو من ذلك فأوصى بنيه أن يفعلوا به ذلك. فأمر اللَّه البحر فجمع ما فيه، وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال: قم فإذا هو قائم بين يدي اللَّه، فسأله ما حملك على ما فعلت؟ فقال: خشيتك يا رب وأنت أعلم، فما تلافاه أن رحمه، فلم يفت عذاب البرزخ ونعيمه لهذه الأجزاء التي صارت في هذه الحال، حتى لو علق الميت على رءوس الأشجار في مهاب الرياح لأصاب جسده من عذاب البرزخ حظه ونصيبه، ولو دفن الرجل الصالح في أتون من النار لأصاب جسده من نعيم البرزخ وروحه نصيبه وحظه، فيجعل اللَّه النار على هذا بردًا وسلامًا، والهواء على ذلك نارًا وسمومًا، فعناصر العالم ومواده منقادة لربها وفاطرها وخالقها يصرفها كيف يشاء، ولا يستعصي عليه منها شيء أراده، بل هي طوع مشيته مذللة منقادة لقدرته، ومن أنكر هذا فقد جحد رب العالمين وكفر به وأنكر ربوبيته[1] .

• عذاب القبر أول عذاب الآخرة:

قال الإمام ابن القيم:

«عذاب البرزخ ونعيمه أول عذاب الآخرة ونعيمها وهو مشتق منه

---

(١) «الروح» ص(٩٨ ـ ٩٩).

وواصل إلى أهل البرزخ هناك، كما دل عليه القرآن والسنة الصحيحة الصريحة في غير موضع دلالة صريحة كقوله صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «**فيفتح له باب إلى الجنة فيأتيه من روحها ونعيمها، وفي الفاجر فيفتح له باب إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها**».

ومعلوم قطعًا أن البدن يأخذ حظه من هذا الباب، كما تأخذ الروح حظها. فإذا كان يوم القيامة دخل من ذلك الباب إلى مقعده الذي هو داخله، وهذان البابان يصل منهما إلى العبد في هذه الدار أثر خفي محجوب بالشواغل والغواشي الحسية والعوارض، ولكن يحس به كثير من الناس وإن لم يعرف سببه ولا يحسن التعبير عنه، فوجود الشيء غير الإحساس به والتعبير عنه. فإذا مات كان وصول ذلك الأثر إليه من ذينك البابين أكمل، فإذا بعث كمل وصول ذلك الأثر إليه فحكمة الرب تعالى منتظمة لذلك أكمل انتظام في الدور الثلاث»[1] .

• عذاب القبر للروح والبدن معًا:

قال شارح الطحاوية ص(٤٥١) :

«عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعًا، باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب مفردة عن البدن ومتصله به.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :

«العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة. تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتنعم وتعذب متصلة بالبدن، والبدن متصل بها فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين، كما تكون

---

(١) «الروح» ص(١٠٠ ـ ١٠١).

الروح منفردة عن البدن، وهل يكون العـذاب والنعيم للبدن بدون الروح؟ هذا فيه قولان مشهوران لأهل الحديث والسنة وأهل الكلام»[١] .

وقال ابن القيم في «الروح»:

فإذا عرفت هذه الأقوال الباطلة فلتعلم أن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عـذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحيانًا ويحصل له معها النعيم أو العذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد، وقاموا من قبورهم لرب العالمين. ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى[٢] .

• تنوع عذاب القبر:

يتنوّع العذاب في القبر فمنهم من يُضرب بمطراق من حديد، ومنهم من يجلس كهيئة المنهوش، ومنهم من يُضيق عليه القبر حتى تختلف أضلاعه، ومن يُفرش له من النار، ومن يُمثل له عمله الخبيث على هيئة رجل قبيح الوجه والثياب منتن الريح يجلس معه في قبره، وقد صحّ هذا عن رسول اللَّه ﷺ .

أسباب عذاب القبر

• قال القرطبي في «التذكرة» (١٤٦):

«قال أبو محمد عبد الحق: اعلم أن عذاب القبر ليس مختصًا بالكافرين، ولا موقوفًا على المنافقين، بل يشاركهم فيه طائفة من المؤمنين، وكل على حاله

---

(١) «الروح» ص(٦٧ ـ ٦٨) نقلاً عن كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

(٢) «الروح» ص(٦٩).

من عمله، وما استوجبه من خطيئته وزلله»، والأدلة على أن المؤمن قد يعذب في قبره بسبب ذنوبه كثيرة».

● **قال الإمام ابن القيم:**

«ما الأسباب التي تعذب بها أصحاب القبور؟ فجوابها من وجهين: **مجمل ومفصّل:**

أما المُجْمَل: فإنهم يعذبون على جهلهم باللَّه وإضاعتهم لأمره وارتكابهم لمعاصيه، فلا يعذب اللَّه روحًا عرفته وأحبته وامتثلت أمره، واجتنبت نهيه، ولا بدنًا كانت فيه أبدًا فإن عذاب القبر وعذاب الآخرة أثر غضب اللَّه وسخطه على عبده. فمن أغضب اللَّه وأسخطه في هذه الدار ثم لم يتب ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب اللَّه وسخطه عليه. فمستقل ومستكثر ومصدق ومكذب.

وأما الجواب المفصل: فقد أخبر النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم عن الرجلين اللذين رآهما يعذبان في قبورهما يمشي أحدهما بالنميمة بين الناس، ويترك الآخر الاستبراء من البول، فهذا ترك الطهارة الواجبة وذلك ارتكب السبب الموقع للعداوة بين الناس بلسانه، وإن كان صادقًا. وفي هذا تنبيه على أن الموقع بينهم العداوة بالكذب والزور والبهتان أعظم عذابًا، كما أن في ترك الاستبراء من البول تنبيهًا على أن من ترك الصلاة التي الاستبراء من البول بعض واجباتها وشروطها فهو أشد عذابًا.

وفي حديث شعبة: أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس. فهذا مغتاب وذلك نمام. وحديث ابن مسعود رضي الله عنه: في الذي ضرب سوطًا امتلأت القبر عليه به نارًا لكونه صلى صلاة واحدة بغير طهور، ومر على مظلوم فلم ينصره. وحديث سمرة في «صحيح البخاري»: في تعذيب من يكذب الكذبة

فتبلغ الآفاق. وتعذيب من يقرأ القرآن ثم ينام عنه بالليل ولا يعمل به بالنهار. وتعذيب الزناة والزواني. وتعذيب آكل الربا كما شاهدهم النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم في البرزخ. وحديث أبي هريرة ﷺ الذي فيه: «**رضخ رءوس أقوام بالصخر لتثاقل رءوسهم عن الصلاة، والذين يسرحون بين الضريع والزقوم لتركهم زكاة أموالهم. والذين يأكلون اللحم المنتن الخبيث لزناهم. والذين تقرض شفاههم بمقاريض من حديد لقيامهم في الفتن بالكلام والخطب**»، وتقدم حديث أبي سعيد وعقوبة أرباب تلك الجرائم: «**فمنهم من بطونهم أمثال البيوت وهم على سابلة آل فرعون وهم أكلة الربا. ومنهم: من تفتح أفواههم فيلقمون الجمر حتى يخرج من أسافلهم، وهم أكلة أموال اليتامى. ومنهم: المعلقات بثديهن وهن الزواني. ومنهم: من تقطع جنوبهم ويطعمون لحومهم وهم المغتابون. ومنهم: من لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم وهم الذين يغمزون أعراض الناس. وقد أخبر النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم عن صاحب الشملة التي غلها من المغنم أنها تشتعل عليه ناراً في قبره. هذا وله فيها حق فكيف بمن ظلم غيره ما لا حق له فيه؟**».

• فعذاب القبر من معاصي القلب والعين والأذن والفم واللسان والبطن والفرج واليد والرجل والبدن كله[1] :

• فالنمام والكذّاب والمغتاب وشاهد الزور وقاذف المحصن والموضع في الفتنة.

• والداعي إلى البدعة.

• والقائل على اللَّه ورسوله ما لا علم له به والمجازف في كلامه.

---

(١) تتمة كلام الإمام ابن القيم.

- وآكل الربا.
- وآكل أموال اليتامى ظلمًا.
- وآكل السحت من الرشوة والبرطيل[١] ونحوهما.
- وآكل مال أخيه المسلم حق أو مال المعاهد.
- وشارب المسكر وآكل لقمة الشجرة الملعونة[٢].
- والزاني واللوطي.
- والسارق والخائن والغادر والمخادع والماكر.
- وآخذ الربا ومعطيه وكاتبه وشاهداه.
- والمحلل والمحلل له.
- والمحتال على إسقاط فرائض اللَّه وارتكاب محارمه.
- ومؤذي المسلمين ومتتبع عوراتهم.
- والحاكم بغير ما أنزل اللَّه.
- والمفتي بخلاف ما شرعه اللَّه.
- والمعين على الإثم والعدوان.
- وقاتل النفس التي حرّم اللَّه.
- والملحد في حرم اللَّه.
- والمعطل لحقائق أسماء اللَّه وصفاته الملحد فيها.
- والمقدم رأيه وذوقه وسياسته على سنة رسول اللَّه ﷺ.
- والنائحة والمستمع إليها.

(١) البرطيل: الرشوة.

(٢) الحشيش.

● ونوّاحي جـهنم وهم المغنـون الغناء الذي حرمـه اللَّه ورسوله والمسـتمع إليهم.

● والذين يبنون المساجد على القبور يوقدون عليها القناديل والسرج.

● والمطففون في استيفاء ما لهم إذا أخذوه، وهضم ما عليهم إذا بذلوه.

● والجبارون والمتكبرون.

● والمراءون.

● والهمازون واللمازون.

● والطاعنون على السلف.

● والذين يأتون الكهنة والمنجمين والعرّافين، فيسألونهم ويصدقونهم.

● وأعوان الظلمة الذين باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم.

● والذي إذا خوّفته باللَّه وذكرته لم يرعـو ولم ينزجر، فإذا خوفته بمخلوق مثله خاف وارعوى وكف عما هو فيه.

● والذي يهدى بكلام اللَّه ورسوله فلا يهتدي ولا يرفع به رأسًا، فإذا بلغه عمن يُحسن به الظن ممن يصيب ويخطئ عضّ عليه بالنواجذ ولم يخالفه.

● والذي يُقـرأ عليه القرآن فـلا يؤثر فيه وربما اسـتثقل به فإذا سـمع قرآن الشيـطان ورقية الـزنا ومادة النفـاق طاب سره وتواجـد وهاج من قلـبه دواعي الطرب وود أن المغني لا يسكت.

● والذي يحلف باللَّه ويكذب فإذا حلـف بالبندق أو برأس شيخه أو قريبه أو سراويل الفتوة أو حيـاة من يحبه ويعظمه من المخلوقـين لم يكذب ولو هدد وعوقب.

● والذي يفتخر بالمعصية ويتكثر بها بين إخوانه وأضرابه وهو المجاهر.

● والذي لا تأمنه على مالك وحرمتك.

● والفاحش اللسان البذيء الذي تركه الخلق إتقاء شره وفحشه.

● والذي يؤخر الصلاة إلى آخر وقتها وينقرها ولا يذكر اللَّه فيها إلا قليلاً.

● ولا يؤدي زكاة ماله طيبة بها نفسه.

● ولا يحج مع قدرته على الحج.

● ولا يؤدي الحقوق مع قدرته عليها.

● ولا يتورع من لحظة ولا لفظة ولا أكلة ولا خطوة.

● ولا يبالي بما حصل المال من حلال أو حرام.

● ولا يصل رحمه.

● ولا يرحم المسكين ولا الأرملة ولا اليتيم ولا الحيوان البهيم.

● بل يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين، ويرائي العالمين.

● ويمنع الماعون.

● ويشتغل بعيوب الناس عن عيبه، وبذنوبهم عن ذنبه.

فكل هؤلاء وأمثالهم يعذبون في قبورهم بهذه الجرائم بحسب كثرتها وقلتها وصغيرها وكبيرها.

ولما كان أكثر الناس كذلك كان أكثر أصحاب القبور معذبين والفائز منهم قليل، فظواهر القبور تراب، وبواطنها حسرات وعذاب، ظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة مبنيات. وفي باطنها الدواهي والبليات. تغلي بالحسرات كما تغلي القدور بما فيها. ويحق لها وقد حيل بينها وبين شهواتها وأمانيها. تاللَّه لقد وعظت فما تركت لواعظ مقالاً. ونادت يا عمار الدنيا لقد عمرتم داراً موشكة بكم زوالاً، وخربتم داراً أنتم مسرعون إليها انتقالاً. عمرتم بيوتًا لغيركم منافعها

وسكناها. وخربتم بيوتًا ليس لكم مساكن سواها. هذه دار الاستباق ومستودع الأعمال وبيدر الزرع وهذه محل للعبر رياض من رياض الجنة أو حفر من حفر النار»[١] .

● **وقال ابن القيم:**

«يُنعم المؤمن في البرزخ على حسب أعماله، ويعذب الفاجر فيه على حسب أعماله، ويختص كل عضو بعذاب يليق بجناية ذلك العضو:

- فتقرض شفاهُ المغتابين الذين يُمزقون لحومَ الناس ويقعون في أعراضهم بمقاريض من نار.

- وتسجر بطونُ أكلةِ الربا بالحجارة ويسبحون في أنهار من الدم كما يسبحون في الكسب الخبيث.

- وتُرض رؤوس النائمين عن الصلاة المكتوبة بالحجر العظيم.

- ويُشق شدقُ الكذاب الكذبةَ العظيمةَ بكلاليب الحديد إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينيه إلى قفاه، كما شقت كلمته النواحي.

- ويُعلقُ النساءُ الزواني بثديهن.

- وتُحبسُ الزناةُ والزواني في التنورِ المحمي عليه، فيعذب محل المعصية منهم، وما هو إلا سافل.

- وتُسلطُ الهمومُ والغموم والأحزان والآلام النفسانية على النفوس البطالة التي كانت مشغوفة باللهو واللعب والبطالة، فتصنع الآلام في نفوسهم كما تصنع الهوام والديدان في لحومهم، حتى يأذن اللَّه تعالى بانقضاء

---

(١) «الروح» لابن القيم ص(١٠٣ ـ ١٠٦).

أجل العالم ولهى الدنيا. . . »[١] .

ومما سبق من كلام ابن القيم يتبين لنا.

● أن أحوال العصاة في عذاب القبر تختلف باختلاف معاصيهم فالجزاء من جنس العمل.

● وأن عذاب القبر من معاصي القلب والعين والأذن والفم واللسان والبطن والفرج واليد والرجل والبدن كله.

الأسباب المفصلة لعذاب القبر

١ـ الشرك بالله والكفر به:

قال الله تعالى عن آل فرعون: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ [غافر: ٤٦].

والمراد بالنار هنا نار القبر فقد قال الله عز وجل بعدها: ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾.

● وقال الله تعالى: ﴿**وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ**﴾ [الأنعام: ٩٣].

وذلك أن الكافر إذا احتُضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والسلاسل والجحيم وغضب الرحمن الرحيم فتفرقَ روحه في جسده وتعصي وتأبى الخروج فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم ﴿**أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ...**﴾ الآية[٢] .

---

(١) «تحفة المودود بأحكام المولود» لابن القيم ص(٢١٥).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١٥٦/٢).

● وفي حديث البراء بن عازب عند الكلام عن العبد الكافر في فتنة القبر وسؤال الملكين.

قال: «... ويأتيه ملكان شديدا الانتهار، فينتهرانه ويجلسانه. فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فيقولان: فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فلا يهتدي لاسمه. فيقال: محمداً. فيقول: هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون ذلك. قال: فيقال: لا دريت ولا تلوت. فينادي منادٍ من السماء أن كذب، فافرشوا له من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار...» الحديث.

* والأدلة من السنّة على أن الكفر سبب لعذاب القبر:

● **حديث زيد بن ثابت [1] رضي الله عنه قال:**

«بينما النبي ﷺ في حائطٍ لبني النجار، على بغلةٍ له، ونحن معه، إذ حادت به فكادت تُلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال: «**من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟**» فقال رجل: أنا. قال: «**فمتى مات هؤلاء؟**» قال: ماتوا في الإشراك. فقال: «**إن هذه الأمة تُبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا، لدعوت الله أن يُسمعكم من عذابِ القبرِ الذي أسمعُ منهُ...**» الحديث.

وقوله في الحديث: «ماتوا في الإشراك» دليل على أن الشرك سبب في عذاب القبر.

● **حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال:**

«دخل رسول الله ﷺ نخلاً لبني النجار فسمع أصوات رجال من بني

---

(١) رواه مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها (٢٨٦٧) (٦٧): باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر، والتعوذ منه.

النجار ماتُوا في الجاهلية يُعذبون في قبورهم فخرج رسول اللَّه ﷺ فزعًا، فأمر أصحابهُ أن يتعوذوا من عذابِ القبرِ»[١] .

● **حديث أم مبشر رضي الله عنها قالت:**

«دخل عليَّ رسول اللَّه ﷺ وأنا في حائطٍ من حوائط ببني النجار فيه قبور منهم قد ماتُوا في الجاهلية فسمعهُم وهم يعُذبون فخرج وهو يقُولُ: «**استعيذوا باللَّه من عذاب القبر**».

قلتُ: يا رسول اللَّه: إنهم ليُعذبون في قبورِهِم.

قال: «**نعم! عذابًا تسمعهُ البهائمُ**»[٢] .

● **حديث عائشة رضي الله عنها في حديث الكسوف الطويل:**

وفيه: «... **ولقد رأيتُ جهنَّمَ تحطمُ بعضها بعضًا حينَ رأيتموني تأخرتُ، ورأيتُ فيها ابنُ لحي وهو الذي سيب السوائب**»[٣] . وفي رواية: «**يجرّ قصبه في النار**» أي: يجرّ أمعاءه.

● **حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال:**

«خرج النبي ﷺ وقد وجبت الشمسُ فسمعَ صوتًا فقال: «**يهُودٌ**

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٩٥، ٢٩٦)، وعبد الرزاق (٦٧٤٢، ٦٧٤٤)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (٢٢٥)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٥٥): «ورجال أحمد رجال الصحيح» ا.هـ.

(٢) أخرجه ابن حبان «موارد» (٧٨٧)، وأحمد (٦/ ٣٢٦)، وقال الألباني في «تخريج السنة» لابن أبي عاصم (٨٧٥): إسناد صحيح على شرط مسلم» ا.هـ.

(٣) رواه البخاري كتاب التفسير (٤٦٢٤): باب ﴿**مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ**﴾ مختصراً. ومسلم: كتاب الكسوف (٩٠١) (٣): باب صلاة الكسوف والرواية الأخرى عنه. والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم فلا يُحمل عليها شيء.

تعذبُ في قبورِهَا»(١) .

● **وحديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال:**

«لما كان يومُ الأحزابِ قـال رسول اللَّه ﷺ : «**ملأ اللَّهُ قبورهُـمْ وبيوتهُمْ نارًا، كما حبسونا وشغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمسُ**»(٢) .

٢ ـ النفاق سبب من أسباب عذاب القبر:

والمنافقون أولى الناس بعذاب القبر، كيف لا وهم أصحاب الدرك الأسفل من النار.

● قال الـلَّه تعـالى: ﴿ **وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ** ﴾ [التوبة: ١٠١].

قال قتـادة والربيع بن أنـس في قوله تـعالى: ﴿ **سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ** ﴾ : «إحداهما في الدنيا والأخرى هي عذابُ القبرِ».

● وفي أحاديث سؤال الملكين وفتنة القبـر عند الكلام على الكافر فقد ورد التصريح باسم المنافق أو المرتاب في بعض الروايات.

كما في حديث أنس: «... **وأما الكافرُ والمنافقُ فيُقالُ له**...» الحديث.

وفي حديث أسماء: «... **وأما المنافقُ أو المرتاب فيقالُ له**...» الحديث.

وفي حديث أبي هريرة: «... **وإن كان مُنافقًا قال**...» الحديث.

---

(١) البخاري كتاب الجنـائز (١٣٧٥): باب التعوذ من عذاب القبر، ومسـلم كتاب الجنة (٢٨٦٩) (٦٩): باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه. وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه.

(٢) البخاري كتاب الجهـاد (٢٩٣١): باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلـزلة، ومسلم كتاب المساجد (٦٢٧) (٢٠٢): باب التغليظ في تفويت صلاة العصر.

وفي حديث جابر: «... **وأما المنافقُ فيقعُدُ إذا تولى عنهُ أصحابهُ..**» الحديث.

٣-عدم الاستبراء من البول.

٤-المشي بين الناس بالنميمة:

فعن ابن عباس[١] ﵄ قال: مر النبي ﷺ بحائط [٢] من حيطان المدينة فسمعَ صوتَ إنسانينِ يُعذبان في قبورهما، فقال النبيُ ﷺ: «**إنهما ليُعذبان، وما يُعذبان في كبيرٍ**»، ثم قال: «**بلى وإنهُ لكبيرٌ، كان أحدهُمَا لا يستتر**[٣] **من بوله**: وفي رواية: **البول، وكان الآخرُ يمشي بالنميمة، ثم دعا بجريدةٍ، رطبة**، وفي رواية: **بعسيبٍ**[٤] **رطب فكسرها كسرتين**، وفي الرواية: **فشقها نصفين، فوضعَ على كل قبرٍ منهمَا كسرةً**، فقيل له: يا رسول اللَّه لم فعلت هذا؟

قال ﷺ: «**لعلهُ أن يُخففَ عنهما ما لم تيبسا**».

● قال الخطابي في «معالم السنن» في قوله ﷺ: «**وما يعذبان في كبير**»: «معناه أنهما لم يعذبا في أمر كان يكبر عليهما أو يشق فعله لو أرادا أن يفعلا، وهو التنزه من البول وترك النميمة، ولم يرد أن المعصية في هاتين الخصلتين ليست بكبيرة في حق الدين وأن الذنب فيهما سهل هين»[٥].

---

(١) حديث ابن عباس أخرجه البخاري كتاب الجنائز (١٣٧٨): باب عذاب القبر من الغيبة والبول، ومسلم كتاب الطهارة (٢٩٢) (١١١): باب الدليل على نجاسة البول وغيرهما.

(٢) حائط: بستان.

(٣) لا يستتر عند ابن عساكر، ولا يستبرئ أو لا يستنزه، ولأبي نعيم: «لا يتوقى». ومعنى الاستتار: أي لا يجعل بينه وبين بوله سترة يعني: لا يتحفظ عنه فتوافق رواية لا يستنزه. كما في «الفتح» (١/ ٣٨١).

(٤) عسيب: هي الجريدة التي لم ينبت فيها خوص فإن نبت فهي السعفة.

(٥) «معالم السنن» للخطابي (١/ ٢٧).

قال المنذري[١] : «ولخوف توهم مثل هذا استدرك فقال ﷺ : «**بلى إنه كبير**».

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أكثرُ عذابِ القبرِ منَ البولِ**»[٢] .

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ : «**إن عامة عذاب القبر من البولِ فتنزهوا منهُ**»[٣] .

- وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**اتقوا التبول فإنهُ أولُ ما يُحاسب به العبدُ في قبرهِ**»[٤] .

- فعن عبد الرحمن بن حسنة سمع رسول اللّه ﷺ يقول: «**ألم تعلمُوا ما لقي صاحب بني إسرائيل كانُوا إذا أصابهُمُ البولُ قطعوا ما أصابَهُ البولُ فنهاهُم، فعُذِّبَ في قبرِهِ**»[٥] وهذا الرجل من بني إسرائيل عذب في قبره؛ لأنه نهاهم

---

(١) «الترغيب والترهيب» للمنذري (٨٦١).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٢٦)، وابن ماجه كتاب الطهارة (٣٤٨): باب التشديد في البول واللفظ له، والبيهقي (٢/ ٤١٢)، والدارقطني (١/ ١٢٨) وقال: صحيح، والحاكم (١/ ١٨٣)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولا أعلم له علة وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ١٥٥).

(٣) أخرجه البزار «كشف الأستار» (٢٤٣)، والدارقطني (١/ ١٢٨)، وقال: لا بأس به، وقال الحافظ في «تلخيص الحبير» (١/ ١٠٦): «رواه عبد بن حميد في «مسنده»، والحاكم، والطبراني وغيرهم بإسناد حسن» ا.هـ. وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ١٥٢).

(٤) أخرجه الدارقطني (١/ ١٢٧) وقال: المحفوظ مرسل. وقال الحافظ في «تلخيص الحبير» (١/ ١٠٦): «ونقل عن أبي زرعة أنه المحفوظ، وقال أبو حاتم: رويناه من حديث ثمامة عن أنس والصحيح إرساله» ا.هـ. وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ١٥٣).

(٥) أخرجه النسائي في كتاب الطهارة: باب البول إلى السترة.

عن أمر واجب وهو التنزه من البول.

ـ وقال قتادة: «كان يُقالُ: عَذَابُ القبرِ مــن ثلاثةٍ أثلاثٍ: ثُلث مِنَ الغيبةِ، وثلث من النميمةِ، وثلث من البولِ»[١].

● قال الحافظ ابن حجر: «وللبول بالنسبة إلى عذاب القبر خصوصية وذلك بسبب ترك التحرز منه»[٢].

فالقبر أول منزل من منازل الآخرة، وفيــه أنموذج ما يقع في يوم القيامة من العقاب والثواب.

ومقدمة الــصلاة: الطهارة من الحدث والخبــث. ومقدمة الدماء: النــميمة والوقيعة في الأعراض.

وهما أيسر أنواع الأذى فيبدأ في البرزخ بالمحاسبة والعقاب عليهما.

وأول ما يقــضى فيه يــوم القيامــة من حقوق الـلَّه: الصلاة، ومــن حقوق العباد: الدماء.

٥ ـ الغيبة:

وفيهــا الحديث: عدم الاســتبراء من الــبول. وقد روي هذا الحــديث من وجوه متعددة.

وفي حديث أبي بكرة: «**وأما الآخر فيُعذَّب في الغيبة**»[٣].

---

(١) انظر: «عذاب القبر» للبيهقي ص(٢٦١)، وابن رجب في «أهوال القبور» ص(٦٥).

(٢) «فتح الباري» (١/ ٣٨١).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٣٥، ٣٩)، وابن مــاجه كتاب الطهارة (٣٤٩): باب التشــديد في البول، والطيالسي (٨٦٧).

قال العراقي: (٣/ ١٤٠) لأحمــد، والطبراني بإسناد جيد ا.هـ.، وقال الحــافظ في «الفتح» (١/ ٣٨٤): إن رواية أبي بكرة عند أحمد، والطبراني بإسناد صحيح ا.هـ. وصحح الحديث الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ٦٦).

والغيبة: ذكرك أخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرته بنقص في دينه أو بدنه أو نسبه أو ثوبه أو داره أو دابته.

٦ - أذى الناس باللسان:

● من حديث أبي هريرة في بعض رواياته: «**كان أحدهما لا يستتر من البول، وكان الآخر يؤذي الناس بلسانه ويمشي بينهم بالنميمة**»[(١)] .

وأذى الناس باللسان يكون بالفحش، والسب، واللعن، والسخرية، والاستهزاء والكذب عليهم، والاستطالة في أعراضهم، والهجاء.

٧ - الكذب:

● في حديث سمرة بن جندب ﵁: «... **فانطلقنا، فأتينا على رجلٍ مُستلق لقفاهُ، وإذا آخرُ قائمٌ عليه بكلوبٍ من حديد، وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيُشرشرُ شدقهُ إلى قفاهُ، ومنخرهُ إلى قفاهُ، وعينهُ إلى قفاهُ، ثم يتحولُ إلى الجانب الآخر فيفعلُ به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغُ من ذلك الجانبِ حتىَ يصح ذلك الجانبُ كما كان ثم يعودُ عليه فيفعلُ مثل ما فعل المرة الأولى**...» الحديث.

الكلوبُ: حديدة معوجة ينزع بها الشيء أو يعلق.

يُشرشِرُ: أي يقطع.

ثم جاء البيان في آخر الحديث بقول الملكين للرسول ﷺ:

«... **وأما الرجلُ الذي أتيتَ عليه يُشرشرُ شدقهُ إلى قفاهُ، ومنخرهُ إلى قفاهُ، وعينهُ إلى قفاهُ، فإنهُ الرجل يغدو من بيتِه فيكذبُ الكذبة تبلغُ الآفاقَ**...» الحديث.

وفي رواية[(٢)] : «**أما الذي رأيتهُ يُشق شدقهُ فكذابٌ يحدثُ بالكذبة فتُحملُ**

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» «موارد» (١٤٠)، وصححه الحافظ في «الفتح» (١/ ٣٨٥).

(٢) رواه البخاري في كتاب الجنائز: باب (٩٣).

عنه حتى تبلغ الآفاق، فيُصنعُ به ما رأيت إلى يوم القيامة...» الحديث.

وصدق الرسول الكريم ﷺ إذ يقول: «**وإن الكذب يهدي إلى الفُجورِ وإن الفجُور يهدي إلى النار**» فهذا جزاء الكذب في البرزخ.

قال ابن العربي: «شرشرة شدق الكاذب إنزال العقوبة بمحل المعصية، وعلى هذا تجري العقوبة في الآخرة بخلاف الدنيا».

٨ ـ هجر القرآن بعد تعلّمه.

٩ ـ النوم عن الصلاة المكتوبة:

● في حديث سمرة:

«**... وأنا أتينا على رجلٍ مُضطجعٍ، وإذا آخر قائمٌ عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغُ رأسهُ فيتدهدهُ الحجرُ ها هنا، فيتبعُ الحجر، فيأخذُهُ فلا يرجعُ إليه حتى يصح رأسهُ كما كان، ثم يعودُ عليه فيفعلُ به مثلَ ما فعل المرة الأولى!...**».

«**يَثْلَغُ رأسَهُ**»: أي يشدخه ويشقه.

«**يَتَدَهْدَهُ**»: أي يتدحرج والمراد أنه دفعه من علو إلى أسفل وتدهده إذا انحط.

ثم جاء البيان في آخر الحديث بقول الملكين للرسول ﷺ:

«**... وأما الرجلُ الأول الذي أتيتَ عليه يُثلغُ رأسه بالحجرِ، فإنه الرجل يأخذُ القرآنَ فيرفضهُ وينامُ عن الصلاة المكتوبة**»[1].

وفي رواية[1]: «**والذي رأيته يُشدخُ رأسه فرجلٌ علمهُ اللَّه القرآنَ، فنام عنهُ**

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجنائز: باب (٩٣).

بالليلِ ولم يعمل فيه بالنهار، يُفعلُ به إلى يوم القيامةِ».

والحديث يدل على أن من يقرأ القرآن ثم ينام عنه بالليل، ولا يعمل به بالنهار يعذب في قبره كما قال الإمام ابن القيم في كتابه «الروح»[1] .

● قال ابن حجر: قال ابن هبيرة: رفض القرآن بعد حفظه جناية عظيمة؛ لأنه يوهم أنه رأى فيه ما يوجب رفضه، فلما رفض أشرف الأشياء وهو القرآن عوقب في أشرف أعضائه وهو الرأس.

وقال أيضًا: يحتمل أن يكون التعذيب على مجموع الأمرين ترك القراءة وترك العمل[2] .

● قال الإمام ابن القيم:

هجر القرآن أنواع:

إحداها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه.

والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به.

والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد أنه لا يفيد اليقين أن أدلته لفظية لا تحصل العلم.

والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به.

وكل هذا داخل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا

---

(١) «الروح» ص(١٠٤).

(٢) «فتح الباري» (٣/ ٢٥١).

هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾ [الفرقان: ٣٠]، وإن كان بعض الهجر أهون من بعض»[١] ا. هـ.

● أما النوم عن الصلاة المكتوبة وترك صلاتها مع جماعة المسلمين بل يثقل رأسه على الفراش، فجزاؤه أن يثلغ ويرضخ هذا الرأس الذي هذا فعله وشأنه، وهكذا يُعذّب إلى قيام الساعة، فقد جاء في بعض الروايات: «... **فيفعل به إلى يوم القيامة**»[٢] .

قال ابن العربي: «جعلت العقوبة في رأس هذه النومة عن الصلاة والنوم موضعه الرأس»[٣] ا. هـ.

١٠ ـ أكْل الربا وعذاب صاحبه في القبر:

وفي الحديث السابق أيضًا: «... **فانطلقنا فأتينا على نهرٍ حسبتُ أنه كان يقولُ أحمر مثل الدم، وإذا في النهر رجلٌ سابحٌ يسبحُ، وإذا علىً شط النهر رجلٌ قد جمع عندهُ حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابحُ يسبحُ ما يسبحُ، ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عندهُ الحجارة فيفغر** [٤] **له فاه فُيلقمهُ حجراً فينطلق يسبح ثم يرجعُ إليه، كلما رجَعَ إليه فَغَرَ له فاهُ فالقمهُ حجراً...**» الحديث.

وفي آخر الحديث: «**وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجر فإنه آكل الربا**».

* * *

(١) «الفوائد» لابن القيم ص(٨٢).
(٢) «فتح الباري» (٣/ ٢٥١).
(٣) «فتح الباري» (١٢/ ٤٤١).
(٤) يفغر: أي يفتح.

١١ ـ الزنـــا:

وفي الحديث السابق كذلك: «... **فانطلقنا فأتينا على مثل التنور، قال: وأحسبُ أنه كان يقول: فإذا فيه لغطٌ وأصواتٌ، قال: فطلعنا فيه فإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عراةٌ، وإذا هم يأتيهم لهبٌ من أسفلَ منهم إذا أتاهم ذلك اللهبُ ضوضوا...**»[1] .

وفي حديث أبي أمامة[2] ﷺ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**بينا أنا نائمٌ إذ أتاني رجلان، فأخذا بضبعي فأتيا بي جبلاً وعرًا، فقالا: اصعد، فقلت: إني لا أطيقهُ فقالا: أنا سنُسَهله لك، فصعدتُ حتى إذا كنت في سواء الجبل إذا بأصوات شديدة، قلتُ: ما هذه الأصوات؟ قالوا: هذا عواءُ أهل النار...**».

وفيه: «**ثم انطلق فإذا بقومٍ أشد شيء انتفاخًا وأنتنهُ ريحًا، قلتُ: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الزانون والزواني...**» الحديث.

وأيضًا هذا الحديث من رؤيا الأنبياء التي هي وحي مطابق في نفس الأمر ويعتبر نصًّا في عذاب البرزخ.

وهو يشبه حديث سمرة كما قال الحافظ[3] .

---

(١) ضوضوا: أي صاحوا.

(٢) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (٤٨٧١)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٩٨٦)، وعنه ابن حبان «موارد» (١٨٠٠)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٣٠) مختصرًا، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (١١)، وعزاه السيوطي في «شرح الصدور» ص(١٧١) للطبراني، وابن مردويه في «تفسيره» أيضًا، وقال الحافظ في «الفتح» (١٢/ ٤٤١) بعد ما عزاه للطبراني: «بسند جيد» ا.هـ. وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ٤٢٠).

(٣) «فتح الباري» (١٢/ ٤٤١).

● قال ابن القيم: «الكفر والمعاصي والفسوق كله غموم، وكلما عزم العبد أن يخرج منه أبت عليه نفسه وشيطانه ومألفه، فلا يزال في غم ذلك حتى يموت، فإن لم يخرج من غم ذلك في الدنيا بقي غمه في البرزخ وفي القيامة، وإن خرج من غمه وضيقه ها هنا خرج من هناك، فما حبس العبد عن اللَّه في هذه الدار حبسه عنه بعد الموت، وكان معذبًا به هناك، كما كان قلبه معذبًا به في الدنيا، فليس العشاق والفجرة والظلمة في لذة في هذه الدار، وإنما هم يعذبون فيها، وفي البرزخ وفي القيامة، ولكنّ سكر الشهوة وموت القلب حال بينهم وبين الشعور بالألم، فإذا حيل بينهم وبين ما يشتهون أحضرت نفوسهم الألم الشديد، وصار يعمل فيها بعد الموت نظير ما يعمل الدود في لحومهم، فالآلام تأكل أرواحهم غير أنها لا تفنى، والدود يأكل جسومهم»[1] ا.هـ.

● قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٢/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦):

«مناسبة العري لهم لاستحقاقهم أن يُفضحوا؛ لأن عادتهم أن يستتروا في الخلوة فعوقبوا بالهتك، والحكمة في إتيان العذاب من تحتهم كون جنايتهم من أعضائهم السفلى.

قال الكرماني: مناسبة العقوبات المذكورة فيه للجنايات ظاهرة إلا الزناة ففيها خفاء، وبيانه أن العري فضيحة كالزنا، والزاني من شأنه طلب الخلوة فناسب التنور، ثم هو خائف حذر حال الفعل كأن تحته النار».

١٢ ـ أمر الناس بالبر ونسيان النفس:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «**رأيتُ ليلة أسري بي رجالاً تُقرضُ شفاهُهُم بمقاريضَ من نارٍ، فقلتُ: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: الخُطباءُ من**

(١) «روضة المحبين» لابن القيم ص(٤٤٠ ـ ٤٤١).

أمتكَ، يأمرون الناسَ بالبر وينسونَ أنفُسهمُ، وهُمْ يتلون الكتاب، أفلا يعقلون؟!»[١] .

وعند البيهقي: «أتيت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار، كلما قرضت وفت، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون، ويقرءون كتاب اللَّه ولا يعملون به»[٢] .

قال زبيد اليامي: أسكتتني كلمة ابن مسعود عشرين سنة، وهي: مَن كان كلامه لا يوافق فعله فإنما يوبّخ نفسه.

قال هلال بن العلاء: طلب العلم شديد، وحفظه أشد من طلبه، والعمل به أشد من حفظه، والسلامة منه أشد من العمل به.

١٣ ـ الإعراض عن ذكر اللَّه:

قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]:

قال: «عَذابُ القبرِ»[٣] .

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٠، ١٨٠، ٢٣٠، ٢٣٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٩١).

(٢) حسن: رواه البيهقي في «شعب الإيمان» عن أنس، وحسّنه في «صحيح الجامع» (١٢٨).

(٣) أخرجه ابن حبان «موارد» (٧٨١)، والبيهقي في «الاعتقاد» (١٠٨)، والحاكم (١/ ٣٨١)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي ا.هـ.

وإسناده حسن؛ لأنه من رواية محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة ومحمد بن عمرو حسن الحديث وليس من رجاله مسلم.

وأخرجه البزار (٢٢٣٣)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٦٧): «فيه من لا أعرفه».

وقال الحافظ ابن كثير (٣/ ١٦٩): رواه البزار بإسناد جيد. ا هـ.

=

● قال الحافظ ابن القيم:

«وفسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر ولا ريب أنه من المعيشة الضنك، والآية تتناول ما هو أعم منه، وإن كانت نكرة في سياق الإثبات، فإن عمومها من حيث المعنى فالمعيشة الضنك لازمة لمن أعرض عن ذكر اللَّه الذي أنزله على رسوله ﷺ في دنياه وفي البرزخ ويوم معاده»[1].

١٤ ـ الإفطار في رمضان من غير عذر:

● عن أبي أمامة الباهلي ؓ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**بينا أنا نائم إذ أتاني رجلان فأخذا بضبعيّ وأتيا بي جبلاً فقالا لي: اصعد.**

فقلت: إني لا أطيقه.

فقالا: إنا سنسهله لك.

قال: فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل إذا أنا بأصوات شديدة، فقلت: ما هذه الأصوات؟

قال: هذا عواء أهل النار. ثم انطلق بي فإذا بقوم معلقين بعراقيبهم مشققة أشداقهم تسيل أشداقهم دمًا، قال: قلت: من هؤلاء؟!

= وقال السيوطي في «الإكليل» (١٧٧): إسناده جيد. اهـ.

وأخرجه البيهقي في «إثبات عذاب القبر» (٥٧، ٥٨)، وكذا ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٤/ ٣١١).

وأخرجه البيهقي من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا ورواه الحاكم (١/ ٣٨٨)، وابن أبي حاتم كما في «الإكليل» للسيوطي، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر».

وقال الحافظ ابن كثير (٣/ ١٦٩): والموقوف أصح.

وورد موقوفًا أيضًا على أبي هريرة، وابن مسعود، وغيرهما أخرجه البيهقي في «إثبات عذاب القبر» ص(٦٠) وهناد بن السري في «الزهد» (١/ ٢١٤).

(١) «الداء والدواء» ص(١٣٧، ١٦٣، ١٦٤).

قال: هم الذين يفطرون قبل تحلّة صومهم[١] .

فقال أبو أمامة: خابت اليهود والنصارى.

ـ قال سليم بن عامر: لا أدري أشيئًا سمعه أبو أمامة من رسول الله ﷺ أم شيئًا من رأيه ـ «ثم انطلق بي فإذا أنا بقوم أشد شيء انتفاخًا، وأنتنه ريحًا، وأسوءه منظرًا، قلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء قتلى الكفار. ثم انطلق بي فإذا أنا بقوم أشد شيء انتفاخا، وأنتنه ريحًا، وأسوءه منظرًا كأن ريحهم المراحيض، قلت: مَن هؤلاء؟

قال: هؤلاء الزانون والزواني.

ثم انطلق بي فإذا بنساء ينهشن ثديهن الحيات، قلت: من هؤلاء؟

قال: هؤلاء اللاتي يمنعن أولادهن ألبانهن، ثم انطلق بي فإذا بغلمان يلعبون بين نهرين، قلت: مَن هؤلاء؟

قال: هؤلاء ذراري المؤمنين.

ثم شرف بي شرفًا فإذا بنفر ثلاثة يشربون من خمر لهم، قلت: من هؤلاء؟

قال: هذا جعفر، وزيد، وابن رواحة.

ثم شرف بي شرفًا آخر فإذا بنفر ثلاثة، قلت: مَن هؤلاء؟

قال: هذا إبراهيم، وموسى، وعيسى بن مريم وهم ينتظرونك»[٢] .

١٥ ـ أَخْذ الغلول:

دل على ذلك حديث أبي هريرة ﷺ في الرجل الذي أخذ الغلول فقال

---

(١) أي: يفطرون قبل وقت الإفطار.

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى»، وابن حبان، وابن خزيمة (٣/ ٢٣٦): باب رقم (٧٠)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٩٠، ٢١٠، ٤٣٠)، وعزاه السيوطي للضياء في «المختارة».

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وقد احتج البخاري بجميع رواته غير سليم بن عامر، وقد احتج به مسلم.

النبي ﷺ عنه: **«والذي نفسي بيده! إن الشملة التي أخذها يومَ خيبر من المغانم لم تُصبها المقاسم، لتشتعل عليه نارًا»**[١] .

والغلول: هو أخذ الغازي شيئًا من الغنيمة دون عرضه على ولي الأمر لقسمته.

والشملة: هي الثوب يتوشح به.

١٦ ـ جرّ الإزار خيلاء:

يدل على ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **«بينما رجلٌ يجر إزارهُ إذ خُسف به، فهو يتجلجلُ إلى يوم القيامة»**[٢] .

والتجلجل: أن يسوخ في الأرض مع اضطراب شديد ويندفع من شق إلى شق.

فالمعنى يتجلجل في الأرض أي ينزل فيها مضطربًا متدافعًا.

١٧ ـ الامتناع عن إرضاع الأولاد بغير عذر:

وقد مرّ حديث أبي أمامة: فكما حرمن أولادهن من الرضاع من ثديهن تنهشها الحيات جزاء وفاقًا في البرزخ.

١٨ ـ السرقة:

دل على ذلك حديث جابر في صلاة الكسوف.

وفيه قول النبي ﷺ : **«... وحتى رأيتُ فيها صاحب المحجن يجر قصبهُ في النار كان يسرقُ الحاج بمحجنه فإن فطنَ له قال: إنما تعلق بمحجني وإن غفل عنه ذهب به...»**[٣] الحديث.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب المغازي (٤٢٣٤): باب غزوة خيبر، ومسلم كتاب الأيمان (١١٥) (١٨٣): باب غلظ تحريم الغلول.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب اللباس: باب من جرّ ثوبه من الخيلاء.

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الكسوف: باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار.

بمحجنه: المحجن عصا معقفة الطرف.

١٩ ـ حبس الحيوان وتعذيبه وعدم رحمته:

ففي حديث جابر في صلاة الكسوف: قال النبي ﷺ:

«... وحتى رأيتُ فيها صاحبة الهرة التي ربطتها فلم تُطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاشِ الأرض حتى ماتت جوعًا...» الحديث.

«خشاش الأرض»: هي الحشرات والهوام.

● قال البيهقي في «إثبات عذاب القبر»:

«ورأى حين صلى صلاة الخسوف من يجر قصبه في النار، ومن يعذب في السرقة، والمرأة التي كانت تعذب في الهرة وقد صاروا في قبورهم رميمًا في أعين أهل زمانه، ولم ير من صلى معه من ذلك ما رأى»[1].

٢٠ ـ النياحة على الميت:

في حديث عمر قال ﷺ: **«إن الميت يُعذَّب ببكاء أهله عليه»**[2].

وفي رواية: **«الميت يُعذّب في قبره بما نيح عليه»**[3].

وفي رواية: **«من نيح عليه يُعذَّب بما نيح عليه»**[4].

والبكاء المذكور في الحديث الأول ليس المراد به مطلق البكاء بل بكاء خاص وهو النياحة كما وضحته الروايات الأخرى.

ثم إن ذلك محمول على من أوصى بالنوح عليه أو لم يوص بتركه مع

---

(١) «إثبات عذاب القبر» للبيهقي ص(٩٧) نشر دار الجيل، ومكتبة التراث الإسلامي.

(٢) البخاري كتاب الجنائز (١٢٩٢): باب ما يكره من النياحة على الميت، مسلم كتاب الجنائز (٩٢٧) (١٦): باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

(٣) مسلم كتاب الجنائز (٩٢٧) (١٧): باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

(٤) البخاري كتاب الجنائز (١٢٩١): باب ما يكره من النياحة على الميت من حديث المغيرة بن شعبة.

علمه بأن الناس يفعلونه عادة.

فلهذا قال عبد اللَّه بن المبارك: «إذا كان ينهاهم في حياته ففعلوا شيئًا من ذلك بعد وفاته لم يكن عليه شيء، والعذابُ عندهم يعني العقاب»[1].

٢١ـ ما يخاف من عذاب القبر في الدَّيْن:

حبس المدين في قبره بدينه:

ومما يضر الميت في قبره ما عليه من دين، فعن سعد بن الأطول رضي الله عنه: «أن أخاه مات وترك ثلاثمائة درهم، وترك عيالاً، قال: فأردت أن أنفقها على عياله، قال: فقال لي نبي اللَّه ﷺ: «**إن أخاك محبوس بدينه، فاذهب فاقض عنه**»، فذهبت فقضيت عنه، ثم جئت، قلت: يا رسول اللَّه، قد قضيت عنه إلا دينارين ادعتهما امرأة، وليست لها بينة، قال: «**أعطها فإنها محقة**» وفي رواية: «**صادقة**»[2].

فقد أخبر الرسول ﷺ أن ذلك الصحابي محبوس بسبب دينه، ويمكن أن يُفسر هذا الحبس الحديث الآخر حيث قال الرسول ﷺ: «**إنه مأسور بدينه عن الجنة**»، ففي الحديث الذي يرويه سمرة بن جندب «أن النبي ﷺ صلى على جنازة، وفي رواية صلى الصبح، فلما انصرف قال: «**أههنا من آل فلان أحد؟**» فسكت القوم، وكان إذا ابتدأهم بشيء سكتوا، فقال ذلك مرارًا، ثلاث لا يجيبه أحد، فقال رجل: هو ذا، قال: فقام رجل يجر إزاره من مؤخر

---

(١) راجع أحكام الجنائز للألباني ص(٢٨، ٢٩).

(٢) قال الشيخ ناصر الدين الألباني في «أحكام الجنائز» ص(١٥)، أخرجه ابن ماجه (٢/ ٨٢)، وأحمد (٤/ ١٣٦)، (٥/ ٧)، والبيهقي (١٠/ ١٤٢)، وأحد إسناديه صحيح، والآخر مثل إسناده عند ابن ماجه، وصححه البوصيري في «الزوائد»، وسياق الحديث والرواية الثانية للبيهقي، وهي والزيادات لأحمد في رواية.

الناس، فقال له النبي ﷺ : «**ما منعك في المرتين الأولين أن تكون أجبتني؟**»، **أما إني لم أنوه باسمك إلا لخير، إن فلانًا** ـ لرجل منهم ـ **مأسور بدينه عن الجنة، فإن شئتم فافدوه، وإن شئتم فأسلموه إلى عذاب اللَّه، فلو رأيت أهله ومن يتحرون أمره قاموا فقضوا عنه، حتى ما أحد يطلبه بشيء**»[١] .

● عن جابر بن عبد اللَّه قال: «توفي رجل فغسّلناه وحنطناه وكفنّاه، ثم أتينا به النبي ﷺ ليصلي عليه فخطّ خطًّا، ثم قال: «**هل عليه دَيْن؟**». قلنا: نعم. قال: «**صلّوا على صاحبكم**»، فقال أبو قتادة: يا رسول اللَّه دينْه عليّ؟، فقال النبي ﷺ : «**هما عليك حقّ وبرء الميت؟**»، قال: نعم. فصلى عليه، ثم لقيه في الغد فقال: «**ما فعل الديناران؟**». فقال: يا رسول اللَّه إنما مات أمس. ثم لقيه من الغد فقال: «**ما فعل الديناران؟**»، فقال: يا رسول اللَّه قد قضيتهما. فقال رسول اللَّه ﷺ : «**الآن بردت عليه جلده**»[٢] .

* * *

---

(١) قال الشيخ ناصر الدين الألباني في «أحكام الجنائز» ص(١٥)، أخرجه أبو داود (٢/ ٨٤)، والنسائي (٢/ ٢٣٣)، والحاكم (٢/ ٢٥، ٢٦)، والبيهقي (٦/ ٤/ ٧٦)، والطيالسي في «مسنده» (رقم ٨٩١، ٨٩٢)، وكذا أحمد (٥/ ١١، ١٣، ٢٠) بعضهم عن الشعبي عن سمرة، وبعضهم أدخل بينهما سمعان بن مُشنّج، وهو على الوجه الأول صحيح على شرط الشيخين، كما قال الحاكم ووافقه الذهبي، وعلى الوجه الثاني صحيح فقط، وقد ذكر الشيخ هناك من أخرج الروايات والزيادات.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٣٠) ، والبيهقي في «السنن» (٦/ ٧٤، ٧٥)، والحاكم (٢/ ٥٨)، والدارقطني في «السنن» (٢/ ٧٩) (٢٩٣). وقال الحاكم عقبه «صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وللحديث شاهد من رواية الزهري عن أبي سلمة. عن أبي هريرة ﷺ أخرجه البخاري (٦٧٣١)، ومسلم (١٦١٩) (١٤)، وأبو داود (٣٣٤٣)، والترمذي (١٠٧٠)، والنسائي (٤/ ٦٥، ٦٦، ٦٧)، وابن ماجه (٦٤١٥)، ولقد بوب البيهقي في «إثبات عذاب القبر»: باب ما يخاف من عذاب القبر في الديْن.

هل عذاب القبر دائم أو منقطع؟

● **قال الإمام ابن القيم:**

«**جوابها أنه نوعان:**

● **نوع دائم:** سوى ما ورد في بعض الأحاديث أنه يخفف عنهم ما بين النفختين، فإذا قاموا من قبورهم قالوا: ﴿**يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا**﴾.

ويدل على دوامه قوله تعالى: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا**﴾ [غافر: ٤٦]، ويدل عليه ما تقدم في حديث سمرة، الذي رواه البخاري في رؤيا النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم وفيه: «**فهو يفعل به ذلك إلى يوم القيامة**». وفي حديث ابن عباس في قصة الجريدتين، لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا. فجعل التخفيف مقيدًا بمدة رطوبتهما فقط. وفي حديث الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي هريرة: «**ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت لا يفتر عنهم من ذلك شيء**». وقد تقدم. وفي «الصحيح» في قصة الذي لبس بردين وجعل يمشي يتبختر فخسف اللَّه به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة».

وفي حديث البراء بن عازب في قصة الكافر: «**ثم يفتح له باب النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة**». رواه الإمام أحمد في بعض طرقه ثم يخرق له خرقًا إلى النار فيأتيه من غمها ودخانها إلى يوم القيامة.

● **النوع الثاني: إلى مدة ثم ينقطع:**

وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم فيعذب بحسب جرمه، ثم يخفف عنه كما يعذب في النار مدة، ثم يزول عنه العذاب. وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء أو صدقة أو استغفار أو ثواب حج أو قراءة تصل إليه من بعض

أقاربه أو غـيرهم[1] ، وهذا كما يشفع الشافع في المـعذب في الدنيا، فيخلص من العـذاب بشفاعـته، ولكن هذه شـفاعة قد لا تكـون بذلك بإذن المـشفوع عنده، واللَّه سبحـانه وتعالى لا يتقدم أحد بالشفاعة بـين يديه إلا من بعد إذنه، فهو الذي يـأذن للشافع أن يشفع إذا أراد أن يـرحم المشفوع له، ولا تغتـر بغير هذا، فإنه شرك وباطل يتعالى اللَّه عنه، من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه. ولا يشفعون إلا لمن ارتضى. ما من شفيع إلا من بعد إذنه. ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له. قل للَّه الشفاعة جميعًا له ملك السموات والأرض[2] .

● و«العذاب يـستمر إذا كـان العبد كـافرًا أو منافـقًا نفاق كـفر، وإن كان مسلمًـا عاصيًا فيختـلف لاختلاف كبر المعصـية وصغرها وحصول الـعفو عن بعض العصـاة دون بعض، فقد يعذب بعـض العصاة وقد لا يستمـر التعذيب على بعض العصاة، وقد يرفع عن بعض»[3] .

النار التي في القبور ليست من نار الدنيا

● **قال الإمام ابن القيـم:**

«إن النار التي في القبر والخضرة ليست من نار الدنيا ولا من زروع الدنيا، فيشاهـده من شاهد نار الدنيا، وخـضرها وإنما هي من نار الآخـرة وخضرها وهي أشد من نار الدنيا، فلا يحس به أهل الدنيـا فإن اللَّه سبحانه يحمي عليه ذلك التراب والحجارة التي عليه وتحته حتى يكون أعظم حـرًا من جمر الدنيا، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بـذلك. بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفنان

---

(١) هذا على مذهب الإمام ابن القيم في وصول ثواب القراءة من الغير.

(٢) «الروح» لابن القيم ص(١١٩ ـ ١٢٠).

(٣) «فتاوى الحافظ ابن حجر» نقلاً عن كتاب «القبر» للشيخ أشرف عبد المقصود ص(١٦).

أحدهما إلى جنب الآخر وهذا في حفرة من حر النار لا يصل حرها إلى جاره، وذلك في روضة من رياض الجنة لا يصل روحها ونعيمها إلى جاره، وقدرة الرب تعالى أوسع وأعجب من ذلك، وقد أرانا اللَّه من آيات قدرته في هذه الدار ما هو أعجب من ذلك بكثير، ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علمًا إلا من وفقه اللَّه وعصمه، فيفرش للكافر لوحان من نار فيشتعل عليه قبره بهما كما يشتعل التنور، فإذا شاء اللَّه سبحانه أن يطلع على ذلك بعض عبيده أطلعه وغيبه عن غيره، إذ لو اطلع العباد كلهم لزالت كلمة التكليف والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس كما في «الصحيحين» عنه صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «**لولا أن لا تدافنوا لدعوت اللَّه أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع**».

ذكر الحكمة في ستر العذاب من الناس دون البهائم

ولما كانت هذه الحكمة منفية في حق البهائم، سمعت ذلك وأدركته كما حادت برسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم بغلته وكادت تلقيه لما مر بمن يعذب في قبره.

وحدثني صاحبنا أبو عبد اللَّه محمد بن الرزيز الحراني أنه خرج من داره بعد العصر بآمد إلى بستان قال: فلما كان قبل غروب الشمس توسطت القبور، فإذا بقبر منها وهو جمرة نار مثل كوز الزجاج، والميت في وسطه، فجعلت أمسح عيني وأقول: أنائم أنا أم يقظان؟ ثم التفت إلى سور المدينة، وقلت: واللَّه ما أنا بنائم، ثم ذهبت إلى أهلي وأنا مدهوش، فأتوني بطعام فلم أستطع أن آكل، ثم دخلت البلد فسألت عن صاحب القبر فإذا به مكاس[1] قد توفي ذلك

---

(١) المكّاس: هو جابي المال.

اليوم، فرؤية هذه النار في القبر كرؤية الملائكة والجن تقع أحيانًا لمن شاء اللَّه أن يريه ذلك[١] .

عذاب القبر يظهر أحيانًا ويُسمعه اللَّه من يشاء

إن اللَّه تبارك وتعالى إذا شاء أطلع بعض عباده في دار الدنيا على عذاب أهل القبور، وقد شاهده أناس كثيرون وسمعوا أصوات المعذبين في قبورهم ورأوهم بعيونهم يعذبون في قبورهم في آثار معروفة[٢] .

● سماع النبي ﷺ أصوات المعذَّبين:

وقد أعطى اللَّه رسوله القدرة على سماع المعذبين في قبورهم، ففي الحديث الذي يرويه مسلم في «صحيحه» عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجار، على بغلة له، ونحن معه، إذ حادت به[٣] ، فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة، فقال: «**من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟**» فقال رجل: أنا، قال: «**فمتى مات هؤلاء؟**» قال: ماتوا في الإشراك، فقال: «**إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا**[٤] ، **لدعوت اللَّه أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه**»[٥] وفي «صحيحي» البخاري ومسلم و«سنن النسائي» عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه: «خرج رسول اللَّه

---

(١) «الروح» لابن القيم.

(٢) «الروح» ص(٩٦)، و«شرح الطحاوية» (٤٠١).

(٣) حادت به: أي مالت عن الطريق ونفرت.

(٤) لا تدافنوا: أي مخافة أن لا تدافنوا.

(٥) رواه مسلم في «صحيحه»، كتاب الجنة: باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه(٤/ ٢١٩٩).

ﷺ بعدما غربت الشمس، فسمع صوتًا، فقال: «**يهود تعذب في قبورها**»(١).

ويدل على سماع الرسول ﷺ للمعذبين في قبورهم الحديث الذي يرويه البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن ابن عباس وفيه أن الرسول ﷺ مرّ بقبرين، فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير...**» الحديث.

سماع غير النبي ﷺ أصوات المعذّبين

● قال الشيخ عمر الأشقر:

«لم يزل بعض الناس يتحدثون عن سماعهم أو رؤيتهم للمعذبين في قبورهم، ومن هؤلاء ثقات أعلام لا مطعن في دينهم وأمانتهم، يقول ابن تيمية في ذلك: «قد يكشف لكثير من أبناء زماننا يقظة ومنامًا، ويعلمون ذلك ويتحققونه، وعندنا من ذلك أمور كثيرة»(٢).

وقال في موضع آخر في معرض رده على المكذبين بعذاب القبر: «وإذا عرف أن النائم يكون نائمًا وتقعد روحه وتقوم وتمشي، وتذهب وتتكلم وتفعل أفعالا وأمورًا بباطن بدنه مع روحه، ويحصل لبدنه وروحه بها نعيم وعذاب، مع أن جسده مضطجع، وعينيه مغمضة، وفمه مطبق، وأعضاؤه ساكنة، وقد يتحرك لقوة الحركة الداخلة، وقد يقوم ويمشي ويتكلم ويصيح، لقوة الأمر في باطنه، كان هذا مما يعتبر به أمر الميت في قبره، فإن روحه تقعد، وتجلس، وتسأل، وتنعم، وتعذب، وتصيح وذلك متصل ببدنه، مع كونه مضطجعًا في

---

(١) «جامع الأصول» (١١/ ١٧٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٤/ ٣٧٦).

قبره، وقد يقوى ذلك حتى يظهر ذلك في بدنه، وقد يرى خارجًا من قبره، والعذاب عليه، وملائكة العذاب موكلة به، فيتحرك بدنه، ويمشي ويخرج من قبره، وقد سمع غير واحد أصوات المعذبين في قبورهم، وقد شوهد من يخرج من قبره وهو معذب، ومن يقعد بدنه أيضًا إذا قوي الأمر، لكن ليس هذا لازمًا في حق كل ميت، كما أن قعود بدن النائم لما يراه، ليس لازمًا لكل نائم، بل هو بحسب قوة الأمر»[1] .

الأسباب المُنجية من عذاب القبر

● **قال ابن القيم:**

«فجوابها أيضًا من وجهين: مجمل ومفصل.

● **أما المجمل**: فهو تجنب تلك الأسباب التي تقتضي عذاب القبر، ومن أنفعها أن يجلس الرجل عندما يريد النوم للَّه ساعة يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه في يومه، ثم يجدد له توبة نصوحًا بينه وبين اللَّه، فينام على تلك التوبة ويعزم على أن لا يعاود الذنب إذا استيقظ، ويفعل هذا كل ليلة، فإن مات من ليلته مات على توبة وإن استيقظ استيقظ مستقبلاً للعمل مسرورًا بتأخير أجله، حتى يستقبل ربه ويستدرك ما فاته وليس للعبد أنفع من هذه النومة، ولا سيما إذا عقب ذلك بذكر اللَّه واستعمال السنن التي وردت عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم عند النوم حتى يغلبه النوم، فمن أراد اللَّه به خيرًا وفقه لذلك، ولا قوة إلا باللَّه.

● **أما الجواب المُفَصَّل**: فنذكر أحاديث عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله

(١) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٥٢٥) و«القيامة الصغرى» ص(٥٢ ـ ٥٣).

وسلم فيما ينجي من عذاب القبر:

١ـ التوحيد:

ففي حديث البراء المشهور عند الكلام على العبد المؤمن عندما يسأله الملكان.

قال: «... **ويُجلسانه فيقولان لهُ: من ربك؟ فيقولُ: ربي اللَّهُ.**

فيقولان له: ما دينُكَ؟، فيقولُ: ديني الإسلامُ.

فيقولان له: ما هذا الرجلُ الذي بُعثَ فيكم؟، فيقولُ: هو رسول اللَّه ﷺ.

فيقولان له: وما عملُك؟ فيقول: قرأتُ كتاب اللَّه، فآمنتُ به، وصدقتُ.

فينتهرهُ فيقولُ: من ربك؟ ما دينُك؟ من نبيك؟

وهي آخرُ فتنة تُعرضُ على المؤمن، فذلك حين يقول اللَّه عز وجل: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [إبراهيم: ٢٧][١] .

٢ ـ طاعة اللَّه وفعل الصالحات:

● قال ابن القيم: «وقد جاء فيما ينجي من عذاب القبر حديث فيه الشفاء، رواه أبو موسى المديني وبين علته في كتابه في «الترغيب والترهيب» وجعله شرحًا له رواه من حديث الفرج بن فضالة، ثنا هلال أبو جبلة، عن سعيد بن المسيب، عن عبد الرحمن بن سمرة، قال: خرج علينا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم ونحن في صفة بالمدينة فقام علينا فقال: «**إني رأيت البارحة عجبًا، رأيت رجلاً من أمتي أتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاء بره بوالديه فرد ملك الموت عنه.ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر اللّه فطير**

(١) «الروح» ص(١٠٦ ـ ١٠٧).

الشياطين عنه. ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم. ورأيت رجلاً من أمتي يلهث عطشًا كلما دنا من حوض منع وطرد، فجاءه صيام شهر رمضان فأسقاه وأرواه. ورأيت رجلاً من أمتي ورأيت النبيين جلوسًا حلقًا حلقًا، كلما دنا إلى حلقة طرد ومنع، فجاءه غسله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده إلى جنبي. ورأيت رجلاً من أمتي من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة، وعن يمينه ظلمة، وعن يساره ظلمة، ومن فوقه ظلمة، وهو متحير فيه فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه في النور. ورأيت رجلاً من أمتي يتقي وهج النار وشرورها فجاءته صدقته فصارت ستراً بينه وبين النار وظللا على رأسه. ورأيت رجلاً من أمتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته صلته لرحمه فقالت: يا معشر المؤمنين إنه كان وصولاً لرحمه فكلموه فكلمه المؤمنون وصافحوه وصافحهم. ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الزبانية فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخله في ملائكة الرحمة. ورأيت رجلاً من أمتي جاثيًا على ركبتيه وبينه وبين اللَّه حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذه بيده فأدخله على اللَّه عز وجل. ورأيت رجلاً من أمتي قد ذهبت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من اللَّه عز وجل فأخذ صحيفته فوضعها في يمينه. ورأيت رجلاً من أمتي خف ميزانه فجاءه أفراطه فثقلوا ميزانه. ورأيت رجلاً من أمتي قائمًا على شفير جهنم فجاءه رجاؤه من اللَّه عز وجل فاستنقذه من ذلك ومضى. ورأيت رجلاً من أمتي قد هوى في النار فجاءته دمعته التي قد بكى من خشية اللَّه عز وجل فاستنقذته من ذلك. ورأيت رجلاً من أمتي قائمًا على الصراط، يرعد كما ترعد السعفة في ريح عاصف فجاءه حسن ظنه باللَّه عز وجل فسكن روعه ومضى. ورأيت رجلاً من أمتي يزحف على الصراط يحبو أحيانًا ويتعلق أحيانًا فجاءته صلاته علي فأقامته على قدميه وأنقذته. ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب

الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا اللَّه ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة» قال الحافظ أبو موسى: هذا حديث حسن جدًّا، رواه عن سعيد ابن المسيب، وعمر بن ذر، وعلي بن زيد بن جدعان، ونحو هذا الحديث مما قيل فيه أن رؤيا الأنبياء وحي على ظاهرها في هذه الرواية فذكر العقوبة وأتبعها بما ينجي صاحبها من العمل. وراوي هذا الحديث عن ابن المسيب هلال أبو جبلة مدني، لا يعرف بغير هذا الحديث. ذكره ابن أبي حاتم عن أبيه هكذا ذكره الحاكم أبو أحمد، والحاكم أبو عبد اللَّه أبو جبل بلا هاء وحكياه عن مسلم، ورواه عن الفرج بن فضالة وهو وسط في الرواية ليس بالقوي ولا المتروك، ورواه عنه بشر بن الوليد الفقيه المعروف بأبي الخطيب، وكان حسن المذهب جميل الطريقة وسمعت شيخ الإسلام يعظم أمر هذا الحديث، وقال: أصول السنة تشهد له وهو من أحسن الأحاديث»[1] .

● وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إن الميت إذا وضع في قبرِه إنهُ ليسمعُ خفقَ نعالهم حين يولوا عنهُ فإن كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه وكان الصيامُ عن يمينه، وكانت الزكاةُ عن يسارِه، وكان فعل الخيراتِ من الصدقة والصلة والمعروف والإحسانِ إلى الناس عند رجليه.**

فيؤتى من رأسه فتقولُ الصلاةُ: ما قبلي مدخلٌ، ثم يؤتى عن يمينه فيقولُ كالصيام: ما قبلي مدخلٌ، ثم يؤتى عن يساره فتقولُ الزكاة: ما قبلي مدخلٌ، ثم يؤتي من قبل رجليه فيقولُ فعلُ الخيراتِ من الصدقةِ والصلةِ والمعروفِ إلى الناسِ ما قبلي مدخلٌ...»[2] الحديث.

---

(١) «الروح» ص(١١٠ ـ ١١٢).

(٢) ابن حبان (٧٨١)، والحاكم (١/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠)، والبيهقي في «الاعتقاد» (٢٢١)، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

فطاعة اللَّه عز وجل هي خير ما يقدمه المسلم لنفسه في قبره.

● فعن مجاهد في قول اللَّه عز وجل: ﴿**فَلأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ**﴾ [الروم: ٤٤] قال: «في القبر»(١).

وتأمل قوله في حديث البراء الطويل في سؤال الملكين:

«**وأنت فبشرك اللَّه بخير من أنت؟ فوجهك الوجه يجيءُ بالخير: فيقولُ أنا عملك الصالح فواللَّه ما علمتك إلا كنت سريعًا في إطاعة اللَّه، بطيئًا في معصية اللَّه فجزاك اللَّهُ خيرًا، ثم يفتح لهُ باب من الجنةِ...**» الحديث.

٣ ـ الرباط في سبيل اللَّه:

والرباط ملازمة ثغر من ثغور المسلمين فارسًا كان أو راجلاً، ومن مات مرابطًا نجّاه اللَّه من عذاب القبر، تدل على ذلك أحاديث منها:

(١) حديث سلمان الفارسي ﷺ قال سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**رباطُ يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتان**»(٢).

(٢) حديث فضالة بن عبيد ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطًا في سبيل اللَّه، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن فتنة القبر**»(٣).

---

(١) أخرجه الطبراني في «تفسيره» (٢١/ ٥٢)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر»، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٩٧).

(٢) رواه مسلم (١٩١٣) (١٦٣)، والنسائي (٦/ ٣٩)، والترمذي(١٦٦٥)، والحاكم(٢/ ٨٠)، وأحمد (٤٤٥، ٤٤١).

(٣) رواه أبو داود (٢٥٠٠)، والترمذي (١٦٢١) وصححه، والحاكم (٢/ ١٤٤)، وأحمد(٦/ ٢٠) وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

(٣) حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«من مات مرابطًا في سبيل اللَّه، أجرى اللهُ عليه عمله الصالح الذي كان يعمل عليه، وأجرى عليه رِزقه، وأمن من الفتان، وبعثه اللَّهُ يوم القيامة آمنًا من الفزع»**[١].

(٤) حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«من مات مرابطًا في سبيل اللَّه، أمنه اللَّه من فتنة القبرِ»**[٢].

٤ ـ الشهادة في سبيل اللَّه:

من مات وقتل شهيدًا في سبيل اللَّه نجّاه اللَّه من فتنة الملكين وعذاب القبر وفي ذلك أحاديث عطرة وردت عن رسول اللَّه ﷺ منها:

(١) حديث عبادة بن الصامت وكذا من حديث قيس الجذامي رضي الله عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«للشهيدِ عند اللَّه ست خصال: يُغفرُ له من أول دفعةٍ من دمه، ويرى مقعدهُ من الجنة، ويُجارُ من عذاب القبر، ويأمن الفزع الأكبر، ويحلى حلية الإيمان، ويزوج من الحورِ العين، ويشفعُ في سبعين إنسانًا من أقاربه»**[٣].

(٢) عن رجل من أصحاب النبي ﷺ: أن رجلاً قال: يا رسول اللَّه ما بال المؤمنين يُفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: **«كفى ببارقة السيوفِ على رأسهِ فتنة»**[٤].

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٧٦٧) كتاب الجهاد: باب فضل الرباط في سبيل اللَّه وفي «الزوائد»: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه الطبراني، والطيالسي، وصححه الألباني كما في «صحيح الجامع» (٦٤٢١).

(٣) الحديث أخرجه الترمذي (١٦٦٣) كتاب فضائل الجهاد: باب في ثواب الشهيد، وقال: حسن صحيح غريب، وابن ماجه (٢٧٩٩)، وأحمد (٤/ ١٣١) من حديث المقدام بن معديكرب، وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» ص(٣٥، ٣٦).

(٤) أخرجه النسائي (٩١/ ٢٨)، وقال الألباني في «أحكام الجنائز» ص(٣٦): وسنده صحيح. ا.هـ.

● قال الشيخ الألباني : (تنبيه): ترجى هذه الشهادة لمن سألها مخلصًا من قلبه ولو لم يتيسر له الاستشهاد في المعركة بدليل قوله ﷺ : «**من سأل اللَّه الشهادةَ بصدق، بلغهُ اللَّه منازلَ الشهداءِ، وإن مات على فراشه**»[١] ،[٢] .

وقوله ﷺ : «**كَفى ببارقةِ السيوفِ على رأسهِ فتنةً**» معناه واللَّه أعلم: قد امتحن نفاقه من إيمانه ببارقة السيف على رأسه، فلم يفر فلو كان منافقًا لما صبر لبارقة السيف على رأسه، فدل على أن إيمانه هو الذي حمله على بذل نفسه للَّه وتسليمها له وهاج من قلبه حمية الغضب للَّه ورسوله وإظهار دينه وإعزاز كلمته، فهذا قد أظهر صدق ما في ضميره حيث برز للقتل فاستغنى بذلك عن الامتحان في قبره»[٣] .

٥ ـ الموت بداء البطن:

وهو الاستسقاء وانتفاخ البطن، وقيل: هو الإسهال، وقيل: الذي يشتكي بطنه، وفي هذا أحاديث:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**ما تعدون الشهيد فيكم؟**»، قالوا: يا رسول اللَّه مَن قُتل في سبيل اللَّه فهو شهيد، قال: «**إن شهداء أمتي إذًا لقليل**»، قالوا: فمن هم يا رسول اللَّه؟ قال: «**مَن قُتل في سبيل اللَّه فهو شهيد، ومن مات في سبيل اللَّه فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد، والغريق شهيد**»[٤] .

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٩) (١٥٧) كتاب الإمارة: باب استحباب طلب الشهادة في سبيل اللَّه، من حديث سهيل بن حنيف.

(٢) «أحكام الجنائز» للألباني ص(٥١).

(٣) قاله ابن القيم في «الروح» ص(١٠٩).

(٤) رواه مسلم.

● وعن عبد اللَّه بن يسار قال: كنتُ جالسًا وسليمان بن صرد وخالد بن عرفطة، فذكروا أن رجلاً توفي، مات ببطنه، فإذا هما يشتهيان أن يكونا شهداء جنازتِهِ فقال أحدهما للآخر: ألم يقُل رسول اللَّه ﷺ: «**من يقتلُهُ بطنُهُ فلن يعذب في قبره؟**» فقال الآخر: بلى وفي رواية «صدقت»[1].

تنبيه:

يلحق بالشهيد الذي لا يعذب في قبره كل أنواع الشهادة أو من له أجر الشهيد الذي نص عليه رسول اللَّه ﷺ، ولا دخل للقياس في هذا.

٦ - الموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة:

عن عبد اللَّه بن عمرو قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ما من مسلمٍ يموتُ يوم الجمعةِ أو ليلة الجمعةِ إلا وقاهُ اللَّه فتنة القبرِ**»[2].

قال الحكيم الترمذي: «ومن مات يوم الجمعة فقد انكشف الغطاء عما له عند اللَّه تعالى؛ لأن يوم الجمعة لا تسجر فيه جهنم وتغلق أبوابها ولا يعمل سلطان النار ما يعمل في سائر الأيام، فإذا قبض اللَّه عبدًا من عبيده، فوافق قبضه يوم الجمعة كان ذلك دليلاً لسعادته وحسن مآربه، وأنه لم يقبض في هذا اليوم العظيم إلا من كتب اللَّه له السعادة عنده فلذلك لم يقه فتنة القبر؛ لأن

---

(١) النسائي (٤/٩٨)، والترمذي (١٠٦٤) وحسنه، وابن حبان «موارد» (٧٢٨)، وأحمد (٤/ ٢٦٢) قال الألباني في «أحكام الجنائز» (٣٨): وسنده صحيح.

(٢) أخرجه الترمذي (١٠٧٤) كتاب الجنائز: باب ما جاء فيمن مات يوم الجمعة، وقال: حديث حسن غريب. وأخرجه أحمد (٦٥٨٢ - ٦٦٤٦)، والفسوي في «المعرفة» (٢/ ٥٢٠) من طريقين عن عبد اللَّه بن عمرو. وقال الألباني في «أحكام الجنائز» ص(٥٠): «وله شواهد عن أنس» وجابر بن عبد اللَّه، وغيرهما فالحديث بمجموع طرقه حسن أو صحيح.
وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٤٩)، و«مشكاة المصابيح» (١٣٦٧).

سببها إنما هو تمييز المنافق من المؤمن»[١] .

٧ ـ قراءة سورة تبارك تُنجي من عذاب القبر :

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال: «**سورةُ تباركَ هي المانعةُ من عذابِ القبرِ**»[٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال: « **إن سورةً من القرآنِ ثلاثون آية، شفعت لرجلٍ حتى غُفِرَ له وهي: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾**»[٣] .

فهي تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها وتطلب له إلى ربها أن ينجيه من عذاب النار إذا كانت في جوفه وينجي اللَّه بها صاحبها من عذاب القبر[٤] .

ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأها كما في حديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا: «**كان لا ينام حتى يقرأ ﴿ألم تنزيل﴾ السجدة ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾**»[٥] .

---

(١) «شرح الصدور» (١٥٠)، «اللمعة في خصائص الجمعة» ص(٥٧).

(٢) أخرجه أبو الشيخ في «طبقات الأصبهانيين» (٢٦٤) وسنده حسن، وقد أخرجه الحاكم عن طريق عبد اللَّه أنبأ به سفيان موقوفًا أتم منه وهو في حكم المرفوع، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. كذا في «الصحيحة» للألباني (١٤٤٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٨٩١) كتاب فضائل القرآن: باب ما جاء في فضل سورة الملك، وقال حديث حسن. وأخرجه ابن ماجه (٣٧٨٦) كتاب الأدب: باب ثواب القرآن، وصححه الحافظ ابن عبد البر كما في «الروح» ص(١٠٨).
وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٨٧)، و«تخريج المشكاة» (٢١٥٣).

(٤) «الروح» ص(١٨٠).

(٥) الترمذي (٢٨٩٢) كتاب فضائل القرآن: باب ما جاء في فضل سورة الملك، الدارمي (٢/ ٤٥٥)، وأحمد (٣/ ٣٤٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢/ ٥٨٥).

٨ ـ الصدِّيقية: من مات صديقًا (قول القرطبي):

قال الإمام ابن القيم في كتابه «الروح» ص(١٠٩ ـ ١١٠):

«قال أبو عبد اللَّه القرطبي إذا كان الشهيد لا يفتن فالصديق أجل خطرًا أو أعظم أجرًا أن لا يفتن؛ لأنه مقدم ذكره في التنزيل على الشهداء، وقد صح في المرابط الذي هو دون الشهيد أنه لا يفتن فكيف بمن هو أعلى رتبة منه، ومن الشهيد. والأحاديث الصحيحة[1] ترد هذا القول وتبين أن الصديق يسأل في قبره كما يسأل غيره.

وهذا عمر بن الخطاب ﷺ رأس الصديقين، وقد قال للنبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم لما أخبره عن سؤال الملك في قبره فقال: **«وأنا على مثل حالتي هذه؟ فقال: نعم»**[1] وذكر الحديث.

ولا يلزم من هذه الخاصية التي اختُص بها الشهيد أن يشاركه الصديق في حكمها، وإن كان أعلى منه فخواص الشهداء قد تنتفي عمن هو أفضل منهم، وإن كان أعلى منهم درجة».

***

(١) لا يصح هذا الحديث.

الروح والنفس

يقول ابن تيمية: «الروح المدبِّرة للبدن التي تفارقه بالموت هي الروح المنفوخة فيه، وهي النفس التي تفارقه بالموت»[١]، وقد أخطأ الذين فرقوا بين الروح والنفس واعتقدوا أنهما أمران مختلفان، ومن تأمل فيما سقناه في بحثنا من نصوص علم أن النفس هي التي تقبضها الملائكة، وتصعد بها إلى السماء، وتعد بها إلى الجسد، وتسأل، وتنعم وتعذب، وهي الروح أيضًا التي إذا خرجت من الجسد تبعها البصر كما ثبت في الأحاديث.

وهذا المخلوق الذي تكون به الحياة، وتفقد الحياة بفقده يسمى روحًا ونفسًا، ولا يمنع هذا أن تطلق كل من الروح والنفس إطلاقات أخرى، يقول ابن تيمية: «لفظ الروح والنفس يعبر بهما عن عدة معان: فيراد بالروح الهواء الخارج من البدن والهواء الداخل فيه، ويراد بالروح البخار الخارج من تجويف القلب من سويداه الساري في العروق، وهو الذي تسميه الأطباء الروح، ويسمى الروح الحيواني، فهذان المعنيان غير الروح التي تفارق بالموت التي هي النفس، ويراد بنفس الشيء ذاته وعينه، وقد يراد بلفظ النفس الدم الذي يكون في الحيوان، كقول الفقهاء: «ما له نفس سائلة، وما ليس له نفس سائلة» فهذان المعنيان بالنفس ليسا هما معنى الروح»[٢].

ويلاحظ «شارح الطحاوية» أن الروح والنفس وإن أطلقا على تلك اللطيفة الربانية، إلا أن «غالب ما يسمى نفسًا إذا كانت الروح متصلة بالبدن، وأما إذا

(١) «رسالة العقل والروح»، «مجموعة الرسائل المنيرية» (٢/ ٣٦)، وانظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (٤٤٥).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٣٩).

أخذت مجردة فتسمية الروح أغلب عليها»[١] .

ويقول ابن تيمية في هذا: «لكن تسمى نفسًا باعتبار تدبيره للبدن، وتسمى روحًا باعتبار لطفه، ولهذا يسمى الريح روحًا، وقال النبي ﷺ : «**الريح من روح الله**»[٢] أي: من الروح التي خلقها الله[٣] .

«لما كانت الروح مخلوقة من جنس لا نظير له في عالم الموجودات فإننا لا نستطيع أن نعرف صفاتها، فقد عرفنا الله أنها تصعد وتهبط، وتسمع وتبصر وتتكلم إلى غير ذلك، إلا أن هذه الصفات مخالفة لصفات الأجسام المعروفة، فليس صعودها وهبوطها وسمعها وبصرها وقيامها وقعودها من جنس ما نعرفه ونعلمه، فقد أخبرنا الرسول ﷺ أن الروح يصعد بها إلى السماوات العلى، ثم تعاد إلى القبر، ساعة من الزمن، وقد أخبرنا أنها تنعم أو تعذب في القبر، ولا شك أن هذ النعيم على نحو مخالف لما نعلمه ونعرفه»[٤] .

* استقلال الروح عن البدن:

«يرى فريق من أهل الكلام المبتدع المحدث من الجهمية والمعتزلة أن الروح جزء من أجزاء البدن، أو صفة من صفاته، كقول بعضهم: إنها النفس أو الريح التي تردد في البدن، وقول بعضهم، إنها الحياة أو المزاج أو نفس البدن»[٥] .

«والفلاسفة المشاؤون يقرون بأن النفس تبقى إذا فارقت البدن، لكن يصفون

---

(١) «شرح الطحاوية» ص(٤٤٤).

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد»، وأبو داود والحاكم.

(٣) «رسالة العقل والروح» لابن تيمية، «مجموعة الرسائل المنيرية» (٢/ ٣٧).

(٤) «القيامة الصغرى» للأشقر ص(٨٧).

(٥) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٣/ ٣١)، و«رسالة العقل والروح» لابن تيمية، انظر: «الرسائل المنيرية» (٢/ ٢١).

النفس بصفات باطلة فيدعون أنها إذا فارقت البدن كانت عقلاً، والعقل عندهم مجرد عن المادة وعلائق المادة، والمادة عندهم هي الجسم، والعقل عندهم قائم بنفسه لا يوصف بحركة ولا سكون ولا يتجدد له أحوال البتة»[(١)] .

وقد تخبط هؤلاء وهؤلاء في مقالاتهم في الروح، فأهل الكلام المبتدع المذموم الذين قالوا: إن الروح هي الحياة أو المزاج أو نفس البدن أنكر كثير منهم عذاب القبر، فليس هناك روح تنعم أو تعذب بعد الموت في البرزخ. ورفضوا النصوص التي أثبتت ذلك.

والفلاسفة الذين زعموا أن الروح إذا فارقت البدن تصبح عقلاً، قالوا: «إذا فارقت البدن لا يتجدد لها حال من الأحوال لا علوم ولا تصورات، ولا سمع ولا بصر، ولا إرادات، ولا فرح ولا سرور، ولا غير ذلك مما قد يتجدد ويحدث، بل تبقى عندهم على حال واحدة أزلاً وأبدًا، كما يزعمونه في العقل والنفس»[(٢)] .

وفريق من الفلاسفة يصفونها بما يصفون به واجب الوجود عندهم، وهي أمور لا يتصف بها إلا ممتنع الوجود، فيقولون لا هي داخل البدن ولا خارجه، ولا مباينه له، ولا مداخلة له، ولا متحركة ولا ساكنة، ولا تصعد ولا تهبط، ولا هي جسم ولا عرض»[(٣)] .

والسبب الذي أوقع كلا الفريقين في هذا الخطأ أنهم اعتمدوا على عقولهم وما وضعوه من مقاييس في البحث في أمر غيبي، فالفريق الأول أنكر وجود روح مستقلة عن البدن، وهذا تكذيب للنصوص المتواترة، وإنكار لأمر معلوم

---

(١) «مجموعة الرسائل المنيرية»، «رسالة العقل والروح» (٢/ ٢١).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٢٢).

(٣) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٣/ ٣١).

من الدين بالضرورة، والفلاسفة المشاؤون ومن سلك سبيلهم أثبتوا وجود الروح مستقلة عن البدن، ولكن لما كانت هذه الروح «ليست من جنس هذا البدن، ولا جنس العناصر والمولدات منها، بل هي جنس آخر مخالف لهذه الأجناس»[1] صعب عليهم تعريفها وتصورها، وضاقت تعبيراتهم ومقاييسهم عن حدها وتصورها، وقد هدى اللَّه الذين استجابوا للَّه ورسوله، وآمنوا بما أخبرهم به، فعلموا أن «الروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف، بقي هذا الجسم اللطيف متشابكًا بهذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة والإرادة، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها، وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن، وانفصل إلى عالم الأرواح»[2] .

● وهناك أدلة كثيرة تثبت أن الروح شيء مستقل عن البدن، كقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ ﴾ [الزمر: ٤٢]، وقوله: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ

(١) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٣/ ٣٢).

(٢) هذا تعريف ابن القيم للروح في كتابه «الروح»، وقد نقله عنه السفاريني في «لوامع الأنوار البهية» (٢/ ٢٩)، وعزاه إليه، وذكره بنصه شارح الطحاوية من غير عزو، انظر: «شرح الطحاوية» ص(٤٣٣)، وقد قال ابن القيم بعد سياقه لهذا التعريف: «وهذا القول هو الصواب في المسألة، وهو الذي لا يصح غيره، وكل الأقوال سواه باطلة، وعليه دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة، وذكر مائة وخمسة عشر دليلاً فأجاد وأفاد وزيف كلام ابن سينا وابن حزم وأمثالهما.

يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٠]، وقوله: ﴿وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وقوله: ﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ [القيامة: ٢٦ ـ ٣٠]، وقوله: ﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٣ ـ ٨٤]، فالذي يمسك، وتتوفاه الملائكة، ويبلغ الحلقوم، ويبلغ التراقي، والذي يساق ـ لا بد أن يكون شيئًا حقيقيًّا مخالفًا للجسد.

وقد سقنا الأحاديث التي يخبر فيها رسول اللَّه ﷺ أن ملك الموت يقبض الروح، وأن الملائكة تضع تلك الروح في كفن في الجنة أو النار بحسب فلاحها أو فسادها، وأنه يذهب بها في رحلة علوية سماوية، حيث تفتح لها أبواب السماء إن كانت صالحة، وتغلق دونها إن كانت طالحة، وأنها تعاد إلى الجسد. وتسأل وتعذب أو تنعم، وأن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر، وأرواح المؤمنين طير يعلق شجر الجنة، وأن الروح إذا قبض تبعه البصر، إلى غير ذلك من النصوص الدالة في مجموعها دلالة قاطعة على أن الأرواح شيء آخر غير الأبدان، وأنها تبقى بعد مفارقة البدن.

مَسكن الرُّوح في الجَسد

الروح تسري في بدن الإنسان كله، يقول ابن تيمية: «لا اختصاص للروح بشيء من الجسد، بل هي سارية في الجسد كما تسري الحياة التي هي عرض في جميع الجسد، فإن الحياة مشروطة بالروح، فإذا كانت الروح في الجسد كان فيه حياة، وإذا فارقته الروح فارقته الحياة»[1].

---

(١) «رسالة العقل والروح»، «مجموعة الرسائل المنيرية» (٢/ ٤٧).

* تعلّق الروح بالبدن:

● قال شارح الطحاوية ص(٤٥١):

«الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق، متغايرةُ الأحكام[١]:

أحدها: تعلقها به في بطن الأم جنينًا.

الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.

الثالث: تعلقها به في حال النوم، فلها به تعلق من وجه، ومفارقة من وجه.

الرابع: تعلقها به في البرزخ، فإنها وإن فارقته وتجردت عنه، فإنها لم تفارقه فراقًا كليًّا بحيث لا يبقي لها إليه التفات ألبتة، فإنه ورد ردها إليه وقت سلام المسلِّم[٢]، وورد أنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه[٣].

وهذا الردّ إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة[٤].

---

(١) من «الروح» ص(٨٤).

(٢) في حديث أبي هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«ما من أحد يسلم عليّ إلا رد اللَّه روحي حتى أرد عليه السلام»** أخرجه أبو داود في المناسك: باب زيارة القبور (٢/ ٢١٨/ ح ٢٠٤١)، لكن انفرد به أبو صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد اللَّه بن قسيط، وصخر وإن كان من رجال مسلم إلا أنه اختلف فيه قول ابن معين، ويزيد بن قسيط، لا يصحح ما انفرد به جزمًا، وانظر: «تخريج الأرناؤوط» ص(٥٧٩).

(٣) وهذا خاص بوقت الدفن، أخرجه البخاري في كتاب الجنائز: باب الصلاة على القبر بعد ما يدفن (٣/ ٢٠٤/ ح ١٣٣٨)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها: باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٤/ ٢٢٠٠/ ح ٢٨٧٠)، وانظر في إعادة الروح وقت السؤال ما جاء في كتاب «الروح» ص(٨٠) وما بعدها.

(٤) ومن ذلك رؤية الأنبياء ليلة الإسراء، فإنه ﷺ رأى أرواحهم دون أجسادهم، والأجساد في الأرض قطعًا إنما تبعث يوم بعث الأجساد، ولم تبعث قبل ذلك. وانظر في ذلك «الروح» ص(٨٥).

الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه، إذ هو تعلق لا يقبل البدنُ معه موتًا ولا نومًا ولا فسادًا، فالنوم أخو الموت. فتأمل هذا يُزِحْ عنك إشكالات كثيرة».

* الروح مخلوقة:

● قال الشيخ الأشقر:

«ذهب فريق من الفلاسفة إلى أن الروح غير مخلوقة بل هي قديمة أزلية، ولكنها ليست من ذات الرب، ومقالتهم في الروح هي مقالتهم في العقول والنفوس الملكية، ويزعم من دخل من أهل الملل فيهم أنها هي الملائكة.

وذهب صنف آخر من زنادقة هذه الأمة وضلالها من المتكلمة والمتصوفة والمحدثة إلى أن الروح من ذات اللَّه، وهؤلاء ـ كما يقول ابن تيمية ـ أشرُّ قولاً من أولئك، وهؤلاء جعلوا الآدمي نصفين: نصف لاهوت، وهو روحه، ونصف ناسوت وهو جسده: نصفه رب ونصفه عبد[1].

والحق الذي لا ينبغي أن يخالف فيه أن الروح مخلوقة مبتدعة، ويدل على ذلك أمور:

١ ـ الإجماع:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «روح الآدمي مبدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة، وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة غيرُ واحد من أئمة المسلمين، مثل محمد بن نصر المروزي، الإمام المشهور، الذي هو أعلم أهل زمانه بالإجماع والاختلاف، أو من أعلمهم.

وكذلك أبو محمد بن قتيبة: قال في «كتاب اللقط» لما تكلم على خلق

---

(١) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٤/ ٢٢٢).

الروح، قال: النسم الأرواح، قال: وأجمع الناس أن اللَّه خالق الجثة وبارئ النسمة، أي: الروح.

وقال أبو إسحاق بن شاقلا فيما أجاب به في هذه المسألة: سألت رحمك اللَّه عن الروح مخلوقة أو غير مخلوقة، قال: هذا مما لا يشك فيه من وفق للصواب، . . . إلى أن قال: والروح من الأشياء المخلوقة، وقد تكلم في هذه المسألة طوائف من أكابر العلماء والمشايخ، وردوا على من يزعم أنها غير مخلوقة.

وصنف الحافظ أبو عبد اللَّه بن منده في ذلك كتابًا كبيرًا في (الروح والنفس) وذكر فيه من الأحاديث والآثار شيئًا كثيرًا، وقبله الإمام محمد بن نصر المروزي وغيره، والشيخ أبو يعقوب الخراز، وأبو يعقوب النهرجوري، والقاضي أبو يعلى، وغيرهم، وقد نص على ذلك الأئمة الكبار، واشتد نكيرهم على من يقول ذلك في عيسى بن مريم، لا سيما في روح غيره كما ذكره أحمد في كتابه في «الرد على الزنادقة والجهمية»[(١)] .

٢ ـ الكتاب:

الأدلة من الكتاب الدالة على خلقها كثيرة، مثل قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾، يقول شارح الطحاوية عقب استدلاله بهذه الآية: «فهذا عام لا تخصيص فيه بوجه ما»[(٢)] ، ومن ذلك قول تعالى: ﴿**هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا**﴾، وقوله جل وعلا لزكريا: ﴿**وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا**﴾ [مريم: ٩]، والإنسان اسم لروح الإنسان وبدنه، وخطاب

---

(١) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٤/ ٢١٦).
(٢) «شرح الطحاوية» ص(٤٤٢).

اللَّه لزكريا لروحه وبدنه، يقول ابن تيمية: «الإنسان عبارة عن البدن والروح معا، بل هو بالروح أخص منه بالبدن، وإنما البدن مطية للروح.

٣ - **النصوص الواردة في السنة أن الأرواح تقبض**، وتوضع في كفن وحنوط تأتي بهما الملائكة، ويصعد بها، وتنعم وتعذب، وتمسك في النوم، وترسل، وكل هذا شأن المخلوق المحدث.

٤ - لو لم تكن مخلوقة مربوبة لما أقرت بالربوبية، وقد قال اللَّه للأرواح حين أخذ الميثاق على العباد وهم في عالم الذر ألست بربكم؟ قالوا: بلى، وذلك ما قرره الحق في قوله: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ...**﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وما دام هو ربهم فإنهم مربون مخلوقون.

٥ - لو لم تكن الأرواح مخلوقة فإن النصارى لا لوم عليهم في عبادتهم عيسى، ولا في قولهم إنه ابن اللَّه، أو هو اللَّه.

٦ - لو كانت الروح غير مخلوقة فإنها لا تدخل النار ولا تعذب، ولا تحجب عن اللَّه، ولا تغيب في البدن، ولا يملكها ملك الموت، ولما كانت صورة توصف، ولم تحاسب ولم تعذب، ولم تتعبد ولم تخف، ولم تَرج، ولأن أرواح المؤمنين تتلألأ، وأرواح الكفار سود مثل الفحم[1].

* أنواع النفوس:

أخبر الحق تعالى عن ثلاثة أنواع: النفس الأمّارة، والنفس المطمئنة، والنفس اللوامة، وليس المراد أن لكل إنسان ثلاثة نفوس، وإنما المراد أن هذه

---

(١) الأدلة الثلاثة الأخيرة استدل بها أبو سعيد الخراز، أحد أكابر المشايخ الأئمة من أقران الجنيد فيما نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية، انظر: «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٢٠).

صفات وأحوال لذات واحدة.

وقال شارح الطحاوية بعد أن ذكر أنواع النفوس: «والتحقيق: أنها نفس واحدة، لها صفات، فهي أمارة بالسوء، فإذا عارضها الإيمان صارت لوامة، تفعل الذنب ثم تلوم صاحبها، وتلوم بين الفعل والترك، فإذا قوي الإيمان صارت مطمئنة»[1].

* بحث لابن القيم نفيس في موت النفوس:

● قال الإمام ابن القيم:

«المسألة الرابعة: أن الروح هل تموت أم الموت للبدن وحده؟

فقد اختلف الناس في هذا فقالت طائفة: تموت الروح وتذوق الموت؛ لأنها نفس وكل نفس ذائقة الموت، قالوا: وقد دلت الأدلة على أنه لا يبقى إلا اللَّه وحده قال تعالى: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧]، وقال تعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾ [القصص: ٨٨]، قالوا: وإذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية أولى بالموت. قالوا: وقد قال تعالى عن أهل النار أنهم قالوا: ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين. فالموتة الأولى هذه المشهودة وهي للبدن والأخرى للروح، وقال آخرون: لا تموت الأرواح فإنها خلقت للبقاء وإنما تموت الأبدان، قالوا: وقد دلت على هذا الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها اللَّه في أجسادها، ولو ماتت الأرواح لانقطع عنها النعيم والعذاب، وقد قال تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ [آل عمران: ١٦٩].

---

(١) «شرح الطحاوية» ص(٤٤٥).

هذا مع القطع بأن أرواحهم قد فارقت أجسادهم وقد ذاقت الموت.

والصواب أن يقال: موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها. فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت. وإن أريد أنها تعدم وتضمحل وتصير عدمًا محضًا فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب، كما سيأتي إن شاء اللَّه تعالى بعد هذا، وكما صرح به النص أنها كذلك حتى يردها اللَّه في جسدها.

وقد نظم أحمد بن الحسين الكندي هذا الاختلاف في قوله:

تنازع الناس حتى لا اتفاق لهم ... إلا على شجب والخلف في الشجب

فقيل تخلص نفس المرء سالمة ... وقيل تشرك جسم المرء في العطب»[(١)]

● ثم قال شيخ الإسلام ابن القيم:

فإن قيل: فعند النفخ في الصور هل تبقى الأرواح حية كما هي أو تموت ثم تحيى؟ قيل: قد قال تعالى: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ**﴾ [الزمر: ٦٨].

فقد استثنى اللَّه سبحانه بعض من في السماوات ومن في الأرض من هذا الصعق، فقيل: هم الشهداء، هذا قول أبي هريرة وابن عباس وسعيد بن جبير، وقيل: هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وهذا قول مقاتل وغيره، وقيل هم الذين في الجنة من الحور العين وغيرهم، ومن في النار من أهل العذاب وخزنتها. قاله أبو إسحاق بن شاقلا من أصحابنا.

وقد نص الإمام أحمد على أن الحور العين والولدان لا يمتن عند النفخ في الصور، وقد أخبر سبحانه أن أهل الجنة لا يذوقون الموت فيها إلا الموتة الأولى،

---

(١) «الروح» ص(٤٥ ـ ٤٦)، وانظر: «شرح الطحاوية» ص(٤٤٦).

وهذا نص على أنهم لا يموتون غير تلك الموتة الأولى، فلو ماتوا مرة ثانية لكانت موتتان، وأما قول أهل النار: ﴿**رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ**﴾ [غافر: ١١]، فتفسير هذه الآية التي في البقرة وهي قوله تعالى: ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ**﴾ [البقرة: ٢٨].

فكانوا أمواتًا وهم نطف في أصلاب آبائهم وفي أرحام أمهاتهم ثم أحياهم بعد ذلك ثم أماتهم ثم يحييهم يوم النشور، وليس في ذلك إماتة أرواحهم قبل يوم القيامة، وإلا كانت ثلاث موتات، وصعق الأرواح عند النفخ في الصور ولا يلزم منه موتها»[1] .

● ثم يقول ـ رحمه اللَّه ـ:

ففي الحديث الصحيح: «**إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق، فإذا موسى آخذ بقائمة العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة يوم الطور**» فهذا صعق في موقف القيامة إذا جاء اللَّه لفصل القضاء وأشرقت الأرض بنوره، فحينئذ تصعق الخلائق كلهم قال تعالى: ﴿**فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ**﴾ [الطور: ٤٥].

ولو كان هذا الصعق موتًا لكانت موتة أخرى، وقد تنبه لهذا جماعة من الفضلاء فقال أبو عبد اللَّه القرطبي: ظاهر هذا الحديث أن هذه صعقة غشي تكون يوم القيامة لا صعقة الموت الحادثة عن نفخ الصور.

قال: وقد قال شيخنا أحمد بن عمرو: ظاهر حديث النبي صلى اللَّه عليه

---

(١) وقول ابن القيم هذا هو قول عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه وهو الراجح، وهو قول الجمهور، وتفسير آية غافر هو تفسير آية البقرة (٢٨).

وآله وسلم يدل على أن هذه الصعقة إنما هي بعد النفخة الثانية، نفخة البعث ونص القرآن يقتضي أن ذلك الاستثناء، إنما هو بعد نفخة الصعق، ولما كان هذا قال بعض العلماء: يحتمل أن يكون موسى ممن لم يمت من الأنبياء وهذا باطل.

وقال القاضي عياض: يحتمل أن يكون المراد بهذه صعقة فزع بعد النشور حين تنشق السماوات والأرض قال: فتستقل الأحاديث والآثار. ورد عليه أبو العباس القرطبي فقال: يرد هذا قوله في الحديث الصحيح إنه حين يخرج من قبره يلقى موسى آخذًا بقائمة العرش. قال: وهذا إنما هو عند نفخة الفزع.

قال أبو عبد اللَّه: وقال شيخنا أحمد بن عمرو: والذي يزيح هذا الإشكال إن شاء اللَّه أن الموت ليس بعدم محض، وإنما انتقال من حال إلى حال، ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين، وهذه صفة الأحياء في الدنيا»[1].

• لطيفة:

«هناك أشياء لا يشملها حكم الفناء منها:

١ ـ الروح، فالروح لا تفنى.
٢ ـ الولدان المخلدون.
٣ ـ الحور العين.
٤ ـ خزان النار وخزنة الجنة.
٥ ـ العرش.
٦ ـ الكرسي.
٧ ـ الجنة.
٨ ـ النار.
٩ ـ اللوح.
١٠ ـ القلم.

(١) «الروح» لابن القيم ص(٤٥ ـ ٤٨).

١١ ـ عَجْب الذنب من الإنسان فمنها يركب الخلق يوم القيامة كما جاء في الحديث الصحيح.

١٢ ـ أجساد الأنبياء، جاء في «شرح النونية الكافية الشافية» (١/ ٩٧).

ثمانية حكم البقاء يعمّها ... من الخلق والباقون في حيّز العدم

هي العرش والكرسي ونار وجنة ... وشجب[1] وأرواح كذا الروح والقلم

● وقال الإمام ابن القيم في النونية:

«والعرش والكرسي لا يفنيهما ... أيضًا وأنهما لمخلوقان

والحور لا تفنى كذلك جنة الـ ... مأوى وما فيها من الولدان

ولأجل هذا قال جهم إنها ... عدم ولم تخلق إلى ذا الآن

والأنبياء فإنهم تحت الثرى ... أجسامهم حفظت من الديدان

ما للبلى بلحومهم وجسومهم ... أبدًا وهم تحت التراب يدان

وكذا عجب الظهر لا يبلى ... بلى منه تركب خلقة الإنسان»[2]

مستقرّ الأرواح في البرزخ

● قال ابن القيم:

«وأما المسألة الخامسة عشرة وهي أين مستقر الأرواح ما بين الموت إلى يوم القيامة؟ هل هي في السماء أم في الأرض؟ وهل هي في الجنة والنار أم لا؟ وهل تودع في أجساد غير أجسادها التي كانت فيها فتنعم وتعذب فيها أم تكون مجردة؟.

---

(١) الشَجب: الهلاك والحزن.

(٢) «النونية الكافية الشافية» لابن القيم (١/ ٩٥، ٩٦) شرح ابن عيسى.

فهذه مسألة عظيمة تكلم فيها الناس واختلفوا فيها، وهي إنما تتلقى من السمع فقط، واختلف في ذلك:

● فقال قائلون: أرواح المؤمنين عند اللَّه شهداء كانوا أم غير شهداء، إذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دين، وتلقاهم ربهم بالعفو عنهم والرحمة لهم، وهذا مذهب أبي هريرة وعبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهم.

● وقالت طائفة: هم بفناء الجنة على بابها يأتيهم من روحها ونعيمها ورزقها.

● وقالت طائفة: الأرواح على أفنية قبورها.

● وقال مالك: بلغني أن الروح مرسلة تذهب حيث شاءت.

وقال الإمام أحمد في رواية ابنه عبد اللَّه: أرواح الكفار في النار. وأرواح المؤمنين في الجنة.

وقال أبو عبد اللَّه بن منده: وقال طائفة من الصحابة والتابعين: أرواح المؤمنين عند اللَّه عز وجل، ولم يزيدوا على ذلك. قال: وروي عن جماعة من الصحابة والتابعين أن أرواح المؤمنين بالجابية وأرواح الكفار ببرهوت بئر بحضرموت.

وقال صفوان بن عمرو: سألت عامر بن عبد اللَّه أبا اليمان: هل لأنفس المؤمنين مجتمع؟ فقال: إن الأرض التي يقول اللَّه تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٥]. قال: هي الأرض التي يجتمع إليها أرواح المؤمنين حتى يكون البعث، وقالوا: هي الأرض التي يورثها اللَّه المؤمنين في الدنيا.

● وقال كعب: أرواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة. وأرواح

الكفار في سجين في الأرض السابعة تحت خد إبليس.

● وقالت طائفة: أرواح المؤمنين ببئر زمزم، وأرواح الكفار ببئر برهوت.

● وقال سلمان الفارسي: أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت، وأرواح الكفار في سجين. وفي لفظ عنه: «نسمة المؤمنين تذهب في الأرض حيث شاءت».

وقالت طائفة: أرواح المؤمنين عن يمين آدم وأرواح الكفار عن شماله.

● وقالت طائفة أخرى، منهم ابن حزم: مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها. قال: والذي نقول به في مستقر الأرواح هو ما قاله عز وجل ونبيه صلى اللَّه عليه وآله وسلم لا نتعداه، فهو البرهان الواضح، وهو أن اللَّه عز وجل قال: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ**﴾ [الأعراف: ١١] فصح أن اللَّه تعالى خلق الأرواح جملة وكذلك أخبر صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «**أن الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**»، وأخذ اللَّه عهدها وشهادتها بالربوبية وهي مخلوقة مصورة عاقلة، قبل أن يأمر الملائكة بالسجود لآدم، وقبل أن يدخلها في الأجساد، والأجساد يومئذ تراب وماء، ثم أقرها حيث شاء وهو البرزخ الذي ترجع إليه عند الموت، ثم لا يزال يبعث منها الجملة بعد الجملة فينفخها في الأجساد المتولدة من المني، إلى أن قال: فصح أن الأرواح أجساد حاملة لأعراضها من التعارف والتناكر، وأنها عارفة مميزة فيبلوهم اللَّه في الدنيا كما يشاء، ثم يتوفاها فترجع إلى البرزخ الذي رآها فيه رسول اللَّه صلى اللَّه

عليه وآله وسلم ليلة أسري به، عند سماع الدنيا أرواح أهل السعادة عن يمين آدم وأرواح أهل الشقاوة عن يساره، وذلك عند منقطع العناصر ويعجل أرواح الأنبياء والشهداء إلى الجنة.

وقال: وقد ذكر محمد بن نصر المروزي، عن إسحاق بن راهويه أنه ذكر هذا الذي قلنا بعينه. قال: وعلى هذا أجمع أهل العلم. قال ابن حزم ـ وهو قول جميع أهل الإسلام ـ قال: وهذا هو قول اللَّه تعالى: ﴿**فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ** ﴿٨﴾ **وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ** ﴿٩﴾ **وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ** ﴿١٠﴾ **أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ** ﴿١١﴾ **فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ** ﴿١٢﴾ **ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ** ﴿١٣﴾ **وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ**﴾ [الواقعة: ٨ ـ ١٤] ، وقوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ** ﴿٨٨﴾ **فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ**﴾ [الواقعة: ٨٨ ـ ٨٩] إلى آخرها.

فلا تزال الأرواح هنالك؛ حتى يتم عدد الأرواح كلها بنفخها في الأجساد، ثم برجوعها إلى البرزخ، فتقوم الساعة ويعيد اللَّه عز وجل الأرواح إلى أجسادها ثانية، وهي الحياة الثانية ويحاسب الخلق فريق في الجنة وفريق في السعير مخلدين أبدًا، انتهى.

● وقال أبو عمر بن عبد البر: أرواح الشهداء في الجنة وأرواح عامة المؤمنين على أفنية قبورهم.

● قول من قال: الأرواح على أفنية قبورها.

فإن أراد أن هذا أمر لازم لها لا تفارق أفنية القبور أبدًا، فهذا خطأ ترده نصوص الكتاب والسنة من وجوه كثيرة، قد ذكرنا بعضها وسنذكر منها ما لم نذكره إن شاء اللَّه، وإن أراد أنها تكون على أفنية القبور وقتًا أو لها إشراف على قبورها وهي في مقرها فهذا حق، ولكن لا يقال مستقرها أفنية القبور.

وقد ذهب إلى هذا المذهب جماعة منهم أبو عمر بن عبد البر قال في كتابه في شرح حديث ابن عمر: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعد، بالغداة والعشي» وقد استدل به من ذهب إلى أن الأرواح على أفنية القبور، وهو أصح ما ذهب إليه في ذلك من طريق الأثر. ألا ترى أن الأحاديث الدالة على ذلك ثابتة متواترة، وكذلك أحاديث السلام على القبور.

● قال ابن القيم:

«هذا القول ترده السنة الصحيحة والآثار التي لا مدفع لها، وقد تقدم ذكرها وكل ما ذكره من الأدلة فهو يتناول الأرواح التي هي في الجنة بالنص. وفي الرفيق الأعلى وقد بينا أن عرض مقعد الميت عليه من الجنة أو النار لا يدل على أن الروح في القبر، ولا على فنائه دائمًا من جميع الوجوه، بل لها إشراف واتصال بالقبر وفنائه وذلك القدر منها يعرض عليه مقعده، فإن للروح شأنًا آخر تكون في الرفيق الأعلى في أعلى عليين، ولها اتصال بالبدن بحيث إذا سلم المسلم على الميت رد اللَّه عليه روحه فيرد عليه السلام، وهي في الملأ الأعلى، وإنما يغلط أكثر الناس في هذا الموضع، حيث يعتقد أن الروح من جنس ما يعهد من الأجسام التي إذا شغلت مكانًا لم يمكن أن تكون في غيره، وهذا غلط محض بل الروح تكون فوق السماوات في أعلى عليين، وترد إلى القبر فترد السلام وتعلم بالمسلِّم، وهي في مكانها هناك وروح رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم في الرفيق الأعلى دائمًا، ويردها اللَّه سبحانه إلى القبر فترد السلام على من سلم عليه، وتسمع كلامه، وقد رأى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم موسى قائمًا يصلي في قبره ورآه في السماء السادسة أو السابعة، فإما أن تكون سريعة الحركة والانتقال كلمح البصر، وإما أن يكون المتصل منها بالقبر وفنائه بمنزلة شعاع الشمس وجرمها في السماء.

● وقال مجاهد: الأرواح على أفنية القبور سبعة أيام من يوم دفن الميت لا تفارق ذلك. والله أعلم.

● وقالت فرقة مستقرها العدم المحض، وهذا قول من يقول: إن النفس عرض من أعراض البدن. كحياته وإدراكه فتعدم بموت البدن، كما تعدم سائر الأعراض المشروطة بحياته، وهذا قول مخالف لنصوص القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين.

والمقصود: أن عند هذه الفرقة المبطلة أن مستقر الأرواح بعد الموت العدم المحض.

● وقالت فرقة: مستقرها بعد الموت أرواح أخر تناسب أخلاقها وصفاتها التي اكتسبتها في حال حياتها، فتصير كل روح إلى بدن حيوان يشاكل تلك الأرواح، فتصير النفس السبعية إلى أبدان السباع، والكلبية إلى أبدان الكلاب، والبهيمية إلى أبدان البهائم، والدنية والسفلية إلى أبدان الحشرات، وهذا قول المناسخة منكري المعاد، وهو قول خارج عن أقوال أهل الإسلام كلهم. فهذا ما تلخص لي من جمع أقوال الناس في مصير أرواحهم بعد الموت، ولا تظفر به مجموعًا في كتاب واحد، غير هذا ألبتة.

● وأما قول مجاهد ليست هي في الجنة، ولكن يأكلون ثمارها ويجدون ريحها، فقد يحتج لهذا القول بما رواه الإمام أحمد في «مسنده» من حديث ابن إسحاق عن عاصم بن عمرو، عن محمود بن لبيد، عن ابن عباس قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «**الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية**»، وهذا لا ينافي كونهم في الجنة، فإن ذلك النهر من الجنة ورزقهم يخرج عليهم من الجنة، فهم في الجنة، وإن لم يصيروا إلى مقاعدهم منها، فمجاهد نفى الدخول الكامل من

كل وجه والتعبير يقصر عن الإحاطة بتمييز هذا من هذا وأكمل العبارة وأدلها على المراد عبارة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم ثم عبارة أصحابه، وكلما علوت رأيت الشفاء والهدى والنور، وكلما نزلت رأيت الحيرة والدعاوى والقول بلا علم.

* الرأي الراجح:

بعد عرض ما سبق يترجح لنا أن الأرواح في البرزخ متفاوتة أعظم تفاوت.

● **أولاً: أرواح الأنبياء**، وهذه تكون في خير المنازل في أعلى عليين، في الرفيق الأعلى، وقد سمعت السيدة عائشة الرسول ﷺ في آخر لحظات حياته يقول: «**اللَّهم الرفيق الأعلى**»[1] ، وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي ﷺ ليلة الإسراء. وهذا قول ابن القيم وشارح الطحاوية.

قال ابن رجب: في «أهوال القبور» ص(١٢٤):

«أما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فليس فيهم شك أن أرواحهم عند اللَّه في أعلى عليين».

●**ثانيًا: أواح الشهداء**، وهؤلاء أحياء عند ربهم يرزقون، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وقد سأل مسروق عبد اللَّه بن مسعود عن هذه الآية، فقال: «إنا قد سألنا رسول اللَّه ﷺ عن ذلك، فقال: «**أرواحهم في أجواف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم**

(١) «صحيح البخاري» كتاب الرقاق: باب من أحب لقاء اللَّه، «فتح الباري» (١١/ ٣٥٧).

تأوي إلى تلك القناديل» رواه مسلم في صحيحه[١] عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لما أصيب إخوانكم بأحد جعل اللَّه أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب، معلقة في ظل العرش، فلمّا وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا: من يبلغ عنا إخواننا أنّا أحياء في الجنة نرزق، لئلا ينكلوا عن الحرب، ولا يزهدوا في الجهاد، قال: فقال اللَّه عز وجل: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل اللَّه تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾** [آل عمران: ١٦٩][٢].

وفي «صحيح البخاري» عن أنس رضي الله عنه، قال: أصيب حارثة يوم بدر ـ وهو غلام ـ، فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول اللَّه قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة صبرت واحتسبت، وإن تكن الأخرى ترى ما أصنع؟ قال: «**ويحك أو هبلت؟ جنة واحدة هي؟ إنها جنان كثيرة، وإنه في جنة الفردوس**»[٣].

وخرّج الترمذي، والحاكم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**رأيت في الجنة جعفر يطير مع الملائكة**»[٤].

---

(١) رواه مسلم رقم (١٨٨٧) في الإمارة: باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، والترمذي رقم (٣٠١٤ و٣٠١٥) في التفسير: باب ومن سورة آل عمران.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٦٦)، وأبو داود رقم (٢٥٢٠) في الجهاد: باب ما جاء في فضل الشهادة، وصححه الحاكم (٢/ ٨٨)، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

(٣) البخاري رقم (٢٨٠٩) في الجهاد: باب من أتاه سهم غرب فقتله، ورقم (٣٩٨٢) في المغازي: باب فضل من شهد بدرًا ورقم (٦٥٥٠ و٦٥٦٧) في الرقاق: باب صفة الجنة والنار، والترمذي رقم (٣١٧٣) في «التفسير»: باب ومن سورة المؤمنين.

(٤) رواه الترمذي رقم (٣٧٦٧) في المناقب: باب مناقب جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وفي سنده عبد اللَّه بن جعفر بن نجيح السعدي، وهو ضعيف، وصححه الحاكم (٣/ ٢٠٩). قال الحافظ في «الفتح» (٧/ ٧٦): وله شاهد من حديث علي عند ابن سعد، وقال: أخرجه =

وقال ﷺ: كان رسول اللَّه ﷺ تعجبه الرؤيا الحسنة، فكان فيما يقول: «**هل رأى أحد منكم رؤيا؟**»، فإذا رأى الرجل الذي لا يعرفه الرؤيا، سأل عنه، فإن أخبر عنه بمعروف كان أعجب لرؤياه. قال: فجاءت امرأة فقالت: يا رسول اللَّه رأيت في المنام كأني خرجت فأدخلت الجنة، فسمعت وجبة ارتجت لها الجنة، فإذا أنا بفلان وفلان، حتى عدَّت اثني عشر رجلاً - وبعث رسول اللَّه ﷺ سريَّة قبل ذلك، فجيء بهم عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم. فقال: اذهبوا بهم إلى نهر البرزخ، فغمسوا فيه، فأخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر، وأتوا بكراسي من ذهب فأقعدوا عليها، وجيء بصفحة من ذهب فيها بسرة، فأكلوا من بسره ما شاؤوا، فما يقلبونها لوجه إلا أكلوا من فاكهة ما شاؤوا، قالت: وأكلتُ معهم. قال: فجاء البشير من تلك السرية، فقال: يا رسول اللَّه! كان كذا وكذا، وأصيب فلان وفلان حتى عد اثني عشر رجلاً، فقال: عليّ بالمرأة، فقال: «**قصِّي رؤياك على هذا**». فقال الرجل: هو كما قالت، أصيب فلان وفلان»[1] وهذا كله للشهيد الذي يُقتل في سبيل اللَّه في القتال. وهذه أرواح بعض الشهداء لا كل الشهداء؛ لأن منهم من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه، كما في «المسند» عن عبد اللَّه بن جحش أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، ما لي إن قتلت في سبيل اللَّه؟ قال: «**الجنّة**»، فلما ولّى: قال: «**إلا الدين، سارني به جبريل آنفًا**»[2].

= الطبراني بإسناد حسن أن رسول اللَّه ﷺ قال لعبد اللَّه بن جعفر بن أبي طالب: «هنيئًا لك أبوك يطير مع الملائكة في السماء».

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٣٥و ٢٥٧)، وأبو يعلى (٦/ ٤)، وابن أبي الدنيا في «المنامات» ص(١٧٦) رقم (٣١١)، قال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٧٦): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٣٥٠)، وقال الشيخ ناصر الدين الألباني في «تعليقه على شرح الطحاوية» ص(٤٤٥): صحيح.

● **الثالث: أرواح المؤمنين الصالحين**: تكون طيوراً تعلق شجر الجنة، ففي الحديث الذي يرويه عبد الرحمن بن كعب بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**إنما نسمة المسلم طير يعلق في شجر الجنة، حتى يرجعها الله إلى جسده إلى يوم القيامة**» رواه أحمد[1].

● قال ابن القيم ص(٩٠):

قال قائلون: أرواح المؤمنين عند الله تعالى في الجنة، شهداء كانوا أم غير شهداء، إذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دَيْن ويلقاهم ربهم بالعفو عنهم، وهذا مذهب أبي هريرة وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم.

● وقال الألباني في التعليق على «الآيات البينات» ص(٩٩) عند ذكر كلام ابن القيم:

قلت: وهو الصحيح من الأقوال الآتية؛ لأن غيره مما لا دليل عليه في السنة، أو في أثر صحيح تقوم به الحجة كما سترى، وهو الذي جزم به شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» (٢٤/ ٣٦٥) وقال: «ومع ذلك فتتصل بالبدن متى شاء الله، وذلك في اللحظة، بمنزلة نزول الملك، وظهور الشعاع في الأرض، وانتباه النائم».

وللحافظ ابن رجب تفصيل جيد في ذلك، في كتابه «الأهوال» (ق ٩٥ ـ ٣/ ١١٣)، ولولا خشية الإطالة لنقلته برمته، فاكتفيت بالإشارة.

---

(١) قال الحافظ ابن كثير: إسناده عزيز عظيم، وصححه ابن رجب في «أهوال القبور»، وهو مسلسل بالأئمة أحمد عن الشافعي عن مالك، وأورده الشيخ ناصر الدين الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢/ ٧٣٠/ ح ٩٩٥)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ورواه ابن ماجه في «سننه»، ومالك في «موطئه»، والنسائي بلفظ: «**إن أرواح المؤمنين في أجواف طير خضر، تعلق بشجر الجنة**».

والفرق بين أرواح المؤمنين وأرواح الشهداء، أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح متنقلة في رياض الجنة، وتأوي إلى قناديل معلقة في العرش، أما أرواح المؤمنين فإنها في أجواف طير يعلق ثمر الجنة ولا ينتقل في أرجائها. وكون أرواح المؤمنين طيرًا يعلق شجر الجنة لا يشكل عليه الحديث الآخر الذي يرويه أبو هريرة عن الرسول ﷺ، وفيه أن الملائكة تقبض روح العبد المؤمن، وترقى به إلى السماء، فتقول الملائكة: «**ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض، فيأتون به أرواح المؤمنين، فلهم أشدُّ فرحًا من أحدكم بغائبه يقدم عليه، فيسألونه: ماذا فعل فلان؟ ماذا فعل فلان؟ فيقولون: دعوه، فإنه كان في غم الدنيا، فيقول: قد مات، أما أتاكم؟ قالوا: ذهب به إلى أمه الهاوية**»[1]، فإن روح المؤمن تلتقي بأرواح المؤمنين في الجنّة.

● قال الإمام ابن القيم في كتابه «الروح» ص(١٣٢) منبهًا على فضل الشهادة وعلو درجتها:

«نصيبهم - أي الشهداء من هذا النعيم في البرزخ أكمل من نصيب غيرهم من الأموات على فرشهم، وإن كان الميت على فراشه أعلى درجة منهم، فله نعيم يختص به ولا يشاركه فيه من هو دونه، ويدل على هذا أن اللَّه سبحانه جعل أرواح الشهداء في أجواف طير خضر، فإنهم بذلوا أنفسهم للَّه حتى أتلفها أعداؤه فيه أعاضهم منها في البرزخ أبدانًا خيرًا منها تكون فيها إلى يوم القيامة، ويكون نعيمها بواسطة تلك الأبدان أكمل من نعيم الأرواح المجردة عنها، ولهذا كانت نسمة المؤمن في صورة طير أو كطير، ونسمة الشهيد في جوف طير، وتأمل لفظ الحديثين فإنه قال: «**نسمة المؤمن طير**» فهذا يعم الشهيد

---

(١) رواه النسائي، كتاب الجنائز: باب ما يلقى المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه (٤/٨).

وغيره، ثم خص الشهيد بأن قال: «**في جوف طير**»، ومعلوم أنها إذا كانت في جوف طير صدق عليها أنها طير، فصلوات اللَّه وسلامة على من يصدق كلامه بعضه بعضًا، ويدل على أنه حق من عند اللَّه، وهذا الجمع أحسن من جمع أبي عمر وترجيحه رواية من روى أرواحهم، كطير خضر، بل الروايتان حق وصواب، فهي كطير خضر وفي أجواف طير خضر».

● قال ابن القيم في «الروح» ص(١٣٠ ـ ١٣١):

«نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة» يتناول الشهيد وغيره ومع كونه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، ترد روحه أنهار الجنة وتأكل من ثمارها. وأما المقعد الخاص به والبيت الذي أعد له، فإنه إنما يدخله يوم القيامة ويدل عليه أن منازل الشهداء ودورهم وقصورهم التي أعد اللَّه لهم ليست هي تلك القناديل التي تأوي إليها أرواحهم في البرزخ قطعًا، فهم يرون منازلهم ومقاعدهم من الجنة، ويكون مستقرهم في تلك القناديل المعلقة بالعرش، فإن الدخول التام الكامل إنما يكون يوم القيامة، ودخول الأرواح الجنة في البرزخ أمر دون ذلك.

ونظير هذا أهل الشقاء تعرض أرواحهم على النار غدوًا وعشيًّا، فإذا كان يوم القيامة دخلوا منازلهم ومقاعدهم، التي كانوا يعرضون عليها في البرزخ فتنعم الأرواح بالجنة في البرزخ شيء، وتنعمها مع الأبدان بها يوم القيامة شيء آخر، فغذاء الروح من الجنة في البرزخ دون غذائها مع بدنها يوم البعث. ولهذا قال: تعلق في شجر الجنة، أي تأكل العلقة، وتمام الأكل والشرب واللبس والتمتع فإنما يكون إذا ردت إلى أجسادها يوم القيامة، فظهر أنه لا يعارض هذا القول من السنن شيء، وإنما تعاضده السنة وتوافقه.

«وأما النصوص والآثار التي ذكرت في رزق الشهداء وكون أرواحهم في الجنة، فكلها حق، وهي لا تدل على انتفاء دخول أرواح المؤمنين الجنة، ولا

سيما الصديقين الذين هم أفضل من الشهداء بلا نزاع بين الناس، فيقال لهؤلاء: ما تقولون في أرواح الصديقين هل هي في الجنة أم لا؟ فإن قالوا: إنها في الجنة ولا يسوغ لهم غير هذا القول، فثبت أن هذه النصوص لا تدل على اختصاص أرواح الشهداء بذلك».

● قال الإمام ابن رجب الحنبلي في بحثه الطيب في «أهوال القبور» ص(١٦٥):

«والفرق بين حياة الشهداء وغيرهم من المؤمنين الذين أرواحهم في الجنة من وجهين:

أحدهما: أن أرواح الشهداء تخلق لها أجساد، وهي الطير التي تكون في حواصلها، ليكمل بذلك نعيمها، ويكون أكمل من نعيم الأرواح المجردة عن الأجساد، فإن الشهداء بذلوا أجسادهم للقتل في سبيل اللَّه، فعوضوا عنها بهذه الأجساد في البرزخ.

والثاني: أنهم يرزقون في الجنة، وغيرهم لم يثبت له في حقه مثل ذلك، فإنه جاء أنهم يعلقون في شجر الجنة. وروي يعلقون بفتح اللام وضمها، فقيل: إنهما بمعنى وأنَّ المراد الأكل من الشجر. قال ابن عبد البر. وقيل: بل رواية الضم معناها الأكل، ورواية الفتح معناها التعلق. وهو التستر. وبكل حال فلا يلزم مساواتهم للشهداء في كمال تنعمهم بالأكل، واللَّه أعلم».

● **تنبيه هام**: أجاد العلاّمة ابن رجب في بحثه الطيب في مقر الأرواح في البرزخ عندما تكلم عن غير الشهداء من المؤمنين وقسمهم إلى قسمين:

أ ـ غير مكلفين. ب ـ مكلفين.

وعند حديثه على المكلفين نقل المنصوص عن أحمد: أن أرواح المؤمنين في الجنة...».

* أطفال المؤمنين في الجنة حكى الإمام أحمد الإجماع على ذلك:

● قال الإمام ابن رجب الحنبلي في «أهوال القبور» (١٣٢ ـ ١٣٧):

«بقيّة المؤمنين سوى الشهداء ينقسمون إلى: أهل تكليف، وغير أهل تكليف، فهذان قسمان.

أحدهما: غير أهل التكليف: كأطفال المؤمنين.

فالجمهور على أنهم في الجنة. وقد حكى الإمام أحمد الإجماع على ذلك.

وقال ـ في رواية جعفر بن محمد ـ: ليس فيهم اختلاف، يعني: أنهم في الجنة.

وقال ـ في رواية الميموني ـ: لا أحد يشكّ أنهم في الجنة.

وذكر الخلال، من طريق حنبل، عن أحمد، قال: نحن نقر بأن الجنة قد خلقت، ونؤمن بها والجنة والنار مخلوقتان، قال اللَّه عز وجل: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا**﴾ [غافر: ٤٦]، لآل فرعون، وقال: أرواح ذراري المسلمين، في أجواف طير خضر، تسرح في الجنة، يكفلهم أبوهم إبراهيم، فيدل هذا على أنهما قد خلقتا.

وكذلك نص الشافعي على أن أطفال المسلمين في الجنة.

وجاء صريحًا عن السلف على أن أرواحهم في الجنة ويدل على صحة ذلك ما في «صحيح مسلم» عن أنس قال: لما توفي إبراهيم عليه السلام، قال النبي ﷺ: « **إن إبراهيم ابني، وإنه مات في الشدي، وإن له لظِئْرَيْن فيكملان**

رضاعه في الجنة»[(١)] . وخرج ابن ماجه نحوه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ذراري المؤمنين يكفلهم إبراهيم عليه السلام في الجنة»[(٢)] .

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «أولاد المسلمين في جبل في الجنة، يكفلهم إبراهيم وسارة ـ عليهما السلام ـ فإذا كان يوم القيامة دُفِعوا إلى آبائهم»[(٣)] .

وعند البخاري: عن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ أنه رأى في منامه جبرائيل وميكائيل أتياه فانطلقا به، وذكر حديثًا طويلاً، وفيه: «فإذا روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وإذا شيخ في أصلها حوله صبيان، فصعدا بي الشجرة وأدخلاني داراً لم أر قط أحسن منها، فإذا فيها رجال وشيوخ وشباب وفيها نساء وصبيان»، وذكر الحديث وفيه: «قالا: فأما الشيخ الذي رأيت في أصل الشجرة فذاك إبراهيم وأما الصبيان الذي رأيت حوله فأولاد الناس»، وفي رواية: «فكل مولود مات على الفطرة، وأما الدار التي دخلت أولاً فدار عامة المؤمنين، وأما الدار الأخرى فدار عامة الشهداء»[(٤)] .

---

(١) مسلم رقم (٢٣١٦) في الفضائل: باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه، من حديث أنس رضي الله عنه، وابن ماجه رقم (١٥١١)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وأحمد (٤/ ٢٨٤ و٢٨٥ و٢٩١ و٣٠٠ و٣٠٢ و٣٠٤) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما. ورواه أيضًا البخاري رقم (١٣٨٢) و(٣٢٥٥) و(٦١٩٥) من حديث البراء.

(٢) ابن حبان رقم (١٨٢٦) «موارد»، والحاكم (٢/ ٣٧٠)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٢٦)، وهو حديث حسن «الأحاديث الصحيحة» رقم (٦١٣).

(٣) صححه الحاكم (١/ ٣٨٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٤) البخاري رقم (٨٤٥) و(٤٧ ـ ٢٧) في التعبير: باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، وفي =

● وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «**بينا أنا نائم انطلق بي إلى جبل وعر**»، فذكر الحديث، وفيه: «**ثم انطلق بي حتى أشرفت على غلمان يلعبون بين نهرين، قلت: من هؤلاء؟ قال: ذراري المؤمنين يحضنهم أبوهم إبراهيم عليه السلام، ثم انطلق بي حتى أشرفت على ثلاثة نفر، قلت: من هؤلاء؟ قال: إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وهم ينتظرونك**»[1] .

وذهبت طائفة إلى أنه يشهد لأطفال المؤمنين عمومًا أنهم في الجنة ولا يشهد لآحادهم، كما يشهد للمؤمنين عمومًا أنهم في الجنة، ولا يشهد لآحادهم وهو قول إسحاق بن راهويه، نقله عنه إسحاق بن منصور وحرب في مسائلهما. ولعل هذا يرجع إلى الطفل المُعَيَّن لا يُشْهَد لأبيه بالإيمان، فلا يُشْهَد له حينئذ أنه من أطفال المؤمنين، فيكون الوقف في آحادهم كالوقف في إيمان آبائهم.

وحكى ابن عبد البر عن طائفة من السلف القول بالوقف في أطفال المؤمنين، وسمى منهم حماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وابن المبارك، وإسحاق، وهذا بعيد جدًّا. ولعله أخذ ذلك من عمومات كلام لهم، وإنما أرادوا بها أطفال المشركين.

وكذلك اختار القول بالوقف طائفة منهم: الأثرم، والبيهقي، وذكر أنّ ابن عباس رجع إليه. والإمام أحد ذكر أن ابن عباس إنما قال ذلك في أطفال المشركين، وإنما أخذه البيهقي من عموم لفظ رُوي عنه، كما أنه روي في بعض ألفاظ حديث أبي هريرة، أن النبي ﷺ سُئِل عن الأطفال، فقال: «**اللَّه أعلم**

كتب أخرى، ومسلم رقم (٢٢٧٥) في الرؤيا: باب رؤيا النبي ﷺ، والترمذي رقم (٢٢٩٥)، وأحمد (٥/ ٨).

(١) الطبراني في «الكبير»، وصححه الحاكم (٢/ ٢١٠)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

بما كانوا عاملين»[1] - ولكن الحفاظ الثقات ذكروا أنه سئل عن أطفال المشركين.

واستدل القائلون بالوقف، بما أخرجه مسلم، من حديث فضيل بن عمرو، عن عائشة بنت طلحة، عن عائشة أم المؤمنين ﵂، قالت: توفي صبي، فقلت: طوبى له، عصفور من عصافير الجنة. فقال رَسول اللَّه ﷺ: **«أو لا تدرين أن اللَّه خلق الجنة وخلق النار، فخلق لهذه أهلاً، ولهذه أهلاً»**[2].

وخرّجه مسلم - أيضًا -، من طريق طلحة بن يحيى، عن عمّته عائشة بنت طلحة، عن عائشة أم المؤمنين ﵂، قالت: دُعي رسول اللَّه ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار، فقلت: يا رسول اللَّه طوبى لهذا، عصفور من عصافير أهل الجنة، لم يعمل السوء ولم يدركه. قال رسول اللَّه ﷺ: **«أو غير ذلك يا عائشة، إن اللَّه خلق للجنَّة أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم»**[3].

ويعارض هذا ما خرّجه مسلم، من حديث أبي السليل، عن أبي حسان، قال: قلت لأبي هريرة: إنه قد مات لي ابنتان، فما أنت محدثي عن رسول اللَّه ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا، قال: نعم، صغارهم دَعَامِيص أهل الجنة، يتلقى أحدهم أباه - أو قال أبويه - فيأخذ بثوبه، أو قال

---

(١) البخاري رقم (١٣٨٤) في الجنائز: باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم (٦٥٩٨، ٦٦٠٠) في القدر: باب اللَّه أعلم بما كانوا فاعلين، ومسلم رقم (٢٦٥٩) في القدر: باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، والنسائي (٤/ ٥٨) في الجنائز: باب أولاد المشركين.

(٢) مسلم رقم (٢٦٦٢) في القدر: باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، والنسائي (٤/ ٥٧) في الجنائز: باب الصلاة على الصبيان، وأبو داود رقم (٤٧١٣) في السنة: باب في ذراري المشركين، وأحمد (٦/ ٤١ و٢٠٨)، وابن ماجه رقم (٨٢).

(٣) مسلم رقم (٢٦٦٢) (٣٠).

بيده ـ كما آخذ أنا بصَنِفة ثوبك هذا ـ فلا يتباهى أو قال: فلا ينتهي حتى يدخله اللَّه وأباه الجنة»(١).

وفي «الصحيحين» عن أنس ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**ما من الناس مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحِنْث إلا أدخله اللَّه الجنة بفضل رحمته إياهم**»(٢). ولهذا قال الإمام أحمد: «هو يرجى لأبويه، فكيف يُشك فيه. يعني: أنه يرجى لأبويه بسببه دخول الجنة.

ولعل النبي ﷺ نهى أولاً عن الشهادة لأطفال المسلمين بالجنة قبل أن يطلع على ذلك؛ لأن الشهادة على ذلك تحتاج إلى علم به، ثم اطلع على ذلك فأخبر به، واللَّه أعلم.

● **الرابع: أرواح العصاة**: سبق أن أوردت النصوص التي تبين ما يلاقيه العصاة من العذاب، فمن ذلك أن الذي يكذب الكذبة تبلغ الآفاق يعذب بكلوب من حديد يدخل في شدقه حتى يبلغ قفاه، والذي نام على الصلاة المكتوبة يشدخ رأسه بصخرة، والزناة والزواني يعذبون في ثقب مثل التنور ضيق أعلاه وأسفله واسع، توقد النار من تحته، والمرابي يسبح في بحر من دم، وعلى الشط من يلقمه حجارة. وقد ذكرنا الأحاديث التي تتحدث عن عذاب الذي لم يكن يستنزه من بوله، والذي يمشي بالنميمة بين الناس، والذي غلَّ من الغنيمة ونحو ذلك.

---

(١) مسلم رقم (٢٦٣٥) في البر والصلة والآداب: باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه.

(٢) البخاري رقم (١٢٤٨) في الجنائز: باب فضل من مات له ولد فاحتسب، ورقم (١٣٨٢) باب ما قيل في أولاد المسلمين، والنسائي (٤/ ٢٤) في الجنائز: باب ثواب من احتسب ثلاثة من صلبه.

● قال ابن القيم:

«ومنهم من يكون محبوسًا في قبره، كحديث صاحب الشملة التي غلّها ثم استشهد، فقال الناس: هنيئًا له بالجنة، فقال له النبي ﷺ: **«والذي نفسي بيده إن الشملة التي غلّها لتشتعل عليه نارًا في قبره»**[١] .

● قال ابن رجب الحنبلي ص(١٤٦ ـ ١٤٧):

وإنما تدخل أرواح المؤمنين والشهداء الجنة إذا لم يمنع من ذلك مانع، من كبائر تستوجب العقوبة، أو حقوق آدميين حتى يبرأ منها.

● وعن ثوبان عن النبي ﷺ قال: **«من فارق الروحُ الجسد، وهو بريء من ثلاث، دخل الجنة: من الكبر، والغلول، والدَّين»**[٢] .

● **الخامس:**

● قال ابن القيم: «ومنهم: مَن يكون محبوسًا على باب الجنة كما في الحديث الآخر: **«رأيت صاحبكم محبوسًا على باب الجنة»**.

وعن سمرة بن جندب، قال: صلى بنا رسول اللَّه ﷺ فقال: **«ها هنا أحد من بني فلان؟»** ثلاثًا، فلم يجبه أحد، ثم أجابه رجل، فقال: **«إن فلانًا الذي توفي احتبس عن الجنة من أجل الدَّين الذي عليه، فإن شئتم فافتكُّوه، أو فافدوه، وإن شئتم فأسلموه إلى عذاب اللَّه عز وجل»**[٣] .

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، ومالك في «الموطأ»، وأبو داود، والنسائي.

(٢) أحمد في «المسند» (٥/ ٢٨١ و٣٧٦)، والترمذي رقم (١٥٧٢ و١٥٧٣) في السير: باب ما جاء في الغلول، وابن ماجه رقم (٢٤١٢) في الصدقات: باب التشديد في الدين، وهو حديث صحيح. انظر: «المشكاة» رقم (٢٩٢١).

(٣) أبو داود رقم (٣٣٤١) في البيوع: باب في التشديد في الدين، والنسائي (٧/ ٣٢٥) فيه: باب التغليظ في الدين، والحاكم (٢/ ٢٥) وإسناده حسن. انظر: «جامع الأصول» رقم (٢٥٣٣).

● **السادس: من يكون مقرّه باب الجنة:**

● قال ابن القيم في «الروح» ص(١٥٤):

ومنهم: من يكون مقره باب الجنة كما في حديث ابن عباس: «**الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية**» رواه أحمد، وهذا بخلاف جعفر بن أبي طالب حيث أبدله اللَّه من يديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء.

● **السابع: أرواح الكفار:** في حديث أبي هريرة عند النسائي بعد وصف حال المؤمن إلى أن يبلغ مستقره في الجنة، ذكر حال الكافر، وما يلاقيه عند النزع، وبعد أن تقبض روحه «**تخرج منه كأنتن ريح، حتى يأتون به باب الأرض، فيقولون: ما أنتن هذه الريح، حتى يأتون به أرواح الكفار**»[1] .

● قال ابن القيم في كتاب «الروح» ص(١٥٤ ـ ١٥٥):

«ومنهم: من يكون محبوسًا في الأرض لم تعل روحه إلى الملأ الأعلى، فإنها كانت روحًا سفلية أرضية، فإن الأنفس الأرضية لا تجامع الأنفس السماوية، كما لا تجامعها في الدنيا والنفس التي لم تكتسب في الدنيا معرفة ربها ومحبته وذكره والأنس به والتقرب إليه، بل هي أرضية سفلية لا تكون بعد المفارقة لبدنها إلا هناك، كما أن النفس العلوية التي كانت في الدنيا عاكفة على محبة اللّه وذكره والتقرب إليه والأنس به، تكون بعد المفارقة مع الأرواح العلوية المناسبة لها فالمرء مع من أحب في البرزخ ويوم القيامة، واللَّه تعالى يزوج النفوس بعضها ببعض في البرزخ، ويوم المعاد، كما تقدم في الحديث. ويجعل روحه

---

(١) رواه النسائي في «سننه»، كتاب الجنائز: باب ما يلقي المؤمن الكرامة عند خروج نفسه (٨/٤).

ـ يعني المؤمن ـ مع النسيم الطيب، أي: الأرواح الطيبة المشاكلة لروحه، فالروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها وإخوانها وأصحاب عملها، فتكون معهم هناك».

● **الثامن: أطفال المشركين والراجح أنهم في الجنة:**

اختلف العلماء في الأطفال الذين ماتوا وهم صغار.

● قال ابن حجر في «الفتح»:

اختلف العلماء قديمًا وحديثًا في هذه المسألة على أقوال:

أحدها: أنهم في مشيئة اللَّه تعالى، وهو منقول عن الحمادين، وابن المبارك، وإسحاق، ونقله البيهقي عن الشافعي في حق أولاد الكفار خاصة، قال ابن عبد البر، وهو مقتضى صنيع مالك، وليس عنده في هذه المسألة شيء منصوص.

ثانيها: أنهم تبع لآبائهم، فأولاد المسلمين في الجنة وأولاد الكفّار في النار وحكاه ابن حزم عن الأزارق من الخوارج.

ثالثها: أنهم يكونون في برزخ بين الجنة والنار؛ لأنهم لم يعملوا حسنات يدخلون بها الجنة، ولا سيئات يدخلون بها النار.

رابعها: خدم أهل الجنة.

خامسها: أنهم يصيرون ترابًا.

سادسها: هم في النار حكاه عياض عن أحمد، وغلّطه ابن تيمية بأنه قول لبعض أصحابه ولا يُحفظ عن الإمام أصلاً.

سابعها: أنهم يمتحنون في الآخرة بأن ترفع لهم نار، فمن دخلها كانت عليه بردًا وسلامًا، ومن أَبَى عُذِّب. وقد صحّت مسألة الامتحان في حق المجنون ومن مات في الفترة من طرق صحيحة، وحكى البيهقي في «كتاب

الاعتقاد» بأنه المذهب الصحيح.

ثامنها: أنهم في الجنة. قال النووي: **وهو المذهب الصحيح المختار** الذي صار إليه المحققون، لقوله تعالى: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾ وإذا كان لا يعذب العاقل كونه لم تبلغه الدعوة فلأن لا يعذب غير العاقل من باب الأولى - وهو الذي صار إليه البخاري.

- لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**كل مولود يُولد على الفطرة، فأبواه يهوّدناه، أو ينصّرانه، أو يمجّسانه...**»[1] .

- ولحديث سمرة وفيه: «... **والشيخ بأصل الشجرة إبراهيم عليه السلام والصبيان حوله أولاد الناس**»، وقد أخرجه البخاري في التعبير بلفظ: «**وأما الولدان الذين حوله فكل مولود يُولد على الفطرة**». فقال بعض المسلمين: وأولاد المشركين؟ فقال: «**وأولاد المشركين**».

- وروى أحمد من طريق خنساء بنت معاوية بن صريم عن عمتها قالت: «قُلت: يا رسول اللّه مَن في الجنة؟ قال: «**النبي في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود في الجنة**» إسناده حسن.

- وروى أبو يعلى من حديث أنس مرفوعًا: «**سألتُ ربي اللاّهين من ذرية البشر ألاّ يعذبهم فأعطانيهم**» إسناده حسن، وورد تفسير «اللاهين» بأنهم الأطفال من حديث ابن عباس مرفوعًا أخرجه البزّار.

تاسعها: الوقف.

عاشرها: الإمساك وفي الفرق بينهما دقة»[2] .

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه»، كتاب الجنائز: باب ما قيل في أولاد المشركين.

(٢) «فتح الباري» (٣/ ٢٩٠ - ٢٩١).

* قول نفيس للشيخ الدكتور ياسر برهامي للَّه دره:

● قال الشيخ الحبيب في كلامه على حديث سمرة بن جندب في كتابه «حياة القبر» ص(١٠): «وفي هذا الحديث الدليل الواضح لمذهب مَن قال: إن أطفال الكفار الذين يموتون دون البلوغ يموتون على الفطرة، وفي بعض طرق الحديث: «قالوا: يا رسول اللَّه! وأولاد المشركين؟ فقال: «**وأولاد المشركين**». فيكونون في الجنة مع إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهذا القول هو أرجح الأقوال. ولم تثبت الأحاديث الواردة في امتحان الأطفال وكلها روايات ضعيفة، وإنما الصحيح امتحان من لم تبلغه الدعوة والهرم والأصم، والأحمق. وأما الأحاديث الصحيحة في قول النبي ﷺ عنهم: «**اللَّه أعلم بما كانوا عاملين**»، فليس فيه محاسبتهم على ما علم اللَّه أنهم كانوا يفعلونه لو عاشوا بل فيه توقفُ النبي ﷺ وردُّ العلم إلى اللَّه، بل قد ثبت هذا أيضًا في حق أولاد المسلمين في حديث عائشة في «الصحيح» في صبي من صبيان الأنصار.

وقد استفاضت الأدلة على أن أبناء المسلمين في الجنة ولا خلاف فيه عند أهل السنة كما ذكره الإمام أحمد وغيره. وأما حديث: «**الوائدة والموءودة في النار**» فقد فسره العلماء بأن معناه: «الموءودة له» أي: زوجها الذي رضي بذلك وأمر به. وهذا التأويل لا بدّ منه لقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ⁽٨⁾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ**﴾ [التكوير: ٨، ٩] فأنكر عز وجل عليهم قتلها بلا ذنب فلا يدخلها النار بلا ذنب واللَّه أعلم.

وأما حديث ابن عباس عن الغلام الذي قتله الخضر: «وأما الغلام فطُبع يوم طُبع كافرًا» أي: لو كان كبر لكان كافرًا وليس فيه أنه يعذب على ما كان

سيفعله لو كبر بل هذا من أبناء المسلمين وقد ذكرنا عدم الخلاف فيهم والله تعالى أعلم».

* من دُرر ابن قيم الجوزية في «النونية»:

قال - رحمه الله -:

فالشأن للأرواح بعد فراقها ... أبدانها والله أعظم شان

إما عذاب أو نعيم دائم ... قد نعمت بالروح والريحان

وتصير طيراً سارحًا مع شكلها ... تجني الثمار بجنة الحيوان

وتظل واردة لأنهار بها ... حتى تعود لذلك الجثمان

لكن أرواح الذي استشهدوا ... في جوف طير أخضر ريانِ

فلهم بذلك مزية في عيشهم ... ونعيمهم بالروح والأبدانِ

بذلوا جسومهم لربهم فأعاضهم ... أجسام تلك الطير بالإحسانِ

ولها قناديل إليها تنتهي ... مأوى لها كمساكن الإنسانِ

فالروح بعد الموت أكمل حالة ... منها بهذي الدار في جثمانِ

وعذاب أشقاها أشد من الذي ... قد عاينت أبصارنا بعيانِ

* عَود الأرواح إلى الأبدان في القبور مع كونها في الجنة أو النيران:

حاول ابن حزم أن يضعف الأحاديث التي تذكر إعادة الروح إلى البدن في القبر، ولكن ليس الأمر كذلك، فإن ما ضعفه ابن حزم وهو حديث زادان عن البراء حديث صحيح، وهناك أحاديث كثيرة صحيحة متواترة تدل على عود الروح إلى البدن كما يقول ابن تيمية [١]، وفي التوفيق بين النصوص يقول

(١) «مجموع الفتاوى» (٥/٤٤٦).

ابن تيمية: «وأرواح المؤمنين في الجنة، وإن كانت مع ذلك قد تعاد إلى البدن، كما أنها قد تكون في البدن، ويعرج بها إلى السماء كما في حال النوم، أما كونها في الجنة ففيه أحاديث عامّة، وقد نص على ذلك أحمد وغيره من العلماء، واحتجوا بالأحاديث المأثورة العامة وأحاديث خاصة في النوم وغيره»[١] ثم ذكر بعض هذه الأحاديث التي سقناها من قبل، وأورد حديث أبي هريرة الذي رواه ابن حبان وغيره، والذي يذكر فيه أن المؤمن يرى بعد السؤال مقعده من الجنة، ومقعده من النار لو كان كافرًا، قال: «**ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا، وينور له فيه، ويعاد جسده كما بدئ، وتجعل نسمته في نسم طيب، وهي طير تعلق في شجر الجنّة**»، وفي لفظ: «**وهو طير يعلق في شجر الجنة**»، وفي لفظ: «**ثم يعاد جسده إلى ما بدئ منه**»[٢] فالروح ـ كما يدل عليه الحديث تعاد إلى الجسد بعد الرحلة إلى السماء، ثم تسأل، ثم تكون طيرًا يعلق شجر الجنة إلى أن يبعث العباد، ومع كونها في الجنة فإنه يبقى لها تعلق بالجسد، كحال الإنسان في النوم، فإنها تجول في ملكوت السماوات والأرض، مع أن لها تعلق بالجسد، وفقه هذا مبني على معرفة أن الروح مخالفة للأجساد وللمعهود من حال المخلوقات الدنيوية، يقول ابن تيمية ـ رحمه اللَّه تعالى ـ بعد أن ذكر أن مستقر أرواح المؤمنين الجنة: «ومع ذلك تتصل بالبدن متى شاء اللَّه تعالى، وهي في تلك[٣] اللحظة بمنزلة نزول الملك، وظهور الشعاع في الأرض وانتباه النائم»[٤] .

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٤٤٧).
(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٥/ ٤٤٨).
(٣) في الأصل: وذلك في اللحظة.
(٤) «مجموع الفتاوى» (٢٤/ ٣٦٥).

وقال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٩٢):

«إن الروح تبقى بعد مفارقة البدن خلافًا لضُلاّل المتكلمين، وأنها تصعد وتنزل خلافًا لضلاّل الفلاسفة».

● قال الإمام ابن القيم:

«المسألة السادسة: هل تُعاد الروح في قبره وقت السؤال أم لا؟ فقد كفانا رسول اللَّه ﷺ أمر هذه المسألة وأغنانا عن أقوال الناس حيث صرّح بإعادة الروح إليه...»، ثم ساق حديث البراء...

ثم ذكر كلام ابن حزم في نفي إعادة الروح للجسد، فقال: «ونفيه خطأ، وقد دلّ عليه النص الصحيح والصريح وهو قوله ﷺ: «**فتعاد روحه في جسده**»[1].

● قال ابن القيم في «الروح» ص(٦٧):

«قال شيخ الإسلام - أي ابن تيمية - الأحاديث الصحيحة المتواترة تدل على عود الروح إلى البدن وقت السؤال، وسؤال البدن بلا روح قول طائفة من الناس، وأنكره الجمهور، وقابلهم آخرون، فقالوا: السؤال للروح بلا بدن، وهذا قاله ابن مرّة، وابن حزم وكلاهما غلط، والأحاديث الصحيحة ترده، ولو كان ذلك على الروح فقط لم يكن للقبر بالروح اختصاص».

* رؤيته ﷺ الأنبياء ليلة الإسراء:

● قال ابن القيم في كتابه «الروح» ص(٥٨ - ٦٠):

«وأما إخبار النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم عن رؤية الأنبياء ليلة أسري به، فقد زعم بعض أهل الحديث أن الذي رآه أشباحهم وأرواحهم، قال:

---

(١) «الروح» ص(٥٤، ٥٧).

فإنهم أحياء عند ربهم، وقد رأى إبراهيم مسندًا ظهره إلى البيت المعمور، ورأى موسى قائمًا في قبره يصلي. وقد نعت الأنبياء لما رآهم نعت الأشباح، فرأى موسى آدمًا ضربًا طوالاً كأنه من رجال شنوءة، ورأى عيسى يقطر رأسه كأنما أخرج من ديماس، ورأى إبراهيم فشبهه بنفسه ونازعهم في ذلك آخرون، وقالوا: هذه الرؤية إنما هي لأرواحهم دون أجسادهم، والأجساد في الأرض قطعًا، إنما تبعث يوم بعث الأجساد، ولم تبعث قبل ذلك، إذ لو بعثت قبل ذلك لكانت قد انشقت عنها الأرض قبل يوم القيامة وكانت تذوق الموت عند نفخة الصور، وهذه موتة ثالثة، وهذا باطل قطعًا، ولو كانت قد بعثت الأجساد من القبور لم يعدهم اللَّه إليها، بل كانت في الجنة. وقد صح عن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم أن اللَّه حرم الجنة على الأنبياء حتى يدخلها هو، وهو أول من يستفتح باب الجنة، وهو أول من تنشق عنه الأرض على الإطلاق لم تنشق عن أحد قبله، ومعلوم بالضرورة أن جسده صلى اللَّه عليه وآله وسلم في الأرض طري مطرًا، وقد سأله الصحابة كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ فقال: إن اللَّه حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، ولو لم يكن جسده في ضريحه لما أجاب بهذا الجواب.

وقد صح عنه أن اللَّه وكل بقبره ملائكة يبلغونه عن أمته السلام.

وصح عنه أنه خرج بين أبي بكر وعمر وقال: هكذا نبعث. هذا مع القطع بأن روحه الكريمة في الرفيق الأعلى في أعلى عليين، مع أرواح الأنبياء، وقد صح عنه أنه رأى موسى قائمًا يصلي في قبره ليلة الإسراء، ورآه في السماء السادسة أو السابعة، فالروح كانت هناك ولها اتصال بالبدن في القبر وإشراف عليه، وتعلق به بحيث يصلي في قبره ويرد سلام من سلم عليه، وهي في الرفيق الأعلى ولا تنافي بين الأمرين، فإن شأن الأرواح غير شأن الأبدان،

وأنت تجد الروحين المتماثلتين المتناسبتين في غاية التجاور والقرب، وإن كان بينهما بعد المشرقين، وتجد الروحين المتنافرتين المتباغضتين بينهما غاية البعد وإن كان جسداهما متجاورين متلاصقين، وليس نزول الروح وصعودها وقربها وبعدها من جنس ما للبدن، فإنها تصعد إلى ما فوق السماوات، ثم تهبط إلى الأرض ما بين قبضها ووضع الميت في قبره وهو زمن يسير، لا يصعد البدن وينزل في مثله، وكذلك صعودها وعودها إلى البدن في النوم، واليقظة، وقد مثلها بعضهم بالشمس وشعاعها، فإنها في السماء وشعاعها في الأرض.

قال شيخنا: وليس هذا مثلاً مطابقًا، فإن نفس الشمس لا تنزل من السماء والشعاع الذي على الأرض ليس هو الشمس ولا صفتها، بل هو عرض حصل بسبب الشمس والجرم المقابل لها والروح نفسها تصعد وتنزل.

وأما قول الصحابة للنبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم في قتلى بدر: كيف تخاطب أقوامًا قد جيفوا ـ مع إخباره بسماعهم كلامه ـ فلا ينفي ذلك رد أرواحهم إلى أجسادهم ذلك الوقت ردًّا يسمعون به خطابه والأجساد قد جيفت. فالخطاب للأرواح المتعلقة بتلك الأجساد التي قد فسدت.

* هل أرواح الموتى تتلاقى وتتزاور وتتذاكر أم لا؟

● قال الإمام ابن القيم:

«المسألة الثانية في أن أرواح الموتى تتلاقى وتتزاور وتتذاكر أم لا؟»

فهي أيضًا مسألة شريفة كبيرة القدر وجوابها أن الأرواح قسمان: أرواح معذَّبة، وأرواح مؤمنة.

● **فالمعذّبة**: في شغل بما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقي.

● **والأرواح المنعمة المرسلة غير المحبوسة**: تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان

منها في الدنيا، وما يكون من أهل الدنـيا، فتكون كل روح مع رفيقها الذي هو على مـثل عملهـا، وروح نبينا ﷺ فـي الرفيق الأعـلى. قال اللَّه تـعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

وهذه المعيـة ثابتة في الدنيـا، وفي البرزخ، والمرء مع مـن أحب في هذه الدور الثلاثة».

● عن أبي حـازم عن أبي هريـرة ـ أحسبه رفـعه ـ قال: قال رسـول اللَّه ﷺ: «**إن المؤمن ينزل به الموت ويعاين ما يعاين، فودّ لو خرجتْ** ـ يعني: نفسه ـ **واللَّه يحـب لقاءه، وإن المؤمن يُصـعد بروحه إلى السـماء، فتأتيه أرواح المـؤمنين فيـستخـبرونه عـن معارفـهم من أهـل الأرض، فإذا قال: تـركتُ فلانًـا في الدنـيا أعجبهم ذلك، وإذا قال: إن فلانًا قد مات، قالوا: ما جيء به إلينا.**

وإن المؤمن يُـجْلَس في قـبره فيُسأل: مـن ربه؟ فيقول: ربـي اللَّه. فيُـقال: مَن نبيك؟ فيقول: نـبيي محمد ﷺ. **قال: فما دينك؟ قال: دينـي الإسلام. فيُفتح له باب في قبره فيقول أو يُقال: انظر إلى مجلسك. ثم يرى القبر، فكأنما كانت رقدة.**

فإذا كان عدواً للَّه نزل به الموت وعاين ما عاين، فإنه لا يحب أن تخرج روحه أبدًا، واللَّه يبغض لقاءه، فإذا جلس في قبره أو أُجلس، فيُقال له: من ربك؟ فيقول: لا أدري! فيُقال: لا دَرَيْت. فيُـفتح له باب من جهنم، ثم يُضرب ضـربة تُسمِع كل دابة إلا الـثقلين، ثـم يُقال لـه:نَمْ كمـا ينام المنـهوش ـ فقـلت لأبـي هريـرة: ما المنهوش؟ قال: الذي ينهشه الدواب والحيّات ـ **ثم يُضيّق عليه قبره**»[1].

---

(١) **صحـيح**: أخرجه البزار في «مسنده»، وقال الـسيوطي في «شرح الصدور» ص(٣٨): سنده صحيح. قال الألباني: الحديث صحيح، انظر: «الصحيحة» (٢/ ٢٦٣ ـ ٢٦٥/ ح ٢٦٢٨).

● وعن أبي أيوب الأنصاري ﷺ قال:

«إذا قُبضت نفْس العبد تلقّاه أهل الرحمة من عباد اللَّه كما يلقون البشير في الدنيا، فيقبلون عليه ليسألوه، فيقول بعضهم لبعض: أنْظروا أخاكم حتى يستريح؛ فإنه كان في كرب، فيقبلون عليه؛ فيسألونه: ما فعل فلان؟ ما فعلتْ فلانة؟ هل تزَوّجتْ؟ فإذا سألوا عن الرجل قد مات قبله، قال لهم: إنه قد هلك، فيقولون: إنا للَّه وإنا إليه راجعون، ذهب به إلى أمه الهاوية، فبئست الأم وبئست المربية. قال: فيُعرض عليهم أعمالهم، فإذا رأوا حسنًا فرحوا واستبشروا وقالوا: هذه نعمتك على عبدك فأتمها، وإن رأوا سوءًا قالوا: اللَّهم راجع بعبدك»[1].

● وعن أبي قتادة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«إذا ولي أحدكم أخاه فليُحسن كفنه، فإنهم يتزاورون في قبورهم»**.

* هل تتلاقى أرواح الأحياء وأرواح الأموات أم لا؟

● قال الإمام ابن القيم:

«المسألة الثالثة: هل تتلاقى أرواح الأحياء وأرواح الأموات أم لا؟

فشواهد هذه المسألة وأدلتها أكثر من أن يحصيها إلا اللَّه تعالى، والحس والواقع من أعدل الشهود بها، فتلتقي أرواح الأحياء والأموات كما تلتقي

---

(١) **صحيح موقوف على أبي أيوب الأنصاري وله حكم الرفع:** أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٤٩/ ٤٤٣). وقال الألباني: إسناده صحيح «الصحيحة» رقم (٢٧٥٨)، ثم قال: وكونه موقوفًا لا يضرّ فإنه يتحدث عن أمور غيبية لا يمكن أن تُقال بالرأي، فهو في حكم المرفوع يقينًا.

(٢) **صحيح:** رواه ابن أبي الدنيا، والترمذي، وابن ماجه، ولم يذكر «فإنهم يتزاورون في قبورهم»، وهو حديث صحيح كما قال الألباني في «صحيح ابن ماجه» رقم (١٢٠٥).

أرواح الأحياء، وقد قال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٢].

قال أبو عبد اللَّه ابن منده: ثنا أحمد بن محمد بن إبراهيم، ثنا عبد اللَّه ابن حسين الحراني، ثنا جدي أحمد بن شعيب، ثنا موسى بن أعين عن مطرف عن جعفر بن أبي المغيرة[1] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية قال: بلغني أن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فيتساءلون بينهم، فيمسك اللَّه أرواح الموتى ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها.

وقال ابن أبي حاتم في «تفسيره»: ثنا أحمد بن سليمان، ثنا الحسين، ثنا عامر، ثنا أسباط عن السدي في قوله تعالى: ﴿ وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾. قال: يتوفاها في منامها فيلتقي روح الحي وروح الميت فيتذاكران ويتعارفان، قال: فترجع روح الحي إلى جسده في الدنيا إلى بقية أجلها وتريد روح الميت أن ترجع إلى جسده فتحبس وهذا أحد القولين في الآية، وهو أن الممسكة من توفيت وفاة الموت أولاً، والمرسلة من توفيت وفاة النوم. والمعنى على هذا القول أنه يتوفى نفس الميت فيمسكها ولا يرسلها إلى جسدها قبل يوم القيامة، ويتوفى نفس النائم ثم يرسلها إلى جسدها إلى بقية أجلها فيتوفاها الوفاة الأخرى. والقول الثاني في الآية أن الممسكة والمرسلة في الآية كلاهما توفي وفاة النوم، فمن استكملت أجلها أمسكها عنده، فلا يردها إلى جسدها ومن لم تستكمل أجلها ردها إلى جسدها لتستكمله. واختار شيخ الإسلام هذا القول وقال: عليه يدل

---

(١) قال الشيخ الألباني في تعليقه على «الآيات البينات» ص(١٠٦): «فيه جعفر بن أبي المغيرة الخزاعي، وهو صدوق يهم كما قال الحافظ ابن حجر».

القرآن والسنة، قال: فإنه سبحانه ذكر إمساك التي قضى عليها الموت من هذه الأنفس التي توفاها وفاة النوم، وأما التي توفاها حين موتها فتلك لم يصفها بإمساك ولا بإرسال، بل هي قسم ثالث، والذي يترجح هو القول الأول؛ لأنه سبحانه أخبر بوفاتين وفاة كبرى وهي: وفاة الموت، ووفاة صغرى وهي: وفاة النوم. وقسم الأرواح قسمين: قسمًا قضى عليها بالموت فأمسكها عنده، وهي: التي توفاها وفاة الموت، وقسمًا لها بقية أجل فردها إلى جسدها إلى استكمال أجلها، وجعل سبحانه الإمساك والإرسال حكمين للوفاتين المذكورتين أولاً، فهذه ممسكة وهذه مرسلة. وأخبر أن التي لم تمت هي: التي توفاها في منامها، فلو كان قد قسم وفاة النوم إلى قسمي وفاة موت ووفاة نوم - ولم يقل: والتي لم تمت في منامها - فإنها من حين قبضت ماتت، وهو سبحانه قد أخبر أنها لم تمت فكيف يقول بعد ذلك: فيمسك التي قضى عليها الموت؟ ولمن نصر هذا القول أن يقول قوله تعالى: ﴿ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ ﴾ بعد أن توفاها وفاة النوم فهو سبحانه توفاها أولاً وفاة نوم، ثم قضى عليها الموت بعد ذلك.

والتحقيق: أن الآية تتناول النوعين فإنه سبحانه ذكر وفاتين وفاة نوم ووفاة موت، وذكر إمساك المتوفاة وإرسال الأخرى، ومعلوم أنه سبحانه يمسك كل نفس ميت سواء مات في النوم، أو في اليقظة، ويرسل نفس من لم يمت فقوله: ﴿ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ يتناول من مات في اليقظة ومن مات في المنام[1]، وقد دل على التقاء أرواح الأحياء والأموات أن الحي يرى الميت في منامه فيستخبره ويخبره الميت بما لا يعلم الحي، فيصادف خبره كما أخبر في الماضي

---

(١) وبذلك فسرها ابن كثير (٤/ ٥٥).

والمستقبل وربما، أخبره بمال دفنه الميت في مكان لم يعلم به سواه، وربما أخبره بدين عليه وذكر له شواهده وأدلته.

● وقال ابن كثير عند تفسير الآية السابقة [الزمر: ٤٢] (٤/ ٥٥):

«فيه دلالة على أنها تتجمع في الملأ الأعلى كما ورد بذلك الحديث المرفوع الذي رواه ابن منده وغيره».

● وقال ابن القيم:

«وهذا باب طويل جدًّا، فإن لم تسمح نفسك بتصديقه، أو قلت: هذه منامات هي غير معصومة، فتأمل من رأى صاحبًا له، أو قريبًا، أو غيره فأخبره بأمر لا يعلمه إلا صاحب الرؤيا، أو أخبره بمال دفنه أو حذره من أمر يقع، أو بشره بأمر يوجد فوقع كما قال، أو أخبره بأنه يموت هو أو بعض أهله إلى كذا وكذا، فيقع كما أخبر أو أخبره بخصب أو جدب أو عدو أو نازلة، أو مرض، أو بغرض له فوقع كما أخبره، والواقع من ذلك لا يحصيه إلا اللَّه والناس مشتركون فيه.

وقد رأينا نحن وغيرنا من ذلك عجائب. وأبطل من قال: إن هذه كلها علوم وعقائد في النفس تظهر لصاحبها عند انقطاع نفسه عن الشواغل البدنية بالنوم، وهذا عين الباطل والمحال، فإن النفس لم يكن فيها قط معرفة هذه الأمور التي يخبر بها الميت، ولا خطرت ببالها ولا عندها علامة عليها ولا أمارة بوجه ما؟ ونحن لا ننكر أن الأمر قد يقع كذلك. وإن من الرؤيا ما يكون من حديث النفس وصورة الاعتقاد، بل كثير من مرآئي الناس إنما هي مجرد صور اعتقادهم المطابق وغير المطابق».

● وقال ابن القيم:

«وبالجملة فهذا أمر لا ينكره إلا من هو أجهل الناس بالأرواح وأحكامها وشأنها»[1] .

● وفي وصية ثابت بن قيس بعد موته خير دليل.

فإنه لما قتل في يوم اليمامة، وعليه درع له نفيسة، فمر به رجل من المسلمين فأخذها فبينما رجل من المسلمين نائم إذ أتاه ثابت في منامه، فقال له: أوصيك بوصية فإياك أن تقول هذا حلم فتضيّعه، إني لما قتلت أمس مرّ بي رجل من المسلمين فأخذ درعي ومنزله في أقصى الناس، وعند خبائه فرس يستن في طوله، وقد كفأ على الدرع برمة، وفوق البرمة رحل، فأت خالدًا فمره أن يبعث إلى درعي فيأخذها، وإذا قدمت إلى المدينة على خليفة رسول الله ﷺ ـ يعني أبا بكر الصديق ـ فقل له: إن عليّ من الدَّيْن كذا وكذا وفلان من رقيقي عتيق وفلان. فأتى الرجل خالدًا فأخبره فبعث إلى الدرع فأتي بها وحدّث أبا بكر برؤياه فأجاز وصيته.

أنفذ أبو بكر رضي الله عنه وصية ثابت بن قيس التي أوصى بها في المنام بعد الممات.

ولا نعلم أحدًا أُجيزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس ـ رحمه الله ـ.

فقد اتفق خالد وأبو بكر الصديق والصحابة معه على العمل بهذه الرؤيا وتنفيذ الوصية بها، وانتزاع الدرع ممّن هي في يده بها وهذا محض الفقه»[2] .

● ولله در الصالحين:

قال حمّاد بن زيد: قال هشام بن حسان، حدثتني أم عبد الله ـ وكانت

---

(١) انظر: كتاب «الروح» وفيه هذه المسألة بالتفصيل (٢٦ ـ ٤٥).

(٢) «الروح» ص(١٩).

من خيار نساء أهل البصرة ـ قالت: رأيت فيما يرى النائم كأني دخلت دارًا حسنة، ثم دخلت بستانًا، فذكرت من حسنه ما شاء اللَّه. فإذا أنه فيه برجل متكئ على سرير من ذهب وحوله الوصفاء بأيديهم الأكاويب، قالت: فإني لمتعجبة من حسن ما أرى، إذ قيل: هذا مروان المحملي أقبل، فوثب فاستوى جالسًا على سريره، قالت: واستيقظت من منامي، فإذا جنازة مروان قد مرّ بها على بابي الساعة»[1].

* عرض أعمال الأحياء على الموتى:

مر قبل ذلك في حديث أبي أيوب الذي صححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٧٥٨): «**فيُعرض عليهم أعمالهم، فإذا رأوا حسنًا فرحوا واستبشروا، وقالوا: هذه نعمتك على عبدك فأتمها، وإن رأوا سوءًا، قالوا: اللَّهم راجع بعبدك**».

وقال الشيخ في نهاية تحقيقه لهذا الحديث: «وكذا الحديث (٨٦٣) من حديث أنس ﷺ يُنقل إلى هنا؛ لأن معناه في عرض الأعمال على الأموات في آخر حديث الترجمة». أي أن الشيخ الألباني رجع عن تضعيف حديث أنس الآتي وصححه لحديث أبي أيوب.

● عن أنس ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنّ أعمالكم تُعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات، فإن كان خيرًا استبشروا، وإن كان غير ذلك، قالوا: اللَّهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا**»[2].

---

(١) «الروح» ص(٢٤).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٣/ ١٦٤ ـ ١٦٥)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» رقم (٨٦٣)، ثم عاد عن ذلك، وصححه في «الصحيحة» (٦/ ١/ ٦٠٥/ ح ٢٧٥٨).

● وعن أبي الدرداء قال: «إن أعمالكم تُعرض على موتاكم فيُسرّون، ويساءون»[١] .

فكان أبو الدرداء يقول عند ذلك: اللَّهم إني أعوذ بك أن أعمل عملاً أخزى به عند عبد اللَّه بن رواحة»[٢] .

* ما ورد في أن الموتى يسألون عن الأحياء ويعرفون أقوالهم وأعمالهم، ومعرفتهم بزيارة الأحياء وسلامهم:

قال ابن عبد البر: ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من مسلم يمرّ على قبر أخيه كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا ردّ اللَّه عليه روحه؛ حتى يردّ عليه السلام**».

● وصح عن عمرو بن دينار أنه قال: «ما من ميت يموت إلا وهو يعلم ما يكون في أهله بعده، وإنهم ليغسلونه ويكفنونه وإنه لينظر إليهم».

وصح عن مجاهد أنه قال: «إن الرجل ليبشر في قبره بصلاح ولده من بعده»[٣] .

قال ابن القيم في كتابه «الروح»:

«في «الصحيحين» عنه ﷺ من وجوه متعدده: «أنه أمر بقتلى بدر فألقوا في قليب، ثم جاء حتى وقف عليهم وناداهم بأسمائهم: «**يا فلان ابن فلان، ويا فلان ابن فلان هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا، فإنيّ وجدت ما وعدني ربي حقًّا**»، فقال له عمر: يا رسول اللَّه، ما تخاطب من أقوام قد جيفوا، فقال:

---

(١) قال الألباني في «الصحيحة» (٦/ ١/ ٦٠٧): وهذا إسناد رجاله ثقات.

(٢) «أهوال القبور» ص(١١٧).

(٣) «الروح» ص(١٥).

«والذي بعثني بالحق ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون جوابًا».

وثبت عنه ﷺ : **«أن الميت يسمع قرع نعال المشيعين إذا نصرفوا عنه»**.

● وقد شرع النبي ﷺ لأمته إذا سلّموا على أهل القبور أن يسلّموا عليهم سلام من يخاطبونه فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل. ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد. والسلف مجمعون على هذا وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحي له ويستبشر به.

● ويكفي في هذا تسمية المسلّم عليهم زائرًا ولولا أنهم يشعرون به لما صحّ تسميته زائرًا، فإن المزور إن لم يعلم بزيارة من زاره لم يصح أن يُقال زاره، هذا هو المعقول من الزيارة عند جميع الأمم، وكذلك السلام عليهم أيضًا، فإن السلام على من لا يشعر ولا يعلم بالمسلم مُحال، وقد علم النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم أمته إذا زاروا القبور أن يقولوا: **«سلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء اللَّه بكم لاحقون، يرحم اللَّه المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، نسأل اللَّه لنا ولكم العافية»**.

وهذا السلام والخطاب والنداء لموجود يسمع ويخاطب ويعقل ويرد، وإن لم يسمع المسلم الرد، وإذا صلى الرجل قريبًا منهم شاهدوه وعلموا صلاته وغبطوه على ذلك.

وقد ثبت في «الصحيح» أن الميت يستأنس بالمشيعين لجنازته بعد دفنه فروى مسلم في «صحيحه». . . عن عمرو بن العاص وهو في سياق الموت. . »، **«ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم»**[1] .

---

(١) «الروح» لابن القيم ص(٥ ـ ١٢).

* سماع الموتى:

● قال ابن القيم:

«وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢] فسياق الآية يدل على أن المراد منها: أن الكافر الميت القلب لا تقدر على إسماعهم إسماعًا ينتفع به، كما أن من في القبور لا تقدر على إسماعهم إسماعًا ينتفعون به ولم يرد سبحانه أن أصحاب القبور لا يسمعون شيئًا ألبتة، كيف وقد أخبر النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم أنهم يسمعون خفق نعال المشيعين؟ وأخبر أن قتلى بدر سمعوا كلامه وخطابه. وشرع السلام عليهم بصيغة الخطاب للحاضر الذي يسمع. وأخبر أن من سلم على أخيه المؤمن رد عليه السلام. وهذه الآية نظير قوله: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ [النمل: ٨٠]، وقد يقال نفي إسماع الصم مع نفي إسماع الموتى، يدل على أن المراد عدم أهلية كل منهما للسماع. وأن قلوب هؤلاء لما كانت ميتة صماء كان إسماعها ممتنعًا بمنزلة خطاب الميت والأصم، وهذا حق ولكن لا ينفي إسماع الأرواح بعد الموت إسماع توبيخ وتقريع بواسطة تعلقها بالأبدان في وقت ما، فهذا غير الإسماع المنفي واللَّه أعلم.

وحقيقة المعنى أنك لا تستطيع أن تسمع من لم يشأ اللَّه أن يسمعه، ﴿إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ﴾.. أي إنما جعل اللَّه لك الاستطاعة على الإنذار الذي كلفك إياه لا على إسماع مَن لم يشأ اللَّه إسماعه»[1].

● قال العلامة ابن رجب الحنبلي:

«أما سماع الموتى لكلام الأحياء: ففي «الصحيحين»، عن أنس، عن

---

(١) «الروح» لابن القيم ص(٦٠ ـ ٦١).

أبي طلحة، قال: لما كان يوم بدر وظهر عـليهم رسول اللَّه ﷺ أمر ببضعة وعشرين رجلاً، وفي روايـة أربعة وعشرين رجلاً من صناديـد قريش، فألقوا في طوىً من أطواء بدر، وإن رســول اللَّه ﷺ ناداهم قال: «**يا أبا جـهل بن هشام، يا أميـة بن خلف، يا عتبة بن ربيـعة، يا شيبة بن ربيعة، ألـيس قد وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقًّا**». فقال عمر: يا رسول اللَّه ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها، فقال: «**والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**»[1] .

وفي «صحيـح مسلم»، من حديث أنـس نحوه من غير ذكر أبـي طلحة، وفي حديـثه قال: «**والذي نفسي بيـده، ما أنتم بأسمع لما أقول منـهم، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا**»[2] .

وفيه ـ أيـضًا ـ عن أنس، عن عمـر بن الخطاب رضي الله عنه، عن الـنبي ﷺ هذه القصة بمعناها[3] .

وفي «الصحـيحين»[4] عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: اطّـلع رسول اللَّه ﷺ على أهل القليب، فقال: «**وجدتم ما وعـدكم حقًّا**»، فقيل له: أتدعو أمواتًا؟ قال: «**ما أنتم بأسمع منهـم، ولكنهم لا يجيبون**»! وفي روايـة قال: «**إنهـم الآن**

(١) البخاري رقـم (٣٠٦٥ و٣٩٧٦) في المغازي: باب دعاء الـنبي ﷺ علـى كفار قـريش، ومسلـم رقم (٢٨٧٥) في الجنة وصـفة نعيمهـا: باب عرض مقعـد الميت من الجنـة أو النار عليه.

(٢) مسلم رقم (٢٨٧٤).

(٣) مسلم رقم (٢٨٧٣).

(٤) البـخاري رقم (١٣٧٠) فـي الجنائـز: باب ما جـاء في عذاب الـقبر، ورقـم (٣٩٨٠) في المغازي: بـاب قتل أبي جـهل، ورقم (٤٠٢٦): باب شـهود الملائكـة بدرًا، ومسلـم رقم (٩٣٢) في الجنائز: باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

يسمعون ما أقول».

وقد أنكرت عائشة رضي الله عنها ذلك، كما في «الصحيحين»[1] عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنهم ليسمعون الآن ما أقول، وقد وهم** - يعني: ابن عمر - إنما قال: «**إنهم ليعلمون الآن ما كنت أقول لهم، إنه حق**»، ثم قرأت قوله: ﴿**إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ**﴾ [النمل: ٨٠]، ﴿**وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ**﴾ [فاطر: ٢٢].

وقد وافق عائشة على نفي سماع الموتى كلام الأحياء، طائفة من العلماء، ورجّحه القاضي أبو يعلى من أصحابنا، في كتاب «الجامع الكبير» له، واحتجوا بما احتجت به عائشة رضي الله عنها، وأجابوا عن حديث قليب بدر بما أجابت به عائشة رضي الله عنها، وبأنه يجوز أن يكون ذلك معجزة مختصة بالنبي صلى الله عليه وسلم دون غيره، وهو سماع الموتى لكلامه»[2] .

وفي «صحيح البخاري»[3] عن قتادة قال: أحياهم اللّه تعالى يعني: أهل

---

(١) البخاري رقم (١٣٧١) في الجنائز: باب ما جاء في عذاب القبر، ورقم (٣٩٧٩ و٣٩٨١) في المغازي: باب قتل أبي جهل، ومسلم رقم (٩٣٢) (٢٧) في الجنائز: باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

(٢) قال الإمام القرطبي:

اعلم رحمك اللّه أن عائشة رضي الله عنها قد أنكرت هذا المعنى واستدلت بقوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ**﴾ ، وقوله: ﴿**وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ**﴾، ولا تعاض بينهما؛ لأنه جائز أن يكونوا يسمعون في وقت ما أو في حال ما، فإن تخصيص العموم ممكن وصحيح إذا وجد المخصص. وقد وجد هنا بدليل ما ذكرناه، وقد تقدم وبقوله عليه الصلاة والسلام: «إنه ليسمع قرع نعالهم»، وبالمعلوم من سؤال الملكين للميت في قبره وجوابه لهما وغير ذلك مما لا ينكر، وقد ذكر ابن عبد البر في كتاب «التمهيد والاستذكار» من حديث ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: «ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه وردّ عليه السلام» صححه أبو محمد عبد الحق ا.هـ «التذكرة» ص(١٤٥).

(٣) البخاري، عقب حديث (٣٩٧٦) في المغازي: باب قتل أبي جهل.

القليب حتى أسمعهم قوله، توبيخًا وتصغيرًا ونقمة وحسرة وندمًا.

وذهب طوائف من أهل العلم إلى سماع الموتى في الجملة، قال ابن عبد البر: ذهب إلى ذلك جماعة من أهل العلم - وهم الأكثرون -، وهو اختيار الطبري وغيره، ويعني: بالطبري: ابن جرير، وكذلك ذكره ابن قتيبة وغيره من العلماء، وهؤلاء يحتجون بحديث القليب، كما سبق، وليس هو بوهم ممن رواه، فإن عمر وأبا طلحة وغيرهما ممن شهد القصة حكاه عن النبي ﷺ، وعائشة لم تشهد ذلك، وروايتها عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنهم ليعلمون الآن، أن ما كنت أقول لهم حق**»، ويؤيِّد رواية من روى: إنهم ليسمعون، ولا ينافيه، فإن الميِّت إذا جاز أن يعلم جاز أن يسمع؛ لأن الموت ينافي العلم، كما ينافي السمع. والبصر، فلو كان مانعًا من البعض لكان مانعًا من الجميع.

- وقد مرت الأحاديث الواردة بسماع الموتى سلام من يسلم عليهم.

وأما قوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ**﴾ [النمل: ٨٠]، ﴿**وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ**﴾ [فاطر: ٢٢]، فإن السماع يطلق ويراد به إدراك الكلام وفهمه، ويراد به أيضًا الانتفاع به، والاستجابة له. والمراد بهذه الآية نفي الثاني دون الأول، فإنها في سياق خطاب الكفار الذين لا يستجيبون للهدى ولا للإيمان إذا دعوا إليه، كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا**﴾ [الأعراف: ١٧٩]، الآية في نفي السماع والإبصار عنهم؛ لأن الشيء قد ينفَى لانتفاء فائدته وثمرته، فإذا لم ينتفع المرء بما سمعه وأبصره، فكأنه لم يسمع ولم يبصر، وسماع الموتى هو بهذه المثابة، وكذلك سماع الكفار لمن

دعاهم إلى الإيمان والهدى.

وقول قتادة في أهل القليب: أحياهم اللّـه تعالى حتى أسمعهم، قوله يدل على أن الميت لا يسمع القول إلا بعد إعادة الروح إلى جسده»[١] .

● وقال ابن أبي العز شارح الطحاوية في «شرحه» ص(٥٨):

«من قال: إن الميت ينتفع بقراءة القرآن عنده، باعتبار سماعه كلام اللّه فهذا لم يصح عن أحد من الأئمة المشهورين: ولا شك في سماعه ولكن انتفاعه بالسماع لا يصح[٢] ، فإن ثواب الاستماع مشوط بالحياة، فإنه عمل اختياري، وقد انقطع بموته، بل ربما يتضرر ويتألم، لكونه لم يمتثل أوامر اللّه ونواهيه، أو لكونه لم يزدد من الخير».

● وقال شيخ الإسلام الكافيجي الحنفي في كتابه «منازل الأرواح» ص(٥٧):

«ثم إن الميت يسمع ويفهم. قال رسول اللّه ﷺ: **«إنه يسمع قرع نعالكم»**، وقال عليه السلام: **«ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن ـ كان يعرفه في الدنيا ـ فيسلم عليه إلا عرفه، وردّ عليه السلام»**[٣] إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على قوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ**﴾، قوله: ﴿**وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ**﴾ فيجوز فيه التأويل بحمل سلب الإسماع على عدم الإسماع في وقت دون وقت، وفي حال دون حال. إلى غير ذلك من التأويلات. فإذًا لا تدافع هنا أصلاً».

---

(١) «أهوال القبور» لابن رجب (١٠٠ ـ ١٠٣).

(٢) وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية خطأ من قال بانتفاع الميت بسماع القرآن كما ذكر في «مجموع الفتاوى » (٢٤/ ٣٠٠، ٣١٧).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور»، وابن الجوزي (٢/ ٤٢٩)، في «العلل المتناهية»، وابن =

● وللعلامة الألوسي في «تفسيره» «روح المعاني» بحث طيب عند تفسير آية الروم: (٥٢) قال في نهايته: «والحق أن الموتى يسمعون في الجملة وهذا على أحد وجهين:

● **أولهما**: أن يخلق اللَّه عز وجل في بعض أجزاء الميت قوة يسمع بها متى شاء اللَّه تعالى السلام ونحوه مما يشاء اللَّه سبحانه سماعه إياه ولا يمنع من ذلك كونه تحت أطباق الثرى، وقد انحلت منه هاتيك البنية وانفصمت العرى ولا يكاد يتوقف في قبول ذلك من يجوز أن يرعى أعمى الصين بقة أندلس.

● **وثانيهما**: أن يكون ذلك السماع للروح بلا واسطة قوة في البدن ولا يمتنع أن تسمع بل أن تحس وتدرك مطلقًا بعد مفارقتها البدن بدون وساطة قوى فيه، وحيث كان لها على الصحيح تعلق لا يعلم حقيقته وكيفيته إلا اللَّه عز وجل بالبدن كله أو بعضه بعد الموت وهو غير التعلق بالبدن الذي كان لها قبله أجرى اللَّه سبحانه عادته بتمكينها من السمع وخلقه لها عند زيارة القبر، وكذا عند حمل البدن إليه وعند الغسل مثلاً، ولا يلزم من وجود ذلك التعلق والقول بوجود قوة السمع ونحوه فيها نفسها أن تسمع كل مسموع لما أن السماع مطلقًا وكذا سائر الإحساسات ليس إلا تابعًا للمشيئة فما شاء اللَّه بسماعه من السلام ونحوه، وهذا الوجه هو الذي يترجّح عندي ولا يلزم عليه التزام القول بأن أرواح الموتى مطلقًا في أفنية القبور كما أن مدار السماع على مشيئة اللَّه والتعلق لا يعلم كيفيته وحقيقته إلا هو عز وجل»[1] .

= عبد البر في «التمهيد»، والخطيب في «تاريخه»، وقال ابن رجب: منكر «أهوال القبور» ص(٨٢)، وانظر: «لسان الميزان» (٣/ ٢٧٩)، وصححه أبو محمد عبد الحق الأشبيلي، وابن عبد البر.

(١) «روح المعاني» (٢١/ ٥٧ ـ ٥٨).

● قال الألوسي: «نُقل عن العلاّمة ابن الهمام أنه قال: أكثر مشايخنا على أن الميت لا يسمع استدلالاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ ونحوها يعني من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ ولذا لم يقولوا بتلقين القبر، وقالوا: لو حلف لم يكلف فلانًا فكلمه ميتًا لا يحنث»[1] .

* القائلون بعدم سماع الموتى:

ذهب جمع من أهل العلم إلى نفي سماع الأموات وممن ذهب إلى ذلك ابن عابدين، وابن الهمام، وابن نجيم والحصفكي وغيرهم من أئمة الأحناف، والمازري والباجي والقاضي عياض من المالكية والقاضي أبو يعلى من الحنابلة ومال إليه الشيخ الألباني في تحقيقه «للآيات البينات» في عدم سماع الأموات. وأدلتهم:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ ، فقد شبههم اللَّه تعالى - أعني موتى الأحياء من الكفار بالصمِّ أيضًا، فهل هذا يقتضي في المشبه بهم (الصم) أنهم يسمعون أيضًا، ولكن سماعًا لا انتفاع فيه أيضًا! أم أنه يقتضي أنهم لا يسمعون مطلقًا، كما هو الحق الظاهر الذي لا خفاء فيه. وفي التفسير المأثور ما يؤيد هذا الذي نقول فقال ابن جرير في «تفسيره» (٢١/ ٣٦) لهذه الآية:

«هذا مَثَل معناه: فإنك لا تقدر أن تُفهم هؤلاء المشركين الذين قد ختم اللَّه على أسماعهم، فسلبهم فهم ما يتلى عليهم من مواعظ تنزيله، كما لا تقدر أن تفهم الموتى الذين سلبهم اللَّه أسماعهم، بأن تجعل لهم أسماعًا.

وقوله: ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ يقول: كما لا تقدر أن تسمع الصم

(١) «روح المعاني» (٢١/ ٥٥).

الذين قد سلبوا السمع إذا ولوا عنك مدبرين، كذلك لا تقدر أن توفق هؤلاء الذين قد سلبهم اللَّه فهم آيات كتابه لسماع ذلك وفهمه».

ثم روى بإسناده الصحيح عند قتادة قال:

«هذا مثل ضربه اللَّه للكافر، فكما لا يسمع الميت الدعاء كذلك لا يسمع الكافر، ﴿**وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ ...**﴾ يقول: لو أن أصم ولّى مدبرًا، ثم ناديته لم يسمع، كذلك الكافر لا يسمع، ولا ينتفع بما سمع».

فثبت من هذه النقول عن كتب التفسير المعتمدة أن الموتى في قبورهم لا يسمعون، كالصم إذا ولوا مدبرين!.

وهذا هو الذي فهمته السيدة عائشة ﵂، واشتهر ذلك عنها في كتب السنة وغيرها، وهذا ما فهمه عمر بن الخطاب.

● **الدليل الثاني**: قوله تعالى: ﴿**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (١٣) إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ**﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

قلت: فهذه الآية صريحة في نفي السمع عن أولئك الذين كان المشركون يدعونهم من دون اللَّه تعالى، وهم موتى الأولياء والصالحين الذين كان الذين كان المشركون يمثلونهم في تماثيل وأصنام لهم، يعبدونهم فيها، وليس لذاتها، كما يدل على ذلك آية سورة (نوح) عن قومه: ﴿**وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا**﴾، ففي التفسير المأثور عن ابن عباس وغيره من السلف: أن هؤلاء الخمسة أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي

كانوا يجلسون أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسَّخَ العلم (أي: علُم تلك الصور بخصوصها) عُبدت. رواه البخاري.

ومما يؤيد أن المقصود بقوله في الآية المتقدمة: ﴿**لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ**﴾ إنما هم المعبودون من دون اللَّه أنفسهم، وليست ذوات الأصنام تمام الآية: ﴿**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ**﴾، والأصنام لا تبعث؛ لأنها جمادات غير مكلفة كما هو معلوم، بخلاف العابدين والمعبودين فإنهم جميعًا محشورون.

قال القرطبي (١٤/ ٣٣٦)، والشوكاني (٤/ ٣٣٣):

«ويجوز أن يرجع ﴿**وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ..**﴾ وما بعده إلى من يعقل ممن عبدهم الكفار كالملائكة والجن والأنبياء والشياطين، والمعنى أنهم يجحدون أن يكون ما فعلتموه حقًّا وينكرون أنهم أمروكم بعبادتهم، كما أخبر عن عيسى عليه السلام بقوله: ﴿**مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ**﴾».

فتبين مما تقدم وجه الاستدلال بقوله تعالى: ﴿**إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ**﴾ على أن الصالحين لا يسمعون بعد موتهم، وغيرهم مثلهم بداهة، بل ذلك من باب أولى كما لا يخفى، فالموتى كلهم إذن لا يسمعون، واللَّه الموفق.

الدليل الثالث: حديث قليب بدر، وله روايات مختصرة ومطولة، أجتزئ هنا على روايتين منها:

الأولى: حديث ابن عمر قال:

«وقف النبي ﷺ على قَليب بدر، فقال: «**هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟**» ثم قال: «**إنهم الآن يسمعون ما أقول**»، فَذُكِر لعائشة فقالت: إنما قال النبي ﷺ: «**إنهم الآن يعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق**»، ثم قرأت:

﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ حتى قرأت الآية».

أخرجه البخاري (٧/ ٢٤٢) «فتح الباري»، والنسائي (١/ ٦٩٣)، وأحمد (٢/ ٣١) من طريق أخرى عن ابن عمر.

والأخرى: حديث أبي طلحة أن نبي اللَّه ﷺ أمر يوم بدرٍ بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فقذفوا في طويٍّ من أطواء بدر خبيث مُخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعَرصَة ثلاث ليالٍ، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلُها ثم مشى، واتبعه أصحابه وقالوا: ما نُرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفة الرَّكي، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: **«يا فلان ابن فلان، ويا فلان ابن فلان! أيسركُم أنكم أطعتم اللَّه ورسوله، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا؟»** قال: فقال عمر: يا رسول اللَّه! ما تُكلم من أجساد لا أرواح فيها؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: **«والذي نفسُ محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم»**. قال قتادة: أحياهم اللَّه حتى أسمعهم قوله توبيخًا، وتصغيرًا، ونقمة، وحسرة، وندمًا. أخرجه الشيخان وغيرهما.

ووجه الاستدلال بهذا الحديث يتضح بملاحظة أمرين:

الأول: ما في الرواية الأولى منه من تقييده ﷺ سماع موتى القليب بقوله: **«الآن»**[1]، فإن مفهومه أنهم لا يسمعون في غير هذا الوقت. وهو المطلوب. وهذه فائدة هامة نَبَّه عليها العلامة الألوسي ـ والد المؤلف رحمهما اللَّه ـ في كتابه «روح المعاني» (٦/ ٤٥٥)، ففيه تنبيه قوي على أن الأصل في الموتى أنهم لا يسمعون، ولكن أهل القليب في ذلك الوقت قد سمعوا نداء

---

(١) ولها شاهد صحيح في حديث عائشة في «صحيح البخاري»: باب دعاء النبي ﷺ على كفار قريش. . . وإن أهله ليبكون عليه الآن».

النبي ﷺ وبإسماع الله تعالى إياهم خرقًا للعادة ومعجزة للنبي ﷺ كما ورد عن بعض العلماء الحنفية، وغيرهم من المحدثين. وفي «تفسير القرطبي» (١٣/ ٢٣٢):

«قال ابن عطية: فيشبه أن قصة بدر خرق عادة لمحمد ﷺ في أن ردَّ اللَّه إليهم إدراكًا سمعوا به مقاله، ولولا إخبار رسول اللَّه ﷺ بسماعهم لحملنا نداءه إياهم على معنى التوبيخ لمن بقي من الكفرة، وعلى معنى شفاء صدور المؤمنين».

والأمر الآخر: أن النبي ﷺ أقر عمر وغيره من الصحابة على ما كان مستقرًّا في نفوسهم واعتقادهم أن الموتى لا يسمعون، بعضهم أومأ إلى ذلك إيماءً، وبعضهم ذكر ذلك صراحة، لكن الأمر بحاجة إلى توضيح فأقول:

أما الإيماء فهو في مبادرة الصحابة لما سمعوا نداءه ﷺ لموتى القليب بقولهم: «ما تُكلِّم أجسادًا لا أرواح فيها؟».

فلولا أنهم كانوا على علم بذلك سابق تلقوه منه ﷺ، ما كان لهم أن يبادروه بذلك. وهب أنهم تسرعوا، وأنكروا بغير علم سابق، فواجب التبليغ حينئذ يوجب على النبي ﷺ أن يبين لهم أن اعتقادهم هذا خطأ، وأنه لا أصل له في الشرع، ولم نر في شيء من روايات الحديث مثل هذا البيان، وغاية ما قال لهم: «**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**». وهذا ـ كما ترى ـ ليس فيه تأسيس قاعدة عامة بالنسبة للموتى جميعًا تخالف اعتقادهم السابق، وإنما هو إخبار عن أهل القليب خاصة، على أنه ليس ذلك على إطلاقه بالنسبة إليهم أيضًا إذا تذكرت رواية ابن عمر التي فيها: «**إنهم الآن يسمعون**»، كما تقدم شرحه، فسماعهم إذن خاص بذلك الوقت، وبما قال لهم النبي ﷺ فقط، فهي واقعة عين لا عموم لها، فلا تدل على أنهم يسمعون دائمًا وأبدًا، وكلَّ

ما يقال لهم، كما لا تشمل غيرهـم من الموتى مطلقًا، وهذا واضح إن شاء اللَّه تعالى. ويزيده وضوحًا ما يأتي:

وأما الصراحة فهي فيما رواه أحمد (٣/ ٢٨٧) من حديث أنس ﷺ قال: «... فسمع عمر صوته، فقال: يا رسول اللَّه أتناديهم بعد ثلاث؟ وهل يسمعون؟ يقول اللَّه عز وجل: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾، فقال: «**والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوا**». وسنده صحيح على شرط مسلم[1]. فقد صرح عمر ﷺ أن الآية المذكورة هي العمدة في تلك المبادرة، وأنهم فهموا من عمومها دخول أهل القليب فيه، ولذلك أشكل عليهم الأمر، فصارحوا النبي ﷺ بذلك ليزيل إشكالهم؟ وكان ذلك ببيانه المتقدم.

ومنه يتضح أن النبي ﷺ أقرّ الصحابة - وفي مقدمتهم عمر - على فهمهم للآية على ذلك الوجه العام الشامل لموتى القليب وغيرهم؛ لأنه لم ينكره عليهم، ولا قال لهم: أخطأتم فالآية لا تنفي مطلقًا سماع الموتى، بل إنه أقرهم على ذلك، ولكن بين لهم ما كان خافيًا عليهم من شأن القليب، وأنهم سمعوا كلامه حقًّا، وأن ذلك أمر خاص مستثنى من الآية، معجزة له ﷺ كما سبق.

الدليل الرابع: قول النبي ﷺ: «**إن للَّه ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام**»[2].

أقول: ووجه الاستدلال به أنه صريح في أن النبي ﷺ لا يسمع سلام

---

(١) وأصله عنده (٨/ ١٦٣ - ١٦٤) والزيادة له، وهو رواية لأحمد (٣/ ٢١٩ - ٢٢٠).

(٢) وهو صحيح.

المسلمين عليه، إذ لو كان يسمعه بنفسه، لما كان بحاجة إلى من يبلغه إليه، كما هو ظاهر لا يخفى على أحد إن شاء اللَّه تعالى. وإذا كان الأمر كذلك، فبالأولى أنه ﷺ لا يسمع غير السلام من الكلام، وإذا كان كذلك فلأن لا يسمع السلام غيرُه من الموتى أولى وأحرى.

ثم إن الحديث مطلق يشمل حتى من سلم عليه ﷺ عند قبره، ولا دليل يصرح بالتفريق بينه وبين من صلى عليه بعيداً عنه، والحديث المروي عن ذلك موضوع.

وهذا الاستدلال لم أره لأحد قبلي، فإذا كان صوابًا ـ كما أرجو ـ فهو فضل من اللَّه ونعمة، وإن كان خطأ فهو من نفسي، واللَّه تعالى أسأل أن يغفره لي وسائر ذنوبي»[١].

● قال الشيخ الألباني ـ رحمه اللَّه ـ: «لم أر من صرح بأن الميت يسمع سماعًا مطلقًا كما كان شأنه في حياته، ولا أظن عالمًا يقول به».

● ويقول ـ رحمه اللَّه ـ:

«**وخلاصة البحث والتحقيق**: أن الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال أئمة الحنفية غيرهم ـ كما ستراه في الكتاب مبسوطًا ـ على أن الموتى لا يسمعون، وأن هذا هو الأصل، فإذا ثبت أنهم يسمعون في بعض الأحوال، كما في حديث خفق النعال، أو أن بعضهم سمع في وقت ما، كما في حديث القليب، فلا ينبغي أن يجعل ذلك أصلاً، فيقال: إن الموتى يسمعون كما فعل بعضهم[٢] كلا، فإنها قضايا جزئية، لا تشكل قاعدة كلية، يعارض بها الأصل

---

(١) انتهى النقل ملخصًا من مقدمة الألباني لكتاب «الآيات البينات في عدم سماع الأموات» وهو عمدة القائلين بعدم سماع الأموات.

(٢) انظر: «الأضواء» (٦/ ٤٢٥).

المذكور، بل الحق أنه يجب أن تستثنى منه، على قاعدة استثناء الأقل من الأكثر، أو الخاص من العام، كما هو المقرر في علم أصول الفقه، ولذلك قال العلاّمة الألوسي في «روح المعاني» بعد بحث مستفيض في هذه المسألة (٦/ ٤٥٥):

«والحق أن الموتى يسمعون في الجملة، فيقتصر على القول بسماع ما ورد السمع بسماعه».

وهذا مذهب طوائف من أهل العلم، كما قال الحافظ ابن رجب الحنبلي، وما أحسن ما قاله ابن التين ـ رحمه اللَّه ـ:

«إن الموتى لا يسمعون بلا شك، لكن إذا أراد اللَّه تعالى إسماع ما ليس من شأنه السماع لم يمتنع، لقوله تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ**﴾، الآية، وقوله: ﴿**فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا**﴾»، الآية.

فإذا علمت أيها القارئ الكريم! أن الموتى لا يسمعون، فقد تبين أنه لم يبق هناك مجال لمناداتهم من دون اللَّه تعالى، ولو بطلب ما كانوا قادرين عليه وهم أحياء، بحكم كونهم لا يسمعون النداء، وأن مناداة من كان كذلك والطلب منه سخافة في العقل، وضلال في الدين، وصدق اللَّه العظيم، القائل في كتابه الكريم: ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ**﴾ [الأحقاف: ٥ ـ ٦].

● قال الطحطاوي في حاشيته على «الدر المختار» (٢/ ٣٨١ ـ ٣٨٢): «إن الميت لا يسمع ولا يفهم».

● وقال ابن عابدين في كتابه «رد المحتار على الدر المختار» (٣/ ١٨٠):

«وأما الكلام فالمقصود منه الإفهام، والموت ينافيه... ﴿**إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ**

﴿الْمَوْتَىٰ﴾ شبّه فيه الكفار بالموتى لإفادة بُعد سماعهم وهو فَرع عدم سماع الموتى».

وقال إمام الحنفية ابن الهمام في «فتح القدير» حاشية الهداية:

«أكثر مشايخنا على أن الميت لا يسمع عندهم، وصرحوا به في كتاب «الإيمان» في باب اليمين بالضرب»: «لو حلف لا يكلمه فكلّمه ميتًا لا يحنث؛ لأنها تنعقد على ما بحيث يفهم، والميت ليس كذلك لعدم السماع».

● قال الشيخ نعمان بن الشيخ محمود شكري الألوسي في كتابه «الآيات البينات في عدم سماع الأموات».

فتبين من «تنوير الأبصار»، وشرحه «الدر المختار» و«حاشيته» للطحطاوي، ولابن عابدين، ومن «فتح القدير»، و«الهداية»، ومن «مراقي الفلاح»، و«حاشيته»، و«شروح الكنز»، ومن سائر المتون المبنية على المفتى به من قول الإمام أبي حنيفة وصاحبيه، ومشايخ المذهب: أن الميت لا يسمع بعد خروج روحه، كما قالت عائشة، وتبعها طائفة من أهل العلم والمذاهب الأخرى، وأن الحنفية لم يحكوا خلافًا في حكمهم هذا عن أحد من علماء المذهب[1].

* تفسير العلامة الشنقيطي لآيات هامة تتعلق بمسألة سماع الموتى:

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ [النمل: ٨٠].

● قال الشيخ الشنقيطي في «أضواء البيان» (٦/ ٤١٤ ـ ٤٤١):

اعلم أن التحقيق الذي دلت عليه القرائن القرآنية واستقراء القرآن، أن معنى

---

(١) ص(٦١ ـ ٦٢).

قوله هنا: إنك لا تسمع الموتى لا يصح فيه من أقوال العلماء، إلا تفسيران:

الأول أن المعنى: إنك لا تسمع الموتى: أي: لا تسمع الكفار، الذين أمات اللَّه قلوبهم، وكتب عليهم الشقاء في سابق علمه إسماع هدى وانتفاع؛ لأن اللَّه كتب عليهم الشقاء، فختم على قلوبهم، وعلى سمعهم، وجعل على قلوبهم الأكنة، وفي آذانهم الوقر، وعلى أبصارهم الغشاوة، فلا يسمعون الحق سماع اهتداء وانتفاع: ومن القرائن القرآنية الدالة على ما ذكرنا أنه جل وعلا قال بعده: ﴿ **إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ** ﴾.

فاتضح بهذه القرينة أن المعنى: إنك لا تسمع الموتى أي: الكفار الذين هم أشقياء في علم اللَّه إسماع هدى وقبول للحق ما تسمع ذلك الإسماع، إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون، فمقابلته جل وعلا بالإسماع المنفي في الآية عن الموتى بالإسماع المثبت فيها، لمن يؤمن بآياته، فهو مسلم دليل واضح على أن المراد بالموت في الآية: موت الكفر والشقاء لا موت مفارقة الروح للبدن، ولو كان المراد بالموت في قوله: ﴿ **إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ** ﴾ مفارقة الروح للبدن لما قابل قوله: إنك لا تسمع الموتى بقوله: إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا، بل لقابله بما يناسبه كأن يقال: إن تسمع إلا من لم يمت: أي: يفارق روحه بدنه كما هو واضح..

وإذا علمت أن هذه القرينة القرآنية دلت على أن المراد بالموتى هنا الأشقياء الذين لا يسمعون الحق سماع هدى وقبول.

فاعلم أن استقراء القرآن العظيم يدل على هذا المعنى كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ** ﴾ [الأنعام: ٣٦]، وقد أجمع من يعتد به من أهل العلم أن المراد

بالموتى في قوله: والموتى يبعثهم الله: الكفار، ويدل له مقابلة الموتى في قوله: والموتى يبعثهم الله بالذين يسمعون في قوله: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ ويوضح ذلك قوله تعالى قبله: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ﴾ أي: فافعل، ثم قال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ * إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ الآية، وهذا واضح فيما ذكرنا، ولو كان يراد بالموتى من فارقت أرواحهم أبدانهم لقابل الموتى بما يناسبهم كأن يقال: إنما يستجيب الأحياء: أي: الذين لم تفارق أرواحهم أبدانهم.

وكقوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

فقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾: أي كافرًا، فأحييناه: أي: بالإيمان والهدى. وهذا لا نزاع فيه، وفيه إطلاق الموت، وإرادة الكفر بلا خلاف. وكقوله: ﴿لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾. وكقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ﴾ أي: لا يستوي المؤمنون والكافرون.

واعلم أن آية النمل هذه جاءت آيتان أخريان بمعناها:

الأولى منهما: قوله تعالى في سورة الروم: ﴿فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾، ولفظ: آية الروم هذه كلفظ آية النمل

التي نحن بصددها، فيكفي في بيان آية الروم ما ذكرنا في آية النمل.

والثانية منهما قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ**﴾ وآية فاطر هذه كآية النمل والروم المتقدمتين؛ لأن المراد بقوله فيها: من في القبور الموتى، فلا فرق بين قوله: ﴿**إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ**﴾ وبين قوله: ﴿**وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ**﴾؛ لأن المراد بالموتى ومن في القبور واحد كقوله تعالى: ﴿**وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ**﴾، أي: يبعث جميع الموتى من قبر منهم ومن لم يقبر، وقد دلت قرائن قرآنية أيضًا على أن معنى آية: فاطر هذه كمعنى آية الروم، منها قوله تعالى قبلها: ﴿**إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ**﴾ الآية؛ لأن معناها: لا ينفع إنذارك إلا من هداه اللَّه ووفقه فصار ممن يخشى ربه بالغيب، ويقيم الصلاة وما أنت بمسمع من في القبور: أي: الموتى أي: الكفار الذين سبق لهم الشقاء كما تقدم. ومنها قوله تعالى أيضًا: ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ**﴾ أي: المؤمن والكافر. وقوله تعالى قبلها: ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ**﴾ أي: المؤمنون والكفار. ومنها قوله تعالى بعده: ﴿**إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ**﴾ أي: ليس الإضلال والهدى بيدك ما أنت إلا نذير: أي: وقد بلغت.

التفسير الثاني: هو أن المراد بالموتى الذين ماتوا بالفعل، ولكن المراد بالسماع المنفي في قوله: ﴿**إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ**﴾ خصوص السماع المعتاد الذي ينتفع صاحبه به، وأن هذا مثل ضرب للكفار، والكفار يسمعون الصوت، لكن لا يسمعون سماع قبول بفقه واتباع كما قال تعالى: ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً**﴾، فهكذا الموتى الذين ضرب بهم المثل لا يجب أن ينفى عنهم جميع أنواع السماع كما لم

ينف ذلك عن الكفار، بل قد انتفى عنهم السماع المعتاد الذي ينتفعون به، وأما سماع آخر فلا، وهذا التفسير الثاني جزم به واقتصر عليه العلامة أبو العباس ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ.

● ثم قال الشنقيطي:

اعلم أن الذي يقتضي الدليل رجحانه هو أن الموتى في قبورهم يسمعون كلام من كلمهم، وأن قول عائشة ﵂ ومن تبعها: إنهم لا يسمعون استدلالاً بقوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ**﴾ وبما جاء بمعناها من الآيات غلط منها ﵂، وممن تبعها.

وإيضاح كون الدليل يقتضي رجحان ذلك مبني على مقدمتين.

الأولى منهما: أن سماع الموتى ثبت عن النبي ﷺ في أحاديث متعددة، ثبوتًا لا مطعن فيه. ولم يذكر ﷺ أن ذلك خاص بإنسان ولا بوقت.

والمقدمة الثانية: هي أن النصوص الصحيحة عنه ﷺ في سماع الموتى لم يثبت في الكتاب ولا في السنة شيء يخالفها، وتأويل عائشة ﵂ بعض الآيات، على معنى يخالف الأحاديث المذكورة، لا يجب الرجوع إليه؛ لأن غيره في معنى الآيات أولى بالصواب منه، فلا ترد النصوص الصحيحة عن النبي ﷺ بتأويل بعض الصحابة بعض الآيات، وسنوضح هنا إن شاء اللَّه صحة المقدمتين المذكورتين، وإذا ثبت بذلك أن سماع الموتى ثابت عنه ﷺ من غير معارض صريح. علم بذلك رجحان ما ذكرنا، أن الدليل يقتضي رجحانه.

أما المقدمة الأولى وهي: ثبوت سماع الموتى عن النبي ﷺ، فقد قال

البخاري في «صحيحه»: حدثني عبد اللَّه بن محمد، سمع روح بن عبادة، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة قال: ذكر لنا أنس بن مالك، عن أبي طلحة: «أن نبي اللَّه ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش، فقذفوا في طويّ من أطواء بدر خبيث مخبث، وكان إذا ظهر عل قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها، ثم مشى واتبعه أصحابه، وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفة الركي، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: **«يا فلان ابن فلان، يا فلان ابن فلان: أيسركم أنكم أطعتم اللَّه ورسوله فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟»** قال: فقال عمر: يا رسول اللَّه ﷺ ما تكلم من أجساد لا أرواح لها، فقال رسول اللَّه ﷺ: **«والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم»**، قال قتادة: أحياهم اللَّه له؛ حتى أسمعهم قوله توبيخًا وتصغيرًا ونقمة وحسرة، وندمًا. فهذا الحديث الصحيح أقسم فيه النبي ﷺ: أن الأحياء الحاضرين ليسوا بأسمع لما يقول ﷺ من أولئك الموتى بعد ثلاث.

وهو نص صحيح صريح في سماع الموتى، ولم يذكر ﷺ في ذلك تخصيصًا، وكلام قتادة الذي ذكره عنه البخاري اجتهاد منه فيما يظهر.

وقال البخاري في «صحيحه» أيضًا: حدثني عثمان، حدثنا عبدة بن هشام، عن أبيه، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «وقف النبي ﷺ على قليب بدر فقال: **«هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟»**، ثم قال: **«إنهم الآن يسمعون ما أقول»**. فذكر لعائشة فقالت: إنما قال النبي ﷺ: **«إنهم الآن ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق»**، ثم قرأت: **﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾** حتى

قرأت الآية» انتهى من «صحيح البخاري». وقد رأيته أخرج عن صحابيين جليلين، هما ابن عمر، وأبو طلحة تصريح النبي ﷺ بأن أولئك الموتى يسمعون ما يقول لهم، ورد عائشة لرواية ابن عمر بما فهمت من القرآن مردود كما سترى إيضاحه إن شاء اللَّه تعالى.

وقد أوضحنا في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ**﴾ أن ردها على ابن عمر أيضًا روايته عن النبي ﷺ، أن الميت يعذب ببكاء أهله بما فهمت من الآية مردود أيضًا، وأوضحنا أن الحق مع ابن عمر في روايته لا معها فيما فهمت من القرآن. وقال البخاري في «صحيحه» أيضًا: عن قتادة، عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**العبد إذا وضع في قبره وتولى وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان: له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فيقول: أشهد أنه عبد اللَّه ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك اللَّه به مقعدًا في الجنة**» الحديث، وقد رأيت في الحديث الصحيح، تصريح النبي ﷺ بأن الميت في قبره، يسمع قرع نعال من دفنوه إذا رجعوا، وهو نص صحيح صريح في سماع الموتى، ولم يذكر ﷺ فيه تخصيصًا.

وقال مسلم بن الحجاج ـ رحمه اللَّه ـ في «صحيحه»: عن ثابت قال: قال أنس: كنا مع عمر بين مكة المدينة فتراءينا الهلال. والحديث. وفيه: فقال: إن رسول اللَّه ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس. يقول: «**هذا مصرع فلان غدًا**[1] **إن شاء اللَّه**». قال: فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق ما

---

(١) لا يخالف هذا قوله تعالى: ﴿**وما تدري نفس بأي أرض تموت**﴾ مع قول النبي ﷺ عن مفاتيح الغيب الخمس المذكورة في الآية «خمس لا يعلمهن إلا اللَّه»؛ وذلك لأنه قد=

اخطأوا الحدود التي حد رسول اللَّه ﷺ فجعلوا في بئر بعضهم على بعض، فانطلق رسول اللَّه ﷺ حتى انتهى إليهم، فقال: «**يا فلان ابن فلان، يا فلان ابن فلان: أيسركم أنكم أطعتم اللَّه ورسوله فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟**» قال عمر: يا رسول اللَّه ﷺ كيف تكلم أجسادًا لا أرواح فيها، قال: «**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا علي شيئًا**»، وعن أنس بن مالك: «أن رسول اللَّه ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثًا، ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم فقال: «**يا أبا جهل ابن هشام، يا أمية بن خلف، ياعتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة أليس قد وجدتم ما وعدكم اللَّه حقًّا، فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقًّا**»، فسمع عمر قول النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه كيف يسمعوا، وأنى يجيبوا وقد جيفوا؟ قال: «**والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا**»، ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا في قليب بدر»، ثم ذكر مسلم بعد هذا رواية أنس عن أبي طلحة، التي ذكرناها عن البخاري، فترى هذه الأحاديث الثابتة في «الصحيح» عن عمر وابنه وأنس وأبي طلحة رضي الله عنهم فيها التصريح من النبي ﷺ، بأن الأحياء الحاضرين ليسوا بأسمع من أولئك الموتى لما يقوله ﷺ، وقد أقسم ﷺ على ذلك ولم يذكر تخصيصًا، وقال مسلم - رحمه اللَّه - في «صحيحه» أيضًا: عن أنس بن مالك قال: قال نبي اللَّه

= علّق الأمر على مشيئة اللَّه تعالى. فهذه المفاتيح الخمس لا يعلمها علمًا قطعيًا بلا استثناء ولا تعليق ملك مقرب ولا نبي مرسل، وإنما يعلمهم اللَّه بما شاء من ذلك معلقًا على مشيئته، أو يبقى شيء من تفاصيل ذلك من توقيته، أو صفة وقوعه وحقيقة كيفيته مجهولاً للخلق ولا يعلمه علمًا كاملاً قاطعًا إلا اللَّه وحده.

ﷺ : «**إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم قال: يأتيه ملكان فيقعدانه**» الحديث. وفيه تصريح النبي ﷺ بسماع الميت في قبره قرع النعال، وهو نص صحيح صريح في سماع الموتى، وظاهره العموم في كل من دفن وتولى عنه قومه، كما ترى.

● ومن الأحاديث الدالة على عموم سماع الموتى ما رواه مسلم في «صحيحه» عن عائشة ﵂ أنها قالت: «كان رسول اللَّه ﷺ كلما كان ليلتها من رسول اللَّه ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون غداً مؤجلون، وإنا إن شاء اللَّه بكم لاحقون، اللَّهم اغفر لأهل بقيع الفرقد**»، وفي رواية في «صحيح مسلم» عنها قالت: كيف أقول لهم يا رسول اللَّه ﷺ قال قولي: «**السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم اللَّه المستقدمين منا والمستأخرين. وإنا إن شاء اللَّه بكم للاحقون**»، ثم قال مسلم ـ رحمه اللَّه ـ: عن سليمان بن بريدة، عن أبيه قال كان رسول اللَّه ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر فكان قائلهم يقول في رواية أبي بكر: السلام على أهل الديار وفي رواية : «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء اللَّه بكم للاحقون نسأل اللَّه لنا ولكم العافيه» انتهى من «صحيح مسلم». وخطابه ﷺ لأهل القبور بقوله: «**السلام عليكم**»، وقوله: «**وإنا إن شاء اللَّه بكم**»، ونحو ذلك يدل دلالة واضحة على أنهم يسمعون سلامه؛ لأنهم لو كانوا لا يسمعون سلامه وكلامه لكان خطابه لهم من جنس خطاب المعدوم ولا شك أن ذلك ليس من شأن العقلاء فمن البعيد جداً صدوره منه ﷺ ، وسيأتي إن شاء اللَّه ذكر حديث عمرو بن العاص الدال على أن الميت في قبره يستأنس بوجود الحي عنده.

وإذا رأيت هذه الأدلة الصحيحة الدالة على سماع الموتى، فاعلم أن الآيات القرآنية كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾، وقوله: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ لا تخالفها. وقد أوضحنا الصحيح من أوجه تفسيرها وذكرنا دلالة القرائن القرآنية عليه، وأن استقراء القرآن يدل عليه.

وممن جزم بأن الآيات المذكورة لا تنافي الأحاديث الصحيحة التي ذكرنا أبو العباس ابن تيمية - رحمه الله - فقد قال في الجزء الرابع من «مجموع الفتاوى» من صحيفة خمس وتسعين ومائتين إلى صحيفة تسع وتسعين ومائتين ما نصه: وقد تعاد الروح إلى البدن في غير وقت المسألة كما في الحديث الذي صححه ابن عبد البر عن النبي ﷺ أنه قال: **«ما من رجل يمر بقبر الرجل الذي كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه؛ حتى يرد عليه السلام»** وفي «سنن أبي داود» وغيره عن أوس بن أبي أوس الثقفي عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن خير أيامكم يوم الجمعة فأكثروا عليّ من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة فإن صلاتكم معروضة علي»**، قالوا: يا رسول الله: كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ فقال: **«إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»**، وهذا الباب فيه من الأحاديث والآثار، ما يضيق هذا الوقت عن استقصائه مما يبين أن الأبدان التي في القبور تنعم وتعذب إذا شاء الله ذلك كما يشاء وأن الأرواح باقية بعد مفارقة البدن ومنعمة أو معذبة. ولذا أمر النبي ﷺ بالسلام على الموتى، كما ثبت في «الصحيح» و«السنن»: أنه كان يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا: **«السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم»**، وقد

انكشف لكثير من الناس ذلك حتى سمعوا صوت المعذبين في قبورهم، ورأوهم بعيونهم، يعذبون في قبورهم في آثار كثيرة معروفة، ولكن لا يجب أن يكون دائمًا على البدن في كل وقت، بل يجوز أن يكون في حال.

وفي «الصحيحين» عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثًا، ثم أتاهم فقام عليهم فقال: «**يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة أليس قد وجدتم ما وعدكم اللَّه حقًا، فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقًا**»، فسمع عمر قول النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه كيف يسمعون، وقد جيفوا؟ قال: «**والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا**»، ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا في قليب بدر»، وقد أخرجاه في «الصحيحين»، عن ابن عمر ﷺ، أن النبي ﷺ وقف على قليب بدر، فقال: «**هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟**»، ثم قال: «**إنهم الآن يسمعون ما أقول**». فذكر ذلك لعائشة فقالت: وهم ابن عمر إنما قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنهم ليعلمون الآن أن الذي كنت أقول لهم هو الحق**»، ثم قرأت: ﴿**إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ**﴾ حتى قرأت الآية».

وأهل العلم بالحديث اتفقوا على صحة ما رواه أنس وابن عمر وإن كانا لم يشهدا بدرًا، فإن أنسًا روى ذلك عن أبي طلحة، وأبو طلحة شهد بدرًا.

● وقول قتادة: أحياهم اللَّه حتى أسمعهم توبيخًا، وتصغيرًا، ونقمة، وحسرة، وتنديمًا، وعائشة قالت فيما ذكرته كما تأولت.

والنص الصحيح عن النبي ﷺ مقدم على تأويل من تأول من أصحابه وغيره، وليس في القرآن ما ينفي ذلك. فإن قوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ**﴾، إنما أراد به السماع المعتاد الذي ينفع صاحبه، فإن هذا مثل

ضربه اللَّه للكفار، والكفار تسمع الصوت، لكن لا تسمع سماع قبول بفقه، واتباع كما قال تعالى: ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً**﴾، فهكذا الموتى الذين ضرب بهم المثل لا يجب أن ينفي عنهم جميع أنواع السماع، بل السماع المعتاد كما لم ينف ذلك عن الكفار، بل انتفى عنهم السماع المعتاد الذي ينتفعون به. وأما سماع آخر فلا ينفي عنهم، وقد ثبت في «الصحيحين» وغيرهما أن الميت يسمع خفق نعالهم، وإذا ولوا مدبرين، فهذا موافق لهذا فكيف يرفع ذلك؟. انتهى محل الغرض من كلام أبي العباس ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ وقد تراه صرح فيه بأن تأويل عائشة لا يرد به النص الصحيح عنه ﷺ، وأنه ليس في القرآن ما ينفي السماع الثابت للموتى في الأحاديث الصحيحة.

وإذا علمت به أن القرآن ليس فيه ما ينفي السماع المذكور، علمت أنه ثابت بالنص الصحيح، ومن غير معارض.

والحاصل: أن تأول عائشة ﵂ بعض آيات القرآن، لا ترد به روايات الصحابة العدول الصحيحة الصريحة عنه ﷺ، ويتأكد ذلك بثلاثة أمور:

الأول: هو ما ذكرناه الآن من أن رواية العدل لا ترد بالتأويل.

الثاني: أن عائشة ﵂ لما أنكرت رواية ابن عمر عن النبي ﷺ إنهم ليسمعون الآن ما أقول. قالت: إن الذي قاله ﷺ: «**إنهم ليعلمون الآن أن الذي كنت أقول لهم هو الحق**»، فأنكرت السماع ونفته عنهم، وأثبتت لهم العلم، ومعلوم أن من ثبت له العلم صح منه السماع كما نبه عليه بعضهم.

الثالث: هو ما جاء عنها مما يقتضي رجوعها، عن تأويلها المذكور إلى الروايات الصحيحة.

قال ابن حجر في «فتح الباري»: «ومن الغريب أن في «المغازي» لابن إسحاق رواية يونس بن بكير بإسناد جيد، عن عائشة مثل حديث أبي طلحة وفيه: **«ما أنتم بأسمع لما أقول منهم»**، وأخرجه أحمد بإسناد حسن. فإن كان محفوظًا فكأنها رجعت عن الإنكار لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصحابة، لكونها لم تشهد القصة. انتهى منه، واحتمال رجوعها لما ذكر قوي؛ لأن ما يقتضي رجوعها ثبت بإسنادين.

قال ابن حجر: إن أحدهما جيد. والآخر حسن، ثم قال ابن حجر: قال الإسماعيلي: كان عند عائشة من الفهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم، ما لا مزيد عليه، لكن لا سبيل إلى رد رواية الثقة إلا بنص مثله يدل على نسخه أو تخصيصه، أو استحالته. انتهى محل الغرض من كلام ابن حجر.

● ثم ذكر حديث عمرو بن العاص عند موته ومعلوم أن له حكم الرفع وقال: فكلام ابن القيم هذا الطويل الذي ذكرنا بعضه جملة وبعضه تفصيلاً فيه من الأدلة المقنعة ما يكفي في الدلالة على سماع الأموات، وكذلك الكلام الذي نقلنا عن شيخه أبي العباس بن تيمية - رحمهما اللَّه تعالى - وفي كلامهما الذي نقلنا عنهما أحاديث صحيحة، وآثار كثيرة، ومرائي متواترة، وغير ذلك».

وقد انتصر ابن كثير - رحمه اللَّه - في تفسير سورة الروم في كلامه على قوله تعالى: ﴿ **فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ** ﴾ إلى قوله: ﴿ **فَهُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ لسماع الموتى وأورد في ذلك كثيرًا من الأدلة التي قدمنا في كلام ابن القيم، وابن أبي الدنيا، وغيرهما وكثيرًا من المرائي الدالة على ذلك، وقد قدمنا الحديث الدال على أن المرائي إذا تواترت أفادت الحجة. ومما قال في

كلامه المذكور، وقد استدلت أم المؤمنين عائشة ﷺ بهذه الآية ﴿**فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ**﴾ على توهيم عبد اللَّه بن عمر ﷺ في روايته مخاطبة النبي ﷺ القتلى الذين ألقوا في قليب بدر، بعد ثلاثة أيام، إلى أن قال: والصحيح عند العلماء رواية عبد اللَّه بن عمر ﷺ، لما لها من الشواهد على صحتها، من أشهر ذلك ما رواه ابن عبد البر مصححًا له عن ابن عباس مرفوعًا: «**ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم كان يعرفه**» الحديث.

وقد قدمناه في هذا البحث مرارًا وبجميع ما ذكرنا في هذا المبحث في الكلام على آية النمل هذه تعلم أن الذي يرجحه الدليل: أن الموتى يسمعون سلام الأحياء وخطابهم سواء قلنا: إن اللَّه يرد عليهم أرواحهم؛ حتى يسمعوا الخطاب ويردوا الجواب، أو قلنا: إن الإرواح أيضًا تسمع وترد بعد فناء الأجسام؛ لأنا قد قدمنا أن هذا ينبني على مقدمتين، ثبوت سماع الموتى بالسنة الصحيحة، وأن القرآن لا يعارضها على التفسير الصحيح الذي تشهد له القرائن القرآنية، واستقراء القرآن، وإذا ثبت ذلك بالسنة الصحيحة من غير معارض من كتاب، ولا سنة ظهر بذلك رجحانه على تأول عائشة ﷺ، ومن تبعها بعض آيات القرآن كما تقدم إيضاحه، وفي الأدلة التي ذكرها العلامة ابن القيم في كتاب «الروح». على ذلك مقنع للمصنف، وقد زدنا عليها ما رأيت، والعلم عند اللَّه تعالى».

● قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٤١٢ ـ ٤١٣):

«إن اللَّه تعالى بقدرته يسمع الأموات أصوات الأحياء إذا شاء ويهدي من يشاء ويضل من يشاء... وثبت عنه ﷺ لأمته إذا سلّموا على أهل القبور أن يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه فيقول المسلم: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين**»، وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل ولولا هذا الخطاب لكانوا بمنزلة

خطاب المعدوم والجماد، والسلف مجمعون على هذا. وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف بزيارة الحي له ويستبشر... وقد شرع السلام على الموتى، والسلام على من لم يشعر ولا يعلم بالمسلِّم محال... ثم قال: فهذا السلام والخطاب والنداء لموجود يسمع ويخاطب ويعقل ويرد وإن لم يسمع المسلم الرد والله أعلم».

● **لطيفة:**

«دخل عبّاد بن عبّاد على إبراهيم بن صالح وهو على فلسطين فقال عظني، قال: بم أعظك أصلحك الله؟ بلغني أن أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم من الموتى فانظر ما يُعرض على رسول الله ﷺ من عملك فبكى إبراهيم حتى أخضل لحيته»[1].

● قال الشيخ عمر الأشقر في «القيامة الصغرى»:

«ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الميت يسمع قرع نعال أصحابه، بعد وضعه في قبره، فعن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم...**»[2] ووقف الرسول ﷺ بعد ثلاثة أيام من معركة بدر على قتلى بدر من المشركين فنادى رجالاً منهم، فقال: «**يا أبا جهل بن هشام، يا أميّة بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقًّا**»، فقال عمر بن الخطاب: «يا رسول الله! كيف يسمعوا أنى يجيبوا وقد

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤١٣).

(٢) «رواه مسلم، كتاب الجنة: باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٤/ ٢٢٠٣/ ح ٢٨٧٤).

جيفوا»[١] قال: «**والذي نفسي بيده! ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا**»، ثم أمر فسحبوا، فألقوا في قليب بدر»[٢].

وقد ساق ابن تيمية جملة من الأحاديث التي تدل على أن الموتى يسمعون، ثم قال: «فهذه النصوص وأمثالها تُبين أن الميت يسمع في الجملة كلام الحي، ولا يجب أن يكون السمع له دائمًا، بل قد يسمع في حال دون حال، كما قد يعرض للحي، فإنه يسمع أحيانًا خطاب من يخاطبه، وقد لا يسمع لعارض يعرض له»[٣] . وقد أجاب شيخ الإسلام على إشكال من يقول: إن اللَّه نفى السماع عن الميت في قوله: ﴿**فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ**﴾، وكيف تزعمون أن الموتى يسمعون؟ فقال: «وهذا السمع سمع إدراك، ليس يترتب عليه جزاء، ولا هو السمع المنفي بقوله: ﴿**فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ**﴾، فإن المراد بذلك: سمع القبول والامتثال، فإن اللَّه جعل الكافر كالميت الذي لا يستجيب لمن دعاه، وكالبهائم التي تسمع الصوت، ولا تفقه المعنى، فالميت وإن سمع الكلام وفقه المعنى، فإنه لا يمكنه إجابة الداعي، ولا امتثال ما أمر به، ونهى عنه، فلا ينتفع بالأمر والنهي، وكذلك الكافر لا ينتفع بالأمر والنهي، وإن سمع الخطاب وفهم المعنى، كما قال تعالى: ﴿**وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ**﴾، وقد جاءت النصوص دالة أيضًا على أن الميت مع سماعه يتكلم، فإن منكرًا ونكيرًا يسألونه، فالمؤمن يوفق للجواب الحق، والكافر

---

(١) أي: أنتنوا، وصاروا جيفًا.

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز: باب ما جاء في عذاب القبر، ورواه مسلم في كتاب الجنة: باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٤/ ٢٢٠٠/ ح ٢٨٧٠)، ورواه أبو داود، والنسائي أيضًا، انظر: «جامع الأصول» (١١/ ١٨٠).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٣٦٤).

والمنافق يضل عن الجواب، ويتكلم أيضًا في غير سؤال منكر ونكير، وكل هذا مخالف لما عهده أهل الدنيا من كلام، فإن الذي يسأل ويتكلم الروح، وهي التي تجيب وتقعد وتعذب وتنعم، وإن كان لها نوع اتصال بالجسد، وقد سبق القول أن بعض الناس قد يسمعون الكلمة من الميت، وأن الرسول ﷺ كان يسمع من هذا شيئًا كثيرًا»[1] .

* بيان حديث: الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق هل هي صعقة موت؟

● قال ابن القيم في كتابه «الروح»:

«وفي الحديث الصحيح: «**إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق، فإذا موسى آخذ بقائمة العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة يوم الطور**» فهذا صعق في موقف القيامة إذا جاء اللَّه لفصل القضاء وأشرقت الأرض بنوره، فحينئذ تصعق الخلائق كلهم قال تعالى: ﴿**فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ**﴾ [الطور: ٤٥]، ولو كان هذا الصعق موتًا لكان موتة أخرى، وقد تنبه لهذا جماعة من الفضلاء فقال أبو عبد اللَّه القرطبي: ظاهر هذا الحديث أن هذه صعقة غشي تكون يوم القيامة لا صعقة الموت الحادثة عن نفخ الصور قال: وقد قال شيخنا أحمد بن عمرو: ظاهر حديث النبي ﷺ يدل على أن هذه الصعقة إنما هي بعد النفخة الثانية، نفخة البعث ونص القرآن يقتضي أن ذلك الاستثناء إنما هو بعد نفخة الصعق، ولما كان هذا قال بعض العلماء: يحتمل أن يكون موسى ممن لم يمت من الأنبياء وهذا باطل.

وقال القاضي عياض: يحتمل أن يكون المراد بهذه صعقة فزع بعد النشور

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٣٦٤).

حين تنشـق السماوات والأرض قال: فتـستقل الأحاديث والآثـار. ورد عليه أبو العباس القرطبي فقال: يرد هذا قوله في الحديث الصحيح أنه حين يخرج من قبـره يلقى موسـى آخذًا بقائمـة العرش. قال: وهـذا إنما هو عند نـفخة الفزع.

قال أبـو عبد اللّـه: وقال شيـخنا أحـمد بن عمـرو: والذي يزيـح هذا الإشكال إن شاء اللّـه أن الموت ليس بعدم محض، وإنما انتـقال من حال إلى حال، ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين وهذه صفة الأحياء في الدنيا.

وإذا كان هذا فـي الشهداء كـان الأنبياء بـذلك أحق وأولى، مـع أنه قد صح عن الـنبي صلى الـلّه عليه وآلـه وسلم: «**أن الأرض لا تـأكـل أجـسـاد الأنـبيـاء**». وأنه ﷺ: اجتمع بـالأنبياء ليلة الإسراء في بـيت المقدس وفي السماء، وخصوصًا بموسى، وقد أخبر بأنه ما من مسلم يسلم عليه إلا رد اللّه عليه روحه حتى يرد عليه السلام. إلى غيـر ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غيبـوا عنا بحيث لا ندركهم وإن كانوا موجـودين أحيـاء، وذلك كالحـال في الملائكـة فإنهـم أحياء مـوجودون ولا نراهم. وإذا تقرر أنهم أحياء فإذا نفخ في الـصور نفخة الصعق صعق كل من في السماوات والأرض إلا من شاء اللّه، فأما صعق غير الأنبياء فموت. وأما صعق الأنبياء فالأظهر أنه غشية، فإذا نـفخ في الصور نفخة البعث فمن مات حيي، ومـن غشي عليه أفـاق، ولذلك قال صلى الـلّه عليه وآله وسـلم في الحديث المتفق عـلي صحته: «**فأكون أول من يـفيق**» فنبينـا أول من يخرج من قبره قبـل جميع الناس إلا مـوسى. فإنه حصل فـيه تردد هل بعث قـبله من غشيتـه أو بقي على الحالـة التي كان عليـها قبل نفخـة الصعق مفيـقًا؛ لأنه

حوسب بصعقة يوم الطور، وهذه فضيلة عظيمة لموسى ولا يلزم من فضيلة واحدة أفضليته على نبينا مطلقًا؛ لأن الشيء الجزئي لا يوجب أمرًا كليًا. انتهى.

قال أبو عبد اللَّه القرطبي: إن حمل الحديث على صعقة الخلق يوم القيامة فلا إشكال، وإن حمل على صعقة الموت عند النفخ في الصور فيكون ذكر يوم القيامة يراد به أوائله، فالمعنى «**إذا نفخ في الصور نفخة البعث كنت أول من يرفع رأسه فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبل أم جوزي بصعقة الطور**».

قلت: وحمل الحديث على هذا لا يصح؛ لأنه صلى اللَّه عليه وآله وسلم تردد هل أفاق موسى قبله أم لم يصعق، بل جوزي بصعقة الطور، فالمعنى: لا أدري أصعق أم لم يصعق. وقد قال في الحديث: «**فأكون أول من يفيق**».

وهذا يدل على أنه صلى اللَّه عليه وآله وسلم يصعق فيمن يصعق، وأن التردد حصل في موسى: هل صعق وأفاق قبله من صعقته أم لم يصعق؟ ولو كان المراد به الصعقة الأولى وهي: صعقة الموت، لكان صلى اللَّه عليه وآله وسلم قد جزم بموته. وتردد هل مات موسى أم لا يمت، وهذا باطل لوجوه كثيرة.

فعلم أنها صعقة فزع لا صعقة موت، وحينئذ فلا تدل على الآية على أن الأرواح كلها تموت عند النفخة الأولى، نعم تدل على أن موت الخلائق عند النفخة الأولى، وكل من لم يذق الموت قبلها فإنه يذوقه حينئذ، وأما من ذاق الموت أو من لم يكتب عليه الموت فلا تدل الآية على أنه يموت مرة ثانية، واللَّه أعلم.

فإن قيل: فكيف تصنعون بقوله في الحديث: «**إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض فأجد موسى باطشًا بقائمة العرش**»؟

قيل: لا ريب أن هذا اللفظ قد ورد هكذا، ومنه نشأ الإشكال، ولكنه دخل فيه على الراوي حديث في حديث فركب بين اللفظين فجاء هذا والحديثان هكذا.

أحدهما: أن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق.

والثاني هكذا: أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة.

ففي الترمذي وغيره من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر**».

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، فدخل على الراوي هذا الحديث في الحديث الآخر، وكان شيخنا أبو الحجاج الحافظ يقول ذلك.

فإن قيل: فما تصنعون بقوله: فلا أدري أفاق قبلي أم كان ممن استثنى اللَّه عز وجل، والذين استثناهم اللَّه إنما هم مستثنون من صعقة النفخة لا من صعقة يوم القيامة، كما قال اللَّه تعالى: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ**﴾ [الزمر: ٦٨]. ولم يقع الاستثناء من صعقة الخلائق يوم القيامة.

قيل: هذا واللَّه أعلم غير محفوظ، وهو وهم من بعض الرواة، والمحفوظ ما تواطأت الروايات الصحيحة من قوله: «**فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور**»، فظن بعض الرواة أن هذه الصعقة هي صعقة النفخة،

وأن موسى داخل فيمن استثني منها، وهذا لا يلتئم على مساق الحديث قطعًا فإن الإفاقة حينئذ هي إفاقة البعث، فكيف يقول: لا أدري أبعث قبلي أم جوزي بصعقة الطور. فتأمله. وهذا بخلاف الصعقة التي يصعقها الخلائق يوم القيامة إذا جاء اللَّه سبحانه لفصل القضاء بين العباد وتجلى لهم، فإنهم يصعقون جميعًا. وأما موسى ﷺ فإن كان لم يصعق معهم فيكون قد حوسب بصعقته يوم تجلى ربه للجبل فجعله دكًا، فجعلت صعقة هذا التجلي عوضًا من صعقة الخلائق لتجلي الرب يوم القيامة، فأمل هذا المعنى العظيم ولو لم يكن في الجواب إلا كشف هذا الحديث وشأنه لكان حقيقًا أن يعض عليه بالنواجذ، وللَّه الحمد والمنة وبه التوفيق»[1].

* نفيسة يعض عليها بالنواجذ:

الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون، وكذا يصلي الصالحون.

● عن ثابت البناني عن أنس مرفوعًا: **«الأنبياء ـ صلوات اللَّه عليهم أحياء في قبورهم يصلون»**[2].

قال الشيخ الألباني ـ رحمه اللَّه ـ في «السلسلة الصحيحة» (٢/ ١٩٠ ـ ١٩١):

«قد كنت برهة من الدهر أرى أن هذا الحديث ضعيف لظني أنه مما تفرّد به ابن قتيبة ـ كما قال البيهقي ـ ولم أكن قد وقفت عليه في «مسند أبي

(١) «الروح» لابن القيم ص(٤٨ ـ ٥٠).

(٢) قال الشيخ الألباني ـ رحمه اللَّه ـ في «السلسلة الصحيحة» (٢/ ١٨٧/ ح ٦٢١)، أخرجه البزار في «مسنده» (٢٥٦)، وتمام الرازي في «الفوائد» وعنه ابن عساكر في «تاريخ دمشق»، وابن عدي في «الكامل»، والبيهقي في «حياة الأنبياء».

يعلى» و«أخبـار أصبهان»: فلما وقفت عـلى إسناده فيهما تبـين لي أنه إسناد قوي، وأن التفرد المـذكور غير صحيح، ولذلك بادرت إلـى إخراجه في هذا الكتاب تـبرئة للذمة، وأداء لـلأمانة العلميـة، ولو أن ذلك قد يفتـح الطريق لجاهل أو حاقد إلى الطـعن والغمز واللمز، فلست أُبالـي بذلك ما دمت أني أقوم بواجب ديني أرجو ثوابه من اللَّه تعالى وحده.

فإذا رأيت أيها القـاريء الكريم في شيء من تآليفي خلاف هـذا التحقيق فاضرب عليه، واعتمد هذا وعض عليه بالنواجذ، فإني لا أظن أنه يتيسر لك الوقوف على مثله واللَّه وليّ التوفيق».

● وعن أنس بن مالـك ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«مـررت علـى موسى، وهو قائم يصلي في قبره»**[١] وفي رواية: **«أتيت على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره»**[١].

● وعن أبي هريرة ﷺ قـال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لقـد رأيتنـي في الحجر وأنا أُخبـر قريشًا عن مسراي فسألونـي عن أشياء من بيت المقدس لـم أُثبتها فكَرُبت كربًا ما كربـت مثله قط، فرفعه اللَّه عز وجل لي أنظر إلـيه ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتـهم به، وقد رأيتنـي في جماعة الأنبيـاء، فإذا موسى قائم يـصلي فإذا رجل ضَرْب جعْـد كأنه من رجال شنوءة، وإذا عـيسى بن مريم قائم يـصلي أقرب الناس بـه شبهًا عروة بن مـسعود الثقفـي، وإذا إبراهيم قائـم يصلي أشبه الـناس به صاحبكم** ـ يعني: نفسه ـ **فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال لي**

---

(١) أخرجه مسـلم في «صحيحه» (٢٣٧٥/ ١٦٤) «الفـضائل، والنسائي في «المجـتبى»، وفي «سنـنه الكـبرى» (١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١)، وأحمـد في «مسـنده» (٣/ ١٤٨، ٢٤٨)، و(٣/ ١٢٠)، وأبو يـعلى، وابن حـبان في «صـحيحـه»، والبغوي فـي «شرح السـنة»، وأبو نعيم في «الحلية».

قائل: يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلِّم عليه، فالتفتُّ إليه فبدأني بالسلام»[١].

● قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما كونه رأى موسى قائمًا يصلي في قبره، ورآه في السماء أيضًا فهذا لا منافاة بينهما فإن أمر الأرواح من جنس أمر الملائكة في اللحظة الواحدة تصعد وتهبط كالملك، ليست في ذلك كالبدن.

وهذه الصلاة ونحوهما مما يتمتع بها الميت، ويتنعم بها كما يتنعم أهل الجنة بالتسبيح، فإنهم يلهمون التسبيح كما يلهم الناس في الدنيا النفس، فهذا ليس من عمل التكليف الذي يطلب له ثواب منفصل، بل نفس هذا العمل هو من النعيم الذي تتنعم به الأنفس وتتلذذ به.

وقول النبي ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له**»، يريد به العمل الذي يكون له ثواب، ويتنعمون بذكره وتسبيحه، ويتنعمون بقراءة القرآن، ويقال لقارئ القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها.

ويتنعمون بمخاطبتهم لربهم ومناجاته، وإن كانت هذه الأمور في الدنيا أعمالاً يترتب عليها الثواب فهي في الآخرة أعمال يتنعم بها صاحبها أعظم من أكله وشربه ونكاحه، وهذه كلها أعمال أيضًا، والأكل والشرب والنكاح

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٧٢/ ٢٧٨) «الإيمان»، والنسائي في «تفسيره» رقم (٣٠٤، ٥٠٠)، وابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢١٥)، وابن منده في «الإيمان» رقم (٧٤٠)، وأبو عوانة (١/ ١٣١)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٩٧).

في الدنيا مما يؤمر به ويثاب عليه مع النية الصالحة، وهو في الآخرة نفس الثواب الذي يتنعّم به والله أعلم»[١] .

* قول ابن التين: «الموتى لا يصلون» خطأ وليس بصحيح:

● قال الشيخ الألباني - رحمه الله - في «أحكام الجنائز» ص(٢٧٢ - ٢٧٣):

«قول ابن التين: «الموتى لا يصلون» ليس بصحيح؛ لأنه لم يرد نص في الشرع بنفي ذلك، وهو من الأمور الغيبيّة التي لا ينبغي البت فيها إلا بنص وذلك مفقود، بل قد جاء ما يُبطل إطلاق القول به، وهو صلاة موسى عليه الصلاة والسلام في قبره كما رآه رسول الله ﷺ ليلة أسري به على ما رواه مسلم في «صحيحه»، وكذلك صلاة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مقتدين به في تلك الليلة كما ثبت في «الصحيح»، بل ثبت عنه أنه قال: «**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون**».

بل قد جاء عنه ﷺ ما هو أعمّ مما ذكرنا، وذلك في حديث أبي هريرة في سؤال الملكين للمؤمن في القبر:

- عن النبي ﷺ قال: «**إن الميت يسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين، فإن كان مؤمنًا كانت الصلاة عند رأسه وكان الصوم عن يمينه وكانت الزكاة عن يساره وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلاة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه فيؤتى من قبل رأسه فتقول: الصلاة ما قِبلي مدخل، ويؤتى عن يمينه فيقول الصوم: ما قِبلي مدخل، ويُؤتى عن يساره فتقول الزكاة: ما قبلي مدخل، ويؤتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات: ما قِبلي مدخل، فيُقال له: اقعد فيقعد**

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» ص(٣٢٩، ٣٣٠).

فتمثل له الشمس وقد دنت للغروب، فيقال له: ما تقول في هذا الرجل الذي كان فيكم وما تشهد به؟ فيقول: دعوني أصلي، فيقولون: إنك ستفعل ولكن أخبرنا عما نسألك عنه، قال: وعم تسألوني عنه؟ فيقولون: أخبرنا ما تقول في هذا الرجل الذي كان فيكم؟ وما تشهد عليه؟ فيقول: محمداً أشهد أنه عبد اللّه وأنه جاء بالحق من عند اللَّه، فيُقال له: على ذلك حييت وعلى ذلك مت، وعلى ذلك تبعث إن شاء اللَّه». أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٧٨١)، والحاكم (١/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠)، وقال: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي! وإنما هو حسن فقط؛ لأن فيه محمد بن عمرو ولم يحتج به مسلم وإنما روى له مقرونًا أو متابعة فهذا الحديث صريح في أن المؤمن أيضًا يصلي في قبره فبطل بذلك القول بأن الموتى لا يُصلّون».

● وعن يوسف بن عطية قال: سمعت ثابتًا يقول لحميد الطويل: هل بلغك أن أحدًا يصلي في قبره إلا الأنبياء؟ قال: لا. قال: ثابت: اللَّهم إنْ أذنت لأحد أن يصلي في قبره فأذن لثابت أن يصلي في قبره»[1] .

● وأخرج ابن سعد في «الطبقات»، وابن أبي شيبة في «المسند» عن ثابت البناني قال: «اللَّهم إن كنت أعطيت أحدًا الصلاة في قبره فأعطني الصلاة في قبري»[2] .

● وأخرج أبو نعيم في «الحلية» عن سعيد بن جبير قال:

«أنا ـ واللَّه الذي لا إله إلا هو ـ أَدخلْت ثابتًا البَناني لحده، ومعي حميد الطويل، فلما سوّينا عليه اللبن، سقطت لبنة، فإذا أنا به يصلي في قبره،

---

(١) **سنده صحيح**: رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣١٩). انظر: «التحرير المرسّخ في أحوال البرزخ» لمحمد بن طولون الصالحي ص(٢٤٢).

(٢) **سنده حسن**: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣١٩).

وكان يقول في دعائه: «اللَّهم إن كنتَ أعطيت أحدًا من خلقك الصلاة في قبره فأعطينيها فما كان اللَّه تعالى ليردَّ دعاءه»[١] .

* ويتزاور الموتى في قبورهم.

● عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم :

«إذا ولي أحدكم أخاه، فليحسن كفنه، فإنهم يتزاورون في قبورهم»[٢] .

● وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم :

«حسنوا أكفان موتاكم، فإنهم يتباهون ويتزاورون في قبورهم»[٣] .

● قال السيوطي في «شرح الصدور» ص(١٨٩):

«قال الحافظ زين الدين ابن رجب في كتاب «أهل القبور»: قد يكرم اللَّه بعض أهل البرزخ بأعمال صالحة في البرزخ وإن لم يحصل له بذلك ثواب لانقطاع عمله بالموت، لكنه إنما يبقى عمله عليه ليتنعم بذكر اللَّه وطاعته، كما تنعم بذلك الملائكة، وأهل الجنة في الجنة، وإن لم يكن على ذلك ثواب؛ لأن نفس الذكر والطاعة أعظم نعيمًا عند أهلها من جميع نعيم أهل

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣١٩)، وابن رجب في «أهوال القبور»، وذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٢٢٢)، والسيوطي في «بشرى الكئيب بلقاء الحبيب» ص(٧٢).

(٢) أخرج الشطر الأول مسلم، وأحمد، وأبو داود، والبغوي في «شرح السنة»، وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى»، والحاكم في «المستدرك»، والنسائي في «المجتبى».
وأخرجه من حديث أبي قتادة: الترمذي في «أبواب الجنائز»: باب منه رقم (٩٩٥)، وابن ماجه في كتاب الجنائز: باب ما جاء فيما يستحب من الكفن، والبيهقي في «شعب الإيمان»، والحديث صحيح. انظر: «السلسلة الصحيحة» رقم (١٤٢٥).

(٣) قال الشوكاني في «الفوائد المجموعة» ص(٢٦٩):
«قيل: لا يصح». وقال في «اللآلئ» (٢/ ٢٣٤): بل هو حسن صحيح، له طرق وشواهد كثيرة.

الدنيا ولذتها، فما تنعم المتنعمون بمثل ذكر اللَّه وطاعته».

● **تنبيه**: قال الشيخ الألباني ـ رحمه اللَّه ـ في «الصحيحة» (٢/ ١٩٠):

«اعلم أن الحياة التي أثبتها هذا الحديث[١] للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إنما هي حياة برزخية، ليست من حياة الدنيا في شيء، ولذلك وجب الإيمان بها، دون ضرب الأمثال لها ومحاولة تكييفها وتشبيهها بما هو المعروف عندنا في حياة الدنيا. هذا هو الموقف الذي يجب أن يتخذه المؤمن في هذا الصدد: الإيمان بما جاء في الحديث دون الزيادة عليه بالأقيسة والآراء كما يفعل أهل البدع الذين وصل الأمر ببعضهم إلى ادعاء أن حياته ﷺ في قبره حياة حقيقية! قال: «يأكل ويشرب ويجامع نساءه[٢]. وإنما هي حياة برزخية لا يعلم حقيقتها إلا اللَّه سبحانه وتعالى.

● وقال الشيخ سليمان بن سحمان في «الصواعق المرسلة الشهابية» ص(٨٢):

«ومن المعلوم أنه لم يكن ﷺ حيًّا في قبره كالحياة الدنيوية المعهودة التي تقوم فيها الروح بالبدن وتدبره وتصرفه ويحتاج معها إلى الطعام والشراب واللباس والنكاح وغير ذلك، بل حياته ﷺ حياة برزخية، وروحه في الرفيق الأعلى».

* للَّه در السلف فعقيدتهم وسطية:

اعلم يا أخي أن الناس متفاوتون في هذه الأرواح فمن الناس من تغلب عليه هذه الأرواح فيصير روحانيًّا، ومنهم من يفقدها أو أكثرها فيصير أرضيًّا بهيميًّا.

---

(١) حديث «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون».

(٢) راجع: «مراقي الفلاح».

وإذا جاء نهر اللَّه بطل نهر معقل وعقيدة السلف وسط بين غال وجاف.

بين فريق يدعي أن أهل القبور يتناكحون ويأكلون ويشربون ويدعون أن الأنبياء لا يموتون وأن حياتهم في البرزخ مثل حياتهم الدنيوية سواء بسواء وبين الجهمية وأفراخهم الذين يقولون: «إن الروح عرض من أعراض البدن كالحياة، وصفات الحي مشروطة بها، فإذا زالت بالموت تبعتها صفاتها فزالت بزوالها، ونجا متأخروهم من هذا الإلزام، وفرّوا إلى القول بحياة الأنبياء عليهم السلام في قبورهم، فجعلوا لهم معادًا يختص بهم قبل المعاد الأكبر، إذ لم يمكنهم التصريح بأنهم لم يذوقوا الموت» ا.هـ. من «اجتماع الجيوش الإسلامية» لابن القيم.

قال أبو محمد بن حزم في «الفصل» (١/ ١٦١، ١٦٢): «فرقة مبتدعة تزعم أن محمد بن عبد اللَّه بن عبد المطلب ليس هو الآن رسول اللَّه ﷺ، ولكنه كان رسول اللَّه ﷺ ... وهذه مقالة خبيثة مخالفة للَّه تعالى ولرسوله ﷺ ولما أجمع عليه أهل الإسلام مذ كان الإسلام إلى يوم القيامة، وإنما حملهم على هذا القول الفاسد: أن الروح عرض، والعرض يفنى أبدًا، ويحدث ولا يبقى وقتين، فروح النبي ﷺ عندهم قد فنيت وبطلت، ولا روح له الآن عند اللَّه تعالى، وأما جسده ففي قبره موات فبطلت نبوته عندهم بذلك ورسالته.

* * *

مع درر ابن القيم من «النونية الكافية الشافية»

إنَّ الشَّهِيدَ حَيَاتُهُ مَنْصُوصَةٌ ... لا بِالقِيَاسِ القَائِمِ الأَرْكَانِ
هَذَا مَعَ النَّهْيِ المؤَكَّدِ أَنَّنَا ... نَدْعُوهُ مَيْتًا ذَاكَ فِي القُرْآنِ
وَنِسَاؤُهُ حِلٌّ لَنَا مِنْ بَعْدِهِ ... وَالمَالُ مَقْسُومٌ عَلَى السُّهْمَانِ
هَذَا وَأَنَّ الأرْضَ تَأكُلُ لَحْمَهُ ... وَسِبَاعُهَا مَعْ أُمَّةِ الدِّيدَانِ
لَكِنَّهُ مَعَ ذَاكَ حَيٌّ فَارِحٌ ... مُسْتَبْشِرٌ بِكَرَامَةِ الرَّحْمَنِ
فَالرُّسْلُ أَوْلَى بِالحَيَاةِ لَدَيهِ مَعْ ... مَوتِ الجُسُومِ وَهَذِهِ الأبدَانِ
وَهِيَ الطَّرِيَّةُ فِي التُّرَابِ وَأَكْلُهَا ... فَهْوَ الحَرَامُ عَلَيهِ بِالبُرْهَانِ
وَلِبَعْضِ أَتْبَاعِ الرَّسُولِ يَكُونُ ذَا ... أيْضًا وَقَدْ وَجَدُوهُ رَأيَ عِيَانِ
فَانْظُرْ إِلَى قَلْبِ الدَّلِيلِ عَلَيهِمُ ... حَرْفًا بِحَرْفٍ ظَاهِرِ التِّبْيَانِ
لَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ خُصَّ نِسَاؤُهُ ... بِخَصِيصَةٍ عَنْ سَائِرِ النِّسْوَانِ
خُيِّرْنَ بَيْنَ رَسُولِهِ وَسِوَاهُ فَاخْـ ... ـتَرْنَ الرَّسُولَ لِصِحَّةِ الإِيمَانِ
شَكَرَ الإلَهُ لَهُنَّ ذَاكَ وَرَبُّنَا ... سُبْحَانَهُ لِلْعَبْدِ ذُو شُكْرَانِ
قَصْرُ الرَّسُولِ عَلَى أُولَئِكَ رَحْمَةً ... مِنْهُ بِهِنَّ وَشُكْرَ ذِي الإحْسَانِ
وَكَذَاكَ أيْضًا قَصْرُهُنَّ عَلَيْهِ مَعْـ ... ـلُومٌ بِلاَ شَكٍّ وَلا حُسْبَانِ
زَوْجَاتُهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِي الـ ... أخْرَى يَقِينًا وَاضِحَ البُرْهَانِ
فَلِذَا حَرُمْنَ عَلَى سِوَاهُ بَعْدَهُ ... إِذْ ذَاكَ صَوْنٌ عَنْ فِرَاشٍ ثَانِ
لَكِنْ أتَيْنَ بِعِدَّةٍ شَرْعِيَّةٍ ... فِيهَا الحِدَادُ وَمَلْزَمُ الأوْطَانِ
هَذَا وَرُؤْيَتُهُ الْكَلِيمَ مُصَلِّيًا ... فِي قَبْرِهِ أثَرٌ عَظِيمُ الشَّانِ

فِي القَلْبِ مِنْهُ حَسِيكَةٌ هَلْ قَالَهُ فَالحَقُّ مَا قَدْ قَالَه ذُو البُرْهَانِ

وَلِذَاكَ أعْرَضَ فِي الصَّحِيحِ مُحَمَّدٌ عَنْهُ عَلَى عَمْدٍ بِلا نِسْيَانِ

وَالدَّارَقُطْنِيُّ الإِمَامُ أعَلَّهُ بِرِوَايَةٍ مَعْلُومَةِ التِّبْيَانِ

أنَسٌ يَقُولُ رَأَى الكَلِيمَ مُصَلِّيًا فِي قَبْرِهِ فَاعْجَبْ لِذَا الفُرْقَانِ

فَرَوَاهُ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ وَلَيْسَ بِالـ ـمَرْفُوعِ وَا شَوْقًا إلى العِرْفَانِ

بَيْنَ السِّيَاقِ إلَى السِّيَاقِ تَفَاوُتٌ لا تَطْرَحَنْهُ فَمَا هُمَا سِيَّانِ

لَكِنْ تُقَلِّدُ مُسْلِمًا وَسِوَاهُ مِمَّـ ـنْ صَحَّ هَذَا عِنْدَهُ بِبَيَانِ

فَرُوَاتُهُ الأثْبَاتُ أعْلامُ الهُدَى حُفَّاظُ هَذَا الدِّينِ فِي الأزْمَانِ

لَكِنَّ هَذَا لَيْسَ مُخْتَصًّا بِهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ وَذُو إحْسَانِ

فَرَوَى ابْنُ حِبَّانَ الصَّدُوقُ وَغَيْرُهُ خَبَرًا صَحِيحًا عِنْدَهُ ذَا شَانِ

فِيهِ صَلاةُ العَصْرِ فِي قَبْرِ الَّذِي قَدْ مَاتَ وَهُوَ مُحَقِّقُ الإيمَانِ

فَتُمَثَّلُ الشَّمْسُ الَّذِي قَدْ كَانَ يَرْ عَاهَا لأجْلِ صَلاةِ ذِي القُرْبَانِ

عِنْدَ الغُرُوبِ يَخَافُ فَوْتَ صَلاتِهِ فَيَقُولُ لِلمَلَكَيْنِ هَلْ تَدَعَانِ

حَتَّى أُصَلِّي العَصْرَ قَبْلَ فَوَاتِهَا قَالا سَتَفْعَلُ ذَاكَ بَعْدَ الآنِ

هَذَا مَعَ المَوْتِ المُحَقَّقِ لا الَّذِي حُكِيَتْ لَنَا بِثُبُوتِهِ القَوْلانِ

هَذَا وَثَابِتٌ البُنَانِيُّ قَدْ دَعَا الـ ـرَّحْمَنَ دَعْوَةَ صَادِقِ الإيقَانِ

أنْ لا يَزَالُ مُصَلِّيًا فِي قَبْرِهِ إنْ كَانَ أُعْطِيَ ذَاكَ مِنْ إنْسَانِ

لَكِنَّ رُؤْيَتَهُ لِمُوسَى لَيْلَةَ الـ ـمِعْرَاجِ فَوقَ جَمِيعِ ذِي الأكْوَانِ

يَرْوِيهِ أصْحَابُ الصِّحَاحِ جَمِيعُهُمْ وَالقَطْعُ مُوجَبُهُ بِلا نُكْرَانِ

وَلِذَاكَ ظُنَّ مُعَارِضًا لِصَلاتِهِ فِي قَبْرِهِ إذْ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ

وَأُجِيبَ عَنْهُ بِأَنَّهُ أَسْرِي بِهِ ... لِيَرَاهُ ثَمَّ مُشَاهِداً بِعَيَانِ

فَرَآهُ ثَمَّ وَفِي الضَّرِيحِ وَلَيْسَ ذَا ... بِتَنَاقُضٍ إِذْ أَمْكَنَ الوَقْتَانِ

هَذَا وَرَدُّ نَبِيِّنَا التَّسْلِيمَ مَنْ ... يَأْتِي بِتَسْلِيمٍ مَعَ الإِحْسَانِ

مَا ذَاكَ مُخْتَصًّا بِهِ أَيْضًا كَمَا ... قَدْ قَالَهُ المَبْعُوثُ بِالقُرْآنِ

مَنْ زَارَ قَبْرَ أَخٍ لَهُ فَأَتَى بِتَسْـ ... ـلِيمٍ عَلَيهِ وَهُوَ ذُو إِيمَانِ

رَدَّ الإِلَهُ عَلَيْهِ حَقًّا رُوحَهُ ... حَتَّى يَرُدَّ عَلَيهِ رَدَّ بَيَانِ

وَحَدِيثُ ذِكْرِ حَيَاتِهِمْ بِقُبُورِهِمْ ... لَمَّا يَصِحَّ وَظَاهِرُ النُّكْرَانِ

فَانْظُرْ إِلَى الإِسْنَادِ تَعْرِفْ حَالَهُ ... إِنْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ بِهَذَا الشَّانِ

هَذَا وَنَحْنُ نَقُولُ هُمْ أَحْيَاءُ لَـ ... ـكِنْ عِنْدَنَا كَحَيَاةِ ذِي الأَبْدَانِ

وَالتُّرْبُ تَحْتَهُمُ وَفَوْقَ رُؤُوسِهِمْ ... وَعَنِ الشَّمَائِلِ ثُمَّ عَنْ أَيْمَانِ

مِثْلَ الَّذِي قَدْ قُلْتُمُوهُ مَعَاذُنَا ... بِاللَّهِ مِنْ إِفْكٍ وَمِنْ بُهْتَانِ

بَلْ عِنْدَ رَبِّهِمُ تَعَالَى مِثْلَ مَا ... قَدْ قَالَ فِي الشُّهَدَاءِ فِي القُرْآنِ

لَكِنْ حَيَاتُهُمْ أَجَلُّ وَحَالُهُمْ ... أَعْلَى وَأَكْمَلُ عِنْدَ ذِي الإِحْسَانِ

هَذَا وَأَمَّا عَرْضُ أَعْمَالِ العِبَا ... دِ عَلَيْهِ فَهْوَ الحَقُّ ذُو إِمْكَانِ

وَأَتَى بِهِ أَثَرٌ فَإِنْ صَحَّ الحَدِيـ ... ـثُ بِهِ فَحَقٌّ لَيْسَ ذَا نُكْرَانِ

لَكِنَّ هَذَا لَيْسَ مُخْتَصًّا بِهِ ... أَيْضًا بِآثَارٍ رُوِيْنَ حِسَانِ

فَعَلَى أَبِي الإِنْسَانِ يُعْرَضُ سَعْيُهُ ... وَعَلَى أَقَارِبِهِ مَعَ الإِخْوَانِ

إِنْ كَانَ سَعْيًا صَالِحًا فَرِحُوا بِهِ ... وَاسْتَبْشَرُوا يَا لَذَّةَ الفَرْحَانِ

أَوْ كَانَ سَعْيًا سَيِّئًا حَزِنُوا وَقَا ... لُوا رَبِّ رَاجِعْهُ إِلَى الإِحْسَانِ

وَلِذَا اسْتَعَاذَ مِنَ الصَّحَابَةِ مَنْ رَوَى ... هَذَا الحَدِيثَ عَقِيبَهُ بِلِسَانِ

يَا رَبِّ إِنِّي عَائِذٌ مِنْ خِزْيَةٍ ... أَخْزَى بِهَا عِنْدَ القَرِيبِ الدَّانِي

ذَاكَ الشَّهِيدُ المُرْتَضَى ابْنُ رَوَاحَةَ الـ ـمَحْبُوُّ بِالغُفْرَانِ وَالرِّضْوَانِ
لَكِنَّ هَذَا ذُو اخْتِصَاصٍ وَالَّذِي لِلْمُصْطَفَى مَا يَعْمَلُ الثَّقَلانِ
هَذِي نِهَايَاتٌ لأقْدَامِ الوَرَى فِي ذَا المَقَامِ الضَّنْكِ صَعْبِ الشَّانِ
وَالحَقُّ فِيهِ لَيْسَ تَحْمِلُهُ عُقُو لُ بَنِي الزَّمَانِ لِغِلْظَةِ الأذْهَانِ
وَلِجَهْلِهِمْ بِالرُّوحِ مَعْ أحْكَامِهَا وَصِفَاتِهَا لِلإلْفِ بِالأبْدَانِ
فَارْضَ الَّذِي رَضِيَ الإلَهُ لَهُمْ بِهِ أتُرِيدُ تَنْقُضُ حِكْمَةَ الدَّيَّانِ
هَلْ فِي عُقُولِهِمُ بِأنَّ الرُّوحَ فِي أعْلَى الرَّفِيقِ مُقِيمَةٌ بِجِنَانِ
وَتَرُدُّ أوْقَاتَ السَّلامِ عَلَيْهِ مِنْ أتْبَاعِهِ فِي سَائِرِ الأزْمَانِ
وَكَذَاكَ إنْ زُرْتَ القُبُورَ مُسَلِّمًا رُدَّتْ لَهُمْ أرْوَاحُهُمْ لِلآنِ
فَهُمُ يَرُدُّونَ السَّلامَ عَلَيْكَ لَـ ـكِنْ لَسْتَ تَسْمَعُهُ بِذِي الأذُنَانِ
هَذَا وَأجْوَافُ الطُّيُورِ الخُضْرِ مَسْـ ـكَنُهَا لَدَى الجَنَّاتِ وَالرِّضْوَانِ
مَنْ لَيْسَ يَحْمِلُ عَقْلُهُ هَذَا فَلا تَظْلِمْهُ شَأنُ الرُّوحِ أعْجَبُ شَانِ
لِلرُّوحِ شَأنٌ غَيْرُ ذِي الأجْسَامِ لا تُهْمِلْهُ شَأنُ الرُّوحِ أعْجَبُ شَانِ
وَهُوَ الَّذِي حَارَ الوَرَى فِيهِ فَلَمْ يَعْرِفْهُ غَيْرُ الفَرْدِ فِي الأزْمَانِ
هَذَا وَأمْرٌ فَوقَ ذَا لَوْ قُلْتُهُ بَادَرْتَ بِالإنْكَارِ وَالعُدْوَانِ
فَلِذَاكَ أمْسَكْتُ العِنَانَ وَلَوْ أرَى ذَاكَ الرَّفِيقَ جَرَيْتُ فِي المَيْدَانِ
هَذَا وَقَوْلِي أنَّهَا مَخْلُوقَةٌ وَحُدُوثُهَا المَعْلُومُ بِالبُرْهَانِ
هَذَا وَقَوْلِي أنَّهَا لَيْسَتْ كَمَا قَدْ قَالَ أهْلُ الإفْكِ وَالبُهْتَانِ
لا دَاخِلٌ فِينَا وَلا هِيَ خَارِجٌ عَنَّا كَمَا قَالُوهُ فِي الدَّيَّانِ
وَاللَّهِ لا الرَّحْمَنِ أثْبَتُّمْ وَلا أرْوَاحَكُمْ يَا مُدَّعِي العِرْفَانِ
عَطَّلْتُمُ الأبْدَانَ مِنْ أرْوَاحِهَا وَالعَرْشَ عَطَّلْتُمْ مِنَ الرَّحْمَنِ

حَرّم اللَّه على الأرض أكْل أجساد الأنبياء

● عن أوس بن أوس الثقفي قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: «**أفضل أيامكم يوم الجمعة: فيه خُلِق آدم، وفيه قُبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليّ**»، قالوا: وكيف تُعرَض صلاتنا عليك وقد أَرَمْتَ ـ يقولون بَليت ـ فقال: «**إن اللَّه قد حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام**»[1].

وذهب الشيخ عمر الأشقر في «الرسل والرسالات» أن هذا خاص بالأنبياء عليهم السلام.

«حرم اللَّه على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، كما روي في «السنن». وأما الشهداء فقد شوهد منهم بعد مدد من دفنه كما هو لم يتغير، فيحتمل بقاؤه كذلك في تربته إلى يوم محشره ويحتمل أن يبلى مع طول المدة، واللَّه أعلم. وكأنه ـ واللَّه أعلم ـ كلما كانت الشهادة أكمل والشهيد أفضل، كان بقاء جسده أطول»ا.هـ. من «شرح الطحاوية».

أخرج البخاري عن جابر أنه قال: «لما حضر أحد دعاني أبي من الليل قال: ما أراني إلا مقتولاً في من يقتل من أصحاب النبي ﷺ، وإني لا أترك بعدي أعز علي منك، غير نفس رسول اللَّه ﷺ، وإن عليَّ دينًا

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود رقم (١٠٤٧، ١٥٣١)، والنسائي في «المجتبى» (٣/ ٩١ ـ ٩٢)، وفي «سننه الكبرى» رقم (١٦٦٦)، وابن ماجه رقم (١٠٨٥، ١٦٣٦)، وأحمد (٤/ ٨)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢/ ١٤٩، ٥١٦)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٧٣٣)، وابن حبان في «صحيحه»، والطبراني في «الكبير» (١/ ٢١٦ ـ ٢١٧) رقم (٥٨٩)، وصححه الحاكم في «مستدركه» (١/ ٢٧٨)، ووافقه الذهبي، والبيهقي في «سننه»، وصححه النووي في «الأذكار» (١٧٢).

فاقض، واستوص بأخواتك خيرًا، فأصبحنا، فكان أول قتيل، ودفن معه آخر في قبر، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع الآخر فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وضعته غير هنية في أذنه. وأخرجه في كتاب الجنائز: باب هل يُخرج الميت من القبر واللحد لعلة (٣/ ٢١٤/ ح ١٣٥١)، وفي خبر آخر أنه أخرجه بعد ٤٦ سنة وهو يتَثَنَّى كأنما دفن بالأمس، وانظر: «فتح الباري» (٣/ ٢١٦).

* أعمار هذه الأمة:

عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «**أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلّهم من يجوز ذلك**»[1].

* تمثل الأعمال للميت في قبره:

مرّ عن قريب حديث أبي هريرة الذي رواه ابن حبان والحاكم عن أسماء ﷺ عن النبي ﷺ قال:

«**إذا أُدخل الإنسان في قبره، فإذا كان مؤمنًا، أحفّ به عمله: الصلاة والصوم، فيأتيه الملك من نحو الصلاة، فترده، ومن نحو الصوم، فيردّه، فيناديه: اجلس، فيجلِس، فيقول: ما تقول في هذا الرجل؟ قال: مَنْ؟ قال: محمد. فيقول: أشهد أنه رسول اللَّه ﷺ.**

فيقول: ما يُدريك؟ أدركته؟ قال: أشهد أنه رسول اللَّه. قال: يقول: على ذلك

---

(١) رواه الترمذي (٢/ ٢٧٢)، وابن ماجه (٤٢٣٦)، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم (٢/ ٤٢٧)، والخطيب (٦/ ٣٩٧) و(١٢/ ٤٢)، وابن منده في «التوحيد» وقال: هذا إسناد حسن.

وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي. قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢/ ٣٩٧/ ح ٧٥٧)، والصواب أنه حسن لذاته، صحيح لغيره.

عِشتَ، وعليه مت، وعليه تُبعث».

وفي حديث البراء: «يمثل له رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، أبشر برضوان من اللَّه، وجنات فيها نعيم مقيم، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: وأنت فبشرك اللَّه بخير، من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح... ـ وعن العاصي ـ ويمثل له رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: وأنت فبشّرك اللَّه بالشر، من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر! فيقول: أنا عملك الخبيث»[1] . نؤمن بهذا ولا نؤوله ولا نحرفه.

* رفع إدريس بروحه وجسده إلى السماء لا يصح فيه حديث بل هو من الإسرائيليات:

قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ قال ابن كثير: «هو كما ثبت في «الصحيحين» من حديث الإسراء أن رسول اللَّه ﷺ مرّ به وهو في السماء الرابعة. وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ رفع إلى السماء السادسة فمات بها. وهكذا قال الضحاك، والحديث المتفق عليه من أنه في السماء الرابعة أصح وهو قول مجاهد وغير واحد.

وذكر ابن كثير رواية كعب.. وكون ملك الموت قبض روحه في السماء الرابعة.. وقال: وهذا من الإسرائيليات وفي بعضه نكارة.

● قول ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ قال

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣) قال الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٥١): ورجال أحمد رجال الصحيح، والحديث حسّنه العراقي في «تخريج الإحياء» (٣/ ٢١٥).

إدريس رُفع ولم يمت كما رُفع عيسى إن أراد أنه لم يمت إلى الآن ففي هذا نظر، وإن أراد أنه رفع حيًّا إلى السماء ثم قبض هناك فلا ينافي ما تقدم عن كعب الأحبار.

قال البخاري: «ويذكر عن ابن مسعود وابن عباس أن إلياس هو إدريس»[1].

● **لطائف:**

١ ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٢٨، ٣٢٩):

«أما رؤيته ـ أي آدم ـ ورؤية غيره من الأنبياء ليلة المعراج إلى السماء.. فهذا رأى أرواحهم مصورة في أجسادهم مصورة في أبدانهم. وقد قال بعض الناس: لعله رأى نفس الأجساد المدفونة في القبور، وليس هذا بشيء».

٢ ـ قال السيوطي:

«أسئلة تتعلق بهذا الباب سُئلها شيخ الإسلام وحافظ العصر أبو الفضل ابن حجر:

سُئل عن الميت إذا سُئل هل يقعد أم يُسئل وهو راقد؟ فأجاب: يقعد.

● وسئل عن الروح هل تلبس حينئذ الجثة كما كانت؟ فأجاب: نعم لكن ظاهر الخبر أنها تحل في نصفه الأعلى.

وسُئل: هل يكشف له حتى يرى النبي ﷺ؟ فأجاب: إنه لم يرد حديث، وإنما ادعاه من لا يحتج به بغير مستند سوى قوله في هذا الرجل،

---

(١) «البداية والنهاية» (١/ ٩٢ ـ ٩٣).

ولا حجة فيه؛ لأن الإشارة إلى حاضر في الذهن.

● وسُئل عن الأطفال هل يُسألون؟ فأجاب: بأن الذي يظهر اختصاص السؤال بمن يكون مكلفًا»(١).

قال السيوطي في «شرح الصدور» (١٤٦):

«وقع في فتاوى شيخنا شيخ الإسلام علم الدين البلقيني أن الميت يجيب السؤال في القبر بالسريانية، ولم أقف لذلك على مستند، وسُئل الحافظ ابن حجر عن ذلك، فقال: ظاهر الحديث أنه بالعربي. قال: ويحتمل مع ذلك أن يكون خطاب كل أحد بلسانه».

٣ ـ قال ابن كثير:

«ما ذكره وهب ابن منبه وغيره أن إلياس عليه السلام لما دعا ربه عز وجل أن يقبضه إليه لما كذبوه وآذوه فجاءته دابة لونها لون النار فركبها وجعل اللَّه له ريشًا وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وصار ملكيًّا بشريًّا سماويًّا أرضيًّا ففي هذا نظر وهو من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب بل الظاهر أن صحتها بعيدة واللَّه أعلم»(٢).

٤ ـ قوله تعالى: ﴿**قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ**﴾ [يس: ٥٢].

قال الشنقيطي في «أضواء البيان» (٦/ ٤٨٩ ـ ٤٩٠):

«التحقيق أن هذا قول الكفار عند البعث، والآية تدل دلالة لا لبس فيها، على أنهم ينامون نومة قبل البعث كما قاله غير واحد، وعند بعثهم

---

(١) «شرح الصدور» للسيوطي ص(١٤٥).
(٢) «البداية والنهاية» (١/ ٣١٥).

أحياء من تلك النومة التي هي نومة موت يقول لهم الذين أوتوا العلم والإيمان: هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون».

وقال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٣٧): ﴿**مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا**﴾ هذا لا ينفي عذابهم في قبورهم؛ لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدة كالرقاد.

قال أبي بن كعب ﷺ ومجاهد والحسن وقتادة: ينامون نومة قبل البعث، قال قتادة: وذلك بين النفختين فلذلك يقولون: ﴿**مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا**﴾ فإذا قالوا ذلك أجابهم المؤمنون، قاله غير واحد عن السلف».

٥ ـ ذهب أبو الفرج ابن الجوزي وابن عقيل من الحنابلة إلى أن السؤال والنعيم والعذاب للروح خاصة.

* عليون وسجين:

قال الله تعالى: ﴿**كَلَّآ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَآ أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ**﴾ [المطففين: ١٨ ـ ٢١].

● قال الطبري ـ رحمه الله ـ: «الصواب أن يقال: إن كتاب أعمال الأبرار لفي ارتفاع إلى حد قد علم الله عز وجل منتهاه، ولا علم عندنا بغايته غير أن ذلك لا يقصر عن السماء السابعة لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك».

وقال ابن كثير: «قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿**لَفِي عِلِّيِّينَ**﴾: يعني: الجنة، وفي رواية العوفي عنه: أعمالهم في السماء عند الله، وكذا قال الضحاك، وقال قتادة: عليون ساق العرش اليمنى، وقال غيره: عليون عند سدرة المنتهى.

والظاهر أن عليين مأخوذ من العلوّ وكلما علا الشيء وارتفع عظم

واتسع» ا.هـ. من «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٨٧).

● **أما سجين:**

فقد قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿**كَلَّآ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ**﴾: أي: مصيرهم ومأواهم لفي سجين فقيل: من السجن وهو الضيق ا.هـ. من «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٦٨).

والحديث يدل على أن سجنهم في الأرض السفلى وهي الأرض السابعة أو تحت الأرض السابعة.

قال كعب: سجين: الأرض السابعة السفلى.

* لا نجزم لأحد أنه مات على الإيمان إلا ما جزم به النبي ﷺ:

● لا نقطع لمعين بأنه مات على الإيمان إلا من جزم له رسول الله ﷺ بذلك. فنشهد لمن جاء نص في حقه ولا نجزم لأحد بالشهادة مثلما ترجم البخاري في «الصحيح».

أما من لم يأت نص فيه «فلا نجزم بموتهم بالإيمان، وإن ظهر منهم خوارق العادات، وكمال الحالات، وجمال أنواع الطاعات، فإن مبني أمره على العيان، وهو مستور عن أفراد الإنسان»[1].

* عجب الذنب منه خلق ابن آدم وفيه يركب:

في الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة قوله ﷺ: «.. **ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظمًا واحدًا، وهو عجب الذَّنب**[2]، **ومنه يُركّب الخلق**

(١) «المقدمة السالمة في خوف الخاتمة» للشيخ علي سلطان القاري ص(١٨، ١٩) ـ دار عمار.
(٢) وهو العظم الذي بين الأليتين الذي في أسفل الصلب.

يوم القيامة»، وفي رواية لمسلم قال: «**كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خُلق، وفيه يُركّب**».

* ونؤمن بإسرافيل عليه السلام الموكل بالنفخ في الصور للقيام من القبور:

وهو الذي ينفخ في الصور بأمر ربه نفخات ثلاث:

أولاهن: نفخة الفزع، والثانية: نفخة الصعق، والثالثة: نفخة البعث.

قال ﷺ: «**كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له**»، ولفظ الترمذي: «**كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه وأصغى سمعه، وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر بالنفخ؟**» فقالوا: يا رسول اللَّه! وما تأمرنا؟ قال: «**قولوا: حسبنا اللَّه ونعم الوكيل**»[1].

● وقال ﷺ: «**ما طرف صاحب الصور مذ وُكِّل به ناظر نحو العرش كأن عينيه كوكبان دريان مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه**» صححه الألباني.

نؤمن بإسرافيل الموكل بالنفخ في الصور للقيام من القبور، والحضور يوم البعث والنشور ليفوز الشكور، ويجازى الكفور. فذاك ذنبه مغفور، وسعيه مشكور. وهذا قد صار عمله كالهباء المنثور وهو يدعو بالويل والثبور.

* * *

---

(١) رواه أحمد، والترمذي عن أبي سعيد الخدري.



عقائد فاسدة

«إياكم وبُنيّات الطريق»



عقائــــد فاســـدة

● لنا اللَّه في مصيبتنا، ونحن نـرى زخاريف الشيطان، وقد كثر المغترّون بتمـويهاتها، وتـباهي الزائغون والجـاهلون بلبـس حلتها، وعُـبدت الأهواء، واستعمـلت الآراء، وقامت سوق الفتـنة، وانتشرت أعلامهـا، وظهرت الردة وانكشف قنـاعها، وقُدِحت زناد الزندقـة، فأضرمت نيرانها، وخـلف محمد ﷺ في أمتـه بأقبح الخـلف، وعظمـت البليـة، واشتدت الرزيـة، وظهر المبتـدعون، وتنطع المتـنطعون، وانتـشرت البدع، ومات الورع، واتـخذ أهل الإلحاد رءوسًا وأربابًا، ونعق إبليس بأوليائه نعقة فاستجابوا له من كل ناحية، وأقبلوا نحوه مسرعين من كل قاصية، فأُلبسوا شيعًا ومُيِّزوا قِطعًا، فإنا للَّه وإنا إليه راجعون.

● قال رسول اللَّه ﷺ: «**يكون في آخر الزمان دجّالون كذّابون، يأتونكم من الأحاديـث بما لم تسـمعوا أنتم ولا آبـاؤكم، فإياكم وإيـاهم، لا يضلـونكم ولا يفتنونكم**»[1].

● وقـــال ﷺ: «**افترقت اليـهود على إحدى وسبعين فـرقة، فواحدة في الجنة، وسـبعون في النـار، وافترقت النصـارى على اثنـين وسبعين فرقـة، فإحدى وسبعون في النار، وواحـدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده، لتفـترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، واثنتان وسبعون في النار**»[2].

● وعن أنس بـن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسـول اللَّه ﷺ: «**إن الـلَّـه**

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة.

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه، عن عوف بن مالك، وصححـه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٠٨٢).

حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته»[١] .

● ولله در ابن عباس رضي الله عنهما إذ يقول: والله ما أظن على ظهر الأرض اليوم أحدًا أحبّ إلى الشيطان هلاكًا مني. فقيل: وكيف؟ فقال: والله إنه ليحدث البدعة في مشرق أو مغرب، فيحملها الرجل إليّ، فإذا انتهت إليّ قمعتها بالسنة، فترد عليه كما أخرجها»[٢] .

قال مالك ـ رحمه الله ـ: مهما تلاعبت به من أمر شيء، فلا تلاعبن بأمر دينك.

وقال الفضيل: من جلس إلى صاحب بدعة، ورّثه الله العمى.

وقال إبراهيم بن ميسرة: من وقّر صاحب بدعة، فقد أعان على هدم الإسلام. وإنا والله لا نوقرهم، بل نفضحهم على رءوس الأشهاد ونعرّيهم في البلاد ونبيّن للناس بدعتهم... ونصيح في الناس: وا إسلاماه... من للقرآن... مَن للسنة يعلي صرحها... من للبدعة يقمعها، من لطريق السلف... المحجة البيضاء يسلكها حتى تكون خاتمة مطافه في الجنة بإذن الله.

وهذي بعض عقائد أهل البدع نبيّن زيفها وترهاتها:

الرجعة عند الشيعة والصوفية

إن من ألوان تقديس الأموات والغلو فيهم أن يعتقد أن الميت وليًا كان أم نبيًا لا بد أن يرجع إلى الدنيا، أو أنه متى ما أراد أن يعود إلى بيته

---

(١) **صحيح**: رواه البزار، وقال المنذري: إسناده حسن. وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ٢٥).

(٢) «شرح أصول الاعتقاد» للالكائي (١/ ٥٥).

عـاد وكلم أهـله وذويه، وتفقَّـد أتـباعه ومريـديه، وربما أعـطاهم أورادًا إلى غيـر ذلـك مما يعبـر عن عقيـدة موغلة في الجاهـلية بعيـدة عن عـقيـدة الإسـلام الصافية(١) .

قال ابن الأثيـر: «والرجعة مذهب قوم مـن العرب في الجاهلـية معروف عندهم، ومذهب طائفة من فرق المسلمين من أُولي البدع والأهواء، يقولون: إن الميت يرجع إلى الدنيا ويكون فيها حيًّا كما كان، ومن جملتهم طائفة من الرافضة يقولون: إن علي بن أبي طالب مستتر في السحاب فلا يخرج مع من خرج من ولده حتى ينادي مناد من السماء: اخرج مع فلان»(٢) .

وفي «الموسوعة العربية»: «رجعة: العودة يراد بها رجوع الإمام بعد موته أو غيبته. أول من قال بها عبد اللَّه بن سبأ، ثم اعتنقها الشيعة، يعذب الإمام الراجع كل من أساء إلى الشيعة في حياته الأولى»(٣) .

وبما سبق نعلم:

- أن معنى الرجعة: الرجوع إلى الدنيا بعد الموت لغرض من الأغراض.
- أن فرقًا من المبتدعة وأهل الأهواء هم الذين يؤمنون بتلك العقيدة.
- ونلاحظ أن الرجعة ربما أُطلقت على اعتقاد بعضهم أن المقدَّس لم يمت ولكنه مستتر، أو مختف أو غائب إلى آخر ما هنالك من المعاني المشابهة.

يقول أحـمد الأحسائـي: «اعلم أن الرجعـة في الأصل يراد بـها رجوع الأموات إلى الدنيا كأنهم خرجوا منها ورجعوا إليها، وقد تستعمل فيمن غاب

---

(١) «تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي» لمحمد أحمد لوح (٢/ ٩) ـ دار الهجرة.
(٢) «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير مادة: (ر ج ع).
(٣) (١/ ٨٦٣).

وآب فإنه خرج من أهله ورجع إليهم»[١] .

● أول من نادى بهذه العقيدة في الإسلام هو عبد اللَّه بن سبأ اليهودي اليماني، وهذا ما أكده النوبختي الشيعي في قوله: «ولما بلغ عبد اللَّه بن سبأ نعي علي بالمدائن، قال للذي نعاه: كذبت لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلاً لعلمنا أنه لم يمت ولا يموت حتى يملك الأرض»[٢] .

وإذا تقرر هذا علمنا أن الشيعة هم أول من دعا في الإسلام إلى عقيدة الرجعة وأن جذورها رافضية محضة، ومما يؤكد اهتمام الرافضة بنشر هذه العقيدة:

● أنهم حاولوا كثيراً أن يجدوا من القرآن الكريم آيات تقوي هذا المذهب، فيقول الكاشاني ـ وهو يشرح قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾ [البقرة: ٣] «يدخل فيه ما غاب عن حواسهم من توحيد اللَّه، ونبوة الأنبياء، وقيام القائم، والرجعة، والبعث، والحساب»[٣] .

وهذا النص ـ بالإضافة إلى محاولة صاحبه الاستدلال على الرجعة بالقرآن ـ يدل من وجه آخر على أهمية الرجعة عندهم حيث جعلها من نظائر الإيمان باللَّه، وبالأنبياء، وبالبعث والحساب.

كما تحدث الأحسائي عن مكانة الرجعة عندهم، فقال: «سر من سر اللَّه والقول بها ثمرة الإيمان بالغيب»[٤] .

---

(١) «الرجعة» ص(٤١).

(٢) «فرق الشيعة» ص(٤٤).

(٣) «الصافي في التفسير» (١/ ٥٨).

(٤) «الرجعة» ص(١١).

وقال أيضًا: «هي من شرائط الإيمان الكامل»[(١)] .

روى العقيلي بسنده عن سفيان الثوري قال: سمعت رجلاً سأل جابرًا الجعفي عن قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يوسف: ٨٠]، قال جابر: لم يأت تأويل هذه الآية بعد. قال سفيان: وكذب. قال الحميدي ـ الراوي عن الثوري ـ فقلنا لسفيان: وما أراد بهذا؟ فقال: إن الرافضة تقول: إن عليًّا في السحاب فلا يخرج مع من خرج من ولده حتى ينادي مناد من السماء، يريد أن عليًّا ينادي من السحاب: اخرجوا مع فلان، يقول: فهذا تأويل هذه الآية. وكذب. هذه كانت في إخوة يوسف[(٢)] .

قال الآلوسي: «أول من قال بالرجعة عبد اللَّه بن سبأ، ولكن خصها بالنبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم وتبعه جابر الجعفي في أول المائة الثانية، فقال برجعة الأمير كرم اللَّه وجهه لكن لم يوقتها بوقت، ولما أتى القرن الثالث قرر أهله من الإمامية رجعة الأئمة كلهم وأعدائهم وعينوا لذلك وقت ظهور المهدي»[(٣)] .

قلت: في كون عبد اللَّه بن سبأ خص القول بالرجعة بالنبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم نظر؛ لأن عامة المصادر التي ترجمته وذكرت عقيدته في الرجعة قد ذكرت إيمانه برجعة علي بن أبي طالب ﷺ، بما في ذلك المصادر الشيعية كما سبق عن النوبختي آنفًا.

---

(١) «تقديس الأشخاص» (٢/ ١١).

(٢) «الضعفاء الكبير» للعقيلي (١/ ١٩٣ ـ ١٩٤).

(٣) «روح المعاني» (٢٠/ ٢٧).

وفي دعاء مأثور عن الإمـامية يتوجه به الداعي إلى الأئـمة ورد قولهم: «أنتم الأول والآخر وإن رجعتكم حق»(١) .

● بالنظر إلى ما أحصاه آغا برزك الطـهراني نجد أن عدد مؤلفات الشيعة المتعلقة بالرجعة يبلغ (٣٢) كتابًا(٢) .

● أن الأخ ضيـاء الدين أبـرلي أورد في رسـالته «عـقيدة الـرجعة عـند الشيعـة» جدولاً بأسماء المقـدسين الذين أُدعي أنهـم يرجعون إلى الدنـيا بعد موتهم، أو بعد غيبتهم فبلغ عددهم (٢٢) رجلاً ابتداء من علي بن أبي طالب إلى الحاكم بأمر اللَّه(٣) .

ويذكر الشـيبي: «أن الرجعة تطورت حـتى ألصقت بأربعين شـخصًا من أصاب محمد بن الحنفية وأنهم يرجعون معه في قيامه»(٤) .

● ومهدي الشيعة الإمامية المنتظر محمد بن الحسن العسكري بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفـر بن علي بن الحسين، قالوا عنه: إنه حي لم يمت ولا يموت؛ حتى يخرج فيملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً.

وللمهدي المنتظر (القائم كما يسمونـه) غيبتان غيبة قصيرة لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة شيعته، والأخرى الغيبة الطولى ولا تكون إلا في آخر الزمان، ويقولون: إنه مسـتقر في سرداب سامراء. وأنه يشهد المـوسم «الحج» فيراهم ولا يرونه وللشيعة دعاء معروف رووه عن أئـمتهم يُعرف بدعاء الندبة، أمروا

---

(١) الطبرسي: «الاحتجاج» ص(٤٩٢ ـ ٤٩٤).

(٢) «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» (١/ ٩٠ ـ ٩٥).

(٣) ص(٣٣٧).

(٤) «الصلة بين التصـوف والتشيع» ص(١١٢) عن «المهدية في الإسلام» لسـعد محمد حسن ص(١٠٥).

بقراءته في الأعياد الأربعة، وفيه ما يخاطب به إمام زمانه الحجة عليه السلام (أي: مهدي الشيعة)

ليت شعري استقرّت بك النوى ... بل أي أرض تقلك أو ثرى

أبرضوى أم بغيرها، أم بذي طوى[1]

هذا على اختلافهم في مكان غيبته.

وما أحسن ما قاله القائل:

ما آن للسرداب أن يلد الذي ... صيرتموه بزعمكم إنسانا

فعلى عقولكم العفاء فإنكم ... ثلثتم العنقاء والغيلانا

* كيف يرجع وأين يرجع؟:

فيعتقد القوم أن جعفرًا قال:

ينادى باسم القائم في يوم ستة وعشرين من شهر رمضان، ويقوم في يوم عاشوراء، وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين بن علي لكأني به يوم السبت العاشر من المحرم قائمًا بين الركن والمقام، جبرائيل بين يديه ينادي بالبيعة له فتسير شيعته من أطراف الأرض تطوى لهم طيًّا؛ حتى يبايعوه، فيملأ اللَّه به الأرض عدلاً كما ملئت جورًا وظلمًا»[2] .

ثم يبينوا كيف يجتمع الشيعة للقائم، فقالوا:

إذا أذن الإمام، دعا اللَّه باسمه العبراني[3] فاتيحت (فانتخب) له صحابته الثلاثمائة والثلاثة عشر، قزع كقزع الخريف. فهم أصحاب الألوية. منهم من

(١) انظر: كتاب «الشيعة والتشيع» للشيخ إحسان إلهي ظهير.
(٢) «أعلام الورى» للطبرسي ص(٤٥٩) نقلاً عن «الشيعة والتشيع» ص(٣٧١).
(٣) ألا تدل هذه اللفظة على معنى متوارث عن القوم الذين يتكلمون بالعبرانية.

يفقد عن فراشه ليلاً فصبح بمكة. ومنهم من يرى يسير في السحاب نهارًا يعرف باسمه واسم أبيه وحليته ونسبته. قلت: جعلت فداك أيهم أعظم إيمانًا؟ قال: الذي يسير في السحاب نهارًا... وهم المفقودون، وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾[1].

ويقولون أيضًا: إن أول من يبايعه هو جبريل «يأتيه ويسأله، ويقول له: إلى أي شيء تدعو؟ فيخبره القائم، فيقول جبريل: فأنا أول من يبايع، ثم يقول له: مدّ كفك، فيمسح يده على يده»[2].

● ويكون بين يديه ثلاثة عشر ألف ملك وثلاثمائة وعشر ملكًا:

قال مفتريهم وكاذبهم: «قلت: كل هؤلاء الملائكة؟ قال [أي: محمد الباقر]: نعم، الذين كانوا مع نوح في السفينة، والذين كانوا مع إبراهيم حين أُلقي في النار، والذين كانوا مع موسى حين فلق البحر لبني إسرائيل، والذين كانوا مع عيسى حين رفعه اللَّه إليه. وأربعة آلاف ملك كانوا مع النبي صلى اللَّه عليه وآله مسومين، وألف مردفين، وثلاثمائة وثلاثة عشر ملائكة بدريين. وأربعة آلاف هبطوا يريدون القتال مع الحسين، فلم يؤذن لهم في القتال... وكل هؤلاء في الأرض ينتظرون قيام القائم عليه السلام إلى وقت خروجه عليه صلوات اللَّه والسلام»[3].

وأورد مثل ذلك النعماني في كتاب «الغيبة»[4].

وزاد على ذلك أن الذي يحمل رأيته يوم ذاك يكون جبرائيل، ويكون

---

(١) «الغيبة» للنعماني ص(١٦٩) نقلاً عن كتاب «تاريخ ما بعد الظهور» ص(٣٧٢، ٣٧٣).

(٢) «أعلام الورى» للطبرسي ص(٤٦٠ ـ ٤٦١)، و«إكمال الدين» لابن بابويه القمي.

(٣) «كامل الزيارات» لابن قوليه ص(١٢٠).

(٤) ص (٣٠٩ ـ ٣١٠).

عمودها من عمد عرش اللَّه تعالى»[١] .

● ولا يقتل القائم خصومه من الأحياء فـقط بل يبدأ بالأموات فيحييهم، ثم يقتلهم» كما ذكروا أنه في عصره يحيـي يزيد بن معاوية وأصحابه فيقتلون حذو القذة بـالقذة[٢] . وليس هذا فحسب بل جازفـوا في القول حتى قالوا: «لو قام قائمنا ردّ الحميراء ـ أي: أم المؤمنين عائشة ـ حتى يجلدها الحدّ وينتقم لابنة محمد ﷺ »[٣] .

«إنْ يقولون إلاّ كذبـًا»

يقول الجزائري صاحب «الأنوار النعمانية»، وهو كذّاب أشِر:

«إن المفضل بن عـمر روى عن جعفر أنه قال: إن بـقاع الأرض تفاخرت ففخرت الكـعبة على بقعة كربـلاء، فأوحى اللَّه عز وجل إليهـا أن اسكتي يا كعبة ولا تفخري على كربلاء؛ فإنها البقـعة المباركة التي قال فيها لموسى عليه السلام إني أنا اللَّه، وهي موضع المسيح وأمه وقت ولادته؛ وإنها الدالية التي غسل بها رأس الحسين بـن علي عليهما السلام؛ وهي التي عـرج منها محمد صلى اللَّه عليه وآله؛ وقال له المفضـل: يا سيدي يسير المهدي إلى أين؟ قال: إلى مدينـة جدي رسول اللَّه صلى اللَّـه عليه وآله وسلم، فـإذا وردها كان له فيها مقام عجيب، يظهر فيه سرور المؤمنين وخزي الكافرين، فقال المفضل: يا سيدي ما هو ذاك؟ قال: يرد إلى قبر جده، فيقول: يا معشر الخلائق هذا قبر جدي، فيـقولون: نعـم يا مهدي آل محـمد، فيقول: ومـن معه في الـقبر؟

---

(١) انظر: كتاب «الغيبة» للنعماني ص(٣٠٩).

(٢)«بحار الأنوار» (١٣/ ٢١٩).

(٣) «تفسير الصافي» ص(٣٥٩).

فيقولون: صاحباه (مصاحباه خ) وضجيعاه أبو بكر وعمر، فيقول عليه السلام وهو أعلم الخلق: من أبو بكر وعمر؟ وكيف دفنا من بين الخلق مع جدي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم وعسى أن يكون المدفون غيرهما، فيقول الناس يا مهدي آل محمد: ما ها هنا غيرهما وإنهما دفنا معه؛ لأنهما خليفتاه وآباء زوجتيه، فيقول: هل يعرفهما أحد؟ فيقولون: نعم نحن نعرفهم بالوصف، ثم يقول: هل يشك أحد في دفنهما هنا؟ فيقولون: لا، فيأمر بعد ثلاثة أيام ويحفر قبرهما ويخرجهما، فيخرجان طريين كصورتهما في الدنيا فيكشف عنهما أكفانهما ويأمر برفعهما على دوحة يابسة نحزة فيصلبهما عليها، فتتحرك الشجرة وتورق وترفع ويطول فرعها، فيقول المرتابون من أهل ولايتهما هذه واللَّه الشرف حقًّا ولقد فزنا بمحبتهما وولايتهما، فينشر خبرهما فكل من بقلبه حبة خردل من محبتهما يحضر المدينة فيفتنون بهما فينادي مناد المهدي عليه السلام: هذان مصاحبا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله فمن أحبهما فليكن في معزل ومن أبغضهما يكن في معزل؛ فيتجزء الخلق جزئين، موال ومعاد، فيعرض على أوليائهما البراءة منهما، فيقولون: يا مهدي ما كنا نبرأ منهما، وما كنا نعلم أن لهما عند اللَّه هذه الفضيلة فكيف نبرأ منهما، وقد رأينا منهما ما رأينا في هذا الوقت من نضارتهما وغضاضتهما وحياة الشجرة بهما، بلى واللَّه نبرأ منك وممن آمن بك وممن لا يؤمن بهما وممن صلبهما وأخرجهما وفعل ما فعل بهما، فيأمر المهدي عليه السلام ريحًا فتجعلهم كأعجاز نخل خاوية، ثم يأمر بإنزالهما فينزلان فيحييهما بإذن اللَّه ويأمر الخلائق بالاجتماع، ثم يقص عليهم قصص فعالهم في كل كور ودور حتى يقص عليهم قتل هابيل بن آدم وجمع النار لإبراهيم وطرح يوسف في الجب وحبس يونس في بطن الحوت، وقتل يحيى وصلب عيسى، وعذاب

جرجيس ودانيال، وضرب سلمان الفارسي، وإشعال النار على باب أمير المؤمنين، وفاطمة والحسين عليهما السلام، وإرادة إحراقهم بها، وضرب الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء بسوط ورفس بطنها وإسقاطها محسنًا، وسم الحسن وقتل الحسين عليه السلام وذبح أطفاله وبني عمه وسبي ذراري رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله، وإراقة دماء آل محمد، وكل دم مؤمن وكل فرج نكح حرامًا، وكل رباء أكل وكل خبث وفاحشة وظلم منذ عهد آدم إلى قيام قائمنا، كل ذلك يعدده عليهما ويلزمهما إياه ويعترفان به، ثم يأمر بهما فيقتص منهما في ذلك الوقت مظالم من حضر، ثم يصلبهما على الشجرة ويأمر نارًا تخرج من الأرض تحرقهما والشجرة، ثم يأمر ريحًا فتنسفهما في اليم نسفًا.

قال المفضل: يا سيدي هذا آخر عذابهما؟ قال: هيهات يا مفضل واللَّه ليردن وليحضرن السيد الأكبر محمد رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم والصديق الأعظم أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام وكل من محض الإيمان محضًا وكل من محض الكفر محضًا وليقتصن منهما بجميع المظالم، ثم يأمر بهما فيقتلان في كل يوم وليلة ألف قتلة ويردان إلى أشد العذاب»[1] .

رجعة الأئمة مع رجعة القائم

ثم إن الشيعة الاثنى عشرية لا يعتقدون برجعة القائم فحسب، بل وأكثر من ذلك يعتقدون بأن أئمتهم يرجعون أيضًا إلى الدنيا مثل رجوع قائمهم،

---

(١) «الأنوار النعمانية» (٢/ ٨٦، ٨٧).

ويبقون، ويملكون، وينتقمون من الأعداء ويقتلونهم، كما روى المجلسي عن جعفر أنه قال:

أول من تنشق الأرض عنه ويرجع إلى الدنيا الحسين بن علي، وإن الرجعة ليست بعامة وهي خاصة، لا يرجع إلا من محض الإيمان محضًا، أو محض الكفر محضًا»[١] .

ورووا عن أبيه الباقر أنه قال:

إن أول من يرجع إلى الدنيا لجاركم الحسين بن علي عليه السلام، فيملك حتى يقع حاجباه على عينيه من الكبر»[٢] .

ولا الحسين وحده فحسب، بل يرجع معه سبعون رجلاً من أصحابه الذين قتلوا معه[٣] .

وفي رواية: أن الحسين يرجع إلى الدنيا مع خمسة وسبعين ألفًا من الرجال ويملك الدنيا كلها بعد وفاة المهدي عليه السلام ثلاث مائة سنة وتسع سنين[٤] .

ويرجع معه يزيد بن معاوية وأصحابه ليأخذ الحسين وأصحابه ثأرهم منهم[٥] .

---

(١) «بحار الأنوار» للمجلسي (١٣/ ٢١٠)، «الصافي» (١/ ٩٥٩).

(٢) «بحار الأنوار» (١٣/ ٢١١)، «البرهان» (٢/ ٤٠٧)، «الصافي» (١/ ٩٥٩)، «إثبات الهداة» للعاملي (٧/ ١٠٢).

(٣) «تفسير العياشي» (٢/ ١٨١).

(٤) «الأنوار النعمانية» للجزائري (٢/ ٩٨، ٩٩).

(٥) «تفسير العياشي» (٢/ ٢٨٢)، «البرهان» (٢/ ٤٠٨)، «الصافي» (١/ ٢٥٩) تحت قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾، «بحار الأنوار» (١٣/ ٢١٩).

ويساعد الحسين وأصحابه في أخذ ثأرهم وانتقامهم من يزيد وعساكره سبعون نبيًّا ورسولاً، ويكون أحدهم إسماعيل، كما حكى الجزائري حكاية باطلة بقوله:

وفي الأخبار الكثيرة عن بريد العجلي أنه سأل الصادق عليه السلام عن قول اللَّه تعالى في إسماعيل: إنه كان صادق الوعد، ما المراد بإسماعيل هذا أهو ابن إبراهيم؟ فقال عليه السلام:

لا بل هو إسماعيل بن حزقيل بعثه اللَّه إلى جماعة فكذبوه وسلخوا جلد وجهه ورأسه، فبعث اللَّه عليهم ملك العذاب وهو سطاطائيل، فأتى إلى إسماعيل وقال: إن اللَّه أرسلني إليك بما تأمر في عذابهم، فقال إسماعيل عليه السلام: لا حاجة لي في عذابهم، فأوحى اللَّه سبحانه إليه: إن كان لك حاجة إليّ فاطلبها، فقال: يا رب إنك أخذت علينا معاشر الأنبياء أن نوحدك ونقر بنبوة محمد صلى اللَّه عليه وآله وبإمامة الأئمة عليهم السلام، وأخبرت الخلائق بما يفعل الظالمون بولده الحسين ووعدت الحسين عليه السلام بالرجوع إلى الدنيا ليأخذ ثأره وينتقم من ظالميه، فحاجتي يا رب أن ترجعني في زمانه! لأجل أخذ ثأري وقتل من قتلني، فقبل اللَّه حاجته وجعله من الذين يرجعون في زمان الحسين عليه السلام، وفي رواية أخرى: أن الحسين عليه السلام يرجع إلى الدنيا مع خمسة وسبعين ألفًا من الرجال»[١] .

وقالوا: إن الأئمة الاثنى عشرية كلهم يرجعون إلى الدنيا في زمن القائم مع جماعتهم[٢] .

---

(١) «الأنوار النعمانية» للجزائري (٢/ ٩٨).

(٢) «الصافي» (١/ ٣٤٧).

ويرجع عليّ ونبيّ أيضًا

ولا يرجع الحسين وأصحابه ومعاوية ويزيد وأصحابه وسبعون نبيًّا ممن مضوا في سالف الزمان وحدهم، بل ويرجع رسول اللَّه صلوات اللَّه وسلامه عليه وعليّ أيضًا، كما روى المجلسي عن بكير بن أعين أنه قال:

قال لي من لا أشك فيه يعني أبا جعفر ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ وعليًّا سيرجعان»[1] .

ورووا عن جعفر أنه قال:

قال رسول اللَّه ﷺ : «لقد أسرى بي ربي عز وجل، فأوحى إليّ من وراء حجاب ما أوحى وكلمني بما كلم به وكان مما كلمني به.. يا محمد، عليّ آخر من أقبض روحه من الأئمة»[2] .

وليس هذا فحسب، بل وأكثر من ذلك، وأدهى وأمر أنهم يروون عن جعفر أنه قال:

«لم يبعث اللَّه نبيًّا ولا رسولاً إلا ردهم جميعًا إلى الدنيا؛ حتى يقاتلوا بين يدي علي بن أبي طالب عليه السلام»[3] .

وعنه أيضًا أنه قال:

«لا يبعث اللَّه نبيًّا ولا رسولاً إلا رد إلى الدنيا من آدم فهلم جرًّا؛ حتى يقاتل بين يدي علي بن أبي طالب عليه السلام»[4] .

---

(١) «بحار الأنوار» للمجلسي (١٣/ ٢١٠).

(٢) «بحار الأنوار» للمجلسي (١٣/ ٢١٧).

(٣) «نور الثقلين» (١/ ٣٥٩)، «بحار الأنوار» (١٣/ ٢١٠).

(٤) «العياشي» (١/ ٢٨١) تحت قول اللَّه: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾، «البرهان» (١/ ٢٩٥)، «بحار الأنوار» ص(٢١٧).

مع من فيهم سيد الأنبياء وإمام المرسلين.

كما روى الجزائري عن الباقر أنه قال: إن عليًّا ﷺ خطب خطبة ذات يوم، فحمد اللَّه فيها، وقال فيها ما قال، ومنه:

وقد أخذ اللَّه الميثاق مني ومن نبيه لينصرن كل منا صاحبه، فأما أنا فقد نصرت النبي صلى اللَّه عليه وآله بالجهاد معه وقتلت أعداءه، وأما نصرته لي وكذا نصرة الأنبياء عليهم السلام فلم تحصل بعد؛ لأنهم ماتوا قبل إمامتي وبعد هذا سينصرونني في زمان رجعتي، ويكون لي ملك ما بين المشرق والمغرب ويخرج اللَّه لنصرتي الأنبياء من آدم إلى محمد يجاهدون معي، ويقتلون بسيوفهم الكفار الأحياء، والكفار الأموات، الذين يحييهم اللَّه تعالى، وأعجب وكيف لا أعجب من أموات يحييهم اللَّه تعالى يرفعون أصواتهم بالتلبية فوجًا فوجًا لبيك يا داعي اللَّه، ويتخللون أسواق الكوفة وطرقها؛ حتى يقتلون الكافرين والجبارين والظالمين من الأولين والآخرين؛ حتى يحصل لنا ما وعدنا اللَّه تعالى»[1].

ولا هذا فحسب، بل عمموا الرجعة حيث قالوا:

«ليس أحد من المؤمنين قتل إلا سيرجع؛ حتى يموت ولا أحد من المؤمنين مات إلا سيرجع؛ حتى يقتل»[2].

وروى الطبرسي والمفيد:

إذا آن قيام القائم مطر الناس في جمادى الآخرة وعشرة أيام من رجب مطرًا لم ير الناس مثله، فينبت اللَّه به لحوم المؤمنين في أبدانهم في قبورهم، فكأني أنظر إليهم مقبلين من قبل جهينة ينفضون رءوسهم من التراب»[3].

---

(١) «الأنوار النعمانية» (٢/ ٩٩).

(٢) «بحار الأنوار» للمجلسي (١٣/ ٢١٠).

(٣) «أعلام الورى» ص(٤٦٢)، «الإرشاد» للمفيد ص(٣٦٣)، «بحار الأنوار» (١٣/ ٢٢٣).

وروى المفيد أيضًا:

«يخرج إلى القائم من ظهر الكوفة سبعة وعشرون رجلاً، خمسة عشر من قوم موسى الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون»[(١)] .

دابّة الأرض

ويعتقد الشيعة الاثنا عشرية أن دابة الأرض التي تخرج قبل قيام الساعة تكلمهم يكون عليًّا ﷺ كما رووا عن جعفر أنه قال:

«أتى رسول اللَّه ﷺ إلى أمير المؤمنين ﷺ وهو نائم في المسجد، وقد جمع رملاً ووضع رأسه عليه، فحركه برجله، ثم قال: قم يا دابة اللَّه. فقال رجل من أصحابه: يا رسول اللَّه أيسمي بعضنا بعضًا بهذا الاسم؟ فقال: لا واللَّه ما هو إلا له خاصة، وهو الدابة التي ذكر اللَّه في كتابه: ﴿ **وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ** ﴾، ثم قال: يا علي، إذا كان آخر الزمان أخرجك اللَّه في أحسن صورة ومعك ميسم تسم به أعداءك»[(٢)] .

ثم إن عليًّا ليست له رجعة واحدة، بل له رجعات كثيرة كما ذكروا أنه قال في إحدى خطباته:

«إن لي رجعة بعد رجعة، وحياة بعد حياة، أنا صاحب الرجعات وصاحب الصولات»[(٣)] .

هذا ومثل هذا فإنه لكثير.

---

(١) «الإرشاد» للمفيد ص(٣٦٥)، «أعلام الورى» للطبرسي ص(٤٦٤).

(٢) «بحار الأنوار» للمجلسي (١٣/ ٢١٣).

(٣) «الأنوار النعمانية» للجزائري (٢/ ٩٩).

ومن غرائب الاعتقادات التي يعتقدها القوم أنهم يقولون: إن بعد قائمهم اثنى عشر مهديًّا أخر، كما رووا عن جعفر، عن أبائه، عن علي أنه قال:

«قال رسول اللَّه ﷺ في الليلة التي كانت فيها وفاته: يا أبا الحسن، أحضر صحيفة ودواة، فأملى رسول اللَّه ﷺ وصيته حتى انتهى إلى هذا الموضع. فقال: يا علي، إنه سيكون بعدي اثنا عشر إمامًا ومن بعدهم اثنا عشر مهديًا. فأنت أول الاثنى عشر إمامًا... وساق الحديث، إلى أن قال: وليسلمها الحسن (يعني: الإمام العسكري عليه السلام) إلى ابنه محمد المستحفظ من آل محمد صلى اللَّه عليه وعليهم، فذلك اثنا عشر إمامًا، ثم يكون من بعده اثنا عشر مهديًا. فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه أول المهديين. له ثلاثة أسامي: اسم كاسمي واسم أبي، وهو عبد اللَّه، وأحمد، والاسم الثالث: المهدي، وهو أول المؤمنين»[1] .

وروى الطوسي: أنهم أحد عشر، كما حكى عن أبي حمزة، عن أبي جعفر أنه قال له:

«يا أبا حمزة إن منا بعد القائم أحد عشر مهديًا»[2] .

وإلى ذلك يشير رواية النعماني حيث يحكي عن أبي جعفر أنه قال:

واللَّه ليملكن رجل منا أهل البيت ثلاثمائة سنة وثلاث عشرة سنة ويزداد تسعًا، قال: فقلت له: ومتى يكون ذلك؟ قال: بعد موت القائم عليه السلام، قلت له: وكم يقوم القائم عليه السلام في عالمه حتى يموت؟ فقال: تسع عشرة سنة من يوم قيامه إلى يوم موته»[3] .

---

(١) «بحار الأنوار» (١٣/ ٢٣٧).

(٢) «كتاب الغيبة» للطوسي ص(٢٨٥).

(٣) «كتاب الغيبة» للنعماني ص(٣٣٢).

ويؤيد ذلك أيضًا دعاء شيعي يدعونه للمهدي، فيقولون في آخره:

«اللَّهم صل علـى ولاة عهده والأئمة من بعده، وبلغـهم آمالهم وزد في آجالهـم، وأعز نصرهـم وتمم لهم ما أسـندت إليهـم من أمرك لهـم، وثبت دعاتهم، واجعلنا لهم أعوانًا وعلى دينك أنصارًا»[1].

وأخيرًا نأتي برواية أوردها محدث القوم نـعمت اللَّه الجزائري عن جعفر أنه قال:

«إن الشـيطان لمـا قال: رب أنظـرني إلى يـوم يبعـثون، قال: إنـك من المنظرين إلى يوم الوقـت المعلوم، فيخرج الشيطان مع جميـع عساكره وتوابعه من يـوم خلق آدم إلى يـوم الوقت المـعلوم، وهو آخـر رجعة يـرجعها أمـير المؤمنين عليه السلام، فقال الراوي: كم لأمير المؤمنين عليه السلام من رجعة؟ فقال: إن له رجعات ورجعات، وما من إمام في عصر من الأعصار إلا رجع معه المؤمـنون في زمانه والكـافرون فيه؛ حتى يسـتولي أولئك المؤمـنون على أولئك الكافـرين فينتقمون منهـم، فإذا جاء الوقت المعلوم ظهر أمـير المؤمنين عليه الـسلام مع أصحابه، وظهـر الشيطان مع أصـحابه، فيتلاقى الـعسكران على شط الفرات في مكان اسمه الروحا قريـب الكوفة، فيقع بينهم حرب لم يقع فـي الدنيا مـن أولها وآخرها، وكـأني أرى أصحاب أميـر المؤمنين عـليه السلام قد رجعوا منهزمين حتى تقع أرجلهم في الفرات فعند ذلك يرسل اللَّه سـحابة مملوّة من المـلائكة يتقدمها النبي صلى اللَّه علـيه وآله وبيده حربة من نور، فإذا نظر الشيطان أدبر فارًا، فيقول له أصحابه: إلى أين تفر ولك الظفر علـيهم؟ فيـقول: إني أرى ما لا تـرون إني أخاف مـن عقاب رب العـالمين؛

(١) «مفاتيح الجنان» ص(٥٤٢).

فيصل النبي صلى اللَّه عليه وآله ويضربه ضربة بالحربة بين كتفيه فيهلك بتلك الضربة هو مع جميع عساكره، فعند ذلك يعبد اللَّه على الإخلاص ويرتفع الكفر والشرك، ويملك أمير المؤمنين عليه السلام الدنيا أربعين ألف سنة ويولد لكل واحد من شيعته ألف ولد من صلبه في كل سنة ولد، وعند ذلك يظهر البستانان عند مسجد الكوفة الذي قال اللَّه تعالى: مدهامّتان، وفيهما من الاتساع ما لا يعلمه إلا اللَّه تعالى»[١] .

وهذا آخر ما أردنا ذكره من خرافات القوم ومعتقداتهم انتخبناها من الكثير الكثير، ولهم كتب مستقلة في هذا الباب»[٢] .

ادّعاء الكيسانية حياة محمد بن الحنفية وغيبته

كان كُثير الشاعر على مذهب الكيْسانية الذين ادعوا حياة محمد بن الحنفية، ولم يصدقوا بموته؛ ولذا قال في قصيدة له:

ألاَ إنَّ الأئمةَ من قريشٍ ... وُلاةَ الحق أربعةٌ سواءُ
عليٌّ والثلاثةُ من بنيه ... همُ الأسباطُ ليس بهم خَفَاءُ
فَسِبْطٌ سِبْطُ إيمانٍ وبرٍّ ... وَسِبْطٌ غيّبته كربلاءُ
وسِبْطٌ لا يذوقُ الموتَ حتى ... يقودُ الخيلَ يَقدُمُها اللّواءُ
تَغيّب لا يُرى فيهم زمانًا ... بَرضْوَى عنده عَسَلٌ وَمَاءُ[٣]

(١) «الأنوار النعمانية» للجزائري (٢/ ١٠١، ١٠٢).
(٢) «الشيعة والتشيع» لإحسان إلهي ظهير ص(٣٨٣ ـ ٣٩٠)ـ إدارة ترجمان السنة.
(٣) «الفرق بين الفرق» لعبد القاهر البغدادي ص(٤١) ـ دار المعرفة.
سبط إيمان: هو الحسن، وسبط لا يذوق الموت: هو محمد بن الحنفية، وهذا خطأ فإن محمدًا ليس سبطًا فليست أمه فاطمة رضي الله عنها.

وقال كثيّر أيضًا:

أَلاَ قلْ للوصيٍّ فَدَتْكَ نفسي ... أَطَلْتَ بذلك الجبلِ المُقَامَا
أَضرَّ بمعشرٍ وَالَوْكَ منّا ... وسَمَّوْك الخليفة وَالإماما
وعَادَوْا فيك أهلَ الأرضِ طُرًّا ... مُقامُك عندهم ستين عامًا
وما ذاقَ ابنُ خولةَ طعم مَوْتٍ ... ولا وارتْ له أرضٌ عِظاما
لقد أمسى بمجرى شعْبِ رَضْوى ... تُراجِعُه الملائكة الكلاما
وإنّ له لرزقًا كلَّ يومٍ ... وأشربةً يُعلُّ بها الطَّعَاما

وردّ عليه عبد القاهر البغدادي:

لَقَدْ أَفْنَيْتَ عَمركَ بانتظارٍ ... لِمَنْ وارى الترابُ لَهُ عِظَامَا
فَلَيْسَ بِشِعْبِ رَضْواءَ إمامٌ ... تُراجعهُ الملائكةُ الكلاما
ولا مَنْ عنده عَسلٌ وماءٌ ... وأَشْرِبةٌ يعلُّ بها الطعاما
وقد ذاق ابن خَوْلَةَ طعم مَوْتٍ ... كما قد ذاق والِدُهُ الحِمَاما
ولو خَلَدَ امرؤٌ لِعُلُوٍّ مجدٍ ... لعاش المصطفى أبدًا ودامَا

وكان الشاعر المعروف بالسيد الحميري أيضًا على مذهب الكيسانية الذين ينتظرون محمد بن الحنفية ويزعمون أنه بجبل رضوى، إلى أن يُؤذن له بالخروج.

* * *

* المحمدية من الشيعة المغيرية يقولون بغيبة إمامهم ورجوعه:

● قال عبد القاهر البغدادي: «هؤلاء ينتظرون محمد بن عبد اللَّه بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ولا يصدّقون بقتله ولا بموته، ويزعمون أنه في جبل حاجر من ناحية نجد إلى أن يؤمر بالخروج، وكان المغيرة بن سعيد العجلي مع ضلالاته في التشبيه يقول لأصحابه: إن المهدي المنتظر محمد بن عبد اللَّه بن الحسن»[1] .

ولقد أرسل الخليفة أبو جعفر المنصور عيسى بن موسى في جيش كثيف، وقاتلوا محمداً بالمدينة، وقتلوه، ومع هذا تعتقد هذه الفرقة بأنه لم يمت وله رجعة.

● الناووسية:

«وهم أتباع رجل من أهل البصرة كان ينتسب إلى ناووس[2] بها، وهم يسوقون الإمامة إلى جعفر الصادق بنص الباقر عليه، وزعموا أنه لم يمت وأنه المهدي المنتظر»[3] .

* الإسماعيلية:

«افترق هؤلاء فرقتين: فرقة منتظرة لإسماعيل بن جعفر، مع اتفاق أصحاب التواريخ على موت إسماعيل في حياة أبيه»[4] .

---

(١) «الفرق بين الفرق» ص(٥٦ ـ ٥٧).

(٢) قال الأشعري: «وهذه الفرقة تسمى الناووسية لُقِّبوا برئيس لهم يقال له: عجلان بن ناووس من أهل البصرة.

(٣) «الفرق بين الفرق» ص(٦١).

(٤) المصدر السابق ص(٦٢ ـ ٦٣).

* الموسوية من الشيعة:

«هؤلاء الذين ساقوا الإمامة إلى جعفر، ثم زعموا أن الإمام بعد جعفر كان ابنه موسى بن جعفر، وزعموا أن موسى بن جعفر حي لم يمت، وأنه هو المهدي المنتظر، وقالوا: إنه دخل دار الرشيد ولم يخرج منها، وقد علمنا إمامته وشككنا في موته، فلا نحكم في موته إلا بيقين»[١].

ويرحم اللَّه عبد القاهر البغدادي لـمّا قال في الشيعة - في كتابه «الفرق بين الفرق» ص(٧١ - ٧٢):

يا أيها الرافضة المبطلَهْ	**دَعْواكم من أصلها مبطَلَة**
إمامكم إن غاب في ظلمةٍ	**فاستدركوا الغائب بالمشعَلَةْ**
أو كان معموراً بأعماركم	**فاستخرجوا المعمور بالغربلة**

● بطلان عقيدة الرجعة:

أما بطلان عقيدة الرجعة فيظهر بداهة لكل من تبصر في علوم الشريعة الإسلامية؛ لأن الأدلة القطعية دالة على ذلك كتابًا وسنة وإجماعًا ممن يعتد بإجماعه، ومخالفة المبتدعة وجودها كعدمها عند العارفين من أهل السنة والجماعة.

وبادئ ذي بدء نشير إلى أن أكبر ما يستدل به القائلون بالرجعة من الشيعة والصوفية إنما هي آيات القدرة. فيقول العاملي الشيعي مثلاً عن قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٤٠]: «وهي دالة على إمكان الرجعة فإنها من قسم إحياءِ الموتى لا تزيد على ذلك، ولا شك

---

(١) «الفرق بين الفرق» ص(٦٣). وسمى الأشعري هذه الفرقة «بموسائية» وليس بقياس.

في تساوي نسبة قدرة اللَّه إلى جميع الممكنات»[١] .

ونقل السيوطي عن أبي محمد بن أبي جمرة أنه رد على من استبعد رجوع النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم إلى الدنيا ورؤية بعض الناس إياه وذكره وجهين من المحذور في عدم التصديق بوقوع رؤيته صلى اللَّه عليه وآله وسلم بعد موته، فقال في الوجه الثاني: «الجهل بقدرة القادر وتعجيزها كأنه لم يسمع في سورة البقرة قصة البقرة، وكيف قال اللَّه تعالى: ﴿ **فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ** ﴾ [البقرة: ٧٣]، وقصة إبراهيم عليه السلام في الأربع من الطير وقصة عزير...»[٢] .

وللرد على هذا نقول: ليس الخلاف حول شمولية القدرة الإلهية ولا حول إمكان الرجعة بالنسبة للقدرة الشاملة، بل النزاع حول وقوعها بحيث إن أشخاصًا معينين يموتون، ثم يرجعون إلى الدنيا، وكذلك حول وجوب اعتقاده كما يقول منظروا الشيعة والصوفية، يقول ابن الخياط المعتزلي ـ في رده على ابن الراوندي الرافضي حين زعم أن العقل دال على إمكان وقوع الرجعة ـ: «وعلمنا أنه ليس بمستحيل أن يحول اللَّه أبا قبيس ذهبًا، وأن ذلك لو حصل لم ينقص توحيدًا ولم يبطل عدلاً وليس لنا ـ وإن كان كذلك ـ أن نصف اللَّه بأنه يفعله... فكذلك القول بالرجعة ليس لنا أن نقول بها، وإن كانت غير مستحيلة في القدرة، إذ كان لم يأت بها بل قد أتى بإبطالها ونفيها»[٣] .

---

(١) «الإيقاظ» ص(٧٧).

(٢) «تنوير الحلك» (٢/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦) ضمن «الحاوي».

(٣) «الانتصار والرد» ص(٩٦).

وقال الآلـوسي: «وكون الإحـياء بعد الإمـاتة والإرجاع إلـى الدنيـا من الأمور المقدورة له عز وجل مما لا ينتطح فيه كبشان إلا أن الكلام في وقوعه، وأهل السنة ومن وافقهم لا يقولون به»[١] .

أما القرآن الكريم فقد وردت فيه آيات كثيرة تأبى القول بالرجعة ومنها:

١ ـ قوله تـعالى: ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠]، قال ابن القيم: «وسبب سؤال الرجعة هو أن يستقبل العمل الصالح فيما ترك خلـفه من ماله وجاهه وسلطانه وقوته، فيقال له: كـلا، لا سبـيل لـك إلى الـرجعة، وقـد عمـرت ما يـتذكـر فيـه من تذكر...»[٢] .

ومن هذا يتبين أن هؤلاء القوم سألوا الرجعة لمهمة نبيلة وهي الانتهاء عن السيئات والإقـبال على العمل الصـالح. ومع هذا فقد رد طلبـهم بما رأيت، فكيف يسمح للبدوي بالرجعة لكي يأمر الشعراني بوطء زوجته فوق القبة؟!!

٢ ـ قوله تـعالى: ﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ** ﴾ [السـجدة: ١٢]، فكـان الجواب قوله تعالى: ﴿ **فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [السجدة: ١٤].

٣ ـ قوله تـعالى: ﴿ **وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا**

---

(١) «روح المعاني» (٢٠/ ٢٧).

(٢) «عدة الصابرين» ص(١٨٤ ـ ١٨٥).

الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٥ - ١٦٧].

٤ - قوله تعالى: **﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾** [فاطر: ٣٧]. ومن خلال هذه الآيات نجد أن هؤلاء سألوا الرجعة إلى الدنيا عند الموت، وعند القيامة، وعند رؤية العذاب، وعند دخولهم فيه، فلم يبق موطن من مواطن الآخرة إلى سألوا اللَّه الرجعة فيها لفرط ندمهم على ضياع حياتهم في الكفر والمعاصي، ولكن اللَّه تعالى يرد عليهم ردًّا عنيفًا في كل مرة: كلاً لا رجعة، فقد تقدمت الأعمال وحان وقت الجزاء[1].

وفي السنة المطهرة ما يؤيد معنى هذه الآيات، ويوضح صراحة أنه لا رجعة إلى الدنيا بعد الموت: فعن طلحة بن خراش قال: سمعت جابرًا يقول: لقيني رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم فقال لي: «**يا جابر ما لي أراك منكسرًا؟**» فقلت: يا رسول اللَّه استشهد أبي قتل يوم أحد، وترك عيالاً ودينًا. قال: «**أفلا أبشرك بما لقي اللَّه به أباك؟**»، قال: قلت: بلى يا رسول اللَّه. قال: «**ما كلم اللَّه أحدًا قط إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك وكلمه كفاحًا[2] ، فقال: يا عبدي تمن علي أعطك. قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية. قال الرب عز وجل: إنه سبق مني: أنهم إليها لا يرجعون**» رواه الترمذي وحسنه، وابن ماجه، وابن أبي عاصم، والحاكم وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

---

(١) انظر: «عقيدة الرجعة عند الشيعة» ص(٢٥٤).

(٢) أي: مواجهة بغير حجاب. «جامع الأصول» (٩/ ٨٧)، و«القاموس» مادة (ك ف ح).

ووافقه الذهبي. وحسنه أيضًا الألباني[١] .

وهو حديث صريح في منع القول بوقوع الرجعة فضلاً عن أن تكون عقيدة إسلامية يجب اعتقادها. والحق واضح بيِّن بهذه النصوص لمن كان الحق والهدى مبتغاه وضالته المنشودة[٢] .

* إدعاؤهم رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته:

يرى جماهير الصوفية القدامى، وكافة المتأخرين منهم أن مقابلة النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم بعد موته أمر ممكن وواقع، بل يصرح بعضهم بأنه عليه الصلاة والسلام لم يمت، فيقول أبو العباس القصاب: «لم يمت محمد، وإنما الذي مات هو استعدادك لأن تراه بعين قلبك»[٣] .

● ويقول محمد بن عبد الكريم السمان قوله: «وأوصيك بدوام ملاحظة صورته ومعناه، ولو كنت في أول الأمر متكلفًا في الاستحضار فعن قريب تألف روحك فيحضرك صلى اللَّه عليه وآله وسلم عيانًا، وتحدثه وتخاطبه فيجيبك ويحدثك، ويخاطبك فتفوز بدرجة الصحابة وتلحق بهم»[٤] .

● ونظيره قول الدباغ: «لكل شيء علامة، وعلامة إدراك العبد مشاهدة النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم في اليقظة أن يشتغل الفكر بهذا النبي الشريف اشتغالاً دائمًا بحيث لا يغيب عن الفكر ولا تصرفه عنه الصوارف ولا الشواغل، فتراه يأكل وفكره مع النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم ويشرب

---

(١) «سنن الترمذي» كتاب التفسير، و«سنن ابن ماجه»، و«السنة» لابن أبي عاصم، و«المستدرك» (٣/ ٢٠٤)، و«ظلال الجنة» في التعليق على الحديث (٦٠٢).

(٢) «تقديس الأشخاص عند الصوفية» (٢/ ٣٧ ـ ٣٩).

(٣) «تذكرة الأولياء» (٢/ ١٨٥).

(٤) «الرماح» (١/ ٢٢٦).

وهو كذلك، ويخاصم وهو كذلك وينام وهو كذلك، فإذا دام العبد على هذا مدة رزقه اللَّه تعالى مشاهدة نبيه الكريم ورسوله العظيم في اليقظة. ومدة الفكر تختلف فمنهم من تكون له شهرًا، ومنهم من تكون له أقل، ومنهم من تكون له أكثر»[1] .

● ويحكي الشعراني في ترجمة الشيخ عبد اللَّه بن أبي جمرة الأندلسي[2] أنه: «ابتلي بالإنكار عليه حين قال: إِنه يرى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم يقظة ويشافهه، وقام عليه بعض الناس فانقطع في بيته إلى أن مات»[3] .

● وفي ترجمة الشيخ إبراهيم المتبولي يقول الشعراني: «وكان يرى النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم كثيرًا في المنام فيخبر بذلك أمه فتقول: يا ولدي إنما الرجل من يجتمع به في اليقظة، فلما صار يجتمع به في اليقظة ويشاوره على أموره، قالت له: الآن شرعت في مقام الرجولية»[4] .

وعنه يقول أيضًا: «سمعت الشيخ عبد القادر الدشطوطي، يقول: «**ليس أحد من الأولياء له سماط يمد كل سنة فوق سد الإسكندر ذي القرنين غير سيدي إبراهيم المتبولي، ولا يتخلف أحد من الأنبياء والأولياء عن حضوره، فيجلس النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم صدر السماط والأنبياء يمينًا وشمالاً علي تفاوت درجاتهم وكذلك الأولياء، ونقباء ذلك السماط المقداد بن الأسود**

---

(١) «الإبريز» ص(٢٩٤).

(٢) تتلمذ عليه ابن الحاج صاحب «المدخل».

(٣) «الطبقات الكبرى» (١/ ١٧٢).

(٤) «الطبقات الكبرى» (٢/ ٧٥).

ﷺ وأبو هريرة ﷺ وجماعة»[١] .

● وفي ترجمة الشيخ محمد الصوفي ـ أحد مشايخه ـ قال الشعراني:

«وكان يخبر أنه يجتمع بالنبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم يقظة أي وقت أراد»، ثم علق عليه الشعراني بقول: «وهو صادق؛ لأنه صلى اللَّه عليه وآله وسلم سائر في كل مكان وجدت فيه شريعته، وما منع الناس من رؤيته إلا غلظ حجابهم»[٢] .

ويؤكد ابن المبارك أن شيخه الدباغ كان يرى النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم في اليقظة: «وكنت أنظر في «شمائل الإمام الترمذي» ـ رحمه اللَّه ـ وفي شروحها، فإذا اختلفوا في شيء من لونه صلى اللَّه عليه وآله وسلم أو طول ذاته أو طول شعره أو مشيته أو غير ذلك فيجيبني جواب المعاين المشاهد»[٣] . وهو أمر أكده الدباغ نفسه، فقال: «لما أراد اللَّه أن يفتح علي وأن يجمعني برحمته نظرت وأنا بفاس إلى القبر الشريف، ثم نظرت النور الشريف فجعل يدنو مني وأنا أنظر إليه فلما قرب مني خرج منه رجل، وإذا هو النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم»[٤] .

وذهب الشعراني ـ كما ينقل عنه الفوتي ـ إلى أن الوسيلة إلى رؤيته هي كثرة الصلاة عليه، فقال: «فلا يزال أحدهم يصلي على رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم، ويكثر منها ويتطهر من كل الذنوب؛ حتى يجتمع به يقظة في أي وقت شاء، ومن لم يحصل له هذا الاجتماع فهو إلى الآن لم يكثر

---

(١) «الطبقات الكبرى» (٢/ ٧٧).

(٢) «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٦٠).

(٣) «الإبريز» ص(٢٩٥).

(٤) «الإبريز» ص(٣٠٨).

من الصلاة على رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم الإكثار المطلوب».

ويقول: «لا يكمل الرجل عندنا في مقام العرفان؛ حتى يصير يجتمع برسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم يقظة ومشافهة»، ثم قال: وممن رآه يقظة من السلف الشيخ أبو مدين المغربي، والشيخ عبد الرحيم القناوي[١]، والشيخ موسى الزواوي، والشيخ أبو الحسن الشاذلي، والشيخ أبو العباس المرسي، والشيخ أبو السعود بن أبي العشائر[٢]، وسيدي إبراهيم المتبولي، والشيخ جلال الدين السيوطي، وكان يقول: رأيت النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم واجتمعت به يقظة نيفًا وسبعين مرة. وأما سيدي إبراهيم المتبولي فلا يحصي اجتماعه به. . .»[٣].

● وذكر الصيادي أن إبراهيم المتبولي كان يرى النبي ﷺ، ويتلقى أوامره المحمدية، وأن أبا العباس المرسي كان يراه ﷺ، ويرى الانحجاب عن رؤيته نقصًا في مقام ولايته، وأن الشاذلي لم يكن طيلة حياته يفارق النبي ﷺ، حيث يقسم على ذلك قائلاً: «واللَّه، لو غاب عني رسول اللَّه ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين»[٤].

وذكر الصيادي أيضًا أن أحد أعيان الطريقة (الشيخ جلال الدين

---

(١) هو الشيخ عبد الرحيم بن أحمد القناوي، صوفي، مصري، مقدس عند الصوفية. كان يدعي مخاطبة جبريل عليه السلام، ويتواضع للكلاب. مات في قنا بصعيد مصر سنة (٥٦٢هـ). انظر: ط. ك (١/ ٢٢١) ط. دار الفكر، و«جامع كرامات الأولياء» (٢/ ١٦٥ - ١٦٦).

(٢) «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٤٥).

(٣) «الرماح» (١/ ١٩٩).

(٤) «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٢٦٠)، و«طبقات الشعراني» (٢/ ١٤)، و«قلادة الجواهر» (١٠٦، ١٩٢).

السيوطي) كان يجتمع بالنبي ﷺ يقظة لا في المنام، قيل له: كم مرة رأيته يقظة؟ قال: بضعًا وسبعين مرة، فأيهما أعظم: من يستلم يد النبي ﷺ مرة واحدة أم من يجلس بجانبه يقظة ويحادثه أكثر من سبعين مرة[١] ؟!.

وقد ألَّف السيوطي رسالة «تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والمَلَكَ»، ولم يرو في موضوعها حديثًا صحيحًا ولا ضعيفًا، لا مرفوعًا ولا موقوفًا ولا مرسلاً، ولا غير ذلك مع سعة حفظه، وطول باعه في الحديث، وشدّة انتصاره لذلك، وهذا يُؤيس من أن يكون في رؤيته ﷺ بعد موته يقظة حديث؛ لأنّ السيوطي له من الاطلاع والحفظ ما لو كان في رؤيته ﷺ حديث لأورده مستدلاً به لما هو الظاهر عنده المنتصر له، ولو وقعت لأحدٍ من الصحابة والتابعين أو تابعيهم لذكره!

واعتمد فيها على معنى رآه لحديث صحيح، وهو: «**من رآني في المنام، فسيراني في اليقظة**»، فحمل السيوطي هذا الحديث على أنّ من رأى رسول اللَّه ﷺ في المنام، فسيراه في اليقظة في الدنيا حقيقة ولو مرة واحدة، تحقيقًا لوعده الشريف الذي لا يخلف!! واعترض على من قال: إنه سيراه في الآخرة؛ لأنه في الآخرة يراه الجميع - من رآه في المنام، ومن لم يره - فلا يبقى لخصوص رؤيته في المنام مزية!! ثم استأنس بعد ذلك بقصص كثيرة وقعت لبعضهم.

● يقول الشيخ حمود التويجري عن جماعة التبليغ: «يقول قائلهم إن لجماعتنا ولأكابرنا حظ وصول في مجالس النبي ﷺ يقظة لا منامًا»[٢].

---

(١) «قلادة الجواهر» (٤٢٢ - ٤٢٣)، وفي ثبوت العبارة السابقة عن السيوطي نظر.

(٢) «القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ» للشيخ حمود التويجري ص(١٢ - ١٣) دار الصميعي.

● ويقول الشيخ تقي الدين الهلالي في كتابه «السراج المنير» في كلامه عن الشيخ محمد إلياس الديوبندي مؤسس جماعة التبليغ ومدرسة ديوبند أكبر مدرسة للحنفية في البلاد الهندية:

«وبناء على قول أصحاب ديوبند أسسها النبي ﷺ في حضور الشيخ محمد قاسم الناتتوي الحنفي الجشتي وكان النبي ﷺ يأتي إلى هذه الدار أحيانًا مع أصحابه وخلفائه لتدقيق حساب المدرسة»[(١)] !.

● «وسُئل الحبشي الصوفي عن رجل رأى رسول اللَّه ﷺ في المنام ما حكم ذلك؟

فقال: بشراه بأن لا بد أن يرى النبي حقيقة عند الموت»[(٢)].

وقد أنكر ابن الجوزي على أبي الفتح الطوسي الذي ادعى أنه كلما أشكل عليه شيء رأى رسول اللَّه ﷺ في اليقظة وعد هذا من منكراته[(٣)].

ووصف ابن الجوزي أحمد الغزالي (أخا أبي حامد) أنه كان آية من آيات اللَّه في الكذب حيث كان يزعم أنه يرى رسول اللَّه ﷺ في اليقظة لا في النوم، وأنه كلما أشكل عليه أمر رأى رسول اللَّه ﷺ في اليقظة لا في المنام[(٤)].

● بل زعم الرفاعية أن الشيخ أحمد الأزرق ابن الشيخ منصور كان

---

(١) «توحيد خالص» للدكتور عثمان ص(١٠٤) نقلاً عن كتاب «السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم» للشيخ تقي الدين الهلالي ص(١٥ ـ ١٦) ـ دار خباب بن الأرت.

(٢) شريط (٣) ٧٤٤ وجه (٢) وقال به تلميذه سليم عوان شريط (٣) عداد (٢٥٣).

(٣) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٢/ ١٩٦).

(٤) «كتاب القصاص، والمذكرين» لابن الجوزي ص(١٥٦).

يصافح النبي ﷺ خمس مرات[١] .

● واشتط بعضهم؛ حتى زعم أنه لا يفارق النبي ﷺ لحظة واحدة كما حكي عن أبي العباس المرسي أن قال: «والله لو غاب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين»[٢] .

ويذكر السيوطي أنه كانت لأبي العباس المرسي وصلة بالنبي دائمة. إذا سلم على النبي رد النبي السلام عليه ويجاوبه إذا تحدث معه[٣] .

● وقد يستفتونه ﷺ فيفتيهم بما ثبت عنه خلافه في الروايات الصحيحة. فقد زعم النابلسي أنه رأى النبي ﷺ فسأله عن المطلقة بالثلاث في المجلس الواحد كيف حكمه عندك يا رسول الله؟ فقال: «تقع ثلاثًا»[٤] ! مع أن الذي صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يحتسبها واحدة[٥] .

فمن نصدق: أنصدق ابن عباس أم نصدق صاحب تفسير الأحلام النابلسي المعجب بابن الفارض الشارح لتائيته وكذلك ابن عربي المصرح بعقيدة وحدة الوجود؟!

ويقول الشعراني أيضًا: «وكان ورد الشيخ أحمد الزواوي[١] أربعين ألف صلاة، وقال لي مرة: طريقنا أن نكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ حتى يصير يجالسنا يقظة، ونصحبه مثل الصحابة، ونسأله

---

(١) «سواد العينين في مناقب أبي العلمين» ص(٥٣) هذبه جمال صقر الحبشي.
(٢) «طبقات الشعراني» (٢/ ١٤)، و«قلادة الجواهر» للصيادي الرفاعي ص(٢٨١).
(٣) «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٢٦٠).
(٤) «جلاء العينين في محاكمة الأحمدين» ص(٢٣٦).
(٥) رواه مسلم (١٤٧٢)، وأبو داود (٢١٩٩).
(٦) انظر: «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٦٢).

عن أمور ديننا وعن الأحاديث التي ضعفها الحفاظ عندنا، ونعمل بقوله صلى اللَّه عليه وآله وسلم»[١] .

وتحدث الفوتي عن شيخة التجاني، فقال: «إن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم أخبره بقوله عليه الصلاة والسلام: بعزة ربي يوم الاثنين ويوم الجمعة لم أفارقك فيهما من الفجر إلى الغروب ومعي سبعة أملاك وكل رآك في اليومين تكتب الملائكة اسمه في ورقة من ذهب، ويكتبونه من أهل الجنة»[٢] ، وينقل ابن ضيف اللَّه أن: «الشيخ خوجلي يرى النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم كل يوم أربعة[٣] وعشرين مرة يقظة»[٤] .

معنى هذا أن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم بينما يرافق الشيخ التجاني - وهو بفاس - يوم الاثنين ويوم الجمعة ولا يفارقه فيهما، نجده يقابل الشيخ خوجلي بالسودان كل يوم أربعًا وعشرين مرة، أي: مرة في كل ساعة ليلاً ونهارًا.

● بل ويعتقدون أنه ﷺ يحضر بعض اجتماعات الصوفية:

وأول نص صوفي يلفت النظر في هذا الصعيد هو اعتقاد الصوفية أنه صلى اللَّه عليه وآله وسلم يحضر بعض الموالد الصوفية، فينقل الشعراني عن الشيخ محمد الشناوي، أن شيخه محمد السروري تخلف سنة عن حضور مولد البدوي، فعاتبه الشيخ البدوي، وقال: «موضع يحضر فيه سول اللَّه

---

(١) «الرماح» (١/ ١٩٩).

(٢) «الرماح» (٢/ ٢٩).

(٣) هكذا.

(٤) «طبقات ابن ضيف اللَّه» ص(١٩١).

صلى اللَّه عليه وآله وسلم والأنبياء عليهم الصلاة والسلام معه وأصحابهم والأولياء، وما يحضره؟ فخرج الشيخ محمد إلى المولد فوجد الناس راجعين وفاته الاجتماع فكان يلمس ثيابهم ويمر بها على وجهه»(١) .

● ومن ذلك اعتقاد التيجانية أن النبي ﷺ والخلفاء الأربعة يحضرون بعض جلسات أذكارهم اليومية، ففي «جواهر المعاني»: «ولا تقرأ جوهرة الكمال إلا بالطهارة المائية لا بالترابية؛ لأن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم يحضر عند قراءتها»(٢) .

وقال الشيخ الفوتي في الفضيلة الرابعة والثلاثين من فضائل الطائفة التجانية:

«إن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم والخلفاء الأربعة يحضرون مع أهل هذه الطريقة كل يوم، قال - يعني شيخه - إن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم قال: من قرأها سبعًا فأكثر يحضره النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم والخلفاء الأربعة ما دام يذكرها»(٣) .

وعقد أيضًا فصلاً في كتابه عنوانه: «الفصل الحادي والثلاثون في إعلامهم أن الأولياء يرون النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم يقظة، وأنه صلى اللَّه عليه وآله وسلم يحضر كل مجلس أو مكان أراد بجسمه وروحه، وأنه يتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض في الملكوت وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء»(٤) .

---

(١) «الطبقات الكبرى» (١/ ١٥٨).
(٢) «جواهر المعاني» (١/ ١٢٤).
(٣) «الرماح» (٢/ ٤٨).
(٤) «الرماح» (١/ ١٩٨ - ١٩٩).

ويقول صاحب كتاب «الختمية» السوداني - عند ما علل لقيامهم جماعة عند ذكر الولادة أثناء احتفالهم بترديد الأناشيد المولدية -: «أما القيام في حالة ذكر الولادة فإن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم بشر الختم في منامه بأنه يحضر حين ذكر الولادة، وبما أن الشيطان لا يتمثل بالرسول صلى اللَّه عليه وآله وسلم فقد وجب التصديق بحضوره صلى اللَّه عليه وآله وسلم، ولذلك وجب القيام لحضوره إكرامًا له صلى اللَّه عليه وآله وسلم»[1] . مع أن هذا الرجل لم يقر صراحة بأنهم يرون الرسول صلى اللَّه عليه وآله وسلم أثناء هذه المواليد إلا أنه اعترف بعقيدتهم في أنه يحضرها.

والقول برؤيته لازم لهم إذا كانوا يعتقدون أن حضوره يكون بالجسد والروح.

● بل ويعتقدون أنه عليه الصلاة والسلام ما زال يعطي بعض المعارف والتشريعات لمن شاء من العباد.

يقول ابن المبارك عن مسألة الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، والتي يصفها بأنها أتعبت العلماء وأفردوها بالتأليف وبحثوها من خلال مصنفاتهم، أمثال ابن الجوزي، والباقلاني، وابن حجر، والسيوطي، يقول: «ومع وقوفي على كلام هؤلاء الأربعة الفحول ومعرفتي بظاهره وباطنه وبأوله وآخره لم يحصل عندي ظن بمراده ﷺ فقلت للشيخ - يعني: الدباغ -: لا أسألك إلا عن مراد النبي ﷺ فقال: غدًا نجيبك إن شاء اللَّه. فلما كان من الغد قال لي - وقد صدق فيما قال -: «سألت النبي ﷺ عن مراده بهذه الحديث فأجابني عن مراده ﷺ . فتكلمت مع الشيخ في ذلك ثلاثة أيام وهو يبين

(١) ص(١٣٥).

لي معنى المراد، وسمعت فيه من الأسرار ما لا يكتب ولا يطاق»[١] ، ثم لخص ما يرى من ذلك أنه يمكن أن يكتب، فذكر كلامًا كثيرًا كله غوامض وطلاسم.

وكذلك نجد في المصادر الصوفية: «عن بعض الأولياء أنه حضر مجلس فقيه فروى ذلك الفقيه حديثًا، فقال له الولي: هذا باطل. فقال الفقيه: من أين لك هذا؟ فقال: هذا النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم واقف على رأسك يقول: إني لم أقل هذا الحديث»[٢] .

● وذكر علي حرازم برادة أن شيخًا اسمه محمد بن العربي التازي (ت١٢١٤هـ) حفظ أبياتًا من النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم في المنام، ثم لقيه في اليقظة فطلب منه شرح الأبيات فشرحها رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم، ثم قال له: «لولا محبتك في التجاني ما رأيتني قط»[٣] .

ويخبر صاحب «جواهر المعاني» أيضًا:

أ ـ «أن الورد المعروف بحزب البحر أملاه النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم على الشيخ أبي الحسن الشاذلي»[٤] .

ب ـ كما يخبر «أن الشيخ التجاني لقي النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم في اليقظة فسأله عن نسبه، وهل هو من أبنائه وآله؟ فأجابه النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم: أنت ولدي حقًّا ثلاث مرات، وقال له: ونسبك إلى الحسن

---

(١) «الإبريز» ص(٣٥ ـ ٤٠).
(٢) «تنوير الحلك» للسيوطي (٢/ ٢٦٠)، ونقله عنه الفوتي في «الرماح» (١/ ٢٠٨).
(٣) «جواهر المعاني» (٢/ ١٥٣ ـ ١٥٤)، وانظر: الأبيات وشرحها من (١٥٤ ـ ١٥٨).
(٤) (١/ ١٤٩).

ابن علي صحيح»[١].

جـ ـ «وأن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم أذن للشيخ التجاني يقظة لا منامًا بتربية الخلق على العموم والإطلاق، وعين له الورد الذي يلقنه في سنة (١١٩٦هـ)»[٢].

د ـ «وأن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم هو الذي أمر بتأليف كتاب جواهر المعاني»[٣].

وقال الشيخ صفي الدين: «رأيت الشيخ الجليل الكبير أبا عبد اللَّه القرطبي أجل أصحاب الشيخ القرشي، وكان أكثر إقامته بالمدينة النبوية، وكان له بالنبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم وصلة وأجوبة ورد للسلام، حمله رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم رسالة للملك الكامل وتوجه إلى مصر وأداها وعاد إلى المدينة»[٤].

● دعوى استمرار التشريع بعد موت النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم ومعنى ذلك أنه عليه الصلاة والسلام مات قبل كمال الدين، وهو باطل.

● اتهام النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم بتأخير البيان عن وقت الحاجة إليه، وهو غير جائز في حقه إذ كيف يؤخر بيان المراد بهذا الحديث مع مساس حاجة المسلمين إلى ذلك؛ حتى يأتي القرن الثاني عشر فيبينه لرجل أمي لا

---

(١) (١/ ٣١).
(٢) (١/ ٥١) و(١/ ١٢٢).
(٣) (١/ ٥٣).
(٤) «تنوير الحلك» ـ ضمن الحاوي (٢/ ٢٦٠).

علم له بالكتاب والسنة اسمه عبد العزيز الدباغ؟

* إفاضة أخرى حول رؤية رسول اللَّه ﷺ في اليقظة:

معالم الصواب في هذه المسألة يتمثل في النقاط الآتية:

أولاً: أن اللَّه سبحانه وتعالى حينما بعث نبيه ﷺ أنزل عليه القرآن وآتاه الحكمة، فحد الحدود وبين الشرائع والأحكام، فما دلت الشريعة المطهرة على إثباته أثبتناه، وما دلت على نفيه نفيناه، وما اختلف فيه رد إلى كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ؛ إذ هما المرجع في هذا الباب، قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾ [النساء: ٥٩]، ولم يمت النبي ﷺ؛ إلا وقد أكمل اللَّه به الدين وأتم به على عباده النعمة، كما قال: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾ [المائدة: ٣].

ولم يرد في القرآن شيء يدل على رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا، وكذلك لم يرو شيء في السنة المطهرة.

ثانيًا: أما الاستدلال بحديث: «**من رآني في المنام، فسيراني في اليقظة**»، فالجواب عليه: أن في تأويل «**فسيراني في اليقظة**»[1] سبعة أوجه[2]:

أحدها: كما قال ابن التين: المراد به من آمن به في حياته ولم يره لكونه حينئذ غائبًا عنه؛ فيكون بهذا مبشرًا لكل من آمن به ولم يره أنه لا بد أن يراه في اليقظة قبل موته.

---

(١) رواه البخاري في «التعبير» (٤/ ٢٩٩)، (٦٩٩٣)، ومسلم في «الرؤيا» (٤/ ١٧٧٥) عن أبي هريرة، ورواه البخاري، ومسلم عن أبي قتادة، ورواه البخاري عن أنس، ومسلم عن جابر، والبخاري عن أبي سعيد.

(٢) كما يؤخذ من مجمل ما ذكره ابن حجر في «الفتح» (١٢/ ٣٨٤) وما بعدها.

الثاني: معناه سيرى تأويل تلك الرؤيا في اليقظة وصحتها وخروجها على الحق، وهذا قول ابن بطال.

الثالث: أنه على التشبيه والتمثيل، ودل عليه قوله في الرواية الأخرى: «**فكأنما رآني في اليقظة**».

الرابع: أنه يراه في المرآة التي كانت له إن أمكنه ذلك، وهذا من أبعد المحامل كما قال في «الفتح»، وهو لابن أبي جمرة في «بهجة النفوس» (٤/ ٣٣٨) مستدلاً عليه بأن ابن عباس رآه في النوم، فبقي بعد أن استيقظ متفكرًا في هذا الحديث، فدخل على بعض أمهات المؤمنين ـ ولعلها خالته ميمونة ـ، فأخرجت له المرآة التي كانت للنبي ﷺ فنظر فيها، فرأى صورة النبي ﷺ ولم ير صورة نفسه[1].

الخامس: أنه سيراه في الآخرة، وتعقبه ابن بطال قائلاً:

«إنه في الآخرة يراه جميع من رآه في المنام، ومن لم يره؛ فلا يبقى لخصوص رؤيته في المنام مزية»، وأجاب عن ذلك القاضي عياض باحتمال أن تكون رؤياه له في النوم على الصفة التي عُرِف بها ووصف بها موجبة لتكرمته في الآخرة، وأن يراه رؤية خاصة من القرب منه والشفاعة له بعلو الدرجة ونحو ذلك من الخصوصيات، ولا يبعد أن يعاقب اللّه بعض المذنبين في القيامة بمنع رؤية نبيه ﷺ عليه مدة».

قلت: لاح لي جواب أقرب من هذا وأحسن وأوقع في النفس، ثم رُأيت الزرقاني على «المواهب»[2] ذكره عن الدماميني، وهو أن يقال: من أين

---

(١) لم يسند ذلك ابن أبي جمرة ولا السيوطي في «الحاوي» (٢/ ٢٥٦)، وحقيق بهذه القصّة أن تكون مكذوبةً، إذ لم نعثر لها على سند!.

(٢) انظر (منه ٥/ ٢٩٢ ـ ٢٩٥)؛ فقد تكلم بإسهابٍ على هذه المسألة.

للمتعقب أن جميع أمته يرونه في الآخرة؟ أكل من آمن به يأمن من سوء الخاتمة؟ أي بُشرى وفائدة أعظم من أن رؤيته ﷺ في المنام أمان لصاحبها من سوء العاقبة، ضامنة له الموت على الإيمان؟

وقد قال الدماميني في قوله: «**فسيراني في اليقظة**»: «بشارة لرائيه بالموت مسلمًا؛ لأنه لا يراه في القيامة تلك الرؤية الخاصة باعتبار القرب إلا من تحقق موته على الإسلام».

قلت: هذا الوجه هو أحسن الوجوه وأسلمها، وهو ظاهر اللفظ، ولا بشارة فوقه.

السادس: هو أنه يجوز أن يكون مقصود تلك الرؤيا معنى صورته، وهو دينه وشريعته؛ فيعبر بحسب ما يراه الرائي من زيادة أو نقصان أو إساءة أو إحسان.

السابع: أن يراه في الدنيا حقيقة ويخاطبه، قال ابن أبي جمرة: ونقل عن جماعة من الصالحين[1] أنهم رأوا النبي ﷺ في المنام، ثم رأوه بعد ذلك في اليقظة، وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين، فأرشدهم إلى طريق تفريجها، فجاء الأمر كذلك.

قال الحافظ ابن حجر: «هذا مشكل جدًّا، ولو حمل على ظاهره، لكان هؤلاء صحابة، ولأمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة، ويعكر عليه أن جمعًا جمًّا رأوه في المنام، ثم لم يذكر واحد منهم أنه رآه في اليقظة، وخبر الصادق لا يتخلف».

---

(١) على ما فصله السيوطي في «تنوير الحلك»، وقبله ابن الحاج في «المدخل» (٤/ ٣٠٣)، وألمح إليه الغزالي في «المنقذ من الضلال» (٣١)، والجيلي في «الإنسان الكامل» (٢/ ٥٠).

قلت: هـذه الجملة كافـية في بطلان هـذا الاحتمال؛ لأنه لـو كان هذا الاحتمال هو معنى هذا الحديث لـزم أن كل من رآه في المنام يراه يقظة، وهذا باطل بديهة؛ لكثرة الرائين له في المـنام في كل عصر، ولم يدع أحد منهم أنه رآه يقظة، ولا خطر ذلك عـلى قلبه؛ فيبطل هذا الاحتمال لمـا يلزم عليه من تخلف قول الصادق المصدوق.

ثـالـثًـا: أنكر العلماء هذا القول، وعـدّوه من الأخطاء التي ينبغي أن لا يتفوّه بها، وهي مـن الشطط والغلط، وإليك جملاً من عبـاراتهم، وشيئًا من مقالاتهم:

● قال صاحـب «المواهب اللدنـية»: «وأما رؤيتـه ﷺ في اليقظـة بعد موته عليه الصلاة والسلام؛ فقـال شيخنا ـ يعني: السخاوي ـ[1] : لم يـصل إلينا ذلك عن أحـد من الصحابة، ولا عمن بعدهم، وقد اشـتد حزن فاطمة عليه ﷺ حتى ماتت كـمدًا بعده بستة أشهر على الصحيـح، وبيتها مجاور لضريحـه الشريف، ولم ينقـل عنها رؤيته فـي المدة التي تأخرتهـا عنه، وإنما حُكي عن بـعض الصالحين حكـايات عن أنفسهـم كما هو في كتـاب «توثيق عرى الإسلام» لـلبارزي، و«بهـجة النفـوس» لأبي محمـد عبد اللّـه بن أبي جمرة، و«روض الرياحين» للعفيف اليافعي، والشيخ صفي الدين أبي المنصور في «رسالتـه» منه، ويأتي إن شاء اللّه مـا قيل في هذه الحكايـات المروية عن الصالحين».

---

(١) صنف الـسخاوي رسالة فـي الرد على السـيوطي في هذه المـسألة، وسماهـا بـ«الإرشاد والموعـظة لـزاعم رؤيـة النـبي ﷺ بعد مـوته في اليـقظة»، كمـا في «الضوء الـلامع» (٨/ ١٩)، و«فهـرس الفـهارس» (٢/ ٩٩١)، و«إيضـاح المكـنون» (٢/ ٤٢٠)، و«هـدية العارفين» (٢/ ٢٢١).

● قال شارحه الزرقاني في قوله: «ولا عمن بعدهم كالتابعين»: «ولم يرد في ذلك شيء عن النبي ﷺ؛ إلا ما قد يؤخذ من قوله: «**فسيراني في اليقظة**» على أحد الاحتمالات، بخلاف حديث رؤياه منامًا، فقد قال السيوطي: إنه متواتر».

وقال عند قوله: «في المدة التي تأخرتها عنه»: «فلو كان يرى في اليقظة لرأته لاشتداد حزنها، ولم يقع ذلك إذ لو وقع لنقل، ورُد هذا بأن عدم نقله لا يدل على عدم وقوعه، وتعقب بأنه ظاهر لو جعله المانع دليلاً قطعيًّا على أنه لا يرى يقظة، وإنما جعله ظاهرًا في عدم وقوعه لفاطمة، وقول غيرها: إنه يراه يقظة مؤول؛ فلا يتم أنه قد يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل».

قلت: بل الظاهر أن عدم وقوع ذلك لفاطمة دليل قطعي؛ لأنه لو كان يرى لرأته، إذا لا أحد أولى منها بذلك، ولو وقع لها أو لغيرها لنقل متواترًا لما له من الدواعي التي توجب نقله متواترًا؛ كما وقع في حديث رؤيته منامًا، وهذا أولى منه بذلك .

● وقد اشتد إنكار القرطبي[1] على من قال: « من رآه في المنام؛ فقد رأى حقيقته، ثم يراها كذلك في اليقظة»؛ قال: وهذا قول يدرك فساده بأوائل العقول، ويلزم عليه أن لا يراه أحد إلا على صورته التي مات عليها، وأن لا يراه رائيان في آن واحد في مكانين، وأن يحيا الآن ويخرج من قبره ويمشي في الأسواق ويخاطبوه، ويلزم من ذلك أن يخلو قبره الشريف من جسده الشريف، فلا يبقى في قبره منه شيء، فيزار مجرد القبر، ويُسلم على

---

(١) فيما نقله عنه ابن حجر في «الفتح» (١٢/ ٣٨٤).

غائب؛ لأنه جائز أن يرى في الليل والنهار مع اتصال الأوقات على حقيقته في غير قبره، وهذه جهالات لا يلتزم بها من له أدنى مسكة من معقول، وملتزم شيء من ذلك مختل مخبول».

● وقال الألوسي في «روح البيان» عند قوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ بعد أن ذكر ما حكي منها عن الصالحين: «أقول بعد هذا كله: إن ما نسب إلى بعض الكاملين من أرباب الأحوال من رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته وسؤاله والأخذ عنه، لم نعلم وقوع مثله في الصدر الأول، وقد وقع اختلاف بين الصحابة ﭫ من حين توفي عليه الصلاة والسلام إلى ما شاء اللّه تعالى في مسائل دينية وأمور دنيوية، وفيهم أبو بكر وعلي ﭭ، وإليهما ينتهي أغلب سلاسل الصوفية الذين تنسب إليهم تلك الرؤية، ولم يبلغنا أن أحدًا منهم ادعى أنه رأى رسول اللّه ﷺ في اليقظة، وأخذ عنه ما أخذ، وكذلك لم يبلغنا أنه ﷺ ظهر لمتحير في أمر من أولئك الصحابة الكرام؛ فأرشده وأزال حيرته، وقد صح عن عمر ﭬ، أنه قال في بعض الأمور: يا ليتني كنت سألتُ رسول اللّه ﷺ عنه، ولم يصح عندنا أنه توسل إلى السؤال عنه ﷺ نظير ما يحكي عنه بعض أرباب الأحوال، وقد وقفت على اختلافهم في حكم الجد مع الإخوة، فهل وقفت على أن أحدًا منهم ظهر له الرسول ﷺ فأرشده إلى ما هو الحق فيه؟ وقد بلغك ما عرا فاطمة البتول ﭪ من الحزن العظيم بعد وفاته ﷺ، وما جرى في أمر فدك؛ فهل بلغك أنه ﷺ ظهر لها كما ظهر للصوفية فبلَّ لوعتها وهوَّن حزنها وبيَّن لها الحال؟! وقد سمعت بذهاب عائشة ﭪ إلى البصرة، وما كان من وقعة الجمل؛ فهل سمعت تعرضه ﷺ لها قبل الذهاب، وصده إياها عن ذلك لئلا يقع أو تقوم الحجة عليها على أكمل وجه؟! إلى غير ذلك مما

لا يكاد يحصى كثرةً.

والحاصل أنه لم يبلغنا ظهوره عليه الصلاة والسلام لأحد من أصحابه وأهل بيته وهم هم مع احتياجهم الشديد لذلك، وظهوره عند باب قُباء كما يحكيه بعض الشيعة[1] افتراء محض وبهتٌ بحت، وبالجملة عدم ظهوره لأولئك الكرام وظهوره لمن بعده مما يحتاج إلى توجيه يقنع به ذوو الأفهام».

رابعًا: والحاصل أن رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته لم تنقل عن أحد من أهل القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية من المصطفى ﷺ؛ إذ كيف يظهر النبي ﷺ للمفضول ولا يظهر للفاضل؟!.

خامسًا: إن رؤية النبي ﷺ يقظة من باب العقائد، والعقائد مبنية على التوقيف؛ فلا يجزم بنفي شيء أو إثباته إلا بدليل يصح الاعتماد عليه، ولم يرد في الكتاب ولا في السنة ما يدل على إثباتها، ولم يدعيها أحد فيما أعلم من الصحابة ولا من التابعين ولا من أتباعهم، وهذا من أدلة الاستدلال عند أهل الأصول، وهو ما يعرف عندهم: بـ «انتفاء المدرك».

سادسًا: أما ما حكوه عن بعض الصالحين من رؤيتهم النبي ﷺ يقظة؛ فيجاب عنه بأجوبة:

أولاً: إن ما وقع لهؤلاء الشيوخ، هل ثبت عنهم أنه كان يقظة أو منامًا؟ وإذا ثبت أنه كان يقظة، فهل ثبت عنهم بسند صحيح يوثق به؟ وإذا ثبت أنه كان يقظة بسند صحيح يوثق به، فهل هم معصومون من تلبيس الشيطان عليهم؟!

---

(١) وهذه قصة مكذوبة أُخرى، لكنها غير مشهورة عندنا معاشر أهل السنة، ولله الحمد والمنَّة.

كل هذه الأسئلة لا نجد الجواب عليها!.

ثانيًا: ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية: «والمقصود أن الصحابة ﷺ لم يطمع الشيطان أن يضلهم كما أضل غيرهم من أهل البدع الذين تأولوا القرآن على غير تأويله، أو جهلوا السنة، أو رأوا أو سمعوا أمورًا من الخوارق؛ فظنوها من جنس آيات الأنبياء والصالحين، وكانت من أفعال الشياطين، فأهل الهند يرون من يعظمونه من شيوخهم الكفار وغيرهم، والنصارى يرون من يعظمونه من الأنبياء والحواريين وغيرهم، والضلال من أهل القبلة يرون من يعظمونه، إما النبي ﷺ، وإما غيره من الأنبياء يقظة، ويخاطبهم ويخاطبونه، وقد يستفتونه ويسألونه عن أحاديث فيجيبهم، ومنهم من يخيل إليه أن الحجرة قد انشقت وخرج منها النبي ﷺ وعانقه هو وصاحبيه. وهذا وأمثاله، أعرف ممن وقع له هذا وأشباهه عددًا كبيرًا، وقد حدثني بما وقع له في ذلك وبما أخبره به غيره من الصادقين من يطول هذا الموضوع بذكرهم، ولكن كثيرًا من الناس يكذب بهذا، وكثيرًا منهم إذا صدق به ظن أنه من الآيات الإلهية، وأن الذي رأى ذلك رآه لصلاحه ودينه، ولم يعلم أنه من الشيطان وأنه بحسب قلة علم الرجل يضله الشيطان، ومن كان أقلّ علمًا، قال له ما يعلم أنه مخالف للشريعة، وهو وإن ظن أنه قد استفاد شيئًا، فالذي خسره من دينه أكثر»[1].

وقال أيضًا: «وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ، أنه قال: «**من رآني في المنام فقد رآني حقًا؛ فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي**»؛ فهذا في رؤية المنام؛ لأن رؤية المنام تكون حقًا وتكون من الشيطان، فمنعه اللَّه أن يتمثل به

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٣٩١ ـ ٣٩٢)، و«الجواب الباهر» (٥٤، ٥٥).

في المنام، أما في اليقظة، فلا يراه أحد بعينه في الدنيا، فمن ظن أن المرئي هو النبي، فقد أُتي من جهله، ولهذا لم يقع مثل هذا لأحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وبعض من رأى هذا أو صدق من قال إنه رآه، اعتقد أن الشخص الواحد يكون بمكانين في حالة واحدة، فخالف صريح المعقول، ومنهم من يقول: إن هذه رقيقة ذلك المرئي (أي: قرينته وشبحه)، أو هذه روحانيته، وهذا معناه لشكل (لعلها تشكل)، ولا يعرفون أنه جني تصور بصورته، ومنهم من يظن أن ذلك ملك والملك يتميز عن الجني بأشياء كثيرة، والشياطين يوالون من يفعل ما يحبونه من الشرك والفسوق والعصيان، فتارة يخبرونه ببعض الأمور الغائبة ليكاشف بها، وتارة يؤذون من يريد أذاه بقتل أو تمريض، وتارة يسرقون له من أموال الناس، فيعتقد أنها من كرامات الأولياء، وإنما يكون مسروقًا...»[1].

ثالثًا: إن النبي ﷺ إذا رؤي في المنام وتكلم بشيء أو أمر بشيء، أو نهى عن شيء، فإن كان موافقًا للكتاب والسنة، ولم يخرج حكمًا شرعيًا ولا قاعدة دينية، علم أن الرؤيا حق، وأن الكلام حق، وتكون الرؤيا بشارة وتأنيسًا للرائي، ولا يجوز إثبات حكم شرعي بمجرد الرؤيا.

قال الإمام النووي - رحمه الله - في حديث: «**من رآني في المنام فقد رآني**»: «فإن معنى الحديث أن رؤيته صحيحة وليست من أضغاث الأحلام وتلبيس الشيطان، ولكن لا يجوز إثبات حكم شرعي به؛ لأن حالة النوم ليست حالة ضبط وتحقيق لما يسمعه الرائي، وقد اتفقوا على أن من شرط من تقبل روايته وشهادته أن يكون متيقظًا لا مغفلاً ولا سيئ الحفظ ولا كثير الخطأ

---

(١) «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» (٢٩، ٣٠).

ولا مختل الضبط، والنائم ليس بهذه الصفة، فلم تقبل روايته لاختلال ضبطه، هذا كله في منام يتعلق بإثبات حكم على خلاف ما يحكم به الولاة، أما إذا رأى النبي ﷺ يأمره بفعل ما هو مندوب إليه، أو ينهاه عن منهي عنه، أو يرشده إلى فعل مصلحة، فلا خوف في استحباب العمل على وفقه؛ لأن ذلك ليس حكمًا بمجرد المنام، بل تقرر من أصل ذلك الشيء، واللَّه أعلم».

وإن كان الأمر مخالفًا لما تلقاه الصحابة ﷺ عن النبي ﷺ، فلا يغير بسبب ما رآه النائم ما تقرر في الشرع، وقد حكى الإمام النووي الاتفاق على ذلك، ومن الأمثلة على ذلك ما روي أن رجلاً رأى النبي ﷺ في النوم، فقال له: اذهب إلى موضع كذا فاحفره؛ فإن فيه ركازًا فخذه لك ولا خمس عليك فيه. فلما أصبح ذهب إلى ذلك الموضع فحفره، فوجد الركاز فيه، فاستفتى علماء عصره، فأفتوه بأن لا خمس عليه لصحة الرؤيا، وأفتى العز ابن عبد السلام بأن عليه الخمس، وقال: «أكثر ما ينزل منامه منزلة حديث صحيح، وقد عارضه ما هو أصح منه وهو حديث: «**في الركاز الخمس**».

فإن كان هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة فيما يدعي النائم أنه أخذه عن النبي ﷺ في النوم مع ثبوت رؤيته ﷺ في المنام في الأحاديث الصحيحة، فكيف بما يزعمون أنهم أخذوه عن النبي ﷺ بعد موته في اليقظة مع أنها مردودة بالشرع والعقل كما سبق؟!.

سابعًا: إن اتصال النبي ﷺ بالناس قد انقطع بوفاته كما دل على ذلك الكتاب والسنة، فمن ذلك حديث ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ، قال: «**إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً**»، ثم قرأ: ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا**

عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾، وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم، وإن أناسًا من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: أصحابي أصحابي. فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم. فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ...﴾ إلى قوله: ﴿الْحَكِيمُ﴾».

قال الألوسي: «ومعنى الجملتين أني ما دمت فيهم كنت شاهدًا لأحوالهم، فيمكن لي بيانها، فلما توفيتني كنت أنت المشاهد لها لا غيرك؛ فلا أعلم حالهم ولا يمكنني بيانها»[١].

ففي الحديث كما ترى تصريح بانقطاع الاتصال بين الرسول ﷺ وبين الناس بعد مماته.

وقال ابن القيم: «فالعلم اللدني نوعان: لدني رحماني، ولدني شيطاني، والمحك هو الوحي، ولا وحي بعد رسول الله ﷺ»[٢].

● اعلم رحمك الله أن ادعاء الصوفية رؤية النبي ﷺ يقظة عقيدة فاسدة. واعلم أن بعض كبار الصوفية ينفي وقوع رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم في اليقظة: فيقول أبو القاسم القشيري: «وقال بعضهم: في النوم معان ليست في اليقظة، منها: أنه يرى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة والسلف الماضين في النوم ولا يراهم في اليقظة»[٣].

● واعلم أن هذه العقيدة مخالفة لإجماع أهل السنة والجماعة، وهي خاصة بأهل البدعة، قال ابن حزم: «واتفقوا أن محمدًا عليه السلام وجميع

---

(١) «روح المعاني» (٧/ ٦٩).
(٢) «مدارج السالكين».
(٣) «الرسالة القشيرية» ـ باب رؤيا القوم ص(٧١٨).

أصحابه لا يرجعون إلى الدنيا إلا حين يبعثون مع جميع الناس»[١] .

ما ذكره الحافظ ابن حجر من «أن جمعًا رأوه في المنام، ثم لم يذكر واحد منهم أنه رآه في اليقظة وخبر الصادق لا يتخلف»[٢] .

وقال شيخ الإسلام: «وبعض من رأى هذا ـ أو صدق من قال إنه رآه ـ اعتقد أن الشخص الواحد يكون بمكانين في حالة واحدة فخالف صريح المعقول»[٣] .

● ويلزم منه أيضًا القول باستمرار التشريع؛ لأن الذين يدعون مقابلته يدعون أنهم يأخذون عنه بعض الأحكام الزائدة على ما هو موجود في الشريعة الإسلامية.

يقول الشيخ محمد طاهر ميغري: «فلو ثبت أن هؤلاء الذين يدعون رؤية النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم يقظة أنهم يرونه حقًّا ويعطيهم ديانات جديدة إلى الناس لكان كل ما جاءوا به منْ عنده صلى اللَّه عليه وآله وسلم من جملة شريعته، ولو كان كذلك لبطل قوله تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا** ﴾ [المائدة: ٣]، ولبطلت أيضًا أحاديث كثيرة يتمسك بها علماء السنة في محاربتهم للبدع وأنواع الضلالات»[٤] .

● ويلزم منه أيضًا أن يكون من رآه في اليقظة صحابيًّا، يقول ابن حجر: «ونقل عن جماعة من الصالحين أنهم رأوا النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم في

(١) «مراتب الإجماع» ص(١٧٦).
(٢) «فتح الباري» (١٢/ ٤٠٢).
(٣) «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» ص(٤٤).
(٤) «التحفة السنية» ص(٤١).

المنام، ثم رأوه بعد ذلك في اليقظة وسألوه عن أشياء، وهذا مشكل جدًّا، ولو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة، ولأمكن بقاء الصحابة إلى يوم القيامة»(١) .

ويقول الشيخ عبد العزيز بن باز: «ومن زعم من جهلة الصوفية أنه يرى النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم في اليقظة أو أنه يحضر المولد أو ما شابه ذلك فقد غلط أقبح الغلط، ولبس عليه غاية التلبيس، ووقع في خطأ عظيم وخالف الكتاب والسنة وإجماع أهل العلم؛ لأن الموتى إنما يخرجون من قبورهم يوم القيامة لا في الدنيا، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ**﴾ [المؤمنون: ١٥، ١٦]، فأخبر سبحانه أن بعث الأموات يكون يوم القيامة لا في الدنيا، ومن قال خلاف ذلك فهوكاذب كذبًا بينًا، أو غالط ملبس عليه لم يعرف الحق الذي عرفه السلف الصالح»(٢) .

● ويلزم من هذا القول حسب ما يدعي الصوفية رمي النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم بالافتقار إلى الحكمة في تصرفاته، حيث يخرج من قبره لتوافه الأمور ويغيب عن حضور مهمات الأمور، وبيان ذلك: أن أمورًا عظيمة وقعت لأصحاب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم وهم أفضل الأمة بعد نبيها كانوا في حاجة ماسة إلى وجوده بين أظهرهم ولم يظهر لهم.

*** فائدة:**

نقل السيوطي عن بعض أهل العلم احتجاجه على حياة الأنبياء بأن النبي

---

(١) «فتح الباري» (١٢/ ٤٠٢).

(٢) «التحذير من البدع» للشيخ ابن باز ص(١٨).

صلى اللَّه عليه وآله وسلم اجتمع بهم ليلة الإسراء في بيت المقدس[1] .

ومقصده أن حياتهم في قبورهم تدل على إمكان رؤيتهم، وما دام هذا ممكنًا في حق النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم معهم فيمكن أن يكون جائزًا في حق أولياء أمته معه، فيرونه في اليقظة. والجواب على هذه الشبهة أن يقال:

أولاً: ليس النزاع في حياة الأنبياء في قبورهم ولا في اجتماع النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم بهم ليلة الإسراء وصلاته بهم إمامًا، فإن ذلك كله ثابت رواية، فيجب على جميع المؤمنين التصديق به.

ثانيًا: أن مما يجب أن يعلم أن حياة الأنبياء في قبورهم حياة برزخية لا نعلم كيف هي، وحكمها كحكم غيرها من المغيبات، نؤمن بها ولا نشتغل بكيفيتها، ولكننا نجزم بأنها مخالفة لحياتنا الدنيا.

قال ابن القيم: «وأما إخبار النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم عن رؤية الأنبياء ليلة أسري به فقد زعم بعض أهل الحديث أن الذي رآه أشباحهم وأرواحهم. **وقد رأى إبراهيم مسندًا ظهره إلى البيت المعمور، ورأى موسى قائمًا في قبره يصلي، وقد نعت الأنبياء لما رآهم نعت الأشباح، ونازعهم في ذلك آخرون وقالوا: هذه الرؤية إنما هي لأرواحهم دون أجسادهم، والأجساد في الأرض قطعًا إنما تبعث يوم بعث الأجساد، ولم تبعث قبل ذلك، إذ لو بعثت قبل ذلك لكانت قد انشقت عنها الأرض قبل يوم القيامة، وكانت تذوق الموت عند نفخة الصور وهذه موتة ثالثة وهذا باطل قطعًا[2] ، ولو**

---

(١) «التنوير» (٢/ ٢٦٣).

(٢) لقوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١].

كانت قد بعثت الأجساد من القبور لم يعدهم اللَّه إليها بل كانت في الجنة. وقد صح عن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم أن اللَّه حرم الجنة على الأنبياء حتى يدخلها هو، وهو أول من يستفتح باب الجنة وهو أول من تنشق عنه الأرض على الإطلاق»[1] .

وأكد ـ رحمه اللَّه ـ اختلاف حياتهم عليهم السلام في قبورهم عن حياتهم الدنيا، فقال: «وسر ذلك أن الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام:

أحدها: تعلقها به في بطن الأم جنينًا.

الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.

الثالث: تعلقها به في حال النوم، فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه.

الرابع: تعلقها به في البرزخ، فإنها وإن فارقته وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقًا كليًّا بحيث لا يبقى لها التفات إليه ألبتة. وقد ذكر في أول الجواب من الأحاديث والآثار ما يدل على ردها إليه وقت سلام المسلم، وهذا الرد إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة.

الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن»[2].

قلت: وعلى هذا فهمنا من التعلق الرابع أن حياة الأنبياء بعد الموت حياة خاصة تغاير الحياة الدنيا كل المغايرة، فأجسادهم موجودة في قبورهم

---

(١) «الروح» ص(٦٣)، والحديث أخرجه البخاري: في «الرقاق» (٦٥١٧، ٦٥١٨). عن أبي هريرة ومسلم: في «الفضائل» (١٦٠، ٤/ ١٨٤٤).

(٢) «الروح» ص(٦٢).

وأرواحهم في السماء والاتصال بينهما حاصل بالكيفية التي يعلمها اللَّه، قال ابن القيم أيضًا: «وقد صح عنه أن رأى موسى قائمًا يصلي في قبره ليلة الإسراء، ورآه في السماء السادسة أو السابعة، فالروح كانت هناك ولها اتصال بالبدن في القبر وإشراف عليه وتعلق به، بحيث يصلي في قبره ويرد سلام من سلم عليه وهو في الرفيق الأعلى»[1].

إذا تقرر هذا وفهم على وجهه علمنا يقينا أن قياس ما يدعيه الصوفية من مقابلة النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم والجلوس معه ومخاطبته في اليقظة على حال الأنبياء ولقاء المصطفى صلى اللَّه عليه وآله وسلم بهم ليلة الإسراء قياس فاسد الاعتبار؛ لأنه مع الفارق بل لا نسبة بين المقيس والمقيس عليه هنا.

* **فائدة:** إن رؤية النبي ﷺ يقظة قال بها: السيوطي، وابن أبي جمرة، ويوسف النبهاني، وابن حجر المكي الهيثمي، والغزالي، وابن الحاج، والسبكي، والعفيف اليافعي، والتيجاني، والحبشي، والبريلوي أحمد رضا، والتبليغيون من العجم.

● قال في «رماح حزب الرحيم»: «ولا يكمل العبد في مقام العرفان حتى يصير يجتمع برسول اللَّه ﷺ يقظة ومشافهة»[2].

* **فائدة:** اعلم يا أخي أن الصوفية قد أخذوا هذه العقيدة الفاسدة في الرجعة من الرافضة ووافقوهم عليها تمامًا بتمام، بل وزادوا عليهم في ذلك؛ لأن الرافضة جعلوا الرجعة خاصة بأشخاص معينين معروفين عندهم بأعيانهم

---

(١) «الروح» ص(٦٤).

(٢) «رماح حزب الرحيم» (١/ ١٩٩).

وأسمائهم، وأما حملة الفكر الصوفي فقد اعتقدوا رجعة كثير ممن يعتقد الشيعة رجعتهم، ثم فتحوا الباب للجميع، فكل من ظهر لهم أنه ولي وصار له أتباع، فإن الموت لا يقطع الصلة بينه وبين أتباعه، ولا يحول بينه وبين الإيحاء إلى أصحابه متى أراد، ويستنكف الكثير منهم عن إطلاق لفظ «الموت» على الشيوخ نظرًا لتأصل هذا المعتقد في قلوبهم، فيطلقون ألفاظًا تناسبه، كقولهم: «اختفى الشيخ سنة كذا»، أو: «حج السنة الفلانية» ونحوهما.

ومما يلفت النظر في هذا الصدد أن عقيدتهم في علي بن أبي طالب وفي المهدي لا تختلف عن عقيدة الشيعة في شيء: فإذا كانت الشيعة تعتقد أن عليًّا رضي الله عنه لم يمت وأنه سيرجع فإننا نجد في نصوص الفكر الصوفي نظير هذا الاعتقاد.

يقول الشيخ علي بن محمد وفا: «علي بن أبي طالب رضي الله عنه رفع كما رفع عيسى عليه السلام وسينزل كما ينزل عيسى عليه السلام» نقله الشعراني وعلق عليه بقوله: «وبذلك قال سيدي علي الخواص...»[1].

*** فائدة:**

نقل الحافظ ابن حجر إنكار القاضي ابن العربي تلميذ الغزالي على من قال برؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة، قائلاً: «شذّ بعض الصالحين فزعم أنها - أي الرؤية - تقع بعيني الرأس حقيقة».

● قال الشيخ ملا علي القاري: «إنه - أي ما ادعاه من رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة بعد موته - لو كان له حقيقة لكان يجب العمل بما سمعوه منه

---

(١) «الطبقات الكبرى» (٢/ ٣٩).

ﷺ من أمر ونهي وإثبات ونفي من المعلوم أنه لا يجوز ذلك إجماعًا كما لا يجوز بما يقع حال المنام، ولو كان الرائي من أكابر الأنام. وقد صرح المازري وغيره بأن من رآه يأمر بقتل من يحرم قتله كان هذا من الصفات المتخيلة لا المرئية»[١] .

* البريلويَّة ووَحْل الصوفية:

يعتقد البريلويون أتباع أحمد رضا البريلوي - عميل الاستعمار - الصوفي أن الرسول ﷺ حاضرًا في كل مكان ناظرًا كل شيء فيقولون: «لا يخلو مكان ولا زمان إلا والرسول ﷺ موجود فيه»[٢] .

وقال: «لا يستبعد من رسول اللَّه ﷺ أن يكون حاضرًا موجودًا في الأماكن المتعددة التي لا تعد ولا تحصى، بوجوده المقدس بعينه»[٣] .

و«الرسول عليه السلام له الخيار في طواف العالم مع أرواح الصحابة ولقد رآه كثير من الأولياء»[٤]

● ويقول البريلوي نفسه: «إن نظرة رسول اللَّه ﷺ على كل ذرة من ذرات العالم في كل حين، وإنه يحضر تلاوة القرآن وقراءة المولد وقراءة القصائد كما إنه يحضر جنازة الصالحين بجسمه الأطهر»[٥] .

● ويقول الكاظمي البريلوي: «إنه ﷺ ليس بحاضر موجود فحسب

---

(١) «جمع الوسائل شرح الشمائل» (٢/ ٢٣٨).

(٢) «تسكين الخواطر في مسألة الحاضر والناظر» لأحمد سعيد البريلوي ص(٨٥).

(٣) المصدر السابق ص(١٨).

(٤) «جاء الحق» لأحمد يار ص(١٥٤) . ط لاهور باكستان.

(٥) «جاء الحق» ص(١٥٥).

بل إن أهل اللَّه يرونه بأعينهم الحسية في حالة اليقظة في الأوقات الكثيرة»[١].

ويقول: «إن أهل البصيرة يرون رسول اللَّه ﷺ حتى في صلواتهم»[٢].

● وقال البريلوي في «خالص الاعتقاد» ص(٤٦):

«لا فرق بين موته وحياته ﷺ في مشاهدته لأمته ومعرفته بأحوالهم ونيّاتهم وعزائمهم وذلك عنده جلي لا خفاء».

ويقول البريلوي: «إن كرشنا الكافر كان يحضر في مئات الأمكنة في آن واحد وهذا مع كفره فلم لا يستطيع الأولياء حضورهم في أماكن متعددة؟»، وإن كان هذا للولي فكيف بالنبي ﷺ ؟[٣].

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾.

* من صوفيات جماعة التبليغ:

«ذكر محمد أسلم في ص(٢٥ ـ ٢٦) عن الشيخ أبي الحسن الندوي: أنه كتب في كتابه «سيرة السيد أحمد شهيد»، يقول: «وأراد في الليلة السابعة والعشرين أن يحييها ويعبد فيها، لكن غلب عليه النعاس بعد العشاء، فنام، وأيقظه رجلان بإمساك يديه في ثلث الليل، فرأى أن النبي ﷺ جلس عن يمينه، ورأى أبا بكر الصديق رضي الله عنه جلس عن شماله، ويقول له ﷺ : يا سيد أحمد! قم بسرعة واغتسل. فلما رآهما سيد أحمد، أسرع إلى حوض المسجد على رغم كون الماء في الحوض من البرد كالثلج، فاغتسل من هذا

---

(١) «تسكين الخواطر» ص(١٨).

(٢) «تسكين الخواطر» ص(٨٦).

(٣) «فتاوى رضوية» للبريلوي (٦/ ١٤٢)، و«ملفوظات» للبريلوي ص(١١٤).

الماء، وفرغ منه، ثم حضر في خدمتـه ﷺ، فقال عليه الصلاة والسلام: يا ولدي! الليلة ليلة القدر، فاشتغل في ذكر اللَّه والدعاء والمناجاة. ثم ذهبا بعد ذلك.

قال الشيخ حمود التويجري: زعم مدعيها أن رسول اللَّه ﷺ وأبا بكر الصديق أمسـكا يديه وأيقظاه من نومـه وجلسا عن يمينه وعن شـماله. ويلزم على هذه الفرية أن يكون اللَّه تعالى قد أحيا نبيه ﷺ وأحيا أبا بكر الصديق رضي الله عنه مثل حياتهما فـي الدنيا، وأنه أذن لهما بالذهاب إلى الهنـد ليمسكا بيد أحمد شهيد ويوقظاه من نومه ويجلسا عن يمينه وعن شماله.

وهذه الفرية شبيـهة بالفرية التي تذكر عن بعض مشـايخ الصوفية، وهي زعمهم أنهم كانوا يجتمعون بالنبي ﷺ ويرونه في اليقظة، وأنه كان يحضر معهم في الموالد وغيرها من مجتمعاتهم.

ولا شك أن هذا من تلاعب الشيطان بالصوفيـة وأتباعهم من التبليغيين، وتمكنه من اجتياحهم عن دين الإسلام، وإضلالهم بالخرافات والتوهمات التي لا حقيقة لها في الواقع»[١] .

● «ومن خرافات مشايـخ التبليغيين ما ذكره مـحمد أسلم في ص(٢١ ـ ٢٢) حيث قال:

«وقد حدثت واقعة عجيبة بعد شهادة جـد التهانوي، فجاء إلى بيته مثل الأحياء وأعطى أهل بيته الحلوى، وقـال: إذا لم تظهري على أحد أحضر كل يوم هـكذا، ولكـن خاف أصحاب الـبيت أنـه لو رأى الآخرون أن الأطـفال يأكلون الحلويات، فلا يعلم ماذا يثير مـنهم الشبه، فأظهروا الأمر، فما حضر

---

(١) «القول البليغ» للشيخ التويجري ص(١٤١ ـ ١٤٢).

مرة ثانية، وهذه الواقعة أمر مشهور في هذه الأسرة»[١].

* اعتقاد بعض الصوفية إمكان مقابلة الموتى غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

● اعلم يا أخي أن الصوفية لم يجعلوا عقيدتهم في الرجعة خاصة بالنبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم وإخوانه الأنبياء، بل جعلوها تتناول كل شخص مقدس عندهم، والأشخاص المقدسون في الفكر الصوفي لا يكاد يجوبهم الحصر.

● في ترجمة الشيخ علي العياشي[٢] قال الشعراني: «وكانت الأولياء الأموات يزورونه كثيرًا لا سيما الإمام الشافعي ﷺ، فكان يخبر أنه كان عنده يقظة لا نومًا، وكان من لا يعرف حاله يقول: هذا خراف»[٣]

● وعن تجربته الشخصية تحدث الشعراني نفسه فقال: «وسبب حضوري مولد البدوي كل سنة أن شيخي العارف باللَّه تعالى محمد الشناوي أحد أعيان بيته قد كان أخذ علي العهد في قبة تجاه وجه سيدي أحمد، وسلمني إليه بيده فخرجت اليد الشريفة من الضريح وقبضت على يدي وقال - يعني الشناوي للبدوي -: يا سيدي يكون خاطرك عليه واجعله تحت نظرك. فسمعت سيدي أحمد من القبر يقول: نعم»[٤]

● وذكر أيضًا أنه رأى البدوي بعد ذلك مرات عديدة ومن أعجبها ما

---

(١) «القول البليغ» ص(١٤٧).

(٢) صوفي كبير من أصحاب أبي العباس الغمري. مات بعد سنة (٩٠٠هـ)، انظر: «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٦٢).

(٣) المصدر السابق (٢/ ١٦٢)، وهي آخر ترجمة في «الطبقات».

(٤) «المصدر السابق» (١/ ١٥٧).

حكاه فقال: «ولما دخلت بزوجتي فاطمة أم عبد الرحمن وهي بكر مكثت خمسة شهور لم أقرب منها. فجاءني (البدوي) وأخذني وهي معي وفرش لي فرشًا فوق ركن القبة التي على يسار الداخل وطبخ لي حلوى ودعا الأحياء والأموات إليه وقال: أزل بكارتها هنا فكان الأمر تلك الليلة».

● ويقول أيضًا: «تخلفت عن ميعاد حضوري للمولد سنة ثمان وأربعين وتسعمائة وكان هناك بعض الأولياء فأخبرني أن سيدي أحمد كان ذلك اليوم يكشف الستر عن الضريح، ويقول: أبطأ عبد الوهاب ما جاء؟»[(١)] .

قلت: إن قصة خروج اليد الشريفة وكشف الستار، ثم السؤال عن عبد الوهاب إن كان لها نصيب من الوقوع فلا تخرج عن كونها عملاً من قبل دجال من دجاجلة الإنس أو الجن.

● يقول الشعراني أيضًا عن أبي العباس الحريثي[(٢)] : «ولقد قصدته في حاجة وأنا فوق سطح مدرسة أم خوند بمصر، فرأيته خرج من قبره يمشي من دمياط وأنا أنظره إلى أن صار بيني وبينه خمسة أذرع، فقال: عليك بالصبر، ثم اختفى رضي الله عنه»[(٣)] .

● أما الشيخ الفوتي فقد تحدث هو الآخر عن تجربته الشخصية في وقوع الرجعة لأولياء التصوف، فقال: «ولما رجعنا من الحرمين حتى بلغنا أرض «برنو» وقع بيني وبين سلطانها اختلاف شديد وسعى في قتلي غدرًا، وأرسل بعض غلمانه ليلاً إلى بيتي ليفتكوا بي وساروا حتى وصلوا البيت الذي كنت

---

(١) «الطبقات الكبرى» (١/ ١٥٧).

(٢) هو ابن العباس الحريثي زوج ابنة الشيخ محمد عنان، صوفي مصري، من شيوخ الشعراني. مات سنة (٩٤٥هـ). انظر: «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٤٧).

(٣) المصدر السابق.

فيه أنا وعيالي، وكان فيه سور، فلما وصلوا إليه أعمى اللَّه تعالى أبصارهم: فإذا رفعوا أبصارهم نحو السماء رأوا السور وإذا نظروا إلى الأرض لم يرو شيئًا، فلما كان هذا أتى واحد من أصهار السلطان فراشه ليلاً لينام فإذا بالشيخ - يعني التجاني - قد ظهر له يقظة لا منامًا، وقال له: ما لكم وللشيخ عمر، لا تتركون عباد اللَّه في أرض اللَّه، وكرر هذه القولة ثلاث مرات ثم غاب، وتكررت القصة ثلاث مرات كل ذلك يقظة لا منامًا»[1].

● وحكى ابن ضيف اللَّه خلافًا وقع بين الشيخ عجيب والشيخ إدريس الأرباب حول حِلِّية شرب التنباك، فقال الشيخ إدريس: هو حرام. وفي المقابل أفتى الشريف عبد الوهاب بإباحته مثل الشيخ عجيب. استدل الشيخ إدريس على تحريمه بأن السلطان مصطفى سلطان استنبول حرمه، ومذهب مالك إطاعة السلطان. ولما كان القاضي دشين مدمنًا لشرب التنباك حتى وفاته انتهز الشيخ عجيب هذه الفرصة فأرسل دفع اللَّه إلى قبر دشين ليسأله عن حكم التنباك - لعله يجد منه فتوى بتحليله - لكن لسوء الحظ قال له: التنباك حرام. كلم الشيخ إدريس يسأل لي المغفرة بسبب شربي له»[2].

● وأخيرًا نجد عند الشيخ طنطاوي جوهري قصة غريبة ذكرها تحت مبحث إمكان مقابلة الأحياء للأموات زعم فيها رجعة هارون الرشيد ومقابلته إياه، فيقول تحت عنوان: «هارون الرشيد يخاطبني»: إن هارون الرشيد طلب منه طلبًا ألح عليه فيه فقال: «بحق اللَّه، بحق النبي، بحق القرآن ألا فعلته؟ فأكدت له أني أفعل ذلك. فقال: واللَّه إن جعفرًا ما زنى بأختي العباسة ولا زوَّجته لها، ولكنه رجل خانني فقتلته. فهل تعاهدني أن تسهر الليل وتجد

---

(١) «الرماح» (١/ ١٨٩ - ١٩٠).
(٢) «طبقات ابن ضيف اللَّه» ص(٥٢ - ٥٣).

النهار وتقرأ في الكتب وتبحث فيها؛ حتى تؤلف كتابًا به تطفئ النار المتأججة في الشرق والغرب وتدفع الأكاذيب التي نشرها جورجي زيدان؟ فعاهدته على ذلك»، ثم ذكر أنه بعد هذه المقابلة قام يبحث فوجد في المكتبة كتابًا اسمه «العباسة أخت هارون الرشيد» فاشتراه، ووقف على تفاصيل القصة، وبحث في كتب التاريخ فوجد أنها رواية خيالية يكذبها العلم، فألف كتابًا استجابة لطلب الرشيد اسمه (براءة العباسة أخت هارون الرشيد)[1] .

* الديوان الصوفي الذي يحكم العالم يحضره الموتى من الأولياء بل ويحضره النبي ﷺ والخلفاء:

لأولياء الصوفية حكومة خفية، يرون أن عليها يتوقف نظام العالم، ورئيس مجلس هذه الحكومة الأعلى يدعى «القطب» وهو - كما تقرر مصادرهم - أرفع صوفية عصره درجة، وإليه رئاسة الاجتماعات التي يعقدها في انتظام مجلس شوراه الموقر وهو صاحب القرار الأول والأخير فيه، وأعضاء هذا المجلس لا يعوقهم عن الحضور حواجز الزمان والمكان، فهم يأتون من أرجاء الأرض في لمحة البصر أو أقرب، يعبرون البحار والجبال والصحاري في يسر بالغ، كما يسير عوام البشر في السهل الممهد، ودون رئيس هذا المجلس يحضر طبقات ودرجات مختلفة من الأولياء[2] الأساسيين والمتطفلين أيضًا.

ملحوظة: القطب: قال عنه الشيخ عبد الرحمن الوكيل: «أسطورة خرافية، تنزع إلى تجريد الله من الربوبية والإلهية وخلعهما على وهم باطل

(١) كتاب «الأرواح» لطنطاوي جوهري ص(٣٢٣ - ٣٢٥).
(٢) «الإبريز» ص(١٦٣ - ١٦٤).

يسمى في الفلسفة «العقل الأول» وفي المسيحية «الكلمة»، وفي الصوفية «القطب»[١] .

وفي علو منزلته عند الصوفية يقول أبو العباس المرسي: «لو كان الحق سبحانه يرضيه خلاف السنة لكان التوجه في الصلاة إلى القطب الغوث أولى من التوجه إلى الكعبة»[٢] ! .

أولاً: مكان الديوان وترتيبات انعقاده:

يقول الدباغ: «الديوان يكون بغار حراء، فيجلس الغوث خارج الغار، ومكة خلف كتفه الأيمن، والمدينة أمام ركبته اليسرى، وأربعة أقطاب عن يمينه، وهم مالكية على مذهب مالك بن أنس ﷺ وثلاثة أقطاب عن يساره واحد من كل مذهب من المذاهب الثلاثة، والوكيل أمامه ـ يعني الغوث ـ وفي هذا الوقت مالكي أيضًا، واسمه محمد بن عبد الكريم البصراوي. ومع الوكيل يتكلم الغوث. ولذلك سمي وكيلاً؛ لأنه ينوب في الكلام عن جميع من في الديوان. والتصرف للأقطاب السبعة على أمر الغوث، وكل واحد من الأقطاب السبعة تحته عدد مخصوص يتصرفون تحته، ويحضره النساء وعددهن قليل وصفوفهن ثلاثة في جهة الأقطاب الثلاثة التي على اليسار»[٣] . و«تحضره الملائكة، ويحضره أيضًا الجن الكمل. وفائدة حضور الملائكة والجن أن الأولياء يتصرفون في أمور تطيق ذواتهم الوصول إليها، وفي أمور أخرى لا تطيق ذواتهم الوصول إليها فيستعينون بالملائكة وبالجن في الأمور التي لا تطيق ذواتهم الوصول إليها».

---

(١) «هذه هي الصوفية» لعبد الرحمن الوكيل ص(١٢٤).
(٢) «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٣).
(٣) «الإبريز» ص(١٨٣).

«إن في كل مدينة من المدن عدداً من الملائكة، يكونون موجودين عونًا لأهل التصرف من الأولياء فيما لا تطيقه ذات الولي. وهؤلاء الملائكة يكونون على هيئة بني آدم».

وسئل الدباغ هل يكون الديوان في موضع آخر غير غار حراء؟ فقال: نعم يكون في موضع يقال له: «زاوية أسا» خارج أرض سوس بينها وبين أرض غرب السودان فيحضره أولياء السودان ومنهم من لا يحضر الديوان إلا في تلك الليلة. ولا يجتمع نحو العشرة منهم في موضع قط إلا في الموضعين السابقين؛ لأن الأرض لا تطيقهم»[١] .

ثانيًا: وقت انعقاد المجلس:

قال: «وفي تلك الساعة - يعني قبيل الفجر - يجتمع أهل الديوان من أولياء اللَّه تعالى من سائر أقطار الأرض، وفيهم الغوث والأقطاب السبعة وأهل الدائرة والعدد، ويكون اجتماعهم بغار حراء خارج مكة. وهم الحاملون لعمود نور الإسلام، ومنهم تستمد جميع الأمة»[٢] .

ثالثًا: النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم والخلفاء الأربعة والحسن والحسين وأمهما أعضاء في الديوان أيضًا:

يقول الدباغ الذي تولى شرح أحوال الحكومة: «وإذا حضر سيد الوجود مع غيبة الغوث، فإنه يحضر معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن والحسين وأمهما فاطمة الزهراء رضي الله عنهم»[٣]

---

(١) «الإبريز» ص(١٩٠).

(٢) «الإبريز» ص(١٠٨).

(٣) «الإبريز» ص(١٩٠).

رابعًا: والموتى أيضًا يحضرون الديوان:

يقول أيضًا: «ويحضره ـ يعني الديوان ـ بعض الكمل من الأموات ويكونون في الصفوف مع الأحياء ويتميزون بثلاثة أمور:

أحدها: أن زيهم لا يتبدل بخلاف ذي الحي وهيئته، فإذا رأيت في الديوان رجلاً على زي لا يتبدل فاعلم أنه من الموتى، كأن تراه محلوق الشعر لا ينبت له شعر، واعلم أنه على تلك الحالة مات.

ثانيها: أنه لا تقع معهم مشاورة في أمور الأحياء؛ لأنهم لا تصرف لهم فيها.

ثالثها: أن ذات الميت لا ظل لها، فإذا وقف الميت بينك وبين الشمس فإنك لا ترى له ظلاً. وكم مرة أذهب إلى الديوان أو إلى مجمع من مجامع الأولياء وقد طلعت الشمس فإذا رأوني من بعيد استقبلوني فأراهم بعين رأسي متميزين هذا بظله وهذا لا ظل له»(١) .

خامسًا: اللغة الرسمية لأهل الديوان:

يقول الدباغ: «وسيدي عبد اللَّه البرناوي كان يحسن السريانية أكثر لمخالطته أهل الديوان؛ فإنهم لا يتكلمون إلا بها»(٢) .

ويقول: «إن اللغة السريانية هي لغة الأرواح وبها تتخاطب الأولياء من أهل الديوان فيما بينهم لاختصارها وحملها المعاني الكثيرة التي لا يمكن أداؤها بمثل ألفاظها في لغة أخرى»(٣) .

---

(١) «الإبريز» ص(١٨٤).
(٢) «الإبريز» ص(١٢١).
(٣) «الإبريز» ص(١١٩، ١٨٨).

سادسًا: الموضوعات التي يتباحثون حولها:

يجمل لنا عبد العزيز الدباغ مضمون الجدول الدائم لأعمال مؤتمرات الأقطاب فيقول: «إذا اجتمعوا فيه اتفقوا على ما يكون من ذلك الوقت إلى مثله من الغد، فهم يتكلمون في قضاء اللَّه تعالى في اليوم المستقبل والليلة التي تليه، ولهم التصرف في العوالم كلها السفلية والعلوية، وحتى في الحجب السبعين، وحتى في عالم الرقّا وهو ما فوق الحجب السبعين فهم الذين يتصرفون فيه وفي أهله وفي خواطرهم وما تهجس به ضمائرهم، فلا يهجس في خاطر واحد منهم شيء إلا بإذن أهل التصرف، وإذا كان هذا في عالم الرقا الذي هو فوق الحجب السبعين التي هي فوق العرش فما ظنك بغيره من العوالم. ويضيف الدباغ: إن القط لا يأكل الفأر إلا بإذنه هو»[1].

تعالى اللَّه عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا، ﴿**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا**﴾.

أخي: إن لم يكن هذا هو الكفر فليس هناك كفر على وجه الأرض.

* النبي ﷺ لم يمت في اعتقاد البريلوية والأولياء موتهم مثل البرق الخاطف:

«قال البريلوي: إن الأولياء والأنبياء لا يموتون ويدفنون أحياء وحياتهم في القبر حياتهم في الدنيا، بل أكثر منها وأفضل، فيقول البريلوي في الأنبياء: «إن حياة الأنبياء حياة حقيقية حسية دنيوية يطرأ عليهم الموت لثانية من الثواني ليصدق وعد اللَّه، وإلا بعد الثانية من الوقت يرجع لهم الحياة

---

(١) «الإبريز» ص(١٨٩ ـ ١٩٠).

ويصيرون كما كانوا ويحكم على هذه الحياة بالأحكام الدنيوية ولأجل ذلك لا يقسم ميراثهم ولا يزوج من أزواجهم ولا عليهم من عدة، فإنهم يأكلون في قبورهم ويشربون ويصلون»[١] .

وقال الآخر: «إن الأنبياء لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة ولكنهم يصلون بين يدي اللَّه»[٢] .

● ويقول الآخر: إن الأنبياء أحياء في قبورهم وهم يمشون فيها ويتماشون، يصلون فيها ويتكلمون، وفي أمور الخلق يتصرفون»[٣]

● وأما النبي الكريم ﷺ فيقولون: إنه قبل دفنه كان حيًّا يتكلم كما صرّح بذلك البريلوي نفسه فيقول: «إن رسول اللَّه ﷺ لما نزل به الصحابة إلى قبره كان يتكلم ويقول: أمتي أمتي»[٤] .

● ويقول الآخر: «لم يطرأ الموت على رسول اللَّه ولا للحظة؛ لأنه عند ما أريد قبض روحه للحظة كانت الحياة موجودة في جسده»[٥] .

● وقال الكاظمي: «لما وُضعت جنازة أبي بكر رضي الله عنه أمام الحجرة الشريفة نادى رسول اللَّه ﷺ والناس قد سمعوا نداءه: أدخلوا الحبيب إلى الحبيب»[٦] .

● ويقول آخر: «إن موت أولياء اللَّه كمثل الرؤية التي يرونها للحظة

---

(١) «ملفوظات للبريلوي» (٣/ ٢٧٦) نقلاً عن كتاب «البريلوية» ص(٧٩ ـ ٨٠) للشيخ إحسان إلهي ظهير.

(٢) «رسول الكلام» لديدار علي ص(١).

(٣) «حياة النبي» للكاظمي ص(٣).

(٤) رسالة «نفي الفيء عمن أنار بنوره كل شيء» للبريلوي المندرجة في «مجموعة رسائل رضوية».

(٥) «حياة النبي» للكاظمي ص(١٠٤).

(٦) «حياة النبي» ص(١٢٥).

كالبرق الخاطف»[١] .

ونقل البريلوي: «أن شخصًا مات، ولما حضره شيخه ليقبره فتح عينيه، فقال له: حي أنت؟ قال: نعم أنا حي، وكل محب للَّه حي»[٢] .

*** تعظيم القبور وعبادتها.. بل وتعظيم الأماكن التي بها القبور:**

أول شرك كان بسبب تعظيم القبور وهو شرك قوم نوح، قال تعالى: **﴿ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلا ضَلالاً ﴾** .

يقول أبو الهدى الصيادي الرفاعي: «البغل المزركش»:

بيتان حج العارفون إليهما ... بيت الرسول وشبله ببطاح
أعني به المولى الرفاعي الذي ... خُلِقت أنامله من الأرباح[٣]

ويقول أيضًا مصرحًا بأن قبر الرفاعي هو كعبة أتباعه:

هو كعبة العشاق فالزم ركنه ... وابشر بنور القلب والأفراح

● ويورد ابن ضيف اللَّه في «طبقاته» تراجم كثير من الصوفية ويردد كثيرًا «وقبره كعبة محجوجة»[٤] .

● وانظر كيف انتقلت العدوى إلى «ابن الحاج» فيقول عن قبور الصالحين: «فمن أراد حاجة فليذهب إليهم ويتوسل بهم فإنهم الواسطة

---

(١) «الفتاوى النعيمية» ص(٢٤٥).
(٢) «أحكام قبور مؤمنين» المندرج في «رسائل رضوية» ص(٢٤٣).
(٣) «قلادة الجواهر» ص(٤٣٣).
(٤) انظر: ص(٢٥٣، ٣٢٢، ٣٢٨، ٣٧٣) من «طبقات ابن ضيف اللَّه».

بين اللَّه وخلقه. وما زال الناس من العلماء والأكابر كابرًا عن كابر مشرقًا ومغربًا يتبركون بزيارة قبورهم ويجدون بركة ذلك حسًّا ومعنى»[١] .

● ينقل الشعراني عن الشيخ محمد بن أحمد الفرغل أنه كان يقول:

«أنا من المتصرفين في قبورهم، فمن كانت له حاجة فليأت إليّ قبالة وجهي ويذكرها لي أقضها له»[٢] .

● وينقل عن الشيخ شمس الدين الحنفي نه كان يقول في مرض موته:

«من كانت له حاجة فليأت إلى قبري ويطلب حاجته أقضها له، فإن ما بيني وبينكم غير ذراع من تراب، وكل رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب فليس برجل»[٣] .

● ويذكر الشعراني ترجمة الشيخ حياة بن قيس الحراني ويقول عنه: «هو أحد الأربعة الذين يتصرفون في قبورهم بأرض العراق وكان أهل حران يستسقون به فيسقون»[٤] .

● ويقول الشعراني في «طبقاته» ص(٢٦٣ ـ ٢٦٤):

«وأخبرني شيخنا الشيخ محمد الشناوي رضي اللَّه عنه أن شخصًا أنكر حضور مولده ـ أي مولد أحمد البدوي ـ، فسلب الإيمان، فلم يكن فيه شعرة تحنّ إلى دين الإسلام، فاستغاث بسيدي أحمد رضي اللَّه عنه، فقال: والنساء، فقال له سيدي أحمد رضي اللَّه عنه: ذلك واقع في الطواف، ولم يمنع أحد منه، ثم قال: وعزة ربي ما عصى أحد في مولدي إلا وتاب،

(١) «المدخل» لابن الحاج (١/ ٢٥٤ ـ ٢٥٨).
(٢) «الطبقات الكبرى» للشعراني (٢/ ٩٣).
(٣) «الطبقات الكبرى» (٢/ ٨٦).
(٤) «الطبقات الكبرى» (١/ ١٣٠).

وحسنت توبته، وإذا كنت أرعى الوحوش والسمك في البحار، وأحميهم من بعضهم بعضًا أفيعجزني الله عز وجل عن حماية من يحضر مولدي!!!.

● . . . ووقع ابن اللبان في حق سيدي أحمد رضي الله عنه فسُلب القرآن والعلم والإيمان، فلم يزل يستغيث بالأولياء، فلم يقدر أحد أن يدخل في أمره فدلوه على سيدي ياقوت العرشي فمضى إلى سيدي أحمد رضي الله عنه وكلمه في القبر وأجابه، وقال له: (أنت أبو الفتيان) ردّ على المسكين رأس ماله، فقال: بشرط التوبة فتاب ورد عليه رسماله»؟!!.

● ويقول أبو الهدى الصيادي: «وقد جرّب الناس بالمشرق والمغرب وسائر الديار زيارة مقابر أهل البيت الأخيار فوجدوها بابًا لدفع الأكدار وسلمًا لبلوغ الأوطار . . .

جثثت بطيبة والغَرِيّ وكربلا والطوس والزورا وسامراء
ما زرتهم في حاجة إلا انقضت وتبدل الضراء بالسراء[1]

* على درب الشيعة هم سائرون:

والصوفية في تعظيمهم المشاهد والقبور سائرون على درب الشيعة، وكم من نسب وثيق بينهما، انظر إلى الشيعي يقول عن كربلاء:

هي الطفوف فطف سبعًا بمغناها فما لمكة معنى مثل معناها
أرض ولكنما السبع الطباق لها دانت وطأطأ أعلاها لأدناها

كم صلة بين التصوف والتشيع في تعظيم المشاهد والقبور بل ما أفسد على الناس دينهم إلا التشيع والمشهد العسقلاني المنسوب زورًا إلى الحسين بن

(١) «قلادة الجواهر» ص(٤٣٩).

علي رضي الله عنهما شاهد على ذلك. ولله در شيخ علماء الديار المصرية لما قال لجوهر الصقلي: «غيّرتم دين الأمة، وأطفأتم نور السنة، وادعيتم ما ليس لكم»، وليس بعجيب أن أول من لقب بالصوفي هو جابر بن حيان أو عبْدك الشيعي.

* قبور الكلاب وقضاء الحاجات: «صوفية الكلاب»:

أخي: إن أردت أن ترى الجنون كل الجنون الذي لا ينتطح فيه عنزان فتعال إلى طبقات الشعراني في ترجمة «يوسف العجمي الكوراني»، يقول الشعراني عنه: «لقد وقع بصره يومًا على كلب فانقادت إليه جميع الكلاب إن وقف وقفوا، وإن مشى مشوا، فأعلموا الشيخ بذلك، فأرسل خلف الكلب، وقال: اخسأ فرجعت عليه الكلاب تعضه حتى هرب منها. ووقع له مرة أخرى أنه خرج من خلوة الأربعين، فوقع بصره على كلب، فانقادت إليه إليه جميع الكلاب، وصار الناس يهرعون إليه في قضاء حوائجهم، فلما مرض ذلك الكلب اجتمع حوله الكلاب يبكون، ويظهرون الحزن عليه، فلما مات أظهروا البكاء والعويل، وألهم الله تعالى بعض الناس فدفنوه، فكانت الكلاب تزور قبره حتى ماتوا»[1].

هذه صوفية الكلاب... قضاء الناس حوائجهم من الكلاب وعكوف الكلاب حول قبر الكلاب ... ما هذا؟!!

* مرابطة التبليغيين الأعاجم حول القبور «الاستمداد»:

يقول الشيخ محمد تقي الدين الهلالي عن الشيخ محمد إلياس مؤسس جماعة التبليغ:

---

(١) «الطبقات الكبرى» (٣٧٤ ـ ٣٨٥).

«توجه محمد إلياس إلى شيخ الطريقة رشيد أحمد الكنكوهي فبايعه وأخذ منه الطريقة، ثم جدّد البيعة بعد وفاة الكنكوهي على يد الشيخ خليل أحمد السهارنبوري - وصحب الشيخ أشرف علي التهانوي. وبعد وفاة الشيخ الكنكوهي كان محمد إلياس يفرش حصيراً عند قبر عبد القدوس الكنكوهي. ودخل الخلوة عند قبر الشيخ نور محمد البدايوني. قال الراوي: فكنا نذهب إليه ونصلي معه هناك بالجماعة»[1].

● يقول الشيخ تقي الدين الهلالي أيضًا في «السراج المنير» ص(٧٦ - ٧٧):

«قال محمد أسلم: قال الشيخ محمد سردار الباكستاني الساكن في باب المجيدي: ظللت في جماعة التبليغ عشر سنين تقريبًا، وكثيراً ما ذهبت مع الشيخ محمد يوسف الدهلوي أمير جماعة التبليغ - ذاك الوقت - قريبًا من نصف الليل إلى قبر محمد إلياس - رحمه اللَّه «في محلة نظام الدين» مقر الجماعة - في دلهي. فكنا نجلس حول قبره وقتًا طويلاً في حال المراقبة ساتري الرءوس.

وكان محمد يوسف يقول: إن صاحب هذا القبر شيخنا «محمد إلياس» - رحمه اللَّه - يوزع النور الذي ينزل من السماء في قبره بين مريديه حسب قوة الارتباط والتعلق به، وكذلك كنا نجلس أيضًا على قبر الشيخ عبد الرحيم راي بوري في هيئة المراقبة.

● الشيخ محمد يوسف كان يجلس مراقبًا عند قبر النبي ﷺ عدة ساعات خلال قيامه في المدينة المنورة، وهذه الطريقة معروفة بين مشايخ

(١) «سوانح محمد يوسف» ص(١٣٥)، و«السراج المنير» لتقي الدين الهلالي ص(٤٣).

جماعة التبليغ وهم يعملون عليها بالكثرة.

قال محمد تقي الدين: قول محمد يوسف أن صاحب هذا القبر يعني أباه محمد إلياس يوزع النور الذي ينزل من السماء في قبره بين مريديه حسب قوة الارتباط والتعلق به، هذا يسمى في اصطلاح غيرهم من أهل طرائق التصوف استمداداً... وهذا كفر صريح.

● وقد أخبرني الثقات أن عليًّا أبا الحسن الندوي كان يجلس في مسجد النبي ﷺ مستقبلاً الحجرة الشريفة في غاية الخشوع لا يتكلم ساعتين وأكثر فاستغربت لهذا الأمر، وفهمت أنه استمداد، ولم أعلم أن هذا شائع عندهم في طريقتهم، إلى أن كشفه محمد أسلم جزاه اللَّه خيراً، فهذا شرك باللَّه تعالى واتخاذ وسائط بين العبد وبين ربه».

● قال الشيخ حمود التويجري في كتابه:

«وقد ذكر الأستاذ سيف الرحمن بن أحمد الدهلوي في ص(٤٧) من كتابه المسمّى «نظرة اعتبارية حول الجماعة التبليغية»: أن أكابر أهل التبليغ يرابطون على القبور، وينتظرون الكشف والكرامات والفيوض الروحية من أهل القبور، ويقرّون بمسألة حياة النبي ﷺ وحياة الأولياء حياة دنيوية لا برزخية مثل ما يقر القبوريون بنفس المعنى.

ويأتي شيخهم الشيخ زكريا - شيخ الحديث عندهم وبمورستهم ببلدة سهارنفور - يأتي إلى المدينة المنورة، ويرابط عند قبر النبي ﷺ بالجانب الشرقي من القبر ونحو الأقدام الشريفة، ويذهب في المراقبة عدة ساعات، كما شاهده الكثيرون»[1].

---

(١) «القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ» للتويجري ص(١٢) - دار الصميعي.

* ادعاؤهم حياة الخضر وتعميره:

جعل المتصوفة من قصة الخضر شيئًا يخالف عقيدة أهل السنة، فقد زعموا أن الخضر وإلياس حيّان أبد الدهر. و«أن الخضر صاحب شريعة وعلم باطني يختلف عن علوم الشريعة الظاهرية، وأنه وليّ وليس بنبي».

«وجعل المتصوفة من قصة الخضر بابًا عظيمًا لإدخال كل أنواع الخرافات والزندقة والجهل والإسفاف... بل بلغ الهذيان حده عندهم حيث يوجد من زعم منهم أن الخضر لا يصلي؛ لأنه على شريعة خاصة!! ومنهم من زعم أن الخضر يصلي ولكن على المذهب الحنفي!!

ولكن صوفيًّا آخر يزعم أنه رأى الخضر يصلي ولكن على المذهب الشافعي!! بل وأكثر من ذلك زعموا أن الخضر هو الذي يلقنه أذكار الطريقة الإدرسية والسنوسية»[1].

● «ويبدو أن أول من افترى القصة الصوفية للخضر هو محمد بن علي ابن الحسن الترمذي المسمى بالحكيم والمتوفى في أواخر القرن الثالث الهجري. فيقول في كتابه «ختم الولاية» عن علامات الأولياء:

«وللخضر عليه السلام، قصة عجيبة في شأنهم، وقد عاين شأنهم في البدء ومن وقت المقادير فأحب أن يدركهم، فأعطي الحياة حتى بلغ من شأنه أنه يحشر مع هذه الأمة وفي زمرتهم، حتى يكون تبعًا لمحمد ﷺ، وهو رجل من قرن إبراهيم الخليل، وذي القرنين، وكان على مقدمة جنده، حيث طلب ذو القرنين عين الحياة ففاته وأصابها الخضر... وهذه آياتهم

---

(١) «الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة» للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق ص(٢١٦، ٢١٧).

وعلاماتهم. فأوضح علاماتهم ما ينطقون به من العلم.

قال له قائل: وما ذلك العلم؟

قال: علم البدء، وعلم الميثاق، وعلم المقادير، وعلم الحروف.

فهذه أصول الحكمة وهي الحكمة العليا»[١].

ويذكر الحكيم الترمذي من صفات الأولياء أنه تظهر على أيديهم الآيات كطي الأرض، والمشي على الماء، ومحادثة الخضر الذي زعم أيضًا أن الأرض تطوى له برها وبحرها، سهلها وجبلها، يبحث عن الأولياء شوقًا إليهم[٢].

● وفي كتاب «المنتخبات من المكتوبات» لأحمد الفاروقي السرهندي ص(٩١): «المكتوب الثاني والثمانون والمئتان إلى الملا بديع في بيان ملاقاة الخضر وإلياس عليهما السلام:

«رأيت اليوم في حلقة الصبح أن إلياس والخضر عليهما السلام حضرا في صورة الروحانيين فقال الخضر بالإلقاء الروحاني: «نحن من عالم الأرواح، قد أعطى الحق سبحانه أرواحنا قدرة كاملة بحيث تتشكل وتتمثل بصورة الأجسام ويصدر عنها ما يصدر عن الأجسام من الحركات والسكنات الجسمانية والطاعات والعبادات الجسدية.

فقلت له في تلك الأثناء: أنتم تصلون الصلاة بالمذهب الشافعي؟ فقال: نحن لسنا مكلفين بالشرائع، ولكن لما كانت كفاية مهمات قطب الدار مربوطة بنا وهو على مذهب الإمام الشافعي نصلي نحن أيضًا وراءه بمذهب

---

(١) «الفكر الصوفي» ص(٢١٨ ـ ٢١٩)، وكتاب «ختم الولاية» ص(٣٦٢).
(٢) «ختم الولاية» ص(٣٦١).

الإمام الشافعي رضي الله عنه . . . وكمالات الولاية موافقة لفقه الشافعي، وكمالات النبوة موافقة لفقه الحنفي».

● بل ويذكر الشعراني في كتابه «معارج الألباب» عن بعض شيوخه أنه ذكر له أن الخضر عليه السلام كان يحضر مجلس فقه أبي حنيفة في كل يوم بعد صلاة الصبح يتعلم منه الشريعة، فلما مات (أي: أبو حنيفة) سأل الخضر ربه أن يردّ روح أبي حنيفة إلى قبره حيث يتم له علم الشريعة وأن الخضر كان يأتي إليه كل يوم على عادته يسمع منه الشريعة داخل القبر وأقام على ذلك خمس عشرة سنة حتى أكمل علم الشريعة[1] .

* والخضر يُعلّم الأذكار الصوفية كما يدّعي ذلك صالح الجعفري:

● يقول أحمد بن إدريس: «اجتمعت بالنبي صلى الله عليه وسلم اجتماعًا صوريًا ومعه الخضر عليه السلام، فأمر النبي عليه السلام الخضر أن يلقنني أذكار الطريقة الشاذلية فلقنني إياها بحضرته صلى الله عليه وسلم»[2] ، ويستطرد أيضًا قائلاً: «ثم قال صلى الله عليه وسلم للخضر عليه السلام: يا خضر لقّنه ما كان جامعًا لسائر الأذكار والصلوات والاستغفار[3] ». ما هذا الهراء وفي هذه الأذكار ما فيها من الشرك؟!.

* هل مات الخضر عليه السلام أم ما زال حيًّا؟

● **أولاً**: من قال إن الخضر عليه السلام ما زال حيًّا:

ذهب الصوفية إلى أن الخضر حي يرزق، وذكر النووي اتفاق الصوفية

(١) «معارج الألباب» للشعراني ص(٤٤).

(٢) «مفاتيح كنوز السماوات والأرض» لصالح محمد الجعفري ص(٨).

(٣) المصدر السابق ص(٨).

على ذلك فقال: «واختلفوا في حياة الخضر ونبوته، فقال الأكثرون من العلماء: هو حي بين أظهرنا وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه، ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر»[١] .

ويبدو أنه قد انضم إلى الصوفية في القول بحياة الخضر غيرهم من المشعوذين والمنتسبين إلى الخرافة. يقول ابن الجوزي: «وقد أُغري خلق كثير من المهوسين بأن الخضر حي إلى اليوم، ورووا أنه التقى بعلي بن أبي طالب، وبعمر بن عبد العزيز وأن خلقًا كثيرًا من الصالحين رأوه. وصنف بعض من سمع الحديث، ولم يعرف علله كتابًا جمع فيه ذلك، ولم يسأل عن أسانيد ما نقل. وانتشر الأمر إلى أن جماعة من المتصنعين بالزهد يقولون: رأيناه وكلمناه...»[٢] .

وممن رجح القول بحياته القرطبي في «تفسيره»[٣] .

● **ثانيًا**: دليل من قال: إن الخضر حي إلى اليوم:

إن الذين ذهبوا إلى أن الخضر عليه السلام حي بين أظهرنا استدلوا على ذلك بنوعين من الأدلة:

أما النوع الأول: فأخبار موقوفة ومرفوعة يروونها في حياته والتقائه ببعض الأنبياء أو الصحابة والتابعين. وأورد الجيلاني أكثر تلك الأخبار

---

(١) «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (١/ ١٧٧).
(٢) «الموضوعات» لابن الجوزي (١/ ١٩٧).
(٣) الجامع «تفسير القرطبي» (٣/ ٢٨٩) ، (١١/ ٤١).

مستدلاً بها على حياة الخضر[١].

وأما النوع الثاني: فقصص المنتسبين إلى الزهد والتصوف في لقياهم إياه. وهذه القصص من الكثرة بحيث جعل النووي يقول كلمته السابقة.

● **المناقشة:**

أما الأحاديث التي تروى في شأن حياته فقد كفانا مؤنة البحث والتفتيش عن أسانيدها علماء العلل المحققون، فأُورد فيما يلي بعض كلماتهم في هذه الصدد:

١ ـ نقل ابن الجوزي تلك الأحاديث بأسانيدها ثم قال: «هذه الأحاديث باطلة»[٢].

٢ ـ قال الحافظ ابن القيم: «والأحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته، كلها كذب، ولا يصح في حياته حديث واحد»[٣].

٣ ـ نقل الحافظ ابن كثير تلك الأحاديث ثم قال: «هذه الروايات والحكايات هي عمدة من ذهب إلى حياته إلى اليوم، وكل من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جدًّا، لا تقوم بمثلها حجة في الدين»[٤].

وقال أيضًا: «وجاء ذكره في بعض الأحاديث، ولا يصح شيء من ذلك»[٥].

---

(١) «الغنية» للجيلاني (٢/ ٣٩ ـ ٤٠).
(٢) «الموضوعات» (١/ ١٩٥ ـ ١٩٧).
(٣) «المنار المنيف» ص(٦٧).
(٤) «البداية والنهاية» (١/ ٣٣٤).
(٥) «تفسير القرآن» (٣/ ١٦٢).

٤ ـ نقل الحافظ ابن حجر قول أبي الخطاب ابن دحية[١] : «ولا يثبت اجتماع الخضر مع أحد من الأنبياء إلا مع موسى كما قص الله تعالى من خبرهما، وجميع ما ورد في حياته لا يصح منها شيء باتفاق أهل النقل، وإنما يذكر ذلك من يروي الخبر ولا يذكر علته، إما لكونه لا يعرفها، وإما لوضوحها عند أهل الحديث»[٢] .

يقول الأمين الحاج محمد: «نجد المتصوفة والعامة يقولون بحياته وتعميره إلى الآن وحتى قيام الساعة. وليس للقائلين بذلك من حجة سوى الأخبار الواهية والحكايات الباطلة والرؤى المنامية والهواتف الشيطانية»[٣] .

● أقول: ليس بين تلك الأحاديث حديث يلتفت إليه سوى خبر واحد رواه يعقوب بن سفيان: حدثني محمد بن عبد العزيز (الرملي) قال: حدثنا ضمرة (هو ابن ربيعة) عن السري بن يحيى، عن رياح بن عبيدة، قال: «رأيت رجلاً يماشي عمر بن عبد العزيز معتمداً على يديه، فقلت في نفسي: إن هذا الرجل جاف. قال: فلما انصرف من الصلاة قلت: من الرجل الذي كان معتمداً على يدك آنفًا؟ قال: وهل رأيته يا رياح؟ قلت: نعم. (قال)[٤] ما أحسبك إلا رجلاً صالحًا. قال: ذاك أخي الخضر بشرني أني سألي وأعدل»[٥] .

---

(١) «هو عمر بن الحسن بن علي المشهور بابن دحية. فقيه، محدث، أندلسي، ظاهري، ولد سنة (٥٤٤هـ) وتوفي سنة (٦٣٣هـ) بالقاهرة. انظر: «شذرات الذهب» (٥/ ١٦٠ ـ ١٦١) و«معجم المؤلفين» (٧/ ٢٨٠ ـ ٢٨١).

(٢) «الزهر النضر» ص(٣٢).

(٣) «الخضر نسبه ـ نبوته ـ تعميره» ص(٢٣).

(٤) ليست عند الفسوي، ولكنها عند ابن الجوزي في «سيرة عمر» ص(٥٤)، و«الموضوعات» (١/ ١٩٩).

(٥) «المعرفة والتاريخ» (١/ ٥٧٧).

فهذا الخبر رغم أن الحافظ ابن كثير نقل عن أبي الفرج ابن الجوزي قوله: «إن الرملي مجروح عند العلماء»[١] . وزغم أن ابن الجوزي نقل عن أبي الحسين بن المنادي[٢] . قوله: «حديث الرياح كالرياح»[٣] . إلا أنه أقل الأخبار الواردة في حياة الخضر ضعفًا وبطلانًا[٤] . ولهذا قال الحافظ ابن حجر: «هذا أصلح إسنادٍ وقفت عليه في هذا الباب»[٥] .

وقال أيضًا: «لا بأس برجاله، ولم يقع لي إلى الآن خبر ولا أثر بسند جيد غيره»[٦] .

وممن أخرج الخبر أيضًا أبو نعيم[٧] ، وابن الجوزي[٨] ، ولم يتكلم فيه تصحيحًا ولا تضعيفًا.

● **ثالثًا**: من قال إن الخضر مات: ذهب جمهور أهل العلم إلى أن الخضر

---

(١) «البداية» (١/ ٣٣٤).

(٢) هو أحمد بن جعفر المعروف بابن المنادي أبو الحسين، عالم مشارك في كثير من العلوم، كثير التصانيف. ولد سنة (٢٥٦هـ) أو (٢٥٧) وتوفي سنة (٣٣٦هـ). انظر: «البداية والنهاية» (١١/ ٢١٩) و«معجم المؤلفين» (١/ ١٨٣).

(٣) «الموضوعات» (١/ ١٩٩).

(٤) محمد بن عبد العزيز صدوق يهم «التقريب» رقم (٦٠٩٣ خ تم س)، وضمرة: صدوق يهم قليلاً «التقريب» رقم (٢٩٨٨ بخ س)، والسري ثقة لم يتكلم فيه غير الأزدي وخطأه العلماء في ذلك. انظر: ترجمته في «التهذيب» (٣/ ٤٦٠ ـ ٤٦١)، و«التقريب» رقم (٢٢٢٣) بخ س. ورياح ثقة «التقريب» رقم (١٩٧٣).

(٥) «الزهر النضر» ص(٧٦).

(٦) «الفتح» (٦/ ٥٠١).

(٧) «الحلية» (٥/ ٢٥٤) في ترجمة عمر.

(٨) «سيرة عمر» ص(٥٤، ٥٥)، وفي «الموضوعات» (١/ ١٩٩).

مات[١]، وأجمع عليه المحققون منهم[٢]. ومنهم: البخاري[٣]، وإبراهيم الحربي[٤]. الذي سئل عن بقائه، فقال: «من أحال على غائب لم ينتصف منه، وما ألقى هذا بين الناس إلا الشيطان»[٥]، وأبو الخطاب ابن دحية[٦]، وأبو الحسين بن المنادي الذي قال: «بحثت عن تعمير الخضر وهل هو باق أم لا فإذا أكثر المغفلين مغترون بأنه باق من أجل ما روي في ذلك»[٧]، وابن الجوزي، حيث حكم على الأحاديث الواردة في حياته بالبطلان، وحيث ألف كتابًا مستقلاً في الموضوع أورد فيه أدلة دامغة على موته[٨]. والقاضي أبو يعلى[٩]، حيث ذكر جملة من الأدلة على موته[١٠]، والقاضي أبو بكر بن العربي[١١]، [١٢] وأبو حيان الأندلسي[١٣]، وشيخ الإسلام ابن تيمية، حيث

---

(١) انظر: «القرطبي» (١١/ ٤١).

(٢) انظر: «المنار المنيف» ص(٦٩، ٧٢).

(٣) «القرطبي» (١١/ ٤١)، و«الموضوعات» (١/ ٢٠٠)، و«المنار» ص(٦٧)، و«الزهر» ص(٣١، ٣٦)، و«روح المعاني» (١٥/ ٣٢١)، و«تفسير القاسمي» (١١/ ٧٦).

(٤) هو إبراهيم بن إسحاق بن بشير الحربي، أحد أئمة الحديث، سماه الذهبي شيخ الإسلام، ولد سنة (١٩٨هـ) وتوفي سنة (٢٨٥هـ). انظر: «تاريخ بغداد» (٦/ ٢٨ ـ ٤٠)، و«تذكرة الحفاظ» (٢/ ٥٨٤)، و«سير النبلاء» (١٣/ ٣٥٦).

(٥) «الموضوعات» (١/ ١٩٩)، و«المنار» ص(٦٧)، و«روح المعاني» (١٥/ ٣٢١).

(٦) «الزهر» ص(٣٢)، و«القاسمي» (١/ ٧٦).

(٧) «الزهر» ص(٣٨).

(٨) ذكره ابن كثير في «البداية» (١/ ٣٣٠).

(٩) هو محمد بن محمد بن الحسين أبو يعلى. فقيه، أصولي، محدث، تولى القضاء بالعراق أكثر من مرة. ولد سنة (٤٩٤هـ) وتوفي سنة (٥٦٠هـ). انظر: «شذرات الذهب» (٤/ ١٩)، و«معجم المؤلفين» (١١/ ٢٧٦).

(١٠) وساقها الألوسي في «الروح» (١٥/ ٣٢٠ ـ ٣٢١).

(١١) هو القاضي أبو بكر محمد بن عبد اللَّه المعروف بابن العربي، إمام من أئمة الفقه والتاريخ، ولد بأشبيلية سنة (٤٦٨هـ) وتوفي سنة (٥٤٣هـ). انظر: «طبقات المالكية» ص(١٣٦).

(١٢) «تفسير القرطبي» (١١/ ٤١).

(١٣) «البحر المحيط» (٦/ ١٤٧).

قال: «والصواب الذي عليه محققو العلماء أن إلياس والخضر ماتا»[١] . وحيث ذكر ابن القيم أن ابن تيمية ألف جزءًا في وفاة الخضر[٢] ، وكذلك ابن القيم[٣] ، والحافظ ابن حجر، حيث استعرض أدلة الجانبين، ثم قال: والذي تميل إليه النفس من حيث الأدلة القوية خلاف ما يعتقده العوام من استمرار حياته»[٤] . ومنهم العلامة محمد الأمين الشنقيطي[٥]، وغير هؤلاء من العلماء المحققين.

● **رابعًا**: أدلة القائلين بموت الخضر عليه الصلاة والسلام:

إن الأدلة القاضية بموت الخضر من الكثرة بحيث يصعب عدها وإحصاؤها، ولكن حسبنا من ذلك ما تقوم به الحجة على كل باحث عن الحق، وعلى كل معاند متتبع للشبهات لكي يبني عليها ما يوافق هواه من البدع والخرافات والعقائد الفاسدة. فنذكر منها:

١ - قوله تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ**﴾ [الأنبياء: ٣٤].

ينقل ابن كثير عن ابن الجوزي قوله: «فالخضر إن كان بشرًا فقد دخل في هذا العموم لا محالة، ولا يجوز تخصيصه منه إلا بدليل صحيح»، ثم أردف ابن كثير قائلاً: «والأصل عدمه حتى يثبت، ولم يذكر ما فيه دليل على

(١) «منهاج السنة النبوية» (١/ ٩٧).
(٢) «أسماء مؤلفات ابن تيمية» ص(٢٢).
(٣) «المنار» ص(٦٧).
(٤) «الزهر النضر» ص(٨٢).
(٥) انظر: «أضواء البيان» (٤/ ١٦٤، ١٦٧، ١٦٨).

التخصيص عن معصوم يجب قبوله»[١] .

قال الشنقيطي: فقوله ﴿لِبَشَـرٍ﴾ نكرة في سياق النفي، فهي تعم كل بشر، فيلزم من ذلك نفي الخلد عن كل بشر من قبله، والخضر بشر من قبله، فلو كان شرب من عين الحياة وصار حيًّا خالدًا إلى يوم القيامة لكان اللَّه قد جعل لذلك البشر الذي هو الخضر من قبله الخلد»[٢] .

٢ ـ قوله صلى اللَّه عليه وآله وسلم في آخر حياته: **«أرأيتكم ليلتكم هذه؟ فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد»**، متفق عليه من حديث ابن عمر[٣] .

ومعنى الحديث ـ كما فسره عبد اللَّه بن عمر ـ لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد. يريد بذلك أن ينخرم ذلك القرن.

وفي إحدى روايات مسلم عن جابر بن عبد اللَّه عن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم أنه قال قبل أن يموت بشهر: **«ما من نفس منفوسة اليوم تأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ»**[٤] .

قال الألوسي: «وهذا أبعد من التأويل»[٥] .

ونقل ابن حجرعن ابن بطال[٦] قوله: «إنما أراد رسول اللَّه صلى اللَّه

---

(١) «البداية والنهاية» (١/ ٣٣٤).

(٢) «أضواء البيان» (٤/ ١٦٤).

(٣) رواه البخاري في كتاب العلم باب السمر في العلم (١/ ٥٨ ح١١٦)، ورواه مسلم في «فضائل الصحابة» (٤/ ١٩٦٥).

(٤) (٤/ ١٩٦٦).

(٥) «روح المعاني» (١٥/ ٣٢٠).

(٦) هو علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال القرطبي المالكي، محدث، فقيه، له «شرح الجامع الصحيح» للبخاري، توفي سنة (٤٤٩هـ). انظر: «معجم المؤلفين» (٧/ ٨٧).

عليه وآله وسلم أن هذه المدة تخترم الجيل الذي هم فيه»[١] .

ولما سئل البخاري عن الخضر وإلياس هل هما حيَّان؟ قال: «كيف يكون هذا وقد قال النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «**أرأيتكم**...فذكره»[٢] .

وهو دليل صريح في أن الخضر لو كان موجودًا على الأرض حين قال ذلك النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم لكان قد مات منذ وقت بعيد، وهذا يدل على بطلان دعاوى لقيا الخضر التي لا يزال يصدرها أنصار الفكر الصوفي من وقت لآخر. ولهذا قال القرطبي ـ مع كونه ممن يرجح حياة الخضر ـ: «إن الحديث مما يقضي بموت الخضر عليه السلام الآن»[٣] .

وقال في شرح الحديث: «قال علماؤنا: وحاصل ما تضمنه هذا الحديث أنه عليه الصلاة والسلام أخبر قبل موته بشهر أن كل من كان من بني آدم موجودًا في ذلك لا يزيد عمره على مائة سنة لقوله عليه الصلاة والسلام: «**ما من نفس منفوسة**»[٤] .

٣ ـ قوله صلى اللَّه عليه وآله وسلم يوم بدر: «**اللَّهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض**»[٥] .

قال ابن القيم: «سئل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ فقال: لو كان الخضر حيًّا لوجب عليه أن يأتي النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم ويجاهد بين يديه ويتعلم منه، وقد قال النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم يوم

---

(١) «الفتح» (١/ ٢٥٦).
(٢) «المنار المنيف» ص(٦٧)، و«الزهر» ص(٣٦)، و«روح المعاني» (١٥/ ٣٢٠).
(٣) «الجامع» (١١/ ٤١).
(٤) المصدر السابق (١١/ ٤٢).
(٥) سبق تخريجه.

بدر: «**اللَّهم إن تهلك**...فذكر الحديث» وكانوا ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً، معروفين بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم فأين كان الخضر حينئذ؟»[١] .

ولا ريب أن عدم مجيئه إلى النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم لمبايعته والصلاة معه والانضمام إلى صفه في الجهاد لمن الأدلة القوية الدالة على موته. وعلى هذا يكون الخضر صاحب موسى مات؛ لأنه لو كان حيًّا للزمه المجيء إلى النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم والإيمان به واتباعه[٢] . وقد قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ** ﴾ [آل عمران: ٨١].

قال علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهم: «ما بعث اللَّه نبيًّا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بعث اللَّه محمدًا وهو حي ليؤمنن به وينصرنه»[٣] .

«فالخضر إن كان نبيًّا أو وليًّا فقد دخل في هذا الميثاق، فلو كان حيًّا في زمن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم لكان أشرف أحواله أن يكون بين يديه، يؤمن بما أنزله اللَّه عليه، وينصره أن يصل أحد من الأعداء إليه؛ لأنه إن كان وليًّا فالصديق أفضل منه، وإن كان نبيًّا فموسى أفضل منه»[٤] .

وقال ابن تيمية: «لو كان الأنبياء المتقدمون قبله أحياء لوجب عليهم متابعته ومطاوعته[٥] ثم أورد الآية والأثر.

---

(١) «المنار المنيف» ص(٦٨)، وأورده في «روح المعاني» كذلك (١٥/ ٣٢٠).

(٢) «الزهر النضر» ص(٣٦).

(٣) «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٦٥).

(٤) «البداية» (١/ ٣٣٤).

(٥) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٤٢٣).

هذا وألف أبو الفرج بن الجوزي كتابًا مستقلاً في هذا المسألة سماه: «عجالة المنتظر في شرح حال الخضر» ذكره الحافظ ابن كثير ونقل منه في مواضع[١].

ويبدو أن ابن القيم قد نقل منه أمهات الأدلة القاضية بموت الخضر، غير أنه لم يذكر الكتاب الذي نقل منه[٢].

قال ابن الجوزي[٣]: «والدليل على أن الخضر ليس بباقٍ في الدنيا أربعة أشياء: القرآن، والسنة، وإجماع المحققين من العلماء، والمعقول»[٤]. ثم قال: «أما الدليل من المعقول فمن عشرة أوجه[٥]. ثم ساقها ومنها:

- أن الذي أثبت حياته يقول: إنه ولد آدم لصلبه، وهذا فاسد لوجهين:

أحدهما: أن يكون عمره الآن ستة آلاف سنة. ومثل هذا بعيد في العادات أن يقع في حق البشر.

والثاني: أنه لو كان ولده لصلبه أو الرابع من ولد ولده ـ كما زعموا ـ وأنه كان وزير ذي القرنين، لكان مهول الخلقة مفرط الطول والعرض[٦] وفي

---

(١) انظر: «البداية» (١/ ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦).

(٢) إنما قلت ذلك؛ لأن تلك المنقولات لا توجد في مظانه من كتاب «الموضوعات» حيث ساق فيه (١/ ١٩٣ ـ ١٩٩) جملة من الأحاديث الموضوعة المتعلقة بالخضر ولم يذكر الوجوه التي نقلها ابن القيم.

(٣) «المنار المنيف» ص(٦٩ ـ ٧٦).

(٤) ثم ذكر من القرآن آية الأنبياء السابقة، ومن السنة: حديث: «أرأيتكم..» ثم ذكر بعض المحققين كالبخاري وغيره.

(٥) أما صاحب كتاب «الخضر ـ نسبه ـ ونبوته ـ وتعميره» ص(٤٥) فقد عزا هذه الأوجه إلى ابن القيم. فيبدو أنه لم يتفطن إلى أنه ناقل عن أبي الفرج.

(٦) انظر: «روح المعاني» (١٥/ ٣٢١).

«الصحيحين» من حديث أبي هريرة ﷺ عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم أنه قال: «**خلق اللَّه آدم طوله ستون ذراعًا**... الحديث وفيه: «**فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن**»[1] وما ذكر أحد ممن[2] رأى الخضر أنه رآه على خلقة عظيمة، وهو من أقدم الناس.

● أنه لو كان الخضر قبل نوح لركب معه في السفينة ولم ينقل هذا أحد.

● أنه قد اتفق العلماء أن نوحًا لما نزل من السفينة مات ومن كان معه، ثم مات نسلهم ولم يبق غير نسل نوح، والدليل على هذا قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ**﴾ [الصافات: ٧٧]، وهذا يبطل قول من قال: إنه كان قبل نوح.

● إن هذا لو كان صحيحًا أن بشرًا من بني آدم يعيش من حين يولد إلى آخر الدهر ومولده قبل نوح لكان هذا من أعظم الآيات والعجائب، وكان خبره في القرآن مذكورًا في غير موضع؛ لأنه من أعظم آيات الربوبية، وقد ذكر اللَّه سبحانه وتعالى من أحياه ألف سنة إلا خمسين عامًا وجعله آية فكيف بمن أحياه إلى آخر الدهر، ولهذا قال بعض أهل العلم: «ما ألقى هذا بين الناس إلا شيطان».

● إن غاية ما يتمسك به من ذهب إلى حياته حكايات منقولة يخبر الرجل بها: أنه رأى الخضر. فياللَّه العجب! هل للخضر علامة يعرفه بها من

---

(١) «البخاري»: الأنبياء ـ باب خلق آدم وذريته (٢/ ٤٥٠ ح ٣٣٢٦)، و«مسلم» الجنة ـ باب (١١) (٤/ ٢١٨٣ ـ ٢١٨٤).

(٢) الأولى أن يقال: ممن ادعى أنه رآه.

رآه؟ وكثير من هؤلاء يغتر بقوله: أنا الخضر. ومعلوم أنه لا يجوز تصديق قائل ذلك بلا برهان من اللَّه. فأين للرائي أن المخبر له صادق لا يكذب؟.

قلت: هذه قاصمة ظهر لكل من يزعم أنه يلتقي به؛ لأنه لا يدري على وجه يقرب من اليقين أن من رآه هو الخضر، فكيف يجزم به؟

ذكر أبو حيان: «أن ابن دقيق العيد[١] كان يخبر عن شيخ له أنه رأى الخضر وحدثه، فقيل له: من أعلمه أنه الخضر ومن أين عرف ذلك؟ فسكت»[٢].

- أن الخضر فارق موسى بن عمران كليم الرحمن ولم يصاحبه وقال له: ﴿**هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ**﴾ [الكهف: ٧٨] فكيف يرضى لنفسه بمفارقته لمثل موسى، ثم يجتمع بجهلة العباد الخارجين عن الشريعة الذين لا يحضرون جمعة ولا جماعة ولا مجلس علم، ولا يعرفون من الشريعة شيئًا. فيا عجبًا له يفارق كليم اللَّه تعالى ويدور على صحبة الجهال ومن لا يعرف كيف يتوضأ، ولا كيف يصلي؟

- أن الأمة مجتمعة على أن الذي يقول: أنا الخضر، لو قال: سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم يقول كذا وكذا لم يلتفت إلى قوله، ولم يحتج به في الدين. فكيف نصدق من قال إنه رأى الخضر فقال كيت وكيت؟

---

(١) علي بن محمد بن علي بن وهب القشيري المعروف بابن دقيق العيد، فقيه اشتغل بالقضاء فترة، ولد بقوص سنة (٦٥٧هـ) وتوفي بالقاهرة سنة (٧١٦هـ). انظر: «معجم المؤلفين» (٧/ ٢٢٤).

(٢) «البحر المحيط» (٦/ ١٤٧).

● أنه لو كان حيًّا لكان جهاده الكفار ورباطه في سبيل اللَّه، ومقامه في الصف ساعة، وحضوره الجمعة والجماعة، وتعليمه العلم أفضل له بكثير من سياحته بين الوحوش في القفار والفلوات، وهل هذا إلا من أعظم الطعن فيه والعيب له.

هذا وقد ذكر الحافظ ابن حجر دليلين عدهما أقوى الأدلة على عدم بقائه:

الأول: «عدم مجيئه إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم.

الثاني: انفراده بالتعمير من بين أهل الأعصار المتقدمة بغير دليل شرعي»[1].

إذا تقرر كل ما سبق علمنا علمًا لا يتطرق إليه شك ولا ريب أن الخضر نبي من أنبياء اللَّه تعالى أوحى اللَّه إليه بأحكام خاصة لم يكن موسى عليه السلام على علم بها قبل تفسير أسبابها. وأنه مات منذ عهد بعيد، ودعوى مقابلته إما أن يكون كذبًا من المدعي، وإما أن يكون مما يلقيه الشيطان على ابن آدم ابتغاء تضليله وصرفه عن طاعة شريعة النبي المصطفى صلى اللَّه عليه وآله وسلم.

وأما خبر مقابلة عمر بن العزيز له فلا حجة فيه على حياته الآن لما يأتي:

١ - أنه ضعيف لعلتين:

الأولى: وجود محمد بن عبد العزيز الرملي في إسناده قال أبو حاتم[2]:

---

(١) «الزهر النضر» ص(٨٢).

(٢) هو محمد بن إدريس بن المنذر المشهور بأبي حاتم الرازي، أحد الحفاظ، من أقران البخاري ومسلم. ولد في الري سنة (١٩٥هـ)، وتوفي سنة (٢٧٧هـ). انظر: «الأعلام» (٦/ ٢٧).

«كان عنده غرائب، ولم يكن عندهم بالمحمود، هو إلى الضعف ما هو»[١].

وقال أبو زرعة[٢]: «ليس بالقوي»[٣]. وقال الفسوي[٤]: «حافظ»[٥]. وهو ليس توثيقًا له.

الثانية: وجود ضمرة بن ربيعة فيه. قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: «وهذا الخبر ضعيف السند، تفرد به ضمرة، وهو معدود في جملة منكراته، فإنه ـ وإن كان ثقة ـ فقد أنكر عليه الإمام أحمد حديث: «**من ملك ذا رحم محرم فهو عتيق**» ورده ردًّا شديدًا، وقال: لو قال رجل: إن هذا كذب لما كان مخطئًا، وأخرجه الترمذي، وقال: لا يتابع ضمرة عليه وهو خطأ عند أهل الحديث[٦]. ثم إن في الحديث ما يدل على بطلانه، وهو حياة الخضر عليه السلام»[٧].

٢ ـ أن هؤلاء المستدلين بهذا الخبر على حياة الخضر عامتهم من المتكلمين الذين يقولون: لا يحتج بحديث الآحاد في العقيدة وإن كان سنده من أصح الأسانيد. فكيف يحتجون بخبر ضعيف على أمر عظيم كاعتقاد حياة الخضر،

---

(١) «الجرح والتعديل» (٨/ ٨).

(٢) هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد المعروف بأبي زرعة الرازي، محدث حافظ، ولد سنة (٢٠٠هـ)، وتوفي بالري سنة (٢٦٤هـ). انظر: «معجم المؤلفين» (٦/ ٢٣٩).

(٣) «الجرح والتعديل» (٨/ ٨)، و«المغني في الضعفاء» (ترجمة ٥٧٦٩)، و«الميزان» (ترجمة ٧٨٧٥).

(٤) هو يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي، محدث، حافظ، ولد سنة (١٩١هـ). وتوفي سنة (٢٧٧هـ). انظر: «معجم المؤلفين» (١٣/ ٢٤٨).

(٥) «المغني» و«الميزان» ـ الموضعان السابقان ـ. وقال ابن حجر: صدوق يهم «التقريب» (ترجمة ٦٠٩٣).

(٦) «جامع الترمذي» (٣/ ٦٣٨).

(٧) «تحقيق سير أعلام النبلاء» (٥/ ١٢٢) الهامش.

حيث يترتب عليه أخذ العقائد والأحكام من كل من تلقاه يقول لك: أنا الخضر؟

٣ ـ أنه لو فرض ثبوته عن عمر بن عبد العزيز ـ رحمه اللَّه ـ فإنه ليس هناك دليل قاطع بأنه الخضر، إذ يحتمل أن يكون من الجن؛ ذلك لأن عمر مع جلالته وعدالته فإنه ليس معصومًا من الخطأ، وليست هناك علامة يعرف بها الخضر سوى قوله له: أنا الخضر فيصدقه. والإنسان مهما عظم قدره ليس معصومًا من تلاعب الشيطان، إلا من ورد النص باستثنائهم من ذلك كعمر ابن الخطاب رضي الله عنه.

ولهذا لما كتب سالم بن عبد اللَّه بن عمر إلى عمر بن العزيز بسيرة عمر ابن الخطاب في الصدقات، وعلق عليها بقوله: «إنك إن عملت بمثل عمل عمر في زمانه ورجاله، في مثل زمانك ورجالك كنت عند اللَّه خيراً من عمر» تعقبه الحافظ الذهبي قائلاً: «هذا كلام عجيب. أنى يكون خيراً من عمر؟ حاشا وكلاَّ، ولكن هذا القول محمول على المبالغة، وأين عز الدين بإسلام عمر؟ وأين شهوده بدرًا؟ وأين فرق الشيطان من عمر؟»[1].

فذكر من خصوصيات عمر بن الخطاب التي لم تتوفر لابن عبد العزيز خوف الشيطان منه.

ولذا أيضًا علق العلامة الشنقيطي على خبر التعزية الذي جاء فيه أن شيخًا لا يعرف أتى فعزى الصحابة في وفاة النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم ثم ولى، فقال بعضهم لبعض: تعرفون الرجل؟ فقال أبو بكر وعلي: نعم هو أخو رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم الخضر عليه السلام، علق عليه

(١) «سير النبلاء» (٥/ ١٢٧).

بقوله: «مردود من وجهين: ـ فذكر في الوجه الأول عدم ثبوت الخبر إسنادًا ـ ثم قال: الثاني: أنه على فرض أن حديث التعزية صحيح لا يلزم من ذلك عقلاً ولا شرعًا ولا عرفًا أن يكون ذلك المعزي هو الخضر، بل يجوز أن يكون غير الخضر من مؤمني الجن. وقولهم: كانوا يرون أنه الخضر ليس بحجة يجب الرجوع إليها لاحتمال أن يخطئوا في ظنهم»[1].

قلت: إذا لم يكن ظن أبي بكر وعليٍّ حجة، كان من باب أولى أن لا يكون ظن عمر بن عبد العزيز حجة.

ذكر شيخ الإسلام الصحابة فقال: «ولا كان فيهم من قال: إنه أتاه الخضر، فإن خضر موسى مات، كما بُيِّن هذا في غير هذا الموضع، والخضر الذي يأتي كثيرًا من الناس إنما هو جني تصور بصورة إنسي، أو إنسي كذاب، ولا يجوز أن يكون ملكًا مع قوله: أنا الخضر؛ فإن الملك لا يكذب، وإنما يكذب الجني والإنسي. وكان الصحابة أعلمَ من أن يروج عليهم هذا التلبيس»[2].

٤ ـ أن الخبر لا يعارض حديث «**أرأيتكم ليلتكم هذه...**»لوجهين:

أ ـ أن هذا الخبر على ما فيه من الكلام لا ينهض لمعارضة حديث مخرج في «الصحيحين».

ب ـ أن هذا الخبر لو ثبتت القصة الواردة فيه فلا تعارض؛ لأن ذلك كان قبل تمام المائة، فيمكن أن يكون الخضر حيًّا حينئذ ثم مات قبل المائة، وقد أشار الحافظ ابن حجر إلى هذا الوجه فقال: «وهذا لا يعارض الحديث الأول

---

(١) «أضواء البيان» (٤/ ١٦٣ ـ ١٦٤).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١/ ١٤٩).

في مائة سنة، فإن ذلك كان قبل المائة»[١] .

قلت: لكن هذا التوجيه معلق بشرط لم يتحقق وهو صحة الخبر ولم يصح.

وقبل إقفال هذا المطلب هناك شبهة طالما أوردها بعض الصوفية على منتقديهم في قولهم بحياة الخضر وكونه لقي النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم وهي قولهم: إن ابن حجر العسقلاني إمام في الحديث والفقه وله القدم الراسخة والمشاركة الفعالة في أكثر العلوم الإسلامية، وها هو ذا قد أورد ترجمة الخضر في كتابه «الإصابة في تمييز الصحابة» وهذا يدل على أنه من الصحابة. وللدر على هذه الشبهة التي لا تنطلي إلا على المغفلين نقول:

أولاً: الذي يورد هذه الشبهة واحد من اثنين: إما جاهل مركب لا يدري ما منهج الحافظ في كتابه. وإما أن يكون على علم بذلك لكنه يسعى إلى استغفال خلق اللّه وإضلالهم وصدهم عن الصراط المستقيم.

ثانيًا: إلى هؤلاء الخادعين والمخدوعين أسوق كلمة الحافظ ابن حجر في تبريره لإيراد الخضر بالذات في «الإصابة» يقول الحافظ:

«ثم لما التزمت في كتابي «الإصابة في تمييز الصحابة» أن أذكر كل من جاء في خبر من الأخبار أنه لقي النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم لزم ذكري للخضر عليه السلام؛ لأنه من شرط «الإصابة» وإن لم يرد في خبر ثابت أنه من جملة الصحابة»[٢] .

وبهذه العبارة ـ على وجازتها ـ يعلم أن مجرد ورود ترجمة الرجل في

---

(١) «الفتح» (٦/ ٥٠١).

(٢) «الزهر النضر» ص(١٧).

«الإصابة» ليس دليلاً على كونه من الصحابة»[١] .

● قال شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة «زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور» ما نصه:

«ومن قال إنه ـ أي الخضر نقيب الأولياء أو أنه يعلمهم كلهم فقد قال الباطل.

والصواب الذي عليه المحققون أنه ميت وأنه لم يدرك الإسلام، ولو كان موجودًا في زمان النبي ﷺ لوجب عليه أن يؤمن به ويجاهد معه كما أوجب اللّه ذلك عليه وعلى غيره، ولكان يكون في مكة والمدينة، ولكان يكون حضوره مع الصحابة للجهاد معهم وإعانتهم على الدين أولى به من حضوره عند قوم كفار ليرفع لهم سفينتهم، ولم يكن مختفيًا عن خير أمة أخرجت للناس وهو قد كان بين المشركين ولم يحتجب عنهم، ثم ليس للمسلمين به وأمثاله حاجة في دينهم ودنياهم، فإن دينهم أخذوه عن الرسول ﷺ النبي الأمي الذي علمهم الكتاب والحكمة، وقال لهم نبيهم: «**لو كان موسى حيًّا ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم**»، وعيسى ابن مريم عليه السلام إذا نزل من السماء إنما يحكم فيهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم فأيّ حاجة لهم مع هذا إلى الخضر وغيره والنبي ﷺ قد أخبرهم بنزول عيسى عليه السلام من السماء وحضوره مع المسلمين، وقال: «**كيف تهلك أمة أنا أولها وعيسى في آخرها**»، فإذا كان النبيان الكريمان اللذان هما مع إبراهيم وموسى ونوح أفضل الرسل ومحمد ﷺ سيد ولد آدم ولم يحتجبوا عن هذه الأمة لا عوامهم ولا خواصهم فكيف يحتجب عنهم من ليس مثلهم؟ وإذا كان الخضر حيًّا

---

(١) «تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي» (١/ ٣٩٦ ـ ٤٠٨).

دائمًا فكيف لم يذكر النبي ﷺ ذلك فقط، ولا خلفاؤه الراشدون؟!!

وقول قائل إنه نقيب الأولياء، فيقال له: من ولاّه النقابة وأفضل الأولياء أصحاب محمد ﷺ وليس فيهم الخضر، وغاية ما يحكى في هذا الباب من الحكايات بعضها كذب وبعضها مبني على ظن رجال مثل شخص رأى رجلاً ظن أنه الخضر، وقال إنه الخضر، كما أن الرافضة ترى شخصًا تظن أنه الإمام المنتظر المعصوم أو تدعي ذلك.

وروي عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال وقد ذكر له الخضر: من أحالك على غائب فما أنصفك، وما ألقى هذا على ألسنة الناس إلا الشيطان» انتهى.

• قول الكعبي المعتزلي: «المقتول ليس بميت»:

كان أبو القاسم عبد اللَّه بن أحمد بن أحمد بن محمود البلخي، المعروف بالكعبي حاطب ليل.

قال عبد القاهر البغدادي: «زعم الكعبي أن المقتول ليس بميت، وعاند قول اللَّه تعالى: **﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾** [آل عمران: ١٨٥].

وسائر الأمة مجمعون على أن كل مقتول ميت، وأنّى يصح مقتول غير ميت؟»[1].

• المقتول مقطوع أجله؟! هكذا تقول القدرية:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن المقتول:

«ولو لم يُقتل المقتول، فقد قال بعض القدرية: إنه كان يعيش، وقال

---

(١) «الفرق بين الفرق» لعبد القاهر البغدادي ص(١٨٢).

بعض نفاة الأسباب: إنه يموت، وكلاهما خطأ؛ فإن اللَّه علم أنه يموت بالقتل، فإذا قدر خلاف معلومه كان تقديرًا لما لا يكون لو كان كيف يكون، وهذا قد يعلمه بعض الناس وقد لا يعلمه.

فلو فرضنا أن اللَّه علم أنه لا يقتل أمكن أن يكون قدر موته في هذا الوقت، وأمكن أن يكون قدر حياته إلى وقت آخر، فالجزم بأحد هذين على التقدير الذي لا يكون جهل»[1].

• المعمرية من القدرية المعتزلة يقولون: إن اللَّه لم يخلق الموت:

«كان معمر بن عبّاد السلمي رأسًا للملحدة، وذنبًا للقدرية. وفضائحه على الأعداد كثيرة الأمداد.

منها: أنه كان يقول: إن اللَّه تعالى لم يخلق شيئًا من الأعراض: من لون أو طعم أو رائحة أو حياة أو موت أو سمع أو بصر، وإنه لم يخلق شيئًا من صفات الأجسام، وهذا خلاف قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾ [الرعد: ١٦]، وخلاف قوله تعالى في صفة نفسه: ﴿**لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾، وكان يزعم أن اللَّه إنما خلق الأجسام، ثم إن الأجسام أحدثت الأعراض باعتبار أن كل ما سبق من حياة وموت وسمع وبصر ولون وطعم ورائحة ما هو إلاّ عرض في الجسم من فعل الجسم بطبعه، وفناء الجسم عنده فعل الجسم بطبعه، وصلاح الزروع وفسادها من فعل الزروع عنده. وزعم أيضًا أن فناء كل فإنٍ فِعل له بطبعه.

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٨/ ٥١٧ ـ ٥١٨).

وزعم أنه ليس للَّه تعالى في الأعراض صنع ولا تقدير.

وفي قوله: إن اللَّه تعالى لم يخلق حياة ولا موتًا تكذيب منه لوصف اللَّه سبحانه نفسه بأنه يحيي ويميت، وكيف يُحيي ويُميت من لا يخلق حياةً ولا موتًا؟»[١] .

• من فضائح الجاحظ: قوله باستحالة عدم الأجسام بعد حدوثها:

قال عبد القاهر البغدادي: عن الجاحظ: «عمرو بن بحر الجاحظ اغترّ أتباعه بحسن بيانه في كتبه التي لها ترجمة تروق بلا معنى واسم يهول، ولو عرفوا جهالاته في ضلالاته لاستغفروا اللَّه تعالى من تسميتهم إياه إنسانًا، فضلاً عن أن ينسبوا إليه إحسانًا. . .

ومن فضائح الجاحظ: قوله باستحالة عَدَم الأجسام بعد حدوثها. وهذا يوجب القول بأن اللَّه سبحانه وتعالى يقدر على خَلْق شيء ولا يقدر على إفنائه، وأنه لا يصح بقاؤه بعد أن خلق الخلق منفردًا كما كان منفردًا قبل أن خلق الخلق»[٢] .

• أكثر الكرّامية على بدعة أن اللَّه لا يقدر على إعدام جسم بحال:

قال عبد القاهر: «اختلفت الكرامية في جواز العدم على أجسام العالم، فأحال ذلك أكثرهم، وضاهَوْا بذلك مَن زعم من الدهرية والفلاسفة أن الفلك والكواكب طبيعة خامسة لا تقبل الفساد والفناء.

---

(١) «الفرق بين الفرق» ص(١٥١ ـ ١٥٢).

(٢) «الفرق بين الفرق» ص(١٧٥، ١٧٦).

وكان الناس يتعجبون من قول المعتزلة البصرية: «إن اللَّه تعالى يقدر على إفناء الأجسام كلها دفعة واحدة ولا يقدر على إفناء بعضها مع بقاء بعض منها»، وزال هذا التعجب بقول من زعم من الكرامية: إنه لا يقدر على إعدام جسم بحال»[١] .

● «وزعمت الكرّامية أنه لا يجوز في حكمة اللَّه اخترام الطفل الذي يعلم أنه إن أبقاه إلى زمان بلوغه آمن، ولا اخترام الكافر الذي لو أبقاه إلى مدة آمن، إلا أن يكون في اخترامه إياه قبل وقت إيمانه صلاح لغيره.

ويلزمهم على هذا القول أن يكون اللَّه تعالى إنما اخترم إبراهيم ابن النبي ﷺ قبل بلوغه؛ لأنه علم أنه لو أبقاه لم يؤمن، وفي هذا قدْح منهم في كل من مات من ذراري الأنبياء»[٢] .

«وأبدع ابن كرّام في الفقه حماقات لم يُسبق إليها.

منها: قوله بأن غسل الميت والصلاة عليه سنتان غير مفروضتين، وإنما الواجب كفنه ودفنه»[٣]

● قول السبئية أن عليًّا صعد في السماء كما صعد عيسى بن مريم:

غلا عبد اللَّه بن سبأ في علي رضي الله عنه وزعم أنه كان نبيًّا، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله. ولما قُتل علي رضي الله عنه زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن عليًّا، وإنما كان شيطانًا تصور للناس في صورة علي، وأن عليًّا صعد إلى السماء كما

---

(١) «الفرق بين الفرق» ص(٢١٧، ٢١٨).
(٢) «الفرق بين الفرق» ص(٢٢١).
(٣) المصدر السابق ص(٢٢٤).

صعد إليها عيسى بن مريم عليه السلام، وقال: كما كذبت اليهود والنصارى في دعواها قتل عيسى كذلك كذبت النواصب والخوارج في دعواها قتل عليّ، وإنما رأت اليهود والنصارى شخصًا مصلوبًا شبهوه بعيسى، كذلك القائلون بقتل علي رأوا قتيلاً يشبه عليًّا، فظنوا أنه علي، وعليٌّ قد صعد إلى السماء، وأنه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه.

وزعم بعض السبئة أن عليًّا في السحاب وأن الرعد صوته، والبرق سوطه، ومن سمع من هؤلاء صوت الرعد قال: عليك السلام يا أمير المؤمنين.

قال إسحاق بن سُويد العدوي:

برئت من الخوارج لستُ منهم	مِن الغَزّال منهم وابن بابِ
ومن قومٍ إذا ذكروا عليًّا	يردّون السلام على السحاب[1]

• زعم البزيغية من الخطابية أنهم لا يموتون:

زعم أبو الخطاب الأسدي المارق أن أئمة الشيعة أنبياء، ثم زعم أنهم آلهة، وأن أولاد الحسن والحسين كانوا أبناء الله وأحباءه.

وكان يقول، إن جعفرًا إله، فلما بلغ ذلك جعفرًا لعنه وطرده.

ومن الخطابية فرقة تسمى البزيغية أتباع بزيغ: زعموا أنهم لا يموتون، وأن الواحد منهم إذا بلغ النهاية في دينه رُفع إلى الملكوت.

وزعموا أنهم يَرَوْن المرفوعين منهم غدوة وعشية[2].

---

(١) «الفرق بين الفرق» ص(٢٣٣ ـ ٢٣٤).

(٢) «الفرق بين الفرق» ص(٢٤٧، ٢٤٨ ـ ٢٤٩).

* زَعْم أبي الهـذيل العلاّف وجود أفعال الجوارح مـن الفاعل بعد موته:

أبو الهُذَيْل محمد بن الهُذيل المعروف بالـعلاّف فضائحه تترى تُكَفِّره فيها سائر فرق الأمة من أصحابه في الاعتزال ومن غيرهم.

من فضـائحه: أنه فـرّق بين أفعال القـلوب وأفعال الجـوارح، فقال: لا يجوز وجود أفعال الـقلوب من الفاعل مع قدرته عليـها ولا مع موته، وأجاز وجود أفعال الجوارح من الفاعل منّا بعد موته، وبعدم قدرته إن كان حيًّا لم يمت، وزعم أن الميت والعاجز يجوز أن يكونـا فاعِلَيْن لأفعال الجوارح بالقدرة التي كانت موجودة قبل الموت والعجز.

● وزعم الجُبائي وابنه أبو هاشم أن أفعـال القلوب في هذا الباب كأفعال الجوارح في أنه يصح وجودها بعد فناء القدرة عليها ومع وجود العجز عنها.

وقول الجـبائـي وابنـه في هـذا الباب أشـرّ من قـول الهـذيل، غـير أن أبا الـهذيل سـبق إلى الـقول بإجازة كـون الميت والـعاجز فـاعلين لأفـعال الجوارح، ونسج الجبائي وابنه على منوالـه في هذه البدعة، وقاسا عليه إجازة كون العاجز فاعلاً لأفعال القلب، ومؤسس البدعة عليه وزرها ووزر مَن عمل بها إلى يوم القيامة، من غير نقصان يدخل وزن العاملين بها»[1].

* السالمية من المبتدعة يقولون: إن الأموات يأكلون:

قال الإمام الذهبي في «السير» حينـما تكلم عن الزبيدي شارح الإحياء: «وقيـل: كان يـذهب إلى مـذهب السـالميـة، ويقول: إن الأمـوات يأكـلون

(١) «الفرق بين الفرق» ص(١٢٨ ـ ١٢٩).

ويشربون وينكحون في قبورهم»[١] .

* الحلول والتناسخ:

القائلون بالتناسخ في دولة الإسلام صنفان:

● الرافضة الغالية من البيانية والجناحية والخطابية والراوندية والسبئية من الرافضة الحلولية، كلها قالت بتناسخ روح الإله في الأئمة بزعمهم.

● وأهل التناسخ من القدرية ومنهم: أحمد بن خابط، وأحمد بن أيوب ابن بانوش، وأحمدِ بن محمد القحطي، وعبد الكريم بن أبي العوجاء.

● ويزعم أحمد بن خابط أن الروح لا يزال في هذه الدنيا يتكرر في قوالب وصور مختلفة ما دامت طاعته مشوبة بذنوبه، وعلى قدر طاعاته وذنوبه يكون منازل قوالبه في الإنسانية والبهيمية[٢] .

● وتعتقد الإسماعيلية وفرق من الشيعة في أئمتهم بأنهم هم الذين ظهروا في مختلف الصور في الأزمنة المتعددة، والأمكنة المختلفة، وهم الذين ظهروا أيام آدم بصورة آدم، وفي دور نوح بنوح، وكذلك شيث وموسى وعيسى ومحمد صلوات اللَّه وسلامه عليهم في زمانهم، وأن أئمتهم هم الذين نجوا نوحًا، وأغرقوا الخلق في عهد نوح، وخرقوا السفينة، وقتلوا الغلام وغير ذلك.

فها هم يكذبون على عليّ رضي الله عنه أنه قال:

«أنا ومحمد نور واحد من نور اللَّه، أنا صاحب الرجفة، صاحب الآيات. أنا أهلكت القرون الأولى، وأنا النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون.

---

(١) «السير» (٢٠/ ٣١٩).

(٢) «الفرق بين الفرق» (٢٧٠ ـ ٢٧٦).

أنا الكتاب. أنا اللوح المحفوظ. أنا القرآن الحكيم. أنا محمد ومحمد أنا. إنَّ ميتنا لم يمت، وقتيلنا لم يقتل، ولا نلد ولا نولد. وأنا الذي نجيت نوحًا. ونطقت على لسان عيسى بن مريم في المهد، فآدم وشيث ونوح وسام وإبراهيم وإسماعيل وموسى ويوشع وعيسى وشمعون ومحمد وأنا كلنا واحد. أنا أحيي وأميت. وكذلك الأئمة المحقون من ولدي، لأنا كلنا شيء واحد يظهر في كل زمان»[١].

ورووا عنه أيضًا أنه قال لسلمان: «أنا أحيي الموتى، وأعلم ما في السماوات والأرض، وأنا الكتاب المبين، يا سلمان، محمد مقيم الحجة، وأنا حجة الحق على الخلق، وبذلك الروح عرج بي إلى السماء، أنا حملت نوحًا في السفينة، أنا صاحب يونس في بطن الحوت، وأنا الذي جاورت موسى في البحر، وأهلكت القرون الأولى، أعطيت علم الأنبياء والأوصياء، وفصل الخطاب، وبي تمت نبوة محمد، أنا أجريت الأنهار والبحار، وفجرت الأرض عيونًا، أنا باب الدنيا لوجهها، أنا عذاب يوم الظلمة، أنا الخضر معلم موسى، أنا معلم داود وسليمان، أنا ذو القرنين، أنا الذي دفعت سمكها بإذن اللَّه عز وجل، أنا دحوت أرضها، أنا عذاب يوم الظلمة، أنا النادي من مكان بعيد، أنا دابة الأرض، أنا كما يقول لي رسول اللَّه ﷺ: أنت يا علي ذو قرنيها، وكلا طرفيها، ولك الآخرة والأولى، يا سلمان إن ميتنا إذا مات لم يمت، ومقتولنا لم يقتل، وغائبنا إذا غاب لم يغب، ولا نلد ولا نولد في البطون، ولا يقاس بنا أحد من الناس، أنا تكلمت على لسان عيسى في

---

(١) «انظر: «زهر المعاني» لإدريس عماد الدين الباب السابع عشر ص(٧٤)، وما بعد من «المنتخب من بعض الكتاب الإسماعيلية» لايوانوف ط: أجمل بريس - بومبي.

المهد، أنـا نوح، أنا إبراهـيم، أنا صاحـب الناقة، أنـا صاحب الرجـفة، أنا صاحب الزلزلـة، أنا اللوح المحفوظ، إليّ انتـهى علم ما فيه، أنا أنـقلب في الصور كيف شاء اللّه، من رآهم فقـد رآني، ومن رآني فقد رآهم، ونحن في الحقيقة نور اللّه الذي لا يزول ولا يَتَغَيَّر»[١] .

ورووا عن جعفر بن الباقر أنه قال:

«أنا من نـور اللّه، نطـقت على لـسان عيسـى بن مريم في المـهد، فآدم وشيث ونوح وسـام وإبراهيم وإسماعيـل وموسى ويوشع وعيسـى وشمعون ومحمـد كلنا واحد، مـن رآنا فقد رآهـم. أنا أحيي وأميـت وأخلق وأرزق، وأبرئ الأكمة والأبرص، وأنبئكم بما تأكلون وتدخرون في بيوتكم بإذن ربي، وكذلك الأئمة المحقون من ولدي لأنا كلنا شيء واحد»[٢] .

وذكروا عن راشد الدين بن سنان السوري الداعي الإسماعيلي أنه قال:

«ظهرت بدور نوح فغرقت الخلائق. وظهرت في دور الخضر على ثلاث مقالات. خرقت السفينة، وقتلت الـغلام، وأقمت الجدار. ثم ظهرت بالسيد المسيح، فمسحت بيدي الكريمة عـن أولادي الذنوب، وكنت بالظاهر شمعون ـ إلى آخر الهفوات والخرافات ـ»[٣] .

فهذه الروايـات تدل صراحة على اعتـقاد القوم بالحلول والـتناسخ، وأن

---

(١) «مشارق أنوار اليقين» للحافظ رجـب البرسي ص(١٦١) ط. دار الأندلس بيروت، وأيضًا «طرائق الحـقائق» للـحاج معصـوم شيرازي (١/ ٧٧، ٧٨) ط. طهـران (١٣٣٩) هجري شمسي.

(٢) «كتـاب بيـت الدعـوة الإسلامـية» نـسخة خـطيـة ص(١٠) نقـلاً عن «تـاريخ الـدعوة الإسماعيلية» لمصطفى غالب الإسماعيلي ص(٨١، ٨٢).

(٣) «أجزاء عن الـعقائد الإسماعـيلية»، كتاب الـداعي إبراهيم تقـديم المستشرق الفـرنساوي كويارد. ط أسبيرين نيشنل بريس (١٧٨٤م).

أئمتهم خلقوا من نور اللَّه الذي لم يتغير ولم يتبدل، ولكن هذا النور كان يحل في أجسام مختلفة في أزمنة مختلفة، وكان يلبس ألبسة متنوعة متفرقة، فبذلك الجسد واللباس كان يسمّى بتلك الأسماء، فتارة بآدم، وتارة بنوح، وتارة بإبراهيم، وتارة بموسى، وتارة بعيسى، وتارة بمحمد، مع أن هذا النور كان بجوهره واحدًا.

فهذا عين ما قالته الصوفية حيث سمّوا ذلك النور الأزلي، والجوهر الأصلي الحقيقة المحمدية والصورة المحمدية. فهذه الحقيقة هي التي كانت تتجلى في أجسام مختلفة، وتنادى بذلك الاسم، فاختلفت أسماؤها حسب الزمان والأجساد، مع أنها كانت واحدة. كما يقول الجيلي:

«اعلم حفظك اللَّه أن الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره، وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين، ثم له تنوع في ملابس ويظهر في كنائس، فيسمى به باعتبار لباس، ولا يسمى به باعتبار لباس آخر، فاسمه الأصلي الذي هو له محمد، وكنيته أبو القاسم، ووصفه عبد اللَّه، ولقبه شمس الدين، ثم له باعتبار ملابس أخرى أسام، وله في كل زمان اسم ما يليق بلباسه في ذلك الزمان، فقد اجتمعت به ﷺ وهو في صورة شيخي الشيخ شرف الدين إسماعيل الجبرتي، ولست أعلم أنه النبي ﷺ، وكنت أعلم أنه الشيخ، وهذا من جملة مشاهد شاهدته فيها بزبيد سنة ست وتسعين وسبعمائة، وسرّ هذا الأمر تمكنه ﷺ من التصور بكل صورة، فالأريب إذا رآه في الصور المحمدية التي كان عليها في حياته فإنه يسميه باسمه، وإذا رآه في صورة ما من الصور وعلم أنه محمد، فلا يسميه إلا باسم تلك الصورة، ثم لا يوقع ذلك الاسم إلا على الحقيقة المحمدية، ألا تراه ﷺ لما ظهر في صورة الشبلي رضي الله عنه قال الشبلي

لتلميذه: أشهد أني رسول اللّه، وكان التلميذ صاحب كشف فعرفه، فقال: أشهد أنك رسول اللّه، وهذا أمر غير منكور، وهو كما يرى النائم فلانًا في صورة فلان. وأقل مراتب الكشف أن يسوغ به في اليقظة ما يسوغ به في النوم، لكن بين النوم والكشف فرق، وهو أن الصورة التي يرى فيها محمدًا ﷺ في النوم ولا يوقع اسمها في اليقظة على الحقيقة المحمدية؛ لأن عالم المثال يقع التعبير فيه فيعبر عن الحقيقة المحمدية إلى حقيقة تلك الصورة في اليقظة، بخلاف الكشف فإنه إذا كشف لك عن الحقيقة أنها متجلية في صورة من صور الآدميين، فيلزمك إيقاع اسم تلك الصورة على الحقيقة المحمدية. ويجب عليك أن تتأدب مع صاحب تلك الصورة تأدبك مع محمد ﷺ، لما أعطاك الكشف أن محمدًا ﷺ متصور بتلك الصورة، فلا يجوز ذلك بعد شهود محمد ﷺ فيها أن تعاملها بما كنت تعاملها به من قبل؛ ثم إياك أن تتوهم شيئًا في قولي من مذهب التناسخ، حاشا للّه وحاشا رسول اللّه ﷺ أن يكون ذلك مرادي، بل إن رسول اللّه ﷺ له من التمكين في التصور بكل صورة حتى يتجلى في هذه الصورة، وقد جرت سنته ﷺ أنه لا يزال يتصور في كل زمان بصورة أكملهم ليعلي شأنهم ويقيم ميلانهم، فهم خلفاؤه في الظاهر وهو في الباطن حقيقتهم»[1] .

وهذا ما قاله الدكتور أبو العلاء العفيفي معلقًا على الفص السابع والعشرين (فصّ حكمة فردية في كلمة محمدية) من فصوص ابن عربي، فقال:

«شاع من أوائل عهد الإسلام القول بأزلية محمد عليه السلام، أو بعبارة

(١) «الإنسان الكامل» لعبد الكريم الجيليّ (٢/ ٧٤، ٧٥).

أدق بأزلية «النور المحمدي». وهو قول ظهر بين الشيعة أولاً ولم يلبث أهل السنة أن أخذوا به، واستند الكل في دعواهم إلى أحاديث يظهر أن أكثرها موضوع. من ذلك أن النبي ﷺ قال: «أنا أول الناس في الخلق»، ومنها: «أول ما خلق اللَّه نوري»، ومنها: «كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين» وغير ذلك من الأحاديث التي استنتجوا منها أنه كان لمحمد عليه السلام وجود قبل وجود الخلق، وقبل وجوده الزماني في صورة النبي المرسل، وأن هذا الوجود قديم غير حادث، وعبروا عنه بالنور المحمدي. وقد أفاضت الشيعة في وصف هذا النور المحمدي، فقالوا: إنه ينتقل في الزمان من جيل إلى جيل، وأنه هو الذي ظهر بصورة آدم ونوح وإبراهيم وموسى وغيرهم من الأنبياء، ثم ظهر أخيرًا بصورة خاتم النبيين محمد عليه السلام. وبهذا أرجعوا جميع الأنبياء من آدم إلى محمد، وكذلك ورثة محمد إلى أصل واحد. وهو قول نجد له صدى في الغنوصية المسيحية. يقول الأب كليمنت الأسكندري: «ليس في الوجود إلا نبي واحد وهو الإنسان الذي خلقه اللَّه على صورته، والذي يحل فيه روح القدس، والذي يظهر منذ الأزل في كل زمان بصورة جديدة».

نجد لكل هذا الكلام نظيرًا في كتب ابن عربي فيما يسمية الكلمة المحمدية أو الحقيقة المحمدية أو النور المحمدي. فهو لا يقصد بالكلمة المحمدية في هذا الفص محمدًا الرسول، وإنما يقصد الحقيقة المحمدية التي يعتبرها أكمل مجلىً خلقيٍ ظهر فيه الحق، بل يعتبره الإنسان الكامل والخليفة الكامل بأخص معانيه. وإذا كان كل واحد من الموجودات مجلىً خاصًّا لبعض الأسماء الإلهية التي هي أرباب له، فإن محمدًا قد انفرد بأنه مجلى للاسم الجامع لجميع تلك الأسماء، وهو الاسم الأعظم الذي هو «اللَّه». ولهذا كانت له مرتبة الجمعية المطلقة، ومرتبة التعين الأول الذي تعينت به

الذات الأحدية، إذ ليس فوقه إلا هذه الذات المنزهة في نفسها عن كل تعين وكل صفة واسم ورسم.

ولهذه الحقيقة المحمدية التي هي أول التعينات - وإن شئت فقل آول المخلوقات - وظائف أخرى ينسبها إليها ابن عربي. فهي من ناحية صلتها بالعالم مبدأ خلق العالم، إذ هي النور الذي خلقه اللَّه قبل كل شيء وخلق منه كل شيء. أو هي العقل الإلهي الذي تجلى الحق فيه لنفسه في حالة الأحدية المطلقة، فكان هذا التجلي بمثابة أول مرحلة من مراحل التنزل الإلهي في صور الوجود. فلما انكشفت له حقيقة ذاته وكمالاتها، وما فيها من أعيان الممكنات التي لا تحصى، أحب إظهار كمالاته في صور تكون له بمثابة المرايا التي يرى فيها نفسه، فكانت أعيان الممكنات الخارجية تلك المرايا.

ومن ناحية صلة المحمدية بالإنسان، يعتبرها ابن عربي صورة كاملة للإنسان الكامل الذي يجمع في نفسه جميع حقائق الوجود، ولذلك يسميها آدم الحقيقي، والحقيقة الإنسانية. وبعدها من الناحية الصوفية مصدر العلم الباطن، ومنبعه، وقطب الأقطاب.

في هذا الوصف الإجمالي لما يسميه ابن عربي «الكلمة المحمدية»، أو الحقيقة المحمدية، عناصر مختلفة مستمدة من الفلسفة الأفلاطونية الحديثة، والفلسفة المسيحية واليهودية، مضافًا إلى ذلك بعض أفكار من مذهب الإسماعيلية الباطنية والقرامطة. مزج جميع تلك العناصر على طريقته الخاصة، فضيع بذلك معالم الأصول التي أخذ عنها، وخرج على العالم بنظرية في طبيعة الحقيقة المحمدية، لا تقل في خطرها وأهميتها في تاريخ الأديان عن النظريات التي وضعها المسيحيون في طبيعة المسيح، أو النظريات

اليهودية أو الرواقية، أو اليونانية التي تأثرت بها النظرية المسيحية»[١] .

وبمثل ذلك قال الفرغاني:

«وكل نبي من آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ مظهر من مظاهر نبوة الروح الأعظم. فنبوته ذاتية دائمة، ونبوة المظاهر عرضية منصرمة، إلا نبوة محمد ﷺ، فإنها دائمة غير منصرمة، إذ حقيقته الروح الأعظم، وصورته صورة الحقيقة التي ظهر فيها بجميع أسمائها وصفاتها. وسائر الأنبياء مظاهرها ببعض الأسماء والصفات، تجلت في المظهر المحمدي بذاتها وجميع صفاتها، وختم به النبوة، فكان الرسول ﷺ سابقًا على جميع الأنبياء من حيث الحقيقة، متأخرًا عنهم من حيث الصورة، كما قال: نحن الآخرون السابقون، وقال: كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين: وفي رواية أخرى: بين الروح والجسد: أي لا روحًا ولا جسدًا»[٢] .

ويدل أيضًا على اعتقاد الصوفية بالتناسخ ما ذكره الدباغ في «الإبريز»: بأن روح الوليّ تقدر على أن تخرج من ذات الولي وتتصور بصورة غير صورته[٣] .

وأيضًا ما ذكره الشعراني عن صوفي أنه «ظهر لأعدائه في هيئة أسد عظيم»[٤] .

---

(١) «فصوص الحكم» لابن عربي - قسم التعليقات الثاني ص(٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١).

(٢) «المقدمات» للفرغاني مخطوط ورقة (١١ - ١٤) نقلاً عن كتاب «ختم الأنبياء» ص(٤٨٦) ط بيروت.

(٣) انظر: «الإبريز» للدباغ ص(٢٠٤).

(٤) انظر: «طبقات الشعراني» (٢/ ٣).

وكذلك ذكر المنوفـي في جمهرته صوفـيًّا «كان يظهر في مـظهر السباع والفيلة»[١] .

فالحاصل أن الصوفية اقتبسوا من الشيعة هذه الأفكار، وأخذوا منهم هذه العقائد الزائفة الزائغة الباطلة، وقالوا عن أوليائهم مثل ذلك، بل زادوا عليهم في غلوائهم وغيّهم وضلالهم، حيث قـالوا نقلاً عن إبراهيم الدسوقي أنه قال عن نفسه في أبياته:

أنـا ذلـك الـقـطـب المبـارك أمـره ... فـإن مدار الـكـل مـن حـول ذروتـي

أنـا شـمـس إشراق العقـول ولـم أفل ... ولا غـبـت إلا عـن قـلـوب عـمـيـة

يـرونـي فـي المـرآة وهـي صـديـة ... ولـيـس يـرونـي بـالمرآة الـصـقـيـلـة

وبـي قـامـت الأنـبـاء فـي كـل أمـة ... بمـخـتـلـف الآراء والـكـل أمـتـي

ولا جـامـع إلا ولـي فـيـه مـنـبـر ... وفـي حـضـرة المختار فزت ببغيتي

بـذاتي تـقـوم الـذات في كـل ذروة ... أجـدد فـيـهـا حـلـة بـعـد حـلـة

فـلـيـلـى وهـنـد والـرباب وزيـنـب ... وعلـوى وسلمـى بعدهـا وبثـيـنـة

عـبـارات أسـمـاء بـغـيـر حـقـيـقـة ... ومـا لـوّحـوا بـالـقـصـد إلا لـصـورتـي

نـعـم نشأتي في الحب من قبل آدم ... وسري في الأكوان من قبل نشأتي

أنا كنت في العلياء مع نور أحـمـد ... على الدرة البيضـاء في خلويتي

أنـا كنت في رؤيـا الـذبـيـح فـداءه ... بـلـطـف عـنـايـات وعـين حـقـيـقـة

أنـا كـنـت مـع إدريـس لما أتـى العلا ... وأسكـن في الفـردوس أنعـم بقـعـة

أنا كنـت مع عيسى على المهد نـاطقًا ... وأعـطـيـت داودًا حـلاوة نـغـمـة

أنـا كـنـت مـع نـوح بما شـهـد الـورى ... بـحـارًا وطوفـانًـا عـلـى كـف قـدرة

---

(١) انظر: «جمهرة الأولياء» للمنوفي الحسيني (٢/ ٢٦٤).

أنا القطب شيخ الوقت في كل حالة　　　أنا العبد إبراهيم شيخ الطريقة[١]

ورووا عن أحد المتصوفة البارزين أنه كان يقول:

«أنا موسى الكليم في مناجاته، أنا عليّ في حملاته، أنا كل وليّ في الأرض خلقته بيدي، ألبس منهم من شئت، أنا في السماء شاهدت ربي، وعلى الكرسي خاطبته، أنا بيدي أبواب النار إن أغلقتها أغلقها بيدي، وبيدي جنة الفردوس إن فتحتها أفتحها، ومن زارني أدخلته جنة الفردوس»[٢] .

وقال فتح اللَّه بوراس:

«أنا كلّ ولي في الأرض قد أوليته
أنا كل حكيم من أهل السماء قد علمته
وأيوب من جميع الأمراض قد أشفيته
وبصر يعقوب أنا الذي قد رددته
وابنه يوسف من الجبّ الغريق قد أظهرته
ويونس من بطن الحوت بالعراء قد نبذته
ونوح من بحر الطوفان أنا الذي أنجيته
وفي السماء السابعة شاهدت ربّي وكلّمته
وبيدي باب الجنان قد فتحته ودخلته
وما فيه من الحور العين قد رأيته وحصيته

---

(١) «طبقات الشعراني» (١/ ١٨٠، ١٨١).

(٢) «طبقات الشعراني» (١/ ١٨٠)، وأيضًا «النفحة العلية في أوراد الشاذلية» جمع عبد القادر زكي ص(٢٥٦). ط: مكتبة المتنبي القاهرة.

ومن رآني ورأى من رآني وحضر مجلسي

في جنة عدن وبستانها قد أسكنته»[١]

وذكر فريد الدين العطار عن أبي يزيد البسطامي أنه سئل عن العرش والكرسي فقال: «أنا العرش والكرسي، وقال: أنا إبراهيم، وأنا موسى، وأنا محمد»[٢] . وهذا عين ما رواه الشيعة أنفسهم عن علي ﷺ أنه قال:

«أنا اللوح، وأنا القلم، وأنا العرش، وأنا الكرسي، وأنا السماوات السبع، وأنا السماوات الحسنى، والكلمات العليا»[٣] .

والجدير بالذكر أن الصوفية ينقلون لبيان معتقداتهم نفس الروايات الموضوعة المكذوبة التي يرويها الشيعة عن عليّ ﷺ وأولاده.

فمثلاً يروي الشعراني ومحمد الرفاعي وغيرهما عنه ﷺ أنه كان يقول في خطبته على رؤوس الأشهاد:

«أنا نقطة بسم اللّه، أنا جنب اللّه، الذي فرطتم فيه، أنا القلم وأنا اللوح المحفوظ، وأنا العرش وأنا الكرسي، وأنا السماوات السبع والأرضون»[٤] ا.هـ[٥] .

«ولقد ذكر المفضل بن عمر الجعفي في كتابه «الهفت الشريف» عن جعفر ابن الباقر أنه قال:

---

(١) «الوصية الكبرى» لعبد السلام الفيتوري ص(٧٤، ٧٥). ط: طرابلس ليبيا (١٣٩٦هـ).

(٢) انظر: «تذكرة الأولياء» لفريد الدين العطار ص(٩٩). ط: باكستان.

(٣) «مشارق أنوار اليقين» للحافظ رجب البرسي ص(١٥٩). ط: دار الأندلس بيروت الطبعة الحادية عشر.

(٤) «الجواهر والدرر» للشعراني (٢/ ٣١١) بهامش «الإبريز» للدباغ. ط: مصر.

(٥) «التصوف المنشأ والمصادر» لإحسان إلهي ظهير ص(٢٢٣ ـ ٢٣٠).

«إن اللَّـه خلق للـعصاة سـبعة أبدان يـترددون فيـها، ثم يـنقلبـون إلى غيرها»(١) .

ويروي المفضل هذا عن جعفر أيضًا أنه قال له:

«إنه ليلقاك الـرجل في بدنه وأنت تظن أنه آدمي، وإنمـا هو قرد أو كلب أو خنزير أو دُبّ فاشتبه ذلك عن الناس»(٢) .

وروى أيضًا عنه أنه قال:

«وقوله تعالى أيضًا: ﴿ **وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَآئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم** ﴾. قال العالم: يعني أن كـل دابة في الأرض وفي السماء قد كانت أمم قبـلكم. ثم قال: إن عدونا لـيمسخ في كل شيء خـالف الصورة الإنسانية حتـى إذا عاد أحدهم يقتل ألف قتلة ويذبـح ألف ذبحة ويموت ألف ميتة. وأما أولياء اللَّه وأتباعهم المؤمنون خلصهم اللَّه من المسوخية وجعل ذلك عقوبة لاعدائهـم إن ذلك هو العذاب الأدنى. وأمّا العذاب الأكبـر فعند قيام القائم حتى ينتقم كل ولي من الأعداء. قال العالم: أول ما ينكس إليه الكافر إنما يصير في الأنعام حتى يمر بكل شيء في البر من العذاب، ثم يصير أنه يمر في البحر، ثم في الجو والهواء، حتـى في كل شيء يدب ويدرج حتى يصير أضيق من سم الخياط، لقوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ** ﴾. فهذه علة أرواح الكافرين تجعـل في المركبات إلى قيام القائم. وقـال العالم: وأمّا الذي لم يكن فيه روح الحياة مثل الحجر والشجر والماء والملح وغيره مما لا يدب ولا يدرج ومما يـتحلل من أبدان المـؤمن والكافر، فـكل شيء رأيته أو سمـعته أو

---

(١) «الهفت الشريف» للمفضل الجعفي ص(٢٦). ط: دار الأندلس الطبعة الثالثة (١٩٨٠م).

(٢) أيضًا ص(٣٦).

شممته وله طعم طيب ورائحة زكية أو ملامسة لينة أو مطعم أو مشرب، فإن ذلك مما يتحلل من أبدان المؤمنين وكلما خالف هذه الأشياء إلى غيرها من نتن أو مر أو كريه أو مما يكرهه الإنسان في شمه أو في منظره أو في ذوقه أو في ملامسته في جميع الحالات، فإن ذلك مما يتحلل من أبدان الكافرين وليس للكافرين أظهر ولا هم فيه أنعم من بدن الإنسانية الذي هو فيها، فإذا استوفى دولته أخرجه من بدنه هذا إلى أنجس الأبدان وأشرها»[1] .

وقال إخوان الصفاء:

«من استراح من المعاد والترداد... صار في جملة الملائكة المقربين»[2] .

والمفسر الإسماعيلي أيضًا يذكر هذا التناسخ في تفسيره كثيرًا مثل ما يقول تحت قوله تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ :

«يعني: في ظهورهم في النسوخية في الكرات»[3] .

وأيضًا: «عذاب اللّه، وهو تدحرجهم في القوالب»[4] .

وأيضًا يقول:

«لجهنم سبعة أبواب: معناه سبع دركات، الدرك الأول هم الزنج والبربر، والدرك الثاني يسمى العكس في قصص القردة والنسناس، والثالث في قصص السباع»[5] .

---

(١) أيضًا ص(٦٦، ٦٧).

(٢) «جامعة الجامعة» لإخوان الصفاء ص(١٨٢) تحقيق عارف تامر.

(٣) تفسير «مزاج التسنيم» لضياء الدين الإسماعيلي ص(١٣) تحقيق شتروطمان ط غونتيغن.

(٤) أيضًا ص(٨٠).

(٥) أيضًا ص(١٠٩).

وقال:

«فأولئك الذين لهم سوء العذاب: يعني في القوالب الممسوخة»[١] .

ويقول الإسماعيلي محمود شبستري:

وقد سألوا وقالوا ما النهاية فقيل: هي الرجوع إلى البداية»[٢]

وأخيرًا نذكر ما قالوا:

«إن جميع الأئمة يصيرون ذاتًا واحدة (أي: عند الرجعة)، وكل منهم قادر على الانفصال»[٣، ٤] .

وبناء على هذا يقول هؤلاء الزنادقة أن يوم ظهور القائم (المهدي) هو يوم التناد ويوم التلاق ويوم الآزفة وهو يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجًا.

* إدعاء الصوفية القدرة على إحياء الموتى:

ومن نصوصهم في ذلك ما صرح به الدباغ من أن الأولياء لهم القدرة على «إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى»[٥] .

وما ساقه القشيري بإسناده أن سهل بن عبد اللَّه تكلم يومًا في الذكر فقال: «إن الذاكر للَّه على الحقيقة لو هم أن يحيي الموتى لفعل»[٦] .

ويرى التيجاني أن الولي بعد الفتح يقدر أن يفعل ما يريد في كل ما أراد: فيحيي الموتي إذا شاء ويناديها فتجيبه مسرعة ولو كانت رميمة[٧] . وفي

---

(١) (٣٢٦).

(٢) «بعض ازتاويلات كلشن» راز لمحمود شبستري ص(١٣٩) من «سه رسالة إسماعيلي»؟.

(٣) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» ص(٤٩) من أربعة كتب إسماعيلية.

(٤) «الإسماعيلية» لإحسان إلهي ظهير ص(٤٣٩ ـ ٤٤١).

(٥) «الإبريز» ص(١٩٣). (٦) «الرسالة» (٢/ ٧٠٠).

(٧) «جواهر المعاني» (٢/ ١٥٠ ـ ١٥١).

حديث دار بين الشعراني وشيخه ذكر الخواص إحياء المسيح عليه السلام للموتى، فقال له الشعراني:

«... ليس في إحيائه الموتى تخصيص، فإن غيره من هذه الأمة وغيرها أحيا الموتى. فأجاب الخواص بأن الكامل من أحيا الموتى بالقول والجس، أما أمثال أبي يزيد البسطامي الذي كان لا يحيي الموتى إلا بالجس فليس له من الإرث المسيحي إلا قدر النصف[(١)] .

ويحكي الشعراني في ترجمة محمد الشويمي[(٢)] أن شيخه السيد مدين[(٣)] مرض مرضًا شديداً أشرف فيه على الموت، فوهبه الشويمي من عمره عشر سنين ثم مات الشيخ في غيبة الشويمي فجاء وهو على المغتسل فقال: كيف مت؟ وعزة ربي لو كنت حاضرك ما خليتك تموت»[(٤)] .

ويذكر أيضًا أن الشيخ إبراهيم المتبولي رأى يومًا شخصًا كثير العبادة، والأعمال الصالحة، غير أن الناس اعتادوا أن يعرضوا عنه ولا يعتقدوه، فسأله المتبولي: «يا ولدي ما لي أراك كثير العبادة ناقص الدرجة؟ لعل والدك غير راض عنك؟ فقال: نعم. فقال: اذهب بنا إلى قبره لعله يرضى. قال الشيخ الراوي: فوالله لقد رأيت والده خرج من القبر ينفض التراب عن رأسه حين ناداه الشيخ، فلما استوى قائمًا قال الشيخ: الفقراء جاءوا شافعين تطيب

---

(١) «الجواهر والدرر» ص(١٣٠ ـ ١٣١).

(٢) هو الشيخ محمد الشويمي المجذوب، صوفي من أصحاب أبي مدين ـ كان حيًّا سنة (٥٩٤هـ). انظر: «الطبقات الكبرى» (٢/ ٩١).

(٣) هو أبو مدين شعيب بن الحسن المغربي الأندلسي، صوفي كبير لقي الجيلاني، وكان ابن عربي يثني عليه. توفي بتلمسان سنة (٥٩٤هـ)، انظر: «سير النبلاء» (٢/ ٢١٩)، و«طبقات المالكية» ص(١٦٤).

(٤) «الطبقات الكبرى» (٢/ ٩١).

خاطرك على ولدك هذا. فقال: أشهدكم أني قد رضيت عنه»[١] .

وأما ابن ضيف اللَّه فقد عقد في ترجمة حسن ولد حسونة فصلاً في إحياء الموتى وإبرائه ذوي العاهات والآفات[٢] . جاء فيه:

أ ـ جاءت أم رقيمة إلى الشيخ، وقالت له: يا سيدي بنتي ماتت، وأبوها لا مال له، كفنها لي. فمشى الشيخ إليها فلما رآها قال لها: بنتك طيبة ما ماتت، ثم قال للبنت: قومي فامتلأت روحها وعادت إليها الحياة من جديد وقامت[٣] .

قلت: لولا هذه العبارة الأخيرة لقلنا باحتمال أن البنت لم تكن فارقت الحياة بالفعل، فكان يمكن أن تكون في غيبوبة من شدة مرضها فاستعجلت أمها فراحت تحمل خبر موتها إلى الشيخ الذي سرعان ما علم بحنكته وخبرته أنها لا زالت على قيد الحياة. ولعل دفع هذا الاحتمال هو الذي حمل الراوي على التصريح بأن قول الشيخ لها: قومي هو الذي ملأ روحها وأعاد إليها الحياة من جديد.

ب ـ عفيشة ولد أبكر غرق في البحر ومكث فيه ثلاثة أيام وقضى نحبه. فقالوا للشيخ: صل على حواريك. فلما رآه قال له: قم فقام فامتلأت روحه وتزوج بعد ذلك وولد له[٤] .

جـ ـ جاء رجل مسافر للحج وترك عند الشيخ جاريته أمانة، فبعث بها

---

(١) «الطبقات الكبرى» (٢/ ٧٦).
(٢) «الطبقات» ص(١٣٣).
(٣) المصدر السابق ص(١٤٣).
(٤) «الطبقات» ص(١٤٣).

لإحدى النساء، وبعد وقت أرسلت المرأة تخبر الشيخ بموت الجارية، فأعطاها الكفن فكفنت ودفنت، ثم قدم سيدها من الحج وطلبها، فأرسل الشيخ إلى المرأة يطالبها بإحضار الجارية. فقالت له: ماتت. وأنت جئت وكفنتها ودفنتها. فقال الشيخ: امشوا ائتوني بها، فذهبوا فنبشوها فوجدوها حية[١].

ويشير صاحب الطبقات إلى أن هذا الشيخ كان يترك رأسه دائمًا مكشوفًا؛ لأنه كان إذا وضع القناع على رأسه فمتى قال للميت: قم يقوم فورًا[٢].

هكذا ترى أن إحياء أولياء الصوفية للموتى من الأمور المسلمة عند هؤلاء القوم. ولا تحسبن ـ بواقع الأمثلة السابقة ـ أن هذا الإحياء خاص بالموتى من بني آدم فإنا نسوق إليك أمثلة من إحيائهم للحيوان والطير بل والنبات. ومن ذلك ما ساقه القشيري بإسناده أن أعرابيًّا كان يسوق جملاً فوقع الجمل ميتًا، فدعا بدعاء خاص فقام الجمل من حينه[٣].

وما ساقه أيضًا بإسناده عن ابن أبي عبيد البسري، عن أبيه أنه غزا سنة من السنين، فخرج في سرية فمات المهر الذي كان تحته فقال: يا رب أعرناه حتى نرجع إلى بسرى (يعني: قريته) فإذا المهر قائم[٤].

وبإسناده عن أبي سبرة النخعي أن رجلاً أقبل من اليمن على حمار فلما كان في الطريق مات حماره فدعا له فقام الحمار ينفض أذنيه[٥].

(١) المصدر السابق ص(١٤٤).
(٢) المصدر السابق ص(١٤٤).
(٣) «الرسالة القشيرية» (٢/ ٧٠٩).
(٤) المصدر السابق (٢/ ٧٠٩).
(٥) «الرسالة» (٢/ ٧١٠ ـ ٧١١).

ويحكي النبهاني[1] في ترجمة عبد الرحمن بن أحمد الجامي[2] أنه جلس في زمن الربيع على شاطئ نهر ملآن، وإذا بقنفذة ميتة قد أقبلت على وجه الماء، فأخذها الجامي ومسح بيده ظهرها، فظهر أثر الحياة فيها، ثم لما توجه جهة المدينة أقبلت تسعى خلفه[3] .

ومنه: ما حكاه الخزرجي أن الشيخ مفرج القصباني أحضروا له فراخًا مشوية، فرماها في الهواء وقال لها: طيروا، فطاروا[4] .

وحكى الشعراني أن الشيخ عبد العزيز الديريني[5] استضاف الشيخ عليًّا المليجي[6] فذبح له فرخة، فتشوشت امرأته عليها ـ لعلها لصغرها ـ فلما حضرت قال لها الشيخ علي: هش. فقامت الفرخة تجري، وقال: يكفينا المرق لا تتشوشي[7] .

أما إحياء النبات اليابس فيذكر التيجاني أن الولي المفتوح عليه لا يورق

---

(١) هو يوسف بن إسماعيل النبهاني، صوفي غال، ولد بفلسطين سنة (١٢٦٥هـ) ثم رحل إلى مصر وانتسب إلى الأزهر، تولى القضاء في عدة أقاليم. مات سنة (١٣٥٠هـ) له مؤلفات كثيرة أخطرها «جامع كرامات الأولياء». انظر: «معجم المؤلفين» (١٣/ ٢٧٥).

(٢) هو عبد الرحمن بن أحمد الجامي ولد بجام (قرية بخراسان) سنة (٨١٧هـ) صوفي مشارك في بعض العلوم، توفي بهراة سنة (٨٩٨هـ). انظر: «شذرات الذهب» (٧/ ٣٦٠)، و«البدر الطالع» (١/ ٣٢٧).

(٣) «جامع كرامات الأولياء» (٢/ ١٥٤).

(٤) «سير الأولياء» ص(٩٦).

(٥) هو عبد العزيز الديريني، صوفي ناظم، يذكر له خوارق وشطحات، مات بديرين سنة (٦٩٧هـ). انظر: ط.ك (١/ ١٧٢).

(٦) هو علي المليجي، صوفي كان البدوي يبجله ويأمر أتباعه بذلك، لم يحدد الشعراني تاريخ وفاته. انظر: ط.ك(١/ ١٧١).

(٧) «الطبقات الكبرى» (١/ ١٧٢).

الشجرة اليابسة فحسب ولكنه يثمرها في الحين إذا شاء[١] .

ويقص أبو العباس المرسي[٢] أنه صحب أقوامًا ما يمر أحدهم على الشجرة اليابسة فيشير إليها إلا وتثمر رمانًا للوقت، ويقول من صحب هؤلاء الرجال ما يصنع بالكيمياء[٣] .

ولا ريب أن هذا الذي سقناه قليل من كثير؛ لأنه قلما يوجد كتاب من كتب التراجم وطبقات الصوفية إلا وهو زاخر ببيان قدرات الأولياء على إحياء الموتى من الناس وغيرهم.

ولا ريب ـ أيضًا ـ أن ذلك مناقض للنصوص الشرعية القاضية بأن إحياء الموتى من خصائص الربوبية التي لا دخل للبشر فيها ولا يد.

قال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [الحج: ٦].

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [الروم: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿ **فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [الشورى: ٩].

وقال: ﴿ **وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ** ﴾ [الحجر: ٢٣].

بمقتضى هذه النصوص فمن زعم أن أحدًا من المخلوقين يملك إحياء الموتى، وأنه يباشر ذلك متى ما شاء على غرار ما مر معنا، فقد جعله إلهًا آخر شارك الإله الحق في أخص خصائصه.

---

(١) «جواهر المعاني» (٢/ ١٥٠ ـ ١٥١).

(٢) سبقت ترجمته في (١/ ٧٣).

(٣) «الرماح» (١/ ٢٢).

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام**» متفق عليه[١]. وفي رواية عائشة رضي الله عنها عند البخاري: «قلت: وما السام؟ قال: «**الموت**». وفي رواية أخرى لأبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم: «**ما من داء إلا في الحبة السوداء منه شفاء إلا السام**»[١].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم قال: «**إن اللَّه لم ينزل داء ـ أو لم يخلق داء ـ إلا أنزل ـ أو خلق ـ له دواء علمه من علمه وجهله من جهله إلا السام**». قالوا: يا رسول اللَّه وما السام؟ قال: «**الموت**» رواه الحاكم[٢].

فهذه النصوص صريحة في أن الموت لا علاج ولا دافع له إذا جاء، وأما هؤلاء المتصوفة فكما ادعوا أنهم يشفون المرضى من كل داء فقد عاندوا هذه النصوص، وقالوا: إن للموت دواء وإنه بأيديهم.

ولا يعترض على ما قررنا هنا بأن المسيح عليه السلام أحيا الموتى فيجوز للأولياء أن يفعلوا ذلك توارثًا كما ذهب إليه الخواص حيث قال: «ما أحيا الموتى من أحياهم إلا بقدر ما ورثه من عيسى عليه السلام»[٣].

● وذلك لما يأتي:

١ ـ أن المسيح عليه السلام قال كما حكاه اللَّه تعالى: ﴿**وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ**

---

(١) البخاري: في الطب ـ باب الحبة السوداء (٤/ ٣٤ ح ٥٦٨٧، ٥٦٨٨)، ومسلم: في السلام ـ باب التداوي بالحبة السوداء (٤/ ١٧٣٥).

(٢) «المستدرك» (٤/ ٤٠١)، وفي إسناده شبيب بن شيبة، وهو صدوق يهم كما قال الحافظ في «التقريب» رقم (٢٧٤٠) غير أن الألباني حسنه بشواهده الكثيرة «غاية المرام» رقم (٢٩٢).

(٣) «الجواهر والدرر» ص(١٣٠ ـ ١٣١).

﴿وَالأبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩]. فلم يكن عليه السلام ليسند إلى نفسه إحياء الموتى إلا مقيدًا بالإذن من اللَّه؛ لأنه خارق عظيم يتوهم منه ألوهية فاعله لكونه ليس من جنس أفعال البشر.

قال الألوسي: «وكان إذا أحيا الميت يكلمه، ثم يموت سريعًا، أي على قدر ما تقوم به الحجة»[1].

فظهر بذلك القيد براءته عليه السلام من دعوى الاستقلال والقدرة الذاتية على التصرف في هذا الأمر الخطير، ولذا كان كثيرًا ما يبرأ إلى اللَّه من كل حول وقوة وقدرة على تلك الخوارق على وجه الاستقلال، فكان من دعائه عليه السلام: «**اللَّهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الأمر بيد غيري، وأصبحت مرتهنًا بعملي، فلا فقير أفقر مني، اللَّهم لا تشمت بي عدوي ولا تسؤ بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني، ولا تسلط علي من لا يرحمني**»[2].

والفرق واضح بين من هذا حاله وبين من يزعم أن له قدرة ثابتة وقوة لازمة على فعل كل ما يريد إلى حد القول بأن أحدهم كان يكشف رأسه دائمًا؛ لأنه إذا وضع قناعه متى قال للميت: قم فإنه يقوم في الحين، وبأن أحدهم أحيا ميتًا فعاش بعد ذلك عمرًا طويلاً وتزوج وولد له.

وقد رأيت أن العلماء ذكروا أن المسيح كان يحيي الميت ثم يموت سريعًا بعد إقامة الحجة.

٢ ـ أن معجزات الأنبياء ـ وكذلك كرامات الأولياء ـ إنما تكون لغرض

---

(١) «روح المعاني» (٣/ ١٦٩).

(٢) «قصص الأنبياء» لابن كثير ص(٤٢٤).

صحيح وهو إقامة الحجة عند وجود المقتضى، ولذلك يقول الحافظ ابن كثير: «بعث اللَّه كل نبي من الأنبياء بمعجزة تناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة فبعثه اللَّه بمعجزة بهرت الأبصار وحيرت كل سحار. وأما عيسى عليه السلام فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيدًا من الذي شرع الشريعة. فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد أو على مداواة الأكمه والأبرص وبعث من هو في قبره رهين؟. وكذلك محمد صلى اللَّه عليه وآله وسلم بعثه في زمن الفصحاء والبلغاء ونحارير الشعراء فأتاهم بكتاب اللَّه عز وجل، لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبدًا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، وما ذاك إلا لأن كلام الرب لا يشبه كلام الخلق أبدًا»[1] .

ومن هنا ذهب معظم المفسرين إلى أن المسيح عليه السلام فعل ذلك بطلب من بني إسرائيل على سبيل التعنت كعادتهم مع أنبيائهم[2] .

ومن تَأَمَّلَ كلام الصوفية في هذا الأمر علم أن قولهم يغاير هذا تمامًا، حيث إن حكاياتهم في إحياء الأولياء للموتى تصفهم بأنهم يفعلون ذلك لسبب ولغير سبب، وهذا يبطل قياسهم؛ لأن المسيح عليه السلام إنما كان يفعل ذلك عندما يطلبه قوم على سبيل التحدي، فينصره اللَّه نصرًا لدينه.

٣ ـ أن قياس الأولياء على المسيح في هذا الموضوع يخالف مذهبهم في المسيح نفسه، حيث رأوا أن طبيعته مخالفة لطبيعة البشر ولذلك كان قادرًا على إحياء الموتى.

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٣٦).

(٢) «روح المعاني» (٣/ ١٧٠).

يقول الشيخ رشيد رضا: «ومقتضى مذهب الصوفية أن روحانية عيسى كانت غالبة على جثمانيته أكثر من سائر الروحانيين؛ لأن أمه حملت به من الروح الذي تمثل لها بشرًا سويًا فكان تجرده من المادة الكثيفة للتصرف بسلطان الروح من قبيل الملكة الراسخة فيه وبذلك كان إذا نفخ من روحه في صورة رطبة من الطين تحلها الحياة حتى تهتز وتتحرك وإذا توجه بروحيته إلى روح فارقت جسدها أمكنه أن يستحضرها ويعيد اتصالها ببدنها زمنًا ما. ولكن روحانية البشر لا تصل إلى درجة إحياء من مات فصار رميمًا ويؤيد ذلك ما ينقله النصارى من إحياء المسيح للموتى فإنهم قالوا: إنه أحيا بنتًا قبل أن تدفن. ولم ينقل أنه أحيا ميتًا كان رميمًا»(١).

قلت: وهذا الذي ذكر الشيخ أنه مذهب الصوفية في المسيح عليه السلام يتفق مع كلام ابن عربي نفسه حيث قال: «ولما كان عيسى عليه السلام روحًا كما سماه اللَّه وكما أنشأه روحًا في صورة إنسان ثابتة، وأنشأ جبريل في صورة أعرابي غير ثابتة، فكان عيسى يحيي الموتى بمجرد النفخ ثم إنه أيده بروح القدس، فهو روح مؤيد بروح طاهرة من دنس الأكوان»(٢).

فمقتضى هذا الكلام أن إحياء الموتى - بإذن اللَّه - من خصوصيات المسيح، وليس لغيره من البشر لا من الأنبياء ولا من غيرهم، ومما يؤيد هذه الخصوصية دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿**رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ**﴾ [البقرة: ٢٦٠].

فإنه عليه السلام لو كان من شأنه إحياء الموتى لما دعا بمثل هذا الدعاء،

---

(١) «تفسير المنار» (٣/ ٣١٢).
(٢) «الفتوحات» (٣/ ٩٤).

وإذا انتفى كون إحياء الموتى من معجزات نبي آخر غير المسيح قوي انتفاؤه عمن دون الأنبياء من الأولياء الصالحين.

والعجيب أن الخواص صاحب هذا القياس أقر بأن إحياء الموتى من الأفعال الخاصة بالله تعالى[١] .

● يضاف إلى هذا قول الإمام الشاطبي: الكرامة التي يكرم بها أحد من هذه الأمة لا بد أن يكون لها أصل من معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم[٢] . ومعلوم أن نبينا عليه الصلاة والسلام لم ينقل عنه أنه أحيا ميتًا.

٤ ـ إننا نعلم يقينًا أن المسيح عليه الصلاة والسلام نبي مرسل معصوم من الشرك والنفاق والسحر والشعوذة، وأما من ليس بنبيٍّ ولم يرد نص شرعي على سلامته من ذلك فمهما كان ظاهر حاله على الصلاح والاستقامة فلا يستطيع أحد أن يجزم بكونه وليًّا من أولياء الله تعالى.

وعلى هذا فلا نتجاسر على إلحاق ما يظهر على يد من هذا حاله بالكرامات التي يكرم الله بها عباده الصالحين عند الحاجة؛ ذلك لأن باب الشعوذة والسحر باب واسع جدًّا يدخل فيه جميع أنواع الخوارق حتى إحياء الموتى تخييلاً. روى البخاري في «تاريخه» وغيره عن أبي عثمان النهدي[٣] قال: كان عند الوليد يعني ابن عقبة ـ رجل يلعب فذبح إنسانًا وأبان رأسه فعجبنا فأعاد رأسه. فجاء جندب ـ يعني: ابن كعب الأزدي ـ فقتله. وفي

(١) انظر: «الجواهر والدرر» ص(١٣٠ ـ ١٣١).

(٢) انظر: «الموافقات» (٢/ ٢٦٢).

(٣) أبو عثمان النهدي اسمه عبد الرحمن بن مل (بميم مثلثة ولام مثقلة) مشهور بكنيته تابعي من الأجلة، أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يلقه، توفي سنة (٩٥هـ) عن (١٣٠سنة) أو أكثر. انظر: «التقريب» رقم (٤٠١٧).

رواية مطولة: «فقال الناس: سبحان اللَّه يحيي الموتى؟ ورآه رجل صالح من المهاجرين فنظر إليه فلما كان من الغد اشتمل على سيفه فذهب يلعب لعبه ذلك، فسل الرجل سيفه فضرب عنقه، وقال: إن كان صادقًا فليحيي نفسه»[١].

ولا ريب أن اتخاذ الخوارق معيارًا لمعرفة أولياء اللَّه تعالى وعباده الصالحين منهج غير سليم. قال الشاطبي:

«ليس كل ما يظهر على يدي الإنسان من الخوارق بكرامة، بل منها ما يكون كذلك، ومنها ما لا يكون كذلك، وبيان ذلك أن أرباب التصريف بالهمم والتقربات بالصناعة الفلكية والأحكام النجومية قد تصدر عنهم أفاعيل خارقة، وهي كلها ظلمات بعضها فوق بعض ليس لها في الصحة مدخل ولا يوجد لها في كرامات النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم منبع»[٢].

ويقول شيخ الإسلام ـ ردًا على المبتدعة الذين جعلوا من الخوارق مقياسًا للولاية والصلاح ـ: «جوزوا الكرامات لكل من زعم الصلاح ولم يقيدوا الصلاح بالعلم الصحيح والإيمان الصادق والتقوى، بل جعلوا علامة الصلاح هذه الخوارق، وجوزوا الخوارق مطلقًا، وحكوا في ذلك مكاشفات وقالوا أقوالاً منكرة»[٣].

قلت: القصد في هذا أننا إذا رأينا من ظاهره الصلاح أحسنا به الظن

---

(١) «التاريخ الكبير» (٢/ ٢٢٢) ترجمة (٢٢٦٨)، وأخرجه الطبراني برقم (١٧٢٥)، والدارقطني في «السنن» (٣/ ١١٤) إلا أنه عزا القصة لجندب البجلي، وذكرها الذهبي في «سير النبلاء» (٣/ ١٧٥ ـ ١٧٦)، وفي «تاريخ الإسلام» (٣/ ٣)، وقال: صحيح الإسناد.

(٢) «الموافقات».

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٤/ ٣٦٤).

ولم نجزم بكون المعين وليًّا للَّه تعالى؛ لأن ذلك يعتمد على معرفة ما في القلوب والسرائر وهي من الخصائص الربانية.

وجملة القول: إن قياس الأولياء بالمسيح في هذا الباب قياس فاسد للفوارق التي ذكرناها، واللَّه الموفق»[1].

● وانظر العجب العجاب من قول المفترين:

يقول ـ ابن ضيف اللَّه ـ في «طبقاته»:

«مرضت فاطمة بنت عبيد مرضًا شديدًا أشرفت فيه على الموت فجاء أحد الفقهاء إلى الشيخ خوجلي فأعطاهم ماء لتشربه المريضة غير أنها مجّته لأنها كانت في سكرات الموت. ومن حينه دخل الشيخ خلوته، وفي آخر الليل تكلمت المرأة، وقالت: أنا طيبة، رأيت الشيخ خوجلي[2] واقفًا بجانب البيت فوكزني بعصاه، وقال لي: قومي. ومن وقته قام ذلك الفقيه إلى الشيخ فوجد ولده الذي قال له: إن الشيخ لا زال في خلوته إلى الآن. فقال الشيخ: لقد غلبت كنا أنا وملك الموت نتنازع في روح بنت عبيد فتركها لي»[3].

فهنا يتساءل الواقف على هذه القصة لماذا حضر ملك الموت إذا لم يكن أجل المرأة قد انقضى؟ وإذا كان أجلها قد انقضى فكيف تمكن هذا الرجل من صرف الملك والغلبة عليه؟ علمًا بأن الملك نفسه ليس له من الأمر شيء وأنه مرسل من عند ربه لقبض الأرواح، وبأن المولى عز وجل قال ـ وقوله الحق

(١) «تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي» (٢/ ١٥٠ ـ ١٥٩).

(٢) هو خوجلي بن عبد الرحمن بن إبراهيم صوفي سوداني كثير الخوارق كما يحكى المترجم مات سنة (١٠٢٠هـ).

(٣) «طبقات ابن ضيف اللَّه» ص(١٩٩).

وما عارضه الباطل ـ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، فلو كانت المسألة مسألة المغالبة والمصارعة وعرض العضلات أمام قابض الأرواح لكان للموت معنى آخر، ولكن هيهات ثم هيهات»[١].

* إدعاء محيي الدين بن عربي موت فرعون مؤمنًا:

● يحكم شيخ فلاسفة الصوفية الأكبر وكبريتهم الأحمر «ابن عربي بنجاة فرعون موسى، يقول معقبًا على قوله تعالى: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾: «فيه قرّت عينها بالكمال الذي حصل لها، وكان قرة عين لفرعون بالإيمان الذي أعطاه اللَّه عند الغرق، فقبضه طاهرًا مطهرًا، ليس فيه شيء من الخبث»[٢].

ويقول عن فرعون أيضًا: «فنجّاه اللَّه من عذاب الآخرة في نفسه، ونجّى بدنه فقد عمّته النجاة حسًّا ومعنى»[٣].

واقرأ بقيّة ما فتراه في «الفص الموسوي» من كتابه الفصوص، ففيه يُفضّل فرعون على موسى!»[٤].

● ولا نردّ عليه إلا بقول شيخ الصوفية أبي الفضل عبد اللَّه بن محمد ابن الصديق الغماري في كتابه «خواطر دينية» تحت عنوان (فرعون مات كافرًا): قال:

«نسب إلى الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي الحاتمي ﷺ القول بقبول إيمان فرعون، وافترق الناس بعده ثلاث فرق: فرقة أيدته، منهم الجلال

---

(١) «تقديس الأشخاص» (٢/ ١٤٧ ـ ١٤٨).

(٢) «فصوص الحكم» لابن عربي بتحقيق الدكتور عفيفي ص(٢٠١).

(٣) «فصوص الحكم» ص(٢١٢).

(٤) «هذه هي الصوفية» لعبد الرحمن الوكيل ص(٩٥) ـ دار الكتب العلمية.

الدواني الصديقي، وفرقة خطأته وتحاملت عليه منهم ملاّ علي القاري . وفرقة من الصوفية أوّلت كلامه بأنه لم يُرِد فرعون المعروف، وإنما أطلقه رمزًا على النفس في بعض أطوارها. لكن العارف الشعراني حقق في كتاب «اليواقيت والجواهر» نفي هذا القول عنه، ونقل نصوصًا من «الفتوحات المكية» فثبت كفر فرعون. وهذا هو اللائق بعلمه وذكائه، بل ولايته وما أُلهم من المعارف ـ ذلك أن كفر فرعون وعدم قبول إيمانه، ثابت بنص القرآن ثبوتًا قطعيًا ليس للاحتمال فيه مجال»[1] . ثم سرد الأدلة ومنها: ﴿ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ﴾ وأخبر اللَّه تعالى أن فرعون عدو له ولرسوله موسى، والخبر لا يدخله نسخ، فهذا قاطع في أن فرعون مات كافرًا عدوًا للَّه ورسوله.

● ومنها: قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ آمن فرعون عند المعاينة، وهو إيمان غير مقبول، لقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ .

● ومنها: قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ ﴾ .

ومنها قوله تعالى: ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴾ [هود: ٩٨ ـ ٩٩].

● ومنها: ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً ﴾ وهذا أيضًا

---

(١) «خواطر دينية» لعبد اللَّه بن محمد الغماري ص(٢٤ ـ ٢٧) ـ مكتبة القاهرة.

خبر صحيح قاطع.

● وقال تعالى: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ * فَحَشَرَ فَنَادَىٰ * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَىٰ﴾ [النازعات: ٢٠ ـ ٢٥].

* قول قديم لإقبال عن الموت وخلود النفس تركه في آخر حياته:

قال إقبال: «إن النهاية ـ أي انقضاء الأجل ليس بلاء ـ ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٢ ـ ٩٤]. وهذا أمر بالغ الأهمية ينبغي أن يفهم على وجهه الصحيح... فالإنسان... أو الذات المتناهية ـ بشخصيته المفردة التي لا يمكن أن يستعاض عنها بغيرها، سيقت بين يدي الذات غير المتناهية، ليرى عواقب ما أسلف من عمل وليحكم بنفسه على إمكانيات مصيره، ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣ ـ ١٤] ـ فأيًّا كان المصير النهائي للإنسان، فإنه لا يعني فقدان فرديته. والقرآن لا يعد التحرر التام من التناهي أعلى مراتب السعادة الإنسانية، بل جزاؤه الأوفى هو في تدرجه في السيطرة على نفسه، وفي تفرده وقوة نشاطه بوصفه روحًا، حتى أن منظر الفناء الكلي الذي يسبق يوم الحساب مباشرة لا يمكن أن يؤثر في كمال اطمئنان الروح التي اكتملت نموًا ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]. ومن يكون أولئك الذين ينطبق عليهم هذا الاستثناء، إلا الذين بلغت أرواحهم منتهى القوة. فالإنسان في نظر القرآن متاح له أن ينتسب إلى معنى الكون وأن يصير

خالدًا. . . إن كائنا اقتضى تطوره ملايين السنين ليس من المحتمل إطلاقًا أن يلقي به كما لو كان من سقط المتاع، وليس إلا من حيث هو نفس تتزكي باستمرار، إذ يمكن أن ينتسب إلى معنى الكون ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾ [الشمس: ٧ - ١٠]. وكيف تكون تزكية النفس وتخليصها من الفساد؟ إنما يكون ذلك بالعمل ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**﴾ [الملك: ١ - ٢] فالحياة تهيئ مجالاً لعمل النفس، والموت هو أول ابتلاء لنشاطها المركب، وليست هناك أعمال تورث اللذة، وأعمال تورث الألم، بل هناك أعمال تكتب للنفس البقاء أو تكتب لها الفناء. فالعمل هو الذي يعدّ النفس للفناء أو يُكيّفها لحياة مستقبلة. ومبدأ العمل الذي يكتب للنفس البقاء هو احترامي للنفس فيّ وفي غيري من الناس. فالخلود لا نناله بصفته حقًّا لنا، وإنما نبلغه بما نبذل من جهد شخصي والبعث إذن ليس حادثًا يأتينا من خارج، بل هو كمال لحركة الحياة في داخل النفس، وسواء أكان البعث للفرد أم للكون، فإنه لا يعدو أن يكون نوعًا من جود البضائع أو الإحصاء لما أسلفت النفس من عمل، وما بقيت أمامها من إمكانيات»[1] .

يقول الدكتور محمد البهي:

«يلاحظ على تفكير إقبال أنه في محاولته شرح استمرار العالم، أو شرح

---

(١) انظر: «تجديد الفكر الديني في الإسلام» ص(١٣٤ - ١٤١)، و«الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي» للدكتور محمد البهي - مكتبة وهبه ص(٣٩٨ - ٤٠٠) طبعة (١٩٧٥م).

خلوده وبقائه يرتفع في هذا الشرح عن المستوى الديني الذي يصوره الإسلام نفسه. وبذلك يبعد في تفسير النصوص التي استعان بها، عن مدلولاتها الطبيعية التي تلائم هذا المستوى... فإذا جعل البعث فترة «لجرد البضائع» وربط الدار الآخرة بالدار الدنيا في حياة الإنسان، فإنه يثير تساؤلاً عن «التكليف» من قبل الشرع ومدته، أهو في الدنيا والآخرة معا؟

فالإنسان في نظر إقبال مكلف في الدارين معا... ولكن الإسلام ينظر إلى الدنيا على أنها دار ابتلاء وامتحان، وينظر إلى الآخرة على أنها دار قرار وسكون، أي دار ينقطع فيها الامتحان والأختبار»[١] .

ويقول سيد قطب ـ رحمه اللَّه ـ: ... أراد إقبال أن ينفض عن الفكر الإسلامي وعن الحياة الإسلامية ذلك الضياع والفناء والسلبية، كما أراد أن يثبت للفكر الإسلامي واقعية «التجربة» التي يعتمد عليها المذهب التجريبي، ثم المذهب الوضعي!، ولكن النتيجة كانت جموحًا في إبراز الذاتية الإنسانية: اضطر معه إلى تأويل بعض النصوص القرآنية تأويلاً تأباه طبيعتها، كما تأباه طبيعة التصور الإسلامي. لاثبات أن الموت ليس نهاية للتجربة، ولا حتى القيامة فالتجربة والنمو في الذات الإنسانية مستمران أيضًا، عند إقبال ـ بعد الجنة والنار، مع أن التصور الإسلامي حاسم في أن الدنيا دار ابتلاء وعمل، وأن الآخرة دار حساب وجزاء. وليست هناك فرصة للنفس البشرية للعمل إلا في هذه الدار، كما أنه لا مجال لعمل جديد في الدار الآخرة بعد الحساب والجزاء»[٢] .

---

(١) «الفكر الإسلامي الحديث» للدكتور محمد البهي ص(٤٢٥).

(٢) «خصائص التصور الإسلامي ومقوماته» لسيد قطب ص(٢٣) ـ دار الشروق.

والحمد للَّه قد تراجع إقبال عن رأيه هـذا في آخر حياته على ما شهد به الأستاذ المودودي بأنه عاد صـحيح العقيدة في أيامه الأخيرة انـظر: «إقباليات للمودودي» ص(٣٣)»[١] ا.هـ.

* رجـاء جارودي ومـفهـومة لـلبـعث بـعد المـوت المخالـف للإسلام:

يقول رجاء جارودي: «إن الحساب الأخير ليـس حسابًا أخيرًا يعقب هذه الحيـاة، فاللَّه لـيس في الزمـان بما يتضـمنه الزمـان من تعاقـب بين القبـلي والبعدي، والاعتراف بالحـساب الأخير لا يعني إذن مقارنته بمحـكمة إنسانية، فالحساب الأخير، لـيس هو الأخير في الزمان... فحسـاب اللَّه هو الحساب الأخير في قيمته النهائية»[٢].

● مفهوم البعث عند جارودي:

يقول جارودي: «البعث ليس ظاهرة كيميائـية غريبة يُسوّى بموجبها لحمنا ودمنا وعظامنا من جديد.

إن الأمر يتعلق بمثل ضربه اللَّه لنا، وهو اللغة الوحيدة التي اعتمدها اللَّه المتعالي الذي ليس كمـثله شيء ليوحي إلينا بحقيقته الـتي لا تدركها حواسنا ولا فهمنا، فالبعث ممكن كل يوم؛ لأن قدرتنـا على تقويم ماضينا تمكننا رغم هفواتنا وذنوبنا من بعث إنسان جديد واع»[٣]، [٤].

---

(١) «محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية» لخليل الرحمن عبد الرحمن ص(١٩٤ ـ ١٩٩) ـ دار حراء.

(٢) «مقدمة بقلم جارودي لكتاب محسن الميلي «المشكلة الدينية» ص(٧).

(٣) مقدمة بقلم جارودي لكتاب محسن الميلي «المشكلة الدينية» ص(٨).

(٤) «فكر جارودي بين المادية والإسلام» لعادل التل ص(٤٩ ـ ٥٣) ـ دار البيئة.

* إنكار البرزخ مطلقًا كما يفتري «القرآنيون»:

في بنجاب بأواسط الهند سنة (١٩٠٢م) أظهر «غلام نبي»: المعروف بعبد اللَّه جكْرالَوي «مؤسس الحركة القرآنية» نشاطه الهدّام بإنكار السنة كلها وأسس جماعة «القرآنيين» أو «أهل الذكر والبلاغ»، ودعا هو - ومن كان على فريته إلى إنكار عالم البرزخ مطلقًا، ولا يشذ واحد من هذه الجماعة الضالة والفرقة المنحرفة عن إنكار عالم البرزخ، وأقوال كبار دعاتها تعلن ذلك جهارًا نهارًا: محب الحق عظيم أبادي، وأحمد الدين الأمْرَتْسرِّي والحافظ أسلم جراجبوري، وغلام أحمد برويز.

● يقول محب الحق عظيم أبادي: «اللَّهم امح وثنية البرزخ كما محيت الأصنام من جوف الكعبة»[1] .

● ويقول الحافظ أسلم جراجبوري على لسان أصحابه: «عالم البرزخ عالم موات، لا حياة فيه، ولا إدراك بأي شكل من أشكاله»[2] .

● ويقول غلام أحمد برويز: «القبر لا حقيقة له بروح القرآن الكريم؛ لأنه مدفن جسم ميت يقي الجو الخارجي من عفونته ما لو بقي ذلك الجسم على ظهر الأرض بارزًا، لا أنه موضع سؤال وعذاب؛ لأن الجسم المدفون في القبر لا حياة فيه ولا شعور»[3] .

---

(١) «محب الحق منهاج الحق» ص(٤٩) نقلاً عن «القرآنيون» لخادم حسين إلهي ص(٢٠ - ٢١) مكتبة الصديق.

(٢) «تعليمات قرآن» ص(١٩٠)، و«نكات قرآن» ص(١٥٧)، و«تاريخ نجد» ص(٦٥)، و«منهاج الحق» ص(٦٨)، و«ترجمة القرآن للجزء الثامن عشر» ص(٥١)، و«للجزء الرابع» ص(٥٤)، و«للجزء السابع» ص(٩٥)، و«مجلة إشاعة السنة» (١٩/ ٢١٠) عام (١٩٠٢م)، ومجلة «بلاغ القرآن» ص(٢٧، ٣٣) عدد يناير وفبراير ص(١٩٦٨م). هذه كتب القوم الداعية إلى ذلك.

(٣) «تبويب القرآن» (٣/ ١٣٠٤) لبرويز.

● ويقول محب الحق عظيم أبادي: «إن الموت اسم لانقطاع الروح عن الجسد، والجسم الذي فارقته الروح جماد لا حياة فيه ولا إدراك، فتعذيبه محال، ومَن شك في ذلك فليحفر قبرًا بعد دفن الميت فيه، فلن يرى إلا جسدًا عاريًا عن المثوبة والعقوبة»[1] .

● ويقول الحافظ أسلم: «الحياتان هما حياة الدنيا وحياة يوم القيامة، أما القبور فلا حياة فيها، والإماتتان هما إماتة طور النطفة، وخروج النفس الأخير في هذه الحياة المعاصرة، فظهر أن فترة البرزخ لا حياة فيها وفق نص القرآن»[2] هذا على زعم هذا الزنديق.

● بل ويقول عبد اللَّه الجكرالوي مؤسس هذه الفرقة المارقة عن الشهداء «ليس المراد من أنهم أحياء الآن، بل باعتبار ما سيكونون عليه يوم القيامة»[3] كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا.

* إنكار عذاب القبر:

● قال أبو الحسن الأشعري في «مقالات الإسلاميين»:

«واختلفوا في عذاب القبر:

- فمنهم من نفاه، وهم المعتزلة والخوارج.

- ومنهم من أثبته، وهم أكثر أهل الإسلام.

- ومنهم من زعم أن اللَّه ينعّم الأرواح ويؤلمها، فأما الأجساد التي في قبورهم فلا يصل ذلك إليها وهي في القبور»[4] .

---

(١) «منهاج الحق» ص(٦٨) لمحب الحق.

(٢) «تعليمات قرآن» ص(١٩٠).

(٣) «ترجمة القرآن» (٤/ ٥١).

(٤) «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» لأبي الحسن الأشعري تحقيق محمد محيي الدين (٢/ ١١٦) طبعة خاصة.

● وقال ابن حزم:

«ذهب ضرار بن عمرو الغطفاني أحد شيوخ المعتزلة إلى إنكار عذاب القبر. وهو قول من لقينا من الخوارج.

وذهب أهل السنة وبشر بن المعتمر والجبائي وسائر المعتزلة إلى القول به.

وبه نقول لصحة الآثار عن رسول اللَّه ﷺ»[١].

● «وأنكرت الملاحدة ومَن تمذهب بمذهب الفلاسفة من الإسلاميين عذاب القبر، وقالوا: ليس له حقيقة، واحتجوا لذلك بأنهم يفتحون القبور فلا يرون شيئًا مما أخبرت به النصوص»[٢].

● نقل الشيخ عمر سليمان الأشقر في مبحث «هل العذاب في البرزخ على الروح أم على البدن أم على كليهما» قول الفرق المائلة عن مذهب أهل السنة والجماعة فقال بعد أن نقل في القول الأول مذهب أهل السنة والجماعة:

«**الثاني**: قول كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم الذين ينكرون النعيم والعذاب في البرزخ مطلقًا، والسر في ذلك أنهم ينكرون وجود روح مستقلة عن الجسد، فالروح عندهم هي الحياة، ولا تبقى الروح في نظرهم بعد الموت[٣]، فلا نعيم ولا عذاب حتى يبعث اللَّه العباد، قال بذلك بعض المعتزلة والأشاعرة كالقاضي أبي بكر، وهذا قول باطل لا شك في بطلانه خالفه أبو المعالي الجويني، وقد نقل غير واحد من أهل السنة الإجماع على أن الروح تبقى بعد فراق البدن وأنها منعمة أو معذبة.

---

(١) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٤/ ١١٧) لابن حزم ـ نشر مكتبة عكاظ.

(٢) «التذكرة» للقرطبي ص(١٢٥)، و«القيامة الصغرى» لعمر سليمان الأشقر ص(٤٩).

(٣) «هؤلاء وإن أنكروا عذاب القبر إلا أنهم يثبتون معاد الأبدان».

الثالث: قول الفلاسفة الذين يرون أن النعيم والعذاب على الروح وحدها، وأن البدن لا يُنعم ولا يعذب[١] ، وقد قال بهذا القول من أهل السنة ابن ميسرة وابن حزم»[٢] .

يقول ابن حزم: «إن فتنة القبر وعذابه والمساءلة إنما هي للروح فقط بعد فراقه للجسد إثر ذلك، قُبر أو لم يُقبر»[٣] .

قال الشيخ الأشقر:

«**الرابع**: قول من قال من علماء الكلام إن الذي يُنَعم ويعذب في القبر البدن وحده، وقال بذلك طائفة من أهل الحديث منهم ابن الزاغوني»[٤] .

* * *

(١) هؤلاء وإن أثبتوا عذابًا ونعيمًا للروح بعد فراقها للبدان إلا أنهم ينكرون المعاد.

(٢) «القيامه الصغرى» للدكتور عمر سليمان الأشقر ص(١٠٧ ـ ١٠٨) دار النفائس.

(٣) «الفصل في الملل والنحل» (٤/ ١١٧).

(٤) «القيامة الصغرى» ص(١٠٨)، وراجع في هذه المسألة «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٤/ ٢٦٢، ٢٨٢).





عَسْكَرُ الموتى ينتظرونك



مواعظ الحسن البصري في الموت

الحسن البصري شيخ البكائين الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء يستمطر الدمع بكلامه، أو كما قال عنه يونس بن عبيد: «إن الحسن كان إذا تكلم يدمي القلوب ووعظ غيره لا يُبكي العيون».

● كان يقول: حقيق على من عرف أن الموت مورده، والقيامة موعده والوقوف بين يدي الجبار مشهده أن تطول في الدنيا حسرته، وفي العمل الصالح رغبته».

● وكان يقول: لولا ثلاثة ما طأطأ ابن آدم رأسه الموت والمرض والفقر وإنه بعد ذلك لوثاب.

● وقال: المسلم لا يأكل في كل بطنه، ولا تزال وصيته تحت جنبه[1].

● عن صالح بن رستم قال: سمعت الحسن يقول: رحم اللَّه رجلاً لم يغره كثرة ما يرى من كثرة الناس: ابن آدم إنك تموت وحدك وتدخل القبر وحدك وتبعث وحدك وتحاسب وحدك ابن آدم وأنت المعني وإياك يُراد[2].

● قال الحسن: فضح الموت الدنيا فلم يترك فيها لذي لبٍّ فرحًا[3].

● وعن هاشم عن الحسن قال: ما أكثر عبد ذكر الموت إلا رأى ذلك في عمله ولا طال أمل عبد قط إلا أساء العمل[4].

---

(١) «الزهد» لابن المبارك ص(٩١).

(٢) «حلية الأولياء» (٢/ ١٥٤ ـ ١٥٥).

(٣) «حلية الأولياء» (٢/ ٢٤٩).

(٤) «الزهد» لأحمد ص(٢٣٦).

● وعن الحسن قال: كـان رجل من المسلمين يبلغـه موت أخ من إخوانه فيقول: ـ إنا للَّه وإنا إليه راجعون ـ كدت واللَّه أن أكون أنا السواد المختطف، فيزيده الـلَّه بذلك جـدًّا واجتهادًا، فيلبث بذلك مـا شاء اللَّه، ثم يبلغه موت الأخ من إخوانه فـيقول: ـ إنا للَّه وإنـا إليه راجعون كدت والـلَّه أن أكون أنا السواد المختطف، فيزيده اللَّه بذلك جدًّا واجتهادًا.

قال: فردد الحسـن هذا الكلام غير مـرة فواللَّه ما زال كذلـك حتى مات موتًا كيسًا[1] .

● وعن هشام قال: سمعت الحسن قـال: عاد رجل أخًا له فوافقه الموت فرأى مـن مرأى عكـر الموت وكرب المـوت، قال: فرجـع إلى أهلـه وجاءوا بغدائه، فقال: يا أهلاه عليكم بغدائكم قالوا: يا فلان الضيعة، قال: يا أهلاه عليكم ضيعتكم فواللَّه لقد رأيت مصرعًا لا أزال أعمل له حتى أقدم عليه[2].

● وكان الحسن يـقول في آخر دعائه: الـلَّهم اجعل لنـا في الموت راحة وروحًا ومعافاة[3] .

● ورأى الحسن شيخًا في جنازة فلمـا فرغ من الدفن، قال له الحسن: يا شيخ أسألك بربك أتظن أن هذا الميت يود أن يـرد إلى الدنيا فيتزيد من عمله الصالـح ويستغفر الـلَّه من ذنوبه السـالفة؟ فقال الشـيخ: اللَّهم نعـم، فقال الحسن: فما بالنا لا نكون كهذا الميت، ثم انصرف وهو يقول:

أي موعظة؟ وما أنفعها لو كان بالقلوب حياة، ولكن لا حياة لمن تنادي.

---

(١) «الزهد» لأحمد ص(٢٣٦)، و«الزهد» للحسن البصري ص(٢١).

(٢) «الزهد» لأحمد ص(٢٥٠).

(٣) «الزهد» لأحمد ص(٢٥٠).

● قال صالح المري: دخلت على الحسن يومًا فوجدته ينشد:

ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء

إنما الميّت من تراه كئيبًا ... كاسفًا باله قليل الرجاء

وكان إذا أصبح وفرغ من تسبيحه أنشد:

وما الدنيا بباقية لحي ... ولا حي على الدنيا بباقي

وإذا أمسى بكى وتمثل وقال:

يسر الفتى ما كان قدم من تقى ... إذا عرف الداء الذي هو قاتله

● وكان يقول: ما رأيت يقينًا لا شك فيه أصبح شكًّا لا يقين فيه من يقيننا بالموت وعملنا لغيره.

● عاد الحسن عليلاً فوافقه وهو في الموت، ورأى تقلبه وشدة ما نزل به فلما رجع إلى داره قدموا له طعامًا فقال: عليكم بطعامكم وشرابكم فإني رأيت مصرعًا لا بد لي منه ولا أزال أعمل حتى ألقاه وتأخر عن الطعام أيامًا حتى لطف به فأكل[١] .

● وكان يقول: عباد اللَّه إن اللَّه سبحانه لم يجعل لأعمالكم أجلاً دون الموت فعليكم بالمداومة فإنه جل ثناؤه يقول: ﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾ [الحجر: ٩٩].

وقال: أيها الناس أصبحتم واللَّه في أجل منقوص وعمل محصي محروس والموت فوق رؤوسكم والنار بين أيديكم[٢] .

● وحضر الحسن جنازة، ثم قال: أيها الناس اعملوا لمثل هذا اليوم

(١) «الحسن البصري» ص(٩٠).

(٢) «الحسن البصري» ص(٩٢).

فسيرى اللَّه عملكم ورسوله، ثم تردون إلى عـالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون[١] .

رُوي أن الحسن ﷺ اتصل به أن مكحولاً توفي فحزن عليه وترحم له، ثم اتصل به بطلان ذلك فكتب إليه: أما بـعد، أبا عبد اللَّه كان اللَّه لنا ولك في المحيـا والممات وقضى لنـا ولك بخير في الـدنيا والآخرة ويسّر لـنا ولك حسن المآل والمنقلـب، فإنه أتانا عنك ما راعنا، ثم أتى بعده مـا أكذبه فلعمر اللَّه لقد سررنا، وإن كان السرور به وشيك الانقطاع ذاهبًا عما قليل إلى الخبر الأول فهل أنت ـ عافاك اللَّه ووفقنا، وإياك لصالح العمل ـ كرجل ذاق الموت وعاين ما بعـده وسأله الرجعة فأجيـب إليها وأعطي ما سأل بـعد أن عاين ما فاته فتـأهب في فعل جهـازه إلى دار قراره لا يرى أن له من مـاله إلا ما قدم أمامه، ومن عمله إلا ما كتب له ثوابه والسلام[٢] .

● وكان الحسن يقول: من لم يمت فجأة مرض فجأة فاتقوا اللَّه واحذروا مفاجأة ربكم.

وكان الحسن يـقول: أيها الناس إنا والـلَّه ما خلقنـا للفناء ولكن خـلقنا للبقاء وإنما ننتقل من دارٍ إلى دار.

نظم ذلك أبو العلاء المعري فقال:

خُلق النـاس للبقـاء فضلـت ... أمـة يحسبونهـم للنفـاد
إنمـا ينـقلـون مـن دار ... أعمـال إلى دار شقـوة أو رشـاد[٣]

---

(١) «الحسن البصري» ص(١٠٠) وراجع الآية [التوبة: ٩٤].
(٢) «الحسن البصري» ص(١٠٢).
(٣) «الحسن البصري» ص(٤١).

● وكان يقول: ابن آدم بين ثلاثة أشياء: بلية نازلة ونعمة زائلة ومنية قاتلة[١].

● وقال ابن آدم عرض لثلاثة أسهم: بلية أو رزية أو منية.

● وكان يقول: ابن آدم عرض للبلايا والرزايا والمنايا، ثم ينتحب ويبكي ويقول: ﴿**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [البقرة: ٢٠١][٢].

● وعنه قال: أدركت أقوامًا كانت الدنيا تعرض لأحدهم حلالاً فيدعها فيقول: واللَّه ما أدري على ما أنا من هذه إذا صارت في يدي[٣].

● عن الحسن قال: واللَّه ما تعاظم في أنفسهم ما طلبوا به الجنة أبكاهم الخوف من النار[٤].

● عن الحسن قال: المؤمن من يعلم أن ما قال اللَّه عز وجل كما قال، والمؤمن أحسن الناس عملاً وأشد الناس خوفًا، لو أنفق جبلاً من مال ما أمن دون أن يعاين لا يزداد صلاحًا وبرًّا وعبادة إلا ازداد فرقًا، يقول: لا أنجو لا أنجو، والمنافق يقول: سواد الناس كثير وسيغفر لي، ولا بأس عليّ يسيء العمل ويتمنى على اللَّه تعالى[٥].

● عن الحسن أنه كان إذا تلا هذه الآية: ﴿**فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ**﴾ [لقمان: ٣٣]، قال: من قال ذا؟ قال: من خلقها وهو

---

(١) «الحسن البصري» ص(٤٤).

(٢) «الحسن البصري» ص(٤٤).

(٣) «الزهد» لابن المبارك ص(١٧٨).

(٤) «الزهد» لابن المبارك ص(١٨٧).

(٥) «الزهد» لابن المبارك ص(١٨٧ ـ ١٨٨).

أعلم بها[١] .

● قال الحسن: إياكم وما شغل من الدنيا، فإن الدنيا كثيرة الاشتغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل، إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب[٢] .

● قال: خباث، كل عيدانك مضغنا فوجدنا عاقبته مرًّا [٣] .

من كلام ابن الجوزي سيد الوعاظ

● ليس مثل وعظ ابن الجوزي وعظ، وليست النائحة الثكلى كالمستعارة.

وقد جمعنا متفرق كلامه في «التبصرة» و«المدهش»، و«بستان الواعظين»، و«مقامات ابن الجوزي»:

● كتب ـ رحمه اللَّه ـ:

اصبر لمر حوادث الدهر ... فلتحمدنّ مغبة الصبرِ

واجهد لنفسك قبل ميتتها ... واذخر ليوم تفاضل الذخر

فكأن أهلك قد دعوك فلم ... تسمع وأنت محشرج الصدر

وكأنهم قد قلبوك على ظهر ... السرير وأنت لا تدري

وكأنهم قد زودوك بما ... يتزود الهلكى من العطر

يا ليت شعري كيف أنت إذا ... غسلت بالكافور والسدر

يا ليت شعري كيف أنت على ... بنش الضريح وظلمة القبر

يا ليت شعري ما أقول إذا ... وضع الكتاب صبيحة الحشر

ما حجتي فيما أتيت على ... علم ومعرفة وما عذري

---

(١) «الزهد» لابن المبارك ص(١٨٩).

(٢) «الزهد» لابن المبارك ص(١٩٨ ـ ١٩٠).

(٣) «الزهد» لابن المبارك ص(١٩١).

يا سوأتا مما اكتسبت ويا أسفي على ما فات من عمري
ألا أكون عقلت شأني فاستقبلت ما استدبرت من أمري

● إلامَ ترفضُ قول الناصح وقد أتاك بأمرٍ واضحْ؟ أترضى بالشَّيْنْ والقبائحْ؟ كأني بك قد نُقلت إلى بطون الصفائحْ، وبقيت محبوسًا إلى الحشر تحت تلك الضرائح، وخُتم الكتابُ على آفاتٍ وقبائحْ.

إنا على قلعة من هذه الدار نُساق عنها بإمساء وإبكار
نبكي ونندب آثار الذين مضوا وسوف تلحق آثار بآثارِ
طالت عمارتنا الدنيا على غررٍ ونحن نعلم أنَّا غير عُمّار
يا من يُحَثُّ بترحال على عجلٍ ليس المحلّة غير الفوز من نار
فاترك مفاخرة الدنيا وزينتها يوم القيامة يوم الفخر والعار

لقد أبانت الدنيا للنواظر عيوبها، وكشفت للبصائر غيوبها، وعددت على المسامع ذنوبها وما مرت حتى أمرت مشروبها، فلذتها مثل لمعان برق ومصيبتها واسعة الخلق سوت عواقبها بين سلطان الغرب والشرق، وبين عبد قن وحقير ولا فرق، فما نجا منها ذو عدد ولا سلم فيها صاحب عدد، مزقت واللَّه الكل بكف البدد، ثم ولته وما ألوت على أحد.

إلام تُغر بالأمل الطويلِ وليس إلى الإقامة من سبيلِ
فدع عنك التعلل بالأماني فما بعد المشيب سوى الرحيلِ
أتأمن أن تدوم على الليالي وكم أفنيْنَ قبلك من خليلِ
وما زالت بنات الدهر تُفني بني الأيام جيلاً بعد جيلِ

* * *

سبيلُك في الدنيا سبيل مسافرِ ولا بد من زاد لكل مسافرِ
ولا بد للإنسان من حَمْلِ عِدّةٍ ولا سيما إن خاف سطوة قاهر
وطُرقك طرق ليس تسلك دائمًا وفيها عقاب بعد صعب القناطر

قد مضى في اللهو عمري | وتناهى فيه أمري
شَمَّر الأكياسُ وأنا | واقفٌ قد شِيب أمري
بانَ رِبْحُ الناسِ دوني | ولحيني بان خسري
ليتني أقبلُ وعظي | ليتني أسمع زجري
كل يوم أَنَا رهْنٌ | بين آثامي ووزري
ليت شعري هل أرى لي | همة في فَكِّ أسري
أو أُرى في ثوب صدق | قبل أن أنزل قبري
ويح قلبي من تناسيه | مقامي يوم حشري
واشتغالي عن خطايا | أثقلت واللَّه ظهري

سجع على قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾:

كأنك بالعمر قد انقرض، وهَجم عليك المرض، وفات كلُّ مراد وغرض، وإذا بالتلف قد عَرض أخَّاذا: ﴿**لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا**﴾.

شخَص البصرُ وسكن الصَّوْت، ولم يمكن التداركُ للفَوْت، ونزل بك ملَك الموت فسامَت الروحَ وحاذى: ﴿**لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا**﴾.

عالجت أشدَّ الشدائد، فيا عجبًا مما تُكابد، كأنك قد سُقيت سُمَّ الأساود فقطَّع أفْلاذا ﴿**لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا**﴾.

بلغت الروحُ إلى التراقي، ولم تعرف الراقي من الساقي، ولم تدر عند الرحيل ما تلاقي، عِيَاذا باللَّه عياذا ﴿**لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا**﴾.

ثم درجوك في الكفن وحملوك إلى بيت العفَن، على العيب القبيح والأفَن، وإذا الحبيب من التراب قد حَفَن، وصرت في القبر جُذَاذا ﴿**لَقَدْ**

كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾.

وتسربَّت عنك الأقارب تسري، تقدُّ في مالك وتَقْرِي، وغايةُ أمرهم أن تجري دموعهم رذَاذا ﴿**لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا**﴾.

قفلوا الأقفال وبضَّعوا البضاعة، ونسَوا ذِكْرك يا حبيبهم بعد ساعة وبقيت هناك إلى أن تقوم الساعة، لا تجد وَزَرًا ولا معاذا ﴿**لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا**﴾.

ثم قمت من قبرك فقيرًا، لا تملك من المال نَقِيرًا، أصبحت بالذنوب عَقِيرًا، فلو قدَّمت من الخير حقيرًا صار ملجأً وملاذا، ﴿**لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا**﴾.

كم يومٍ غابت شمسه وقلبك غائبْ، وكم ظلام أُسبل سِتْرَه وأنت في عجائبْ، وكم أُسبغت عليك نعمه وأنت للمعاصي تُواثِبْ، وكم صحيفة قد ملأها بالذنوب الكاتبْ، وكم يُنذرك سَلبُ رفيقك وأنت لاعبْ، يا من يأمن الإقامةَ قد زُمَّت الركائبْ، أفِقْ من سكْرتك قبل حسرتك على المعايب، وتذكَّر نزولَ حُفْرتك وهجران الأقارب، وانهض عن بساط الرقاد وقل: أنا تائب، وبادر تحصيل الفضائل قبل فوت المطالب، فالسائق حثيث والحادي مُجِدٌّ والموت طالب.

أَبصرتُه مُلْقىً يجودُ بنفسه ... قد كَلَّل الرشْحُ الغَزِير جبينَهُ

لا يستطيع إجابتي مِن ضَعْفه ... طوراً يكفُّ شمالَه ويمينَهُ

وطبيبهُ قد حار فيه وقد رأى ... أنفاسَه تعلو معًا وأنينَه

قد عافَ مشروباتِه وطعامَه ... وقَلَى لذاك صديقَه وخَدينَه

● إخواني: سَلُوا القبور عن سُكَّانها، واستخبروا اللحودَ عن قُطَّانها،

تخبركم بخشونة المضاجع، وتُعلمكم أن الحسرة قد ملأت المواضع، فإن المسافر يودّ لو أنه راجع، فليتعظِ الغافل وليراجع.

● كان محمد بن السماك يقول:

يا بن آدم أنت في حبس منذ كنت، أنت محبوس في الصلب ثم في البطن، ثم في القماط، ثم في المكتب، ثم تصير محبوسًا في الكد على العيال، فاطلب لنفسك الراحة بعد الموت لا تكون في حبس أيضًا.

● قال أبو حازم:

انظر كل عمل كرهت الموت لأجله فاتركه ولا يضرك متى مت.

أخي إنما الدنيا محلة نغصة ... ودار غرور آذنت بفراقِ

تزود أخي من قبل أن تسكن الثرى ... وتلتف ساق للممات بساقِ

* * *

يا ليت شعري ما ادخرت ... ليوم بؤسك وافتقاركْ

فلتنزلن بمنزل ... تحتاج فيه إلى ادخاركْ

أفنيت عمرك باغترارك ... ومناك فيه بانتظاركْ

ونسيت ما لا بد منـ ... ـه وكان أولى بادكاركْ

ولو اعتبرت بمن مضى ... لكفاك علمًا باعتباركْ

لك ساعة تأتيك من ... ساعات ليلك أو نهاركْ

فتصير محتضرًا بها ... فتهمي من قبل احتقاركْ

من قبل أن تقلى وتقـ ... ـصى ثم تخرج من دياركْ

من قبل أن تتشاغل الزو ... ار عنك وعن مزاركْ

فهل ينتظر أهل غضاضة الشباب إلا الهرم؟ وأهل بضاعة الصحة إلا

السقم؟ وأهل طول البكاء إلا مفاجأة الفناء، واقتراب الفوت، ونزول الموت، وأزف الانتقال، واشفاء الزوال، وحفز الأنين، وعرق الجبين، وامتداد العرنين، وعظم القلق، وقبض الرمق.

جعلنا اللَّه وإياكم ممن أفاق لنفسه، وفاق بالتحفظ أبناء جنسه، وأعد عدة تصلح لرمسه، واستدرك في يومه ما مضى من أمسه قبل ظهور العجائب ومشيب الذوائب وقدوم الغائب وذم الراقب. إنه سميع الدعاء.

● **أخي:**

حقيق بالتواضع من يموت ... وحسب المرء مِنْ دنياه قوت

فما للمرء يصبح ذا اهتمام ... وحزن لا تقوم به النعوت

فيا هذا سترحل عن قريب ... إِلى قوم كلامهم السكوت

* * *

قل للمُفَرّط يستعد ... ما من ورود الموت بُدُّ

قد أَهْلَكَ الدهرُ الشبا ... بَ وما مضى لا يُسْتَرَدُّ

أو ما يخاف أخو المعاصي ... من له البطش الأشد

يومًا يعاين موقفًا ... فيه خطوب لا تُحد

فإلى ما يشتغل الفتى ... في لهوه والأمر جد

أبداً مواعيد الزما ... ن لأهله تعب وكد

يا من يؤمِّل أن يقيـ ... ـم به وحادي الموت يحدو

وتروح داعيةُ المنُو ... نِ على مؤملها وتغدو

يختال في ثوب النَّعيـ ... ـم ودونَه قبرٌ ولحد

والعمر يقصر كلَّ يو ... م ثم في الآمال مد

عجبًا لعيني كيف يطرقها الكرى ولحيلتي وقد انجلى عنّي المرا
ألهو وأعلم أنه قد فُوِّقَتْ نحوي سهام الحتف أم حيني كرى
وإذا هممت بتوبة وإنابة عرضت لي الدنيا فعدت القهقرى
كم قد سمعت وقد رأيت مواعظًا لو كنت أعقل حين أسمع أو أرى
أين الذين طغوا وجاروا واعتدوا وعتوا وطالوا واستخفوا بالورى
أو ليس أعطتهم مقاليدُ العُلا حتى لقد خضعت لهم أُسد الشَّرى
وتمسكوا بحبالها لكنّها فَصمتْ لهم منها وَثيقات العُرى
ما أخلدتهم بعد سالف رفعة بل أنزلتهم من شماريخ الذُّرى
وإلى البلى قد نقلوا وتشوهت تلك المحاسن تحت أطباق الثرى
لو أخبروك بحالهم ومآلهم أبكاك دَهرك ما عليهم قد جرى
أفناهم من ليس يفنى مُلكه ذو البطشة الكبرى إذا أخذ القرى
فاصرف عن الدنيا طماعك إنما ميعادها أبدًا حديث يفترى
وصِل السُّرَى عنها فما ينجيك مِن آفاتها إلا مُواصلةُ السُّرَى

• قال الشاعرُ:

إنّ السعيد لَمُدرك دركًا وأخو الشقاوة فهو في الدَّرَكِ
وإلى الخمول مآل ذي لَعبٍ وإلى السُّكونِ مصير ذي حَركِ
طار الحِمَامُ وغاص مُقتدرًا فأمات حتى الطير والسمك
إن الزمان إذا غدا وعَدا قَتل الملوكَ بكلِّ مُعتركِ
والعين تُبصر أين حَبَّتُها لكنها تَعمى عن الشَّركِ
أنكرتُ هذا الموتَ فارتبكت نفسي هناكَ أشدَّ مُرتَبكِ
ما ضرَّ ذاكَره وناظِره أن لاينام على سِوى الحسَكِ

تيَّقظ فإنكَ في غفلةٍ ... يميدُ بك السُّكْرُ فيمن يميدْ
وأيّ منيع يَفُوت البلَى ... إذا كان يَبْلَى الصَّفَا والحديدْ
إذا الموتُ دَبَّت له حِيلةُ ... فتلك التي كنتَ منها تَحِيدْ
أراك تُؤمِّل والشيبُ قد ... أتاك بِنعيك منه بَريدْ
وتنقص في كل تنفيسة ... وعندك أنك فيها تزيدْ

أما تعلم أن الموت يسعى في تبديد شَملك؟ أما تخاف أن تُؤْخذ على قبيح فعلك؟ وا عجبًا لك من راحلٍ تركت الزاد في غير رَحلك!.

يا واقفًا تسأل القبورَ أفِقْ ... فأهلها اليومَ عنك قد شُغِلوا
قد هالَهم مُنْكَرٌ وصاحِبه ... وخَوفُ ما قدَّموا وما عَمِلوا
رَهائنُ للثَّرَى على مَدَرٍ ... يُسمع للدود بينهم زَجَلُ
سَرى البِلَى في جسومهم فَجرت ... دمًا وقيحًا وسالت المُقَلُ
سَكرى ولم يشربوا الفِقَار ومن ... كئوس المنون ما نَهِلُوا

● أين من لَعِب ولها؟ أين منْ غفل وسَها؟ دهَاه أفظع ما دَهَى، وحُطَّ رُكْنه فوَهَى، ذهبت لذةُ ذنوبه وحُبس بها، نظر في عاجله ونسِي المنتهى.

نادِ القُصورَ التي أقَوتْ مَعالِمهُا ... أين الجسُوم التي طابَتْ مَطَاعِمُها
زين الملوكُ وأبناء الملوك ومَن ... ألهاه ناضِرُ دنياه وناعِمُها
أين الأسودُ التي كانت تحاذرها ... أُسْد العرينِ ومن خوفٍ تُسالمِها
أين الجيوشُ التي كانت لو اعترضت ... لها العُقَاب لخانَتها قوادِمُهَا
أين الحِجَاب ومن كان الحجاب له ... وأين رُتْبته الكبَرى وخادِمُها
أين الذين لَهوْا عمًّا له خُلِقوا ... كما لَهتْ في مراعيها سوائِمُها
أين البيوتُ التي من عَسْجدٍ نُسجَتْ ... هل الدنانير أغنَتْ أم دراهمها

أين الأسِرَّة تعلوها ضَراغِمها ... هل الأسِرَّة أغنَتْ أم ضراغِمها
هذي المعَاقِلُ كانت قبلُ عاصمةً ... ولا يرى عِصَم المغرور عاصمُها
أين العيونُ التي نامتْ فما انتبهت ... واهًا لها نومةً ما هَبَّ نائِمُها

* * *

أيها السكرانُ بالآ ... مال قد حان الرحيلُ
ومَشِيب الرأسِ والفَوْ ... دَيْن للموتِ دليلُ
فانتبه من رقدة الغفـ ... ـلةِ فالعمر قليلُ
واطَّرحْ سوف وحتى ... فهما داءٌ دَخيلُ

* * *

اغتنمْ في الفراغِ فَضْلَ ركوعٍ ... فعسَى أن يكون موتُك بَغْتة
كم صحيحٍ رأيتَ من غير سُقمٍ ... ذهبَتْ نفسُه السليمةُ فَلْتة

كتب زِرُّ بن حُبَيش إلى عبد الملك بن مَرْوان: لا يُطْمعنك في طول الحياة ما ترى من صحة بَدنك واذكر قول الأول:

إذا الرجالُ ولدَتْ أولادُها ... وبَلِيت من كِبَر أجسادُها
وجَعلتْ أسقامُها تَعْتادها ... تلك زُروعٌ قد دنا حَصادُها

فلما قرأ الكتابَ بكى حتى بُلَّ طرف ثوبه.

● **أخي:**

أللعُمْر في الدنيا تجدّ وتعْمُر ... وأنت غداً فيها تموتُ وتُقْبَرُ
تلقح آمالاً وترجو نِتَاجها ... وعمْرك مما قد ترجِّيه أقصرُ
وهذا صباحُ اليوم ينعاك ضوؤه ... وليلته تنعاك إن كنت تشعُرُ
تَحُوم على إدراك ما قد كُفيتَه ... وتُقْبل بالآمالِ فيه وتُدْبرُ

ورزقُك لا يَعْدوك إمّا مُعجَّلٌ على حالِه يومًا وإما مُؤَخَّرُ
فلا تأمن الدنيا إذا هي أقبلتْ عليك فما زالت تَخُون وتَغْدرُ
فما تمَّ فيها الصفوُ يومًا لأهلِه ولا الرفق إلا ريثما يتغيَّرُ
تذكَّر وفكِّر في الذي أنت صائرٌ إليه غداً إن كنت ممن يفكّرُ
فلا بد يومًا أن تصير لحفرةٍ بأَثْنائها تُطْوَى إلى يوم تُحْشَر

* * *

● وقال الشاعر:

أتُنكر أمر الموتِ أم أنتَ عارفٌ بمنزلةٍ تفنى وفيها المتَالِفُ
كأنك قد غُيِّبت في اللحد والثَّرَى كما لَقِيَ الموتَ القرونُ السوالفُ
أرى الموتَ قد أفنى القرونَ التي مضتْ فلم يبقَ مألوفٌ ولم يبق آلِفُ
كأنّ الفَتى لم يَصْحب الناسَ ليلةً إذا عُصِبت يومًا عليه اللفائفُ
وقامت عليه عُصْبةٌ يَدْفنونه فمستذْكِرٌ يبكي حزينًا وهاتفُ
وغيِّب في لحدٍ كريهٍ فِناؤه ونُضّدَ من لَبْن عليه السَّقائفُ

* * *

● قال ميمون بن مهران:

خرجتُ مع عمر بن عبد العزيز ﷺ إلى المقبرة، فلما نظر إلى القبور بكى، ثم أقبل عليّ فقال: يا أبا أيوب: هذه قبور آبائي كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذتهم وعيشهم، أما تراهم صَرْعَى قد حلَّت بهم المُثُلاَت واستحكم فيهم البلاء، وأصاب الهوامُّ في أبدانهم مَقِيلاً! ثم بكى حتى غشي عليه، ثم أفاق فقال: انطلقْ بنا فواللَّه ما أعلم أحدًا أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد أَمِن من عذاب اللَّه عز وجل.

صُورٌ طواها الموتُ طَيًّا ... كانت محبَّبةً إلَيَّا
تَبْلى ويأكلها الترا ... بُ وذِكْرها غَضٌّ إليَّا
صرعَى بأنواع الحتو ... فِ كأنهم شَرِبوا الحُمَيَّا
لَهْفِي على تلك الوجو ... هِ وهلْ يردُّ اللَّهْفُ شَيًّا
أبكي عليهم ثم أرْ ... جع بعدَهم أبكي عَلَيًّا
أنا ميِّتٌ بعدَ الحيا ... ةِ وميِّت للحُزْن حَيًّا
بَيْتي الثرَى ولو أنني ... نِلْت السماءَ أو الثُّريَّا
ولو اعتبرت لعاد لي ... غَيْلان وهو يذمّ مَيًّا
مَنْ للسماءِ بأن تدو ... مَ وأنها تُدْعى سُمَيًّا
هيهات لا ترجو البقا ... ءَ وابكِ نفسَك يا أُخَيًّا

● كان الحسن يقول: الثَّواءُ ها هنا قليل، وأنتم آخر أمتكم، وأمتكم آخر الأمم، وقد أُسرع بخياركم، فماذا تنظرون إلا المعايَنة، فكأنها واللَّه قد كانت، ما بعدَ نبيكم نبيّ ولا بعد كتابكم كتاب، ولا بعد أمتكم أمّة، تسوقون الناسَ والساعة تَسُوقكم، وما ينتظر أوَّلكم إلا أن يلحق آخرُكم، فيا لها موعظة لو وافقت من القلوب حياة.

رضِيَ الفتى بَعنائه وشقائه ... لو أن ظلَّ بقائه ممدودُ
ويحٌ له ما إن يعدّ لنفسه ... ويُبيده نَفسٌ له معدودُ
يُغْذَى بأسقيةٍ له وألِذَّة ... لو كان ينفع في الحياة لدودُ
ملِكٌ يشيِّد ما بنَى ويَشيد أرْ ... كان البِناء وركنُه مهدودُ
ويرى طريقَ الحق كلُّ أخي حجًا ... وكأنه عن فعله مَصْدودُ
جَسدٌ يكِدُّ لأن يفوز بقُوتِه ... فإن استراح فقلبُه المكدودُ

• كان خُلَيْد البصـري يقول: كلنا قد أيقن بالموت وما نـرى له مستعدًا، وكلنا قد أيـقن بالجنة وما نرى لها عامـلاً، وكلنا قد أيقن بالنـار وما نرى لها خائفا، فعلام تَعرِّجون وماذا عسيتم تنتظرون؟ فهذا الموت أول واردٍ عليكم من اللَّه بخير أو بشر. فيا إخوتاه سيروا إلى ربكم سيرًا جميلاً.

سيكفي بَعْضُ ما فاتك ... فلا تأسَ لما فاتَكْ
ولا تَركَن إلى الدنيا ... أمَا تَذْكُر أمواتَكْ

• أيها الناس تقوَّوْا بـهذه النعم التي أصبحتم فيها عـلى الهرب من النار الموقَدة التي تَطَّلع على الأفئِدة، فإنكم فـي دار الثَّواءُ فيها قليل، وأنـتم فيها مؤجـلَّون وخلائف مـن بعد الـقرون، الذين اسـتقبـلوا من الـدنيا زخرفـها وزهرتها، فهم كـانوا أطول منكم أعمارًا وأمدَّ أجسامًـا وأعظم آثارًا، فَجدّدوا الجبال وجـابُوا الصخور، ونـقَّبوا في البـلاد مؤيَّدين بـبطش شديـد وأجسام كالعِمَاد، فما لبثت الأيام والليالي أن طوت مُدَّتهم، وعفَّت آثارهم، وأَخْوت منازلهـم، وأَنْست ذِكْرهم، فما تُحسُّ منهم من أحد ولا تسمـع لهم رِكْزًا. كانوا بلهو الأمل آمـنين كبيَات قومٍ غافلين، أو كصباح قـومٍ نادمين، ثم إنكم قد علمتم الذي قد نزل بساحتهم بَياتًا فأصبح كثير منهم في ديارهم جاثمين، وأصبح الباقـون ينظرون في آثار نقمـة وزوال نعمة ومساكن خاويـة، فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم.

• **أخي:**

مَنْ لَكَ إذا ألمّ الألم، وسكت الصوت وتمكن الندم، ووقع بك الفوت، وأقبل لأخذ الروح مَلك الموت، وجاءت جنوده وقيل من راق. ونزلتَ منزلاً ليس بمسكون، وتعوّضْتَ بعدَ الحركات الـسكون، فيا أسفًا لك كيف تكون، وأهوال القـبر لا تطاق، وفُرّق مالـك وسُكنت الدار، ودار البـلاء فما دار إذ

دار، وشغلك الوزر عمن هجر وزار، ولم ينفعك ندم الرفاق.

● وكان بِشْر الحافي إذا ذُكر عنده الموت يقول: ينبغي لمن يعلم أنه يموت أن يكون بمنزلة من جَمع زاده فوضعه على رحله لم يدع شيئًا مما يحتاج إليه إلا وضعه عليه.

● **أخي:**

حياة وموت وانتظار قيامةٍ ... ثلاث أفادتنا ألوفَ مَعانِي
فلا تَمْهرُ الدنيا الدنيّة إنها ... تفارق أهليها فراق لِعَانِ
ولا تطلبوها من سنانٍ وصارم ... بيوم ضراب أو بيوم طعانِ
فإن شئتما أنَ تخلُصَا من أذاتها ... فحُطَّا بها الأثقالَ واتَّبعانِي
عجِبتُ من الصبح المنير وضدِّه ... على أهل هذا الضد يطَّلعان
وقد أخرجاني بالكراهة منهما ... كأنهما للضيف ما وَسعاني
دَعانِي إلى هذا التفرّد إنني ... خبيرٌ فجِدًّا في السُّرَى ودعانِي

● **ولله درّ القائل:**

أتَغُرُّني آمالَيه ... بعدَ القرونِ الخالِيَهْ
أهلُ المراتب والمنَاصـ ... ـبِ والقصورِ العالَيهْ
عادت لهم دنياهُم ... بعدَ المودة قالِيَهْ
نادت منازلهم قِفُوا ... وتأمَّلوا أطلالِيَهْ
فغُموض باطنِ حالهم ... يُبْديه ظاهرُ حالِيَهْ
كانوا عقوداً عُطِّلتْ ... منها النُّحور الحالِيَهْ
إنّي لأذكر مَعْشَراً ... ما النفسُ عنهم سالِيَهْ
فأقول والَهْفِي على ... تلك الوجوه البالِيَهْ

• أيها اللاهي في سكرته:

أنسِيتَ يا مغرورُ أنك ميتُ ... أَيْقِنْ بأنّك في المقابر نازلُ

تَفْنَى وتَبْلى والخلائقُ لِلْبَلى ... أَبِمِثْل هذا العيشِ يَفْرح عاقلُ

* * *

إِني سألت التراب ما فعلتْ ... بعدُ وجوهٌ فيك منعفره

فأجابني صيَّرتُ ريحهمُ ... يؤذيك بعدَ روائِح عَطِره

وأكلت أجساداً منعَّمةً ... كان النعيم يهزها نَضِره

لم يَبْقَ غيرُ جماجِمٍ عَرِيت ... بِيضٍ تَلُوح وأعظمٍ نَخِره

* * *

حُمل كل منهم في كَفن، إلى بيت البِلَى والعفَن، وما صحبهم غيره من الوطن، من كل ما كانوا يجمعون ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾. ضمهم واللّه التراب، وَسُدَّ عليهم في ثَراهم الباب، وتقطعت بهم الأسباب، والأحبابُ يرجعون ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾.

• ولله درّ من قال:

خُلقْنا لأحداث الليالي فرائسًا ... تزفّ إلى الأجداث منا عرائسًا

تجهِّز منا للقبور عساكراً ... وتُرْدِف أعوادَ المنايا فوارسًا

إذا أمَلٌ أرخَى لنا من عَنانه ... غدا أجَلٌ عما نحاوِل حابسًا

أرى الغُصْن لما اجتُثّ وهو بمائه ... رَطيبًا وما أصبح الغُصن يابسًا

نَشيدُ قصوراً للخلود سفاهةً ... ونصبر ما شئنا فتوراً دَوَارسًا

وقد نَعت الدنيا إلينا نفوسنا ... بمن مات منا لو أصابت أكايسًا

لقد ضَربتْ كسرى والملوك وتُبَّعا ... وقيصر أمثالاً فلم نر قائسًا

نرى ما نرى منها جِهَاراً وقد غدا ... هواها على نور البصيرة طامِسًا
وقد فضح الدنيا لنا المـوتُ واعظًا ... وهيهات ما نزداد إلا تَقاعُسًا

• ورحم اللَّه القائل:

أبدًا تفهِّمنا الخطوب كرورها ... وتعودُ في عَمَهٍ كمن لا يفهمُ
تَلْقَى مَسامعنَا العِظاتُ كأنما ... في الظل يَرْقُم وعظَه من يرقمُ
وصحائف الأيام نحن سُطورها ... يقرا الأخير ويَدْرِج المتقدِّمُ
لَحْد على لحدٍ يُهَالُ ضريحه ... وبأعظم رِمَمٌ عليها أَعْظُمُ
من ذا توقَّاه المنون وقَبْلنا ... عادٌ أطاحهم الحِمَامُ وجُرْهمُ
والتُّبَّعان تَلاحقَا ومُحَرِّق ... والمنذران ومالك ومتمِّمُ

• يا ابن الأموات ويا خليفة الأموات:

ضيَّعت وقتك فانقضى في غفلةٍ ... وطويتَ في طَلَب الخوادع أَدْهُرَا
أفهمت عن هذا الزمان جوابَه ... فلقد أبانَ لك العِظاتِ وكرَّرَا
عاينتَ ما ملأ الصدور مخافةً ... وكفاك ما عاينته من أخْبَرِا

• يا عجبًا كيف أنِس بالدنيا مفارقها، وأمِن النارَ واردُها، كيف يغفل من لا يُغفل عنه، كيف يفرح بالدنيا من يومُه يهدم شهرَه، وشهره يهدم سَنَته وسَنَته تَهدْم عُمره، كيف يلهو من يقوده عمُره إلى أجله وحياته إلى موته؟!.

• سكان القبور غداً:

إنكم تغدون وتروحون في آجال قد غُيِّبت عنكم وإنّ أجل المرء ليس بيده.

• ويحك أنت في القبر محصور إلى أن ينفخ في الصُّور، ثم راكب أو مجرور، حزين أو مسرور، مُطْلَق أو مأسور، فما هذا اللهو والغرور. الحازم من تزود لما به قبل أن يصير لمآبه.

• إخواني إنكم تَغْدون وترُوحون في آجال قد غيِّبت عنكم، فانظروا لخلاصكم قبل انقضاء أعماركم، الوحَا الوحَا، فالطالب حثيث، تذكروا تلك الصَّرْعة بين الأهل وهم لا يقدرون على ضرّ ولا نَفْع، واللَّه ما بات عاقلٌ قط إلا على فراش حَذر، إنما هو دَبيب من سُقْم ثم تؤخذون بالكظم، فإن زلَّت القدم لم ينفع ندم، لا توبة تُنال ولا عثرة تُقَال ولا فداء بمال.

أأَغْفَلُ والدهر لا يَغْفل ... وأنسَى الذي شأنُه أَعْضَلُ
ويُطْمعني أنني سالمٌ ... وداءُ السلامة لي أَقْتَلُ
ويمضي نهاري وليلي معًا ... بما غيره الأحْسَن الأَجْمَلُ
وآمل أني أفوت الحمام ... أمانٍ لعَمرك لي ضُلَّلُ
وكيف يرى آخِرُ أنَّه ... سَيْبقى وقد هلَك الأولُ
فحتى متى أنا لا أَرْعَوي ... وكم ذا أقول ولا أفعل
أيا ذاهِلاً ونداءُ الحتوفِ ... في الناس توقظ من يَذْهل
ألا أين أهلُ النعيم العزيز ... وأين الأجَالدُ والبُزَّلُ
تناولهم من قِلاَل القُصور ... فأهلكهم مُزْعِجٌ مُعْجِلُ

• أخي: يا من يَشْقى ولا يُحمد:

ألا يا لقومي لحيٍّ رَدِي ... وللمرء يَجْهل ما في غدِ
وللميت جمَّع أمواله ... لآخر في الحيِّ لم يَجْهَدِ
سُيلْقيك أهلك والحاملون ... وأعضاء جسمك لم تبردِ
ويصبح مالك للوارثين ... وأنت شَقِيت ولم تُحْمدِ

***

• ولله در من يستمطر الدمع حين يقولُ:

ونـادَتـنـا الـرسـوم وهُـنَّ صُـمٌّ ... ومَنْطِقها المعاجِم والسِّطَارُ

وكان اليأسُ أجمـلَ فانصرفنا ... ودمـعُ العين مَجْراه انحدارُ

• زار عمر بن عبد العزيز قبور آبائه، ثم رجع وهو يبكي، فقال لأصحابه: ناداني التراب: ألا تسألُني عمّا صنعتُ بأحبابك؟ فقلت: ما فعلتَ؟ قال: فصلت الكفَّين من الساعدين والقدمين من الساقين، وفعلتُ وفعلت. فلما ولَّيت ناداني: ألا أدلك على كفن لا يبلى؟ قلت: بلى. قال: التقوى.

• إخواني: سَلُوا المقابر بألسنة الفِكَر تجبكم بكلام العِبَر:

عُوجوا فحيُّوا لنُعْم دِمْنة الدار ... ماذا تُحَيُّون من نُؤْيٍ وأحجار

أقوى وأقفر من نُعْم وغيرَّها ... هُوجُ الرياح بهاري التُّرْبِ مَوَّارِ

وقفتُ فيها سَراة اليوم أسألها ... عن آل نُعْم أمُونًا عُبْر أسفارِ

فاستعجمتْ دارُ نُعْمَى ما تُكلِّمنا ... والدارُ لو كلَّمتنا ذاتُ أخبارِ

فما وجدتُ بها شيئًا أعِيج به ... إلا الثُّمامَ وإلا مَوْقدُ النار

• كان حبيب العجمي إذا أصبح بكى، وإذا أمسى بكى فَسُئِلت زوجته عن بكائه، فقالت: يخاف والله إذا أمسى أن لا يصبح وإذا أصبح أن لا يمسي.

يقول لي: إن مِتُّ فافعلي كذا واصنعي كذا.

• وكان شُمَيْط بن عَجْلان يقول: أيها المغترّ بصحته أما رأيت ميتًا من غير سقم؟ أيها المغتر بطول المهلة أما رأيت مأخوذًا من غير عِلّة؟!

• كان شيخ متعبد في تَيْم اللَّه يجتمع إليه فتيان الحي فيعظهم، فإذا أرادوا أن يتفرقوا قال: يا إخوتاه قوموا قيامَ قومٍ قد يئسوا من المعاودة لمجلسهم

خوفًا من ورطات الذنوب وخوفًا من خطفات الموكَّل بالنفوس فَيْبكي. ويبكِّي.

● وكان يزيد الرَّقَاشِيُّ يقول: إلى متى تقول غدًا أفعل كذا وبعد غدٍ أفعل كذا؟ أغفَلت سَفرك البعيد ونسيت الموتَ، أمَا علمت أن دون غدٍ ليلةً تُخْترم فيها أَنْفُس، أما رأيت صريعًا بين أحبابه لا يقدر على ردّ جوابهم؟!

● **أيها الغافلُ:**

يا مشغولاً بما لديه عما بين يديه، يا غافلاً عن الموت وقد دنا إليه، يا ساعيًا إلى ما يضره بقدميه، يا مختار المؤذي له من حالتيه، يأمن الدهر وقد رأى صَرْفَيْه، كم عايَن ميّتًا لو اعتبر بعينيه، إنما أغار على شبابه هاجمٌ على فَوْديه، أينفعه يوم الرحيل دمع يملأ خديه؟ يا من يصير عن قليل إلى حُفْرة، تنبّه لنفسك من هذه السَّكْرة، لو أنك تذكَّرت لحدك.

● **أخي:**

كيف تَبيت وحدك، ويباشر الترابُ خدَّك وتتقسَّم الديدان جلدك، ويضحك المحب بَعْدك ناسيًا عنه بُعْدك، والأهلُ قد وجدوا المالَ وما وجدوا فَقْدك، إلى متى وحتى متى تترك رُشْدك، أما تُحْسِن أن تُحْسِنِ قَصْدك، الأمر مُجِدّ جدًّا فالزم جِدَّك.

ذهب الأحبة بعد طول تَودُّد ... ونأى المزارُ فأسلموك وأَقشعُوا
خَذلوك أفْقَر ما تكون لغُرْبة ... لم يؤنسوك وكُرْبةً لم يَدْفعوا
قُضِي القضاءُ وصرت صاحب حُفْرة ... عنك الأحبةُ أعرضوا وتصدَّعوا

● **أخي:**

يَجدُّ بنا صَرْفُ الزمانِ ونَهْزلُ ... ونُوقَظ بالأحداث فيه ونَغْفلُ
وما الناس إلا ظاعِنٌ أو مودِّع ... ومُسْتَلبٌ مستعجَل أو مُؤجَّلُ

وما هذه الأيام إلا مَنازلُ إذا ما قَطعْنا منزلاً بان مَنْزلُ
فَناءٌ مُلحٌّ ما يُغب جميعَنا إذا عاش منا آخِر مات أوَّلُ
وكم صاحبٍ لي كنت أكره فقده تسلَّمه منِّي الفَناء المعجَّلُ

اسمعوا عظة الزمان إن كنتم تسمعون وتأملوا تقلّبَ الأحوال إن كنتم تبصرون.

● قال يحيى بن معاذ: لو سمع الخلائقُ صوتَ النياحة على الدنيا من ألسنة الفناء لتساقطت القلوب منهم حُزْنًا، ولو رأت العقول بعين الإيمان نزهة الجنة لذابت النفوسُ شَوْقًا، ولو أدركت القلوب كُنْه المحبة لخالِقها لتخلَّعت مَفَاصلها ولَهًا. فسبحان من أغفل الخليقةَ عن كُنْه عين هذه الأشياء، وألهاهم بالوصف عن حقائق هذه الأنباء:

من نال من جوهر الأشياء بُغْيتَه يَأْسى وَيحْقر قومًا حظُّهم عرَضُ
إني لأعجب من قوم يَشفُّهمُ حبُّ الزخارف لا يَدْرون ما الغرضُ
ألا عقولٌ ألا أحلام تَزْجرهم بلى عقول وأحلام بها مرضُ

● أخي:

تزوَّد من الدنيا فإنك هالك وتترك للأعداء ما أنت مالكُ
ووسِّع طريقًا أنت سالكه غداً فلا بد من يوم تَضيق المَسالكُ

● أخي:

كأنك بالمضيِّ إلى سبيلك وقد جَدَّ المجهّز في رحيلكْ
وجيء بغاسلٍ فاستعجَلُوه بقولهم له افرغْ من غسيلكْ
ولم تَحْمل سِوى خِرق وقُطْن إليهم من كثيرك أو قليلكْ
وقد مَدَّ الرجالُ إليك نعْشًا فأنت عليه مُمْتَدًّا بطولكْ

وصلَّوا ثم إنهمُ تداعَوْا ... بحَمْلك في بُكُورك أو أصيلكْ
فلما أَسْلكوك نزلتَ قبرًا ... ومن لك بالسلامة في نُزولكْ
أعانك يومَ تدخله رحيمٌ ... رءوفٌ بالعِبَاد عل دخولكْ
فسوف تجاور الموتى طويلاً ... فَدعْني من قصيرك أو طويلكْ
أخي إنّي نصحتك فاستمعْ لي ... وباللّه استعنتُ على قَبُولكْ
ألست ترى المنايا كلَّ يوم ... تُصيبك في أخيك وفي خليلكْ

• أخي! لا ترقدن لعينك السهرُ:

لا تَرْقُدنَّ لعينك السَّهَرُ ... وانظر إلى ما تصنْعُ الغِيَرُ
انظر إلى عِبَر مصرَّفة ... ما دام يمكن طَرْفَك النظرُ
ما زِلْت تسمعُ أو ترى عِبَرًا ... إن لَم يخُنك السمعُ والبصَرُ
فإذا جَهِلْت ولم تجد أحدًا ... فسل الزمان فعنده الخَبرُ
وإذا نظرت تريد مُعْتَبرًا ... فانظر إليك ففيك مُعْتَبرُ
أنت الذي تُمسي وتصبح في الـ ... دنيا وكلُّ أمورهِ غَرَرُ
أنت المُصرَّف كان في صِغَرٍ ... ثم استقلَّ بشخصه الكِبَرُ
أنت الذي تَنعاه خِلْقتُه ... يَنْعاه منه الشَّعْر والبشَرُ
أنت الذي تُعْطَى وتُسْلَب لا ... يُنْجيه من أن يُسْلَب الحذَرُ
أنت لا شيءَ منبه له ... وأحقُّ منك بما لكَ القدَرُ
والحادثاتُ صُروفها عَجبٌ ... والعيش فيه الصَّفْو والكَدرُ
يَبْغِي بنو الدنيا عِمَارتها ... ولَيَخْرَبنَّ جميعُ ما عَمَروا
عجبًا من الدنيا ومن عبر الد ... نيا وكيف تُصرَّف الغيَرُ
ما زِلْت مُذ صُوِّرْتَ في سَفَر ... وستنقضِي وسينقضي السَّفَرُ

يـا مـن يـؤمِّـل أنـت مـنـتـظـر — أمـلاً يـطـول ولـسـت تـنـتـظـرُ
مـاذا تـقـول وأنـت فـي غُـصَـص — مـاذا تـقـول وأنـت مُـحْـتَـضَـرُ
مـاذا تـقـول وقـد وضِـعْـت عـلـى — ظَـهْـر الـسـريـر وأنـت تُـبْـتَـدرُ
مـاذا تـقـول وأنـت فـي جَـدَثٍ — مـاذا تـقـول وفـوقـك المـدَرُ
مـاذا تـقـول وقـد لحـقـت بمـا — يـجـري عـلـيـه الـرِّيـحُ والمـطـرُ
نَـبْـغـي الـبـقـاءَ ولا بـقـاء لـنـا — تَـتَـعـاور الـرَّوحـاتُ والـبـكَـرُ
كـم قـد عـفَـتْ عـينٌ لـهـا أثَـرٌ — درَسـتْ ويَـدْرُس بـعـدهـا الأثَـرُ

• يا ساكن اللحد غداً:

أين الـوالدون وما ولـدوا، أين الجبـارون وأين مـا قصدوا، أيـن أرباب المعاصي على ماذا وردوا، أما جَنوا ثمراتِ ما جنوا وحصَدوا، أما قدموا على أعمـالهم فـي مآلهـم ووَفَدُوا، أما خَـلَوا فـي ظلمـات القبـور؟ بكوا والـلَّه وانفـردوا، أما ذلوا وقَـلُّوا بعـد أن عَتوا ومَردُوا، أمَـا طلبـوا زاداً يكفـي في طريقهـم ففقدوا، أما حلَّ المـوتُ فَحلَّ عَقْد ما عـقَدوا، عاينوا واللَّـه كلَّ ما قَدَّموا ووجدوا، فمنهم أقوامٌ شَقُوا وأقوامُ سَعِدوا:

لا والـــدٌ خـــالـــدٌ ولا ولَـــدُ — كـلُّ جـلـيـد يَـخُـونـه الجَـلَـدُ
كأن أهـلَ الـقـبـور لـم يـسـكـنـوا الـدُّ — ورَ ولـم يَـحْـيَ مـنـهـمُ أحـدُ
ولـم يـكـونـوا إلا كـهـيـئـتـهـم — لـم يـولَـدوا قَـبْـلـهـا ولـم يَـلِـدوا
يـا من نَـعَى من مضـى كـذاك غـداً — تُـنْـعـى، فـبـادرْ فـقـد أتـاك غَـدُ
يـا نـاسـي المـوت وهـو يـذكـره — مـا لـك بـالمـوت إذا أتـاك يَـدُ
دارُك دارٌ يمـوت سـاكـنُـهـا — دارك يُـبْـلـي جـديـدَهـا الأبَـدُ
تـبـكـي على من مضى وأنت غداً — يـوردك المـوتُ فـي الـذي وردُوا
لـو كـنـت تـدري مـاذا يـريـد بـك الـ — مَـوْت لأبـكـى جـفـونَـك الـسُّـهْـدُ

● **أخي**: قل لي بربك أي شيءٍ زاد الميت؟

فـمـا تـزوَّد ممـا كـان يَـجْـمـعـه ... إلا حَـنُـوطًا غـداةَ الـبَـيْـن فـي خِـرَقِ
وغـيـر نـفـخـة أعـواد يُـشَـبُّ لـه ... وقَـلَّ ذلـك مـن زادٍ لِمُـنـطـلـقِ

● وعظ أعرابي ابنه فقال: أي بني إنه من خاف الموتَ بادر الفَوْت، ومن لم يكبح نفسه عن الشهوات أسرعت به التَّبِعات، والجنة والنار أمامك.

أضْـحَـك سِـنَّـك بُـعْـدُ الأمـل ... ولـم يُـبْـك عـيـنـك قُـرْبُ الأجَـلْ
كـأنـك لـم تـرَ حـيًّـا يُـسـاق ... ولـم تـرَ مَـيْـتًـا عـلـى مُـغْـتَـسـلْ

● **يا أنا:**

كم أسمعك الموت وعيدك، فلم تنتبه حتى قطع وريدك، ونقض منزلك وهدم مَشِيدك، ومزَّق مالك وفرق عبيدك، وأخلى دارك وملأ بِيدَك، أما رأيت قَرينك؟ أما أبصرت فقيدك؟.

● **حتام يا ذا النُّهى لا ترعَوِي:**

نَـبْـنـي ونجـمـع والآثـار تَـنْـدرسُ ... ونـأمـل الـلُّـبْـث والأرواح تُـخـتـلـسُ
ذا اللبّ فكِّر فما في الخلْد من طَمع ... لا بُـدَّ مـا يـنـتـهـي أمرٌ ويـنـعـكـسُ
أيـن المـلـوك وأبـنـاء المـلـوك ومـن ... كانوا إذا الناسُ قاموا هَيْبةً جلسُوا
ومـن سـيـوفـهـم فـي كـل مـعـركـة ... تُـخْـشَـى ودونـهـم الحـجَّاب والحـرسُ
أضْحَوا بَمهْلكة في وسْط معركة ... صَرْعى وماشي الورَى ومن فوقهم يَطِسُ
وعـمَّـهـم حَـدث وضـمَّـهـم حَـدثٌ ... باتوا وهم جُثَث في الرَّمْس قد حُبِسُوا
كـأنـهـم قَـطّ مـا كـانـوا ومـا خُـلـقـوا ... ومـات ذِكْـرهـم بـين الـورَى ونُـسُـوا
واللّه لو أبصرتْ عيناك ما صنعتْ ... يـدُ الـبِـلَـى بـهـمُ والـدودُ يَـفْـتـرسُ
لعايَنتْ منظراً تَشْجَى النفوسُ به ... وأبـصـرت نُـكُـرًا مـن دونـه الـنـكـسُ

مـن أوجـهٍ نـاظـرات حـار نـاظـرهـا ... في رونـق الحسْن كيـف تنطـمسُ
وأعـظُـم بـالـيـاتٍ مـا بـهـا رَمـقٌ ... وليـس تبـقى وهـذا وهي تُـنْـتَـهسُ
وألـسـنٌ نـاطـقـاتٌ زانـهـا أدب ... مـا شـأنُـهـا شـأنَـهـا بـالآفـة الخـرَسُ
نـكَّسَـهـم ألـسنٌ للـدهـر فـاغـرةٌ ... فـاهًا فـآهًا لـهـم إذ بالـردَى وكُسِـوا
عَـروا عن الـوشْي لمـا أُلْـبسـوا حُلَـلاً ... مـن الرَّغَام على أجسـادهـم وكُسُوا
وصار لُبْس الصَّفَايا من خَلائلهم ... جُون الثـيـابِ وقِـدْمًا زانَـه الـوَرْسُ
حَـتَّام يـا ذا النُّهـى لا تَرْعوي سَفَهًا ... ودمعُ عينيك لا تـهْمِـي وَيـنْبَجِـسُ

* * *

ذهـب الأحـبـةُ بـعـد طُـول تـودّد ... ونـأى المـزارُ فـأسْـلمـوك وأقْـشَـعُـوا
خَـذلـوك أفـقـر مـا تـكـون لـغُـربـة ... لـم يـؤنـسـوك وكُـرْبـةً لـم يَـدْفـعُـوا
قُضِـي القضاء وصرتَ صاحبَ حُفْرة ... عـنـك الأحـبـة أعْـرَضـوا وتـصـدَّعـوا

● **أخي:**

أين الـراحلون؟ كانـوا بالأمس. صحـت حجة الموت. فـبطلت حـجة النفس. واعتقـلهم حاكم البلى. على دين الرمـس. وكف أكف الحس. بعد تصرف آلة الخـمس. واستوعر عليهـم الحصر. واستطال الحبـس. وأصبحت منازلـهم ﴿**كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ**﴾ يا قليل اللبـث. خل العبث. كم حدث جدث في حدث؟ يا موقنًا بالرحيل وما اكترث.

اقبل نصحي. ورم الشعث[1].

نـخـطـو ومـا خـطـونـا إلا إلـى الأجـل ... ونـنـقـضـي وكـأن الـعـمـر لـم يـطـل
والـعـيـش يـؤذنـنـا بـالمـوت أولـه ... ونـحـن نـرغـب فـي الأيـام والـدول

---

(١) «المدهش» لابن الجوزي ص(١٤٦).

يأتي الحمام فينسي المرء منيته ... وأعضل الداء ما يلهي عن الأمل
ترخي النوائب عن أعمارنا طرفًا ... ونستقر وقد أمسكن بالطول
لا تحسب العيش ذا طول فتتبعه ... يا قرب ما بين عنق المرء والكفل
سلّى عن العيش أنا لا ندوم له ... وهون الموت ما نلقى من العلل
لنا بما ينقضي من عمرنا شغل ... وكلنا علق الأحشاء بالغزل
ونستلذ الأماني وهي مردية ... كشارب السم ممزوجًا مع العسل[1]

● ألا يعتبر المغرور؟ بمن قد دفنه. كم رأى جبارًا فارق مسكنه؟ ثم سكن مسكن مسكنة. المذلة يا راحلين بالإقامة. يا هالكين بالسلامة. أين من أخذ صفو ما أنتم في كدره؟ أما وعظكم في سيره بسيره؟ بلى. قد حمل بريد الإنذار أخبارهم. وأراكم تصفح الآثار آثارهم.

وحدثتك الليالي أن شيمتها ... تفريق ما جمعته فاسمع الخبرا
وكن على حذر منها فقد نصحت ... وانظر إليها تر الأيات والعبرا
فهل رأيت جديداً لم يعد خلقًا ... وهل سمعت بصفو لم يعد كدرا[2]

● **أخي:**

تفوز بنا المنون وتستبد ... ويأخذنا الزمان ولا يُرَدُّ
وانظر ماضيًا في إثر ماض ... لقد أيقنت أن الأمر جَدٌّ
رويداً بالفرار من المنايا ... فليس يفوتها الساري المُجِدُّ
فأين ملوكنا الماضون قدمًا ... أعدوا للنوائب واستعدّوا

(١) «المدهش» ص(١٥٠).
(٢) «المدهش» ص(١١٥).

أعـارهـم الـزمـان نـعـيـم عـيـش فـيـا سـرعـان مـا اسـتـلـبـوا وردوا
هـم فـرط لـنـا فـي كـل يـوم نمدهـم وإن لـم يـسـتـمـدوا[1]

● حالت غمايم الهوى بينكم وبين شمس الهدى. وغدا ما في يومكم يُنسيكم غدًا. حتى كأن الرحيل حديث خرافة. أو كأن الزاد يفضل عن المسافة. أيها الشيوخ، آن الحصاد. أيها الكهول، قرب الجداد. أيها الشباب كم جرد الزرع جراد؟.

يـا بـن آدم لا تـغـررك عـافـيـة عليك شاملة فالعمر معدود
ما أنت إلا كزرع عند خضرته بكل شيء من الآفات مقصود
فإن سلمت من الآفات أجمعها فأنت عند كمال الأمر محصود[2]

● عجبًا لذاكر الموت كيف يلهو؟. ولخائف الفوت وهو يسهو. ولمتيقن حلول البلى ثم يزهو. وإذا ذكرت له الآخر مر يلغو.

إني أرقت وذكر الموت أرقني فقلت للدمع أسعدني فأسعدني
إن لم أبك لنفسي مشعرًا حزنًا قبل الممات ولم آسف لها فمن
يا من يموت ولم تحزنه موتته ومن يموت فما أولاه بالحزن
لمن أثمر أموالي وأجمعها لمن أروح لمن أغدو لمن لمن
لمن سيرفع بي نعشي ويتركني في حفرتي ترب الخدين والذقن

● يا غافلاً عن الموت، وقد لدغه. أخذ قرينه، فقتله ودمغه. تأمل صنع الدهر، بالرأس إذ صبغه. بأي حديث ترعوي؟ أو بأي لغة؟.

كم رأيت مغرورًا قبلك؟. كم شاهدت منقولاً مثلك؟. من أباد أقرانك؟

---

(١) «المدهش» ص(١٥٦).
(٢) «المدهش» ص(١٥٧).

ومن أهلك أهلــك؟. لقد نادى الموت وقال: ما أنا بالــذي إذا سئل أقال. أنا الذي إذا مال على القوى أمال. أخذتم أمـاني؟ يا أهل الأماني والآمال. أين من كان فـي روح وسعة؟. نقلـته إلى مكان مـا وسعه. أين من كـان يخاف لبأســه؟. انظروا ماذا عــوضته من لبـاسه. أين من كان عــلى نسائــه؟ شديد الغيرة. أما رحل عــنهن؟ فاخترن غيره. أين من كان يســري؟ آمنًا في سربه. أما قيل للتلــف: خذه وسر به؟ أما عاقبه الألفة فرقة؟. أمــا آخر جرعة اللذة شرقة؟. أما ختام الفرح قلق وحرقة. أما زاد ذي المال إلى القبر خرقة؟. أعر سمعك الأصوات. فهل تسمع إلا فلانًا مات؟ أجل بصرك في الفلوات. فهل ترى إلا القبور الدارسات؟.

قـوض المـوت طـود عـزهـم الـشـامــ ـــخ قـسـرا والـدهـر ذو حـدثـان
واســتــرد الــذي أعــار ولــلأيــ ـــام ظـهـرا خـشـونـة ولـيـان
وإذا صـاح صـايـح المـوت فـي قــ ـــوم غـدوا كـل واحـد فـي مـكـان

يا ساكـنًا مسكن من قـد ازعج. يا شاربًا فـضلة من شرق. تصـحو في المجلس، ساعةٍ من خمار الهوى. ثم تسلـيك حميا الكأس. هيهات ليس في البرق اللامع، مستمتع لمن يخوض الظلـمة. كم أعطف عطفك بلجام العظة؟ إلى عطفة اليقظة. فإذا انـقضى المجلس، عاد الطبع ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾ (وتأبـي الطباع على الناقل) يا من قد لجـج في لجة الهوى. قارب الساحل في قارب. دنا رحيل الـرفقة. وما اشتريت لـلمسير قوت ليـلة. كلما جد اللـعب، فتر النشاط في الجد. صحح نقدة عملك، فقد انقرضت أيام الأسبوع. جود غزل عزمك. فـلربما لم تسامـح وقت الوزن. صابر غبـش العيش، فقد دنـا فجر الأجر. انتبه الاغتـنام عمرك، فكم يعيش الحيوان؟. مد بـحر القدرة، فجرى بمراكب الصور. فرست عـلى ساحل أقليم الدنيا. فعامـلت في موسم الحياة

مدة الجزر. ثم عاد المد فرد إلى برزخ الترب. فقذف محاسن الأبنية، في حفر اللحود. وسيأتي طوفان البعث، عن قرب. فاحذر أن تدفع دونك، سفينة النجاة. فتستغيث وقت الفوت، ولا عاصم. كأنك بك في قبرك، على فراش الندم. وإنه واللَّه لأخشن من الجندل. فازرع في ربيع حياتك، قبل جدوبة أرض شخصك. وادخر من وقت قدرتك، لزمان عجزك.

واعتبر رحلك، قبل رحيلك. مخافة الفقر، في القبر، إلى لازم الأخذ ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ﴾ يا هذا. مثل لنفسك صرعة الموت. وما قد عزمت أن تفعل حينئذ وقت الأسر. فافعله وقت الإطلاق[1] .

أتبكي على لبنى وأنت تركتها ... فكنت كآت حتفه وهو طائع

فيا قلب خبرني إذا شطت النوى ... بلبنى وبانت عنك ما أنت صانع

● كأنك بحرب التلف، قد قامت على ساق. وانهزمت جيوش الأمل. وإذا بملك الموت قد بارز الروح. يجتذبها بخطاطيف الشدائد، من تيار أوتار العروق. وقد أوثق كتاف الذبيح. وحار البصر لشدة الهول وملائكة الرحمة، عن اليمين. قد فتحوا أبواب الجنة. وملائكة العذاب عن الشمال. قد فتحوا أبواب النار. وجميع المخلوقات، تستوكف الخبر. والكون كله قد قام على صيحة، أما أن يقال: سعد فلان، أو شقي فلان، فحينئذ تتجلى أبصار ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي﴾ ويحك، تهيأ لتلك الساعة. حصل زادًا قبل العوز.

تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار[2]

---

(١) «المدهش» ص(١٨٢ ـ ١٨٤).

(٢) «المدهش» ص(١٨٤ ـ ١٨٥).

● **أخي:**

كم أخرج الموت نفسًا من دارها فلم يدارها؟ وكم أنزل أجسادًا بجارها لم يجارها؟ وكم نقل ذاتًا ذات خطاء بأوزارها. وكم أجرى عيونًا كالعيون بعد بعد مزارها؟

يا مغرمًا بوصال عيش ناعم ستصد عنه طائعًا أو كارها
إن المنية تزعج الأحرار عن أوطانهم والطير عن أوكارها

إخواني، قد حام الحمام، حول حماكم، وصاح بكم إذ خلا النادي وناداكم، وأولاكم من النصح حقكم، فما أحقكم بالتدبر وأولاكم. وهو عازم على اقتناصكم، وما المقصود سواكم. كم أخلى الموت دارًا فدارًا؟. أما استلب كسرى بن دارا؟ أدارى لما أخذ دارا؟ أما ترك العامر قفارًا؟ أما ذاق الغصص المرة مرارًا؟ لقد جال يمينًا ويسارًا، فما حابى فقرًا ولا يسارًا. يا هذا، مطايا العمر قد أعنقت، وأنت في مسامرة الأمل. معاول الساعات تهدم حايط الأجل(١).

● **أخي:**

لقد خوّفنا الموت بمن أخذ منا. ونعلم هجومه علينا، وقد أمنا. ما أذكرتنا المواعظ مآلنا؟، فما لنا ما لنا؟.

* * *

---

(١) «المدهش» ص(١٨٦).

يا من يشيع ببدنه الميت، فأما قلبه ففي البيت، أتخلي بين المودود؟ والدود، وتعود إلى المعاصي حين تعود. هلا أجلت بالبال ذكر البالي؟ وقلت للنفس الجاهلة: هذا لي. من زار القبور والقلب غافل، وسعى بين الأجداث والفكر ذاهل، وشغله عن الاعتبار لهو شاغل، فهو قتيل قد أسكره القاتل.

***

وما أعطى الصبابة ما استحقت عليه ولا قضى حق المنازلْ

ملاحظها بعين غير عبرى وزايرها بجسم غير ناحلْ[1]

***

• **أخي:**

تا اللَّه، لقد ركض الموت، فأسرع في الركض. بث الجنود، وطيف الأرض. ما حمل على كتيبة إلا وفض. ولا صاح بجيش إلا جاش وارفض. ولا لوح إلى طائر في البرج إلا انقض، إذا تكلمت قوسه بالنبض أسكنت النبض، بينا الحياة تعرب بالرفع. جعل الشكل الخفض. أين مصون الحصون؟ أزعج عنها. أين مقصور القصور؟ أخرج منها. نقله هادم اللذات نقلاً سريعًا. ومقله في بحار الآفات مقلاً فظيعًا. وفرق بينه بالبين وبين بنيه. وطرقه بطارق النقض، فانقض ما كان يبنيه. لقد ولى ولاء ذي ود ينفعه، وبان فبان لباني الدنيا مصرعه. هجره واللَّه من هاجر إليه. ونسيه نسيبه، وقد كان يحنو عليه. فلا صديقه صدقه في مورثه ولا رفيقه أرفقه في شدته، حلوا واللَّه بالبلاء في البلى، وودعهم من أودعهم ثم، ثم قلى. وانفردوا في

(١) «المدهش» ص(١٨٩ ـ ١٩٠).

الأخدود، بين وحش الفلا. وسألوا الإقالة، فقيل: أما هذا فلا. لو نطق الموتى بعد دَفنهم لندموا على غيهم وأفنهم، ولقالوا: رحلنا عن ظلم شرورنا إلى ظلم قبورنا. وخلونا عن الأخلاء بترابنا. في آفات لا ترى بنا. أفترى محبنا إذ ظعنا بمن اعتاض عنا؟ وهذا مصيرك بعد قليل فتأهب.

● يا مقيمًا للتحويل، يا سليمًا يظن أنه سليم، جوارحك جوارحك، سور تقواك كثير الثلم، وأعداؤك قد أحاطوا بالبلد، ويحك قبل الرمي تراش السهام.

● ولله ما أرق قول ابن الجوزي:

من مال إلى الدنيا وصبا	قد أمعن في الفاني طلبًا
خذ ما يبقى كيلا تشقى	واتبع حقًّا ودع اللعبا
وذر الدنيا فلكم قتلت	مكرًا بسهام هوى وصبا
برت ورعت فإذا اجتمعت	خدعت حتى قطعت إربا
يا عاشقها كم قد نصبت	لهلاكك فاحذرها سببًا
يا آمنها كم قد سلبت	ولدًا برًّا أمًّا وأبا
أفأين الجار أما قد جار	فجارته حتى ذهبا
أم أين الترب أما تربت	خداه أما سكن التربا
كم خدت خدًّا في الأخدود	وقدت قدًّا منتصبا
كم ثغر ملتثم ثلمت	قد كان لراشفه رضبًا
فسقته المر لدى جدث	وكذاك الدهر إذا ضربا
وأتت قصرًا يحوي نصرًا	فغدا وقصاراه خربا
ومليكًا في صولة دولته	أضحى في الحفرة مغتربا

عرج بالدار على الآثار وسل طللاً أمسى شجبا
ينبيك بأنهم رحلوا وثوى من بعدهم الغربا
بينا الإنسان يرى رأسًا فهوى رأسًا فغدا ذنبا
فتأمل عاقبة الدنيا فلعلك تصبح مجتنبا
وتدبر ما صنعت فلقد أبدت بصنايعها عجبا
ينساك الأهل إذا رجعوا عن قبرك لا تسمع كذبا
تركوك أسيراً إذ ذهبوا بتراب ضريحك محتجبا
وغدوا فرحين بما أخذوا وغدوت بإثمك محتقبا
وترى أعمالك قد حضرت فتنكس رأسك مكتئبا
فكر في الذنب وما احتقبت كفاك عليك وما اكتسبا
كم بت على ذنب فرحًا وغدوت على ذنب طربا
وعلمت بأن اللَّه يرى فأسأت ولم تحسن أدبا
فأعد الزاد فما سفر كالموت ترى فيه نصبا
وأفق والعمر به رمق فكأن قد فات وقد ذهبا[1]

***

• يا مَن غرّه الأمل:

يا أيهذا الذي قد غره الأملُ ودون ما يأمل التنغيص والأجلُ
ألا ترى إنما الدنيا وزينتها كمنزل الركب حلوا ثمت ارتحلوا
حتوفها رصد وعيشها نكد وصفوها كدر وملكها دول
تظل تفزع بالروعات ساكنها فما يسوغ له عيش ولا جذل

---

(١) «المدهش» ص(٢٠٢ ـ ٢٠٣).

كأنه للمنايا والردى غرض ... تظل فيه سهام الدهر تنتضل

والنفس هاربة والموت يتبعها ... وكل عثرة رجل عندها جلل

والمرء يسعى بما يسعى لوارثه ... والقبر وارث ما يسعى له الرجل[1]

• أخي: أيها الغريب إنك راحل:

يا من نسبه معرق في الموتى. وقد وعظوه وإن لم يسمع صوتًا. أدرك أمرك، فما تأمن فوتًا.

ألا كل حي هالك وابن هالك ... وذو نسب في الهالكين عريق

فقل لغريب الدار إنك راحل ... إلى منزل نابي المحل سحيق

وما تعدم الدنيا الدنية أهلها ... شواظ نار أو دخان حريق

تجرع فيها هالكًا فقد هالك ... وتشجي فريقًا منهم بفريق

فلا تحسب الدنيا إذا ما سكنتها ... قرارًا فما دنياك غير طريق

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق

عليك بدار لا يزول ظلالها ... ولا يتأذى أهلها بمضيق

فما يبلغ الراضي رضاه ببلغة ... ولا ينفع الصادي صداه بريق[2]

* * *

• **يا غافلاً:** يا راقدًا، وقد أوذن بالرحيلْ. يا مشيد البنيان في مدارج السيولْ. بادر العمل، قبل انقضاء العمر * لا تنسى من يعد الأنفاس للقائك.

---

(١) «المدهش» ص(١٩٤).

(٢) «المدهش» ص(١٩٨).

• أخي: أتدري ما الدنيا وقصرها؟

وما هي إلا ليلة ثم يومها ... ويوم إلى يوم وشهر إلى شهر

مطايا يُقربْنَ الجديد مِن البِلى ... ويدنين أشلاء الصحيح إلى القبر

ويتركن أزواجَ الغيور لغيره ... ويقسمن ما يحوي الشحيح من الوفر(1)

• أخي: كم من شيخ رحل إلى القبور:

وكم من فتى يمسي ويصبح آمنًا ... وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري

• يا شدة الوجل * عند حضور الأجل * يا حسرة الفوت * عند حضور الموت * يا خجلة العاصين * يا أسف المقصرين *

إلى حتفي سعى قدمي ... أرى قدمي أراق دمي

فما انفك من ندم ... وهان دمي فها ندمي

• استلب زمانك. يا مسلوب * وغالب الهوى يا مغلوب * وحاسب نفسك فالعمر محسوب * وامح قبيحك، فالقبيح مكتوب * وا عجبًا لنائم، وهو مطلوب * ولضاحك، وعليه ذنوب *

ألا ذكراني قبل أن يأتي الموت ... ويبنى لجثماني بدار البلى بيت

وعرفني ربي طريق سلامتي ... وبصرني لكنني قد تعاميت

وقالوا مشيب الرأس يحدو إلى البلى ... فقلت أراني قد قربت فأدنيت(2)

• يا بن التراب:

يا من يستنأي عن بنيه ... كما نأى عنه أبوه

---

(1) «المدهش» ص(١٩٩).

(2) «المدهش» ص(٢٠٨).

مثل لنفسك قولهم جاء اليقين فوجهوه
وتحللوا من ظلمه قبل الممات وحللوه[1]

• يا ساكن القبور غداً:

• يا من يمشي على ظهور الحفر * ويرى السابقين إلى بيوت المدر * لو أصغى سمع التدبير، سمع العبر * كفى بالموت واعظًا يا عمر.

وعظتك أجداث صمت ونعتك أزمنة خفت
وتكلمت عن أعظم تبلى وعن صور شتت
وأرتك قبرك في القبور وأنت حي لم تمت

• يا سادراً في سكر سروره * يا سادلاً ثوب غروره * كأنك بك، قد اقتعدت غارب الغربة * واستبدلت بالأثواب التربة * سيقسم مالك من لا يحمدك * وستقدم على من لا يعذرك * غداً يرجع الحبيبان عنك * حبيبك من أهلك، يقسم حبيبك من مالك * وأنت في قفر الفقر إلى ما أسلفت * تبكي على ما خلفت * بين أناس كلهم أسير الفرق * وجميعهم على مهاد القلق *

محلة سفر كان آخر زادهم إليه متاع من حنوط ومن خرق
إلى منزل سوى البلى بين أهله فلم تستبن فيه الملوك من السوق[2]

• أخي:

كأنك لم تسمع بأخبار من مضى ولم تر في الباقين ما يصنع الدهرُ
فإن كنت لا تدري فتلك ديارهم محاها مجال الريح بعدك والقطر
على ذاك مروا أجمعون وهكذا يمرون حتى يستزدهم الحشر

---

(١) «المدهش» ص(٢٠٩).
(٢) «المدهش» ص(٢١٦ ـ ٢١٧).

فحتام لا تصحو وقد قرب المدى ... وحتام لا ينجاب عن قلبك السكرُ
بلى سوف تصحو حين ينكشف الغطا ... وتذكر قولي حين لا ينفع الذكرُ[١]

• **أخي:**

يا ساكن الدنيا تأهب ... وانتظر يوم الفراقِ
وأعد زادًا للرحيل ... فسوف يحدى بالرفاق
وابك الذنوب بأدمع ... تنهل من سحب المآق
يا من أضاع زمانه ... أرضيت ما يفنى بباقِ[٢]

• **أيها الغافل:**

يا من يعد غدًا لتوبته ... أعلى يقين من بلوغ غدِ
المرء في زلل على أمل ... ومنية الإنسان بالرصد
أيام عمرك كلها عدد ... ولعل يومك آخر العددِ[٣]

• **يا راحلاً بالإقامة:**

أنت في دار شتات ... فتأهب لشتاتكْ
واجعل الدنيا كيوم ... صمته عن شهواتك
وليكن فطرك عند ... الله في يوم وفاتكْ[٤]

• **يا ساكن التراب:**

قل لمن فاخر بالدنيا وحامى ... قتلت قبلك سامًا ثم حاما
ندفن الخل وما في دفننا ... بعده شك ولكنْ نتعامى

---

(١) «المدهش» ص(٢٢١).
(٢) «المدهش» ص(٢٢٩).
(٣) «المدهش» ص(٢٣٤).
(٤) «المدهش» ص(٢٤٢).

إن قدامك يومًا لو به هددت شمس الضحى عادت ظلاما
فانتبه من رقدة اللهو وقم وانف عن عين تماديك المناما
صاح صح بالقبر يخبرك بما قد حوى واقرأ على القوم السلاما
فالعظيم القدر لو شاهدته لم تجد في قبره إلا العظاما(١)

• **أخي: لا تسكن إلى الدنيا فالدنيا لعب واللعب لا يليق بمن شبّ عن الطوْق:**

دار تغر بها الأمال مهلكة وذو التجارب فيها خائف فرق
يا للرجال لمخدوع بزخرفها بعد البيان ومغرور بها يثق
أقول والنفس تدعوني لباطلها أين الملوك ملوك الناس والسوق
أين الذين إلى لذاتها ركنوا قد كان فيها لهم عيش ومرتفق
أمست مساكنهم قفراً معطلة كأنهم لم يكونوا قبلها خلقوا
يا أهل لذات دار لا بقآء لها إن اغتراراً بظل زايل حمق(٢)

• **أخي: كفاك نذير الشيب:**

بليت وما تبلى ثياب، صباكا كفاك نذير الشيب فيك كفاكا
ألم تر أن الشيب قد قام ناعيًا مقام الشباب الغض ثم نعاكا
ولم تر يومًا مر إلا كأنه بإهلاكه للهالكين عناكا
ألا أيها الفاني وقد حان حينه أتطمع أن تبقى فلست هناكا
تسمّعْ ودع من أفسد الغي سمعه كأني بداع قد أتى فدعاكا

---

(١) «المدهش» ص(٢٤٦ ـ ٢٤٧).
(٢) «المدهش» ص(٢٥٦).

ورب أمان للفتى نصبت له ... المنية فيما بينهن شراكا
أراك وما تنفك تهدي جنازة ... ويوشك أن تهدى هديت كذاكا
ستمضي ويبقى ما تراه كما ترى ... وينساك من خلفته هو ذاكا
ألا ليت شعري كيف أنت إذا القوى ... وهت وإذا الكرب الشديد علاكا
تموت كما مات الذين نسيتهم ... وتنسى ويهوى الحي بعد هواكا
كأن خطوب الدهر لم تجر ساعة ... عليك إذا الخطب الجليل أتاكا
ترى الأرض كم فيها رهون دفينة ... غلقن فلم يقبل لهن فكاكا[١]

• يا مأكول الدود غداً:

تجهز إلى الأجداث ويحك والرمس ... جهازاً من التقوى لأطول محَبس
فإنّك ما تدري إذا كنت مصبحًا ... بأحسن ما ترجو لعلك لا تمسي
سأتعب نفسي لو أصادف راحة ... فإن هوان النفس أكرم للنفس
وأزهد في الدنيا فإن مقيمها ... كظاعنها ما أشبه اليوم بالأمس[٢]

• أخي:

يا من أيام عمره في حياته. معدودةْ، وجسمه بعد مماته مع دودةْ.

رأيتك في النقصان مذ أنت في المهد ... تقربك الساعات من ساعة اللحد
ستضحك سن بعد عين تعصرت ... عليك وإن قالت بكيت من الوجد
أتطمح أن يشجى لفقدك فاقد ... لعل سرور الفاقدين مع الفقد[٣]

* * *

(١) «المدهش» ص(٣٠٧ ـ ٣٠٨).
(٢) «المدهش» ص(٣٥١).
(٣) «المدهش» ص(٣٦٣).

• **أخي:**

قل للمفرط يستعد ... ما من ورود الموت بدُّ

قد أخلق الدهر الشباب ... وما مضى لا يستردُّ

فإلى م يشتغل الفتى ... في لهوه والأمر جدُّ

والعمر يقصر كل يوم ... بي وآمالي تمدُّ[1]

• يا دار الأحبة أين تحوّل السكانُ؟:

سألت الدار تخبرني ... عن الأحباب ما فعلوا

فقالت لي أناخ القو ... مُ أيامًا وقد رحلوا

فقلت فأين أطلبهم ... وأي منازل نزلوا

فقالت بالقبور وقد ... لقوا والله ما فعلوا

أناس غرهم أمل ... فبادرهم به الأجل

فنوا وبقى على الأيا ... مِ ما قالوا وما عملوا

وأثبت في صحائفهم ... قبيح الفعل والزلل

فلا يستعتبون ولا ... لهم ملجأ ولا حيل

ندامى في قبورهم ... وما يغني وقد حصلوا

• يا نفس حتام إلى الدنيا سكونك وإلى عمارتها ركونك؟:

يا نفسي توبي فإن الموت قد حانا ... واعصي الهوى فالهوى ما زال فتانا

أما ترينا المنايا كيف تلقطنا ... لقطًا وتلحق أخرانا بأولانا

في كل يوم لنا ميت نشيعه ... نرى بمصرعه آثار موتانا

---

(١) «المدهش» ص(٣٧١).

يا نفس ما لي وللأموال أتركها خلفي وأخرج من دنياي عريانا
أبعد خمسين قد قضيتها لعبًا قد آن أن تقصري قد آن قد آنا
ما بالنا نتعامى عن مصائرنا ننسى بغفلتنا من ليس ينسانا
نزداد حرصًا وهذا الدهر يزجرنا كأن زاجرنا بالحرص أغرانا
أين الملوك وأبناء الملوك ومن كانت تخر له الأذقان إذعانا
صاحت بهم حادثات الدهر فانقلبوا مستبدلين من الأوطان أوطانا
خلوا مدائن كان العز مفرشها واستفرشوا حفرًا غبرًا وقيعانا
يا راكضًا في ميادين الهوى مرحًا ورافلاً في ثياب الغي نشوانا
مضى الزمان وولى العمر في لعب يكفيك ما قد مضى قد كان ما كانا[1]

• **أخي:**

حياتك أنفاس تعد فكلما مضى نفس منها انتقصت بها جزءا
فتصبح في نقص وتمسى بمثله أما لك معقول تحس به رزءا
يميتك ما يحييك في كل ساعة ويحدوك حاد ما يريد بك الهزءا[2]

• **أخي:**

قل للمؤمل إن الموت في أثرك وليس يخفى عليك الأمر من نظرك
فيمن مضى لك إن فكرت معتبر ومن يمت كل يوم فهو من نذرك
دار تسافر عنها من غد سفرًا فلا تؤب إذا سافرت من سفرك
تضحى غدًا سمرًا للذاكرين كما صار الذين مضوا بالأمس من سمرك[3]

---

(١) «المدهش» ص(٣٨٩).
(٢) «المدهش» ص(٤٦٩).
(٣) «المدهش» ص(٤٨٧).

• أخي:

تبني وتجمع والآثار تندرس وتأمل اللبث والأرواح تختلسُ
ذا اللب فكر فما في الخلد من طمع لا بد ما ينتهي أمر وينعكس
أين الملوك وأبناء الملوك ومن كانوا إذ الناس قاموا هيبة جلسوا
ومن سيوفهم في كل معترك تخشى ودونهم الحجاب والحرس
أضحوا بمهلكة في وسط معركة موتى وماشي الورى من فوقهم يطس
وعمهم حدث وضمهم جدث باتوا وهم جثث في الرمس قد حبسوا
كأنهم قط ما كانوا ولا خلقوا ومات ذكرهم بين الورى ونسوا
والله لو نظرت يمناك ما صنعت يد البلى بهم والدود يفترس
من أوجه ناظرات حار ناظرها في رونق الحسن منها كيف تنطمس
وأعظم باليات ما بها رمق وليس تبقى وهذا وهي تنتهس
وألسن ناطقات زانها أدب ما شأنها شأنها بالآفة الخرس
ثلتهم السن للدهر فاغرة فاهًا فآهًا لهم إذ بالردى وكسوا
عروا عن الوشي لما ألبسوا حللاً من الرغام على أجسادهم وكسوا
حتام يا ذا النهى لا ترعوي سفهًا ودمع عينك لا يهمي وينبجس[1]

• أيها السادر في غيّه:

أين من أصبح في غفلته في سرور ومرادات خلتْ
أصبحت أماله قد خيبت وديار لهوه قد خربتْ

---

(١) «المدهش» ص(٤٩٦ ـ ٤٩٧).

جز على الدار بقلب حاضر ثم قل يا دار ماذا فعلتْ
أوجه كانت بدوراً طُلّعًا وشموسًا طال ما قد أشرقتْ
قالت الدار: تفانوا ومضوا وكذا كلٌّ مقيم إن ثبت
عاينوا أفعالهم في تربهم فسل الأجداث عما استودعت
إنما الدنيا كظل زائل أو كأحلام منام ذهبت

• **أخي:**

ليخرسن الموت بسطوته فاك، إذا وافاك. إنما اليوم لهذا وغداً لذاك.

قرئ على قبر:

أنا في القبر وحيد قد تَبَرَّا الأهلُ مِنِّي
أسلموني بذنوبي خبت إنْ لم تعف عني[1]

• **أيها الراحل غداً:**

كأنك بالمضي إلى سبيلك وقد جد المجهز في رحيلك
وجيء بغاسل فاستعجلوه بقولهم له: افرغ من غسيلك
ولم تحمل سوى كفن وقطن إليهم من كثيرك أو قليلك
وقد مد الرجال إليك نعشًا فأنت عليه ممدود بطولك
وصلوا ثم إنَّهُمُ تداعوا لحملك في بكورك أو أصيلك
ولما أسلموك نزلت قبراً ومن لك بالسلامة في نزولك
أعانك يوم تدخله رحيم رءوف بالعباد على دخولك
فسوف تجاور الموتى طويلاً فدعني من قصيرك أو طويلك

---

(١) «المدهش» ص(٥٢٠).

أخي إنِّي نصحتك فاستمع لي — وبالله استعنت على قبولك
ألست ترى المنايا كل يوم — تصيبك في أخيك وفي خليلك

* * *

• أخي:

رحل الأحبة عن ديارهم — أهون بما أخذوا وما تركوا
ونفوسنا أين مضى الخليط فما — أنا بالمبالي أية سلكوا
إن الملوك إذا هم احتضروا — ودوا هنالك أنهم نسكوا[1]

* * *

• ألا تبكي لنفسك:

تنوح وتبكي للأحبة أن مضوا — ونفسك لا تبكي وأنت على الأثر[2]

* * *

(١) «المدهش» ص(٥٤٤).
(٢) «المدهش» ص(٥٤٧).

ذكر الـمـوت... من مقامات الحريري

حَدّث الحـارثُ بن همـام قال: آنَسْـتُ من قلبـي القسـاوةَ حين حلـلتُ سَـاوةَ[١] ، فأخذت بالخبر المأثور في مُداوتهـا بزيارة القبور، فلما صرت إلى محلـة الأموات وكِفَات الـرُفات[٢] ، رأيت جمعًـا على قبر يُحفـر ومَجْنُوزٍ يُقْبَرُ، فَانَحـزْتُ إليهم مُتفكرًا في المآل مُـتذكرًا من دَرَجَ من الآل[٣] ، فـلمـا ألحدوا الميت، وفات قول ليت، أشرف شيخ من رُبَاوَةٍ[٤] مُتخصرًا بِهِرَاوة وقد لـفَّـع[٥] بردائه، ونكّر شخصـه لِدهائه، فقال: لمثل هذا: فَليعـمل العاملون فادَّكـروا أيُّهـا الغافـلون، وشَـمروا أيَّهـا المقصـرون، وأحسـنوا النـظر أيُّـها المتبصرون. ما لكم لا يحزنكم دفن الأتراب[٦] ولا يهولكم هَيلُ التراب، ولا تعبأون بـنوازل الأحداث ولا تستعـدون لنزول الأجداث[٧] ، ولا تستـعبرون بعين تدمع ولا تعتبرون بنعي يُسـمع، ولا ترتاعون لإلفٍ يُفقدُ ولا تلتاعون[٨] لمناحة تُعقدُ يُشَـيِّعُ أحدكم نعش الميت وقلبه تِلقاء البيـت ويشهد مَوَارَاة نسيبه وفِكرُهُ في استخلاص نصـيبه ويُخَلِّي بين وَدُوده وَدُوده[٩] ، ثم يخلـو بِمِزماره

---

(١) ساوة: بلدة من الري وهمذان.

(٢) الأصل في الكفات الأوعية التي تضم الشيء يريد بها الأرض والرفات هي: العظام البالية من الرفت وهو الكسر.

(٣) أي: مات من الأقارب.

(٤) هي: الربوة والرابية هي: ما ارتفع من الأرض.

(٥) أي: غطّى وستر.

(٦) القرناء في السن وهم: اللدات.

(٧) جمع: جدث، وهو: القبر.

(٨) أي: تحترقون من الالتياع وهو حرقة القلب من الحزن.

(٩) الأول بمعنى: المحب، والثاني بمعنى: الدود.

وعُوده طالـمًا أَسِيـتم عل انثِلام الحَبَّة[1] وتناسيتم اخترام الأحـبة، واستكنتم لاعتراض الـعُسرة واستـهنتم بانـقراض الأسرة، وضحـكتم عنـد الدفن ولا ضحكـكم ساعة الـزفن[2] وتبخترتم خـلف الجنائز ولا تبختـركم يوم قبض الجوائز وأعرضتم عن تعديد النوادب إلى إعداد المآدب وعن تحرق الثَواكل إلى التأنق فـي المآكل لا تبالون بمن هـو بالٍ ولا تُخطرون ذكر الموت بـبالٍ، حتى كأنكم قد عَلِقتم من الحَمام بزمام أو حـصلتم من الزمان على أمان، أو وثقتم بسلامة الذَّات، أو تحققتم مسالمة هاذم اللذَّات، كلاَّ ساء ما تتوهَّمُون، ثم كلاَّ سوف تعلمون، ثم أنشد:

أيـا مـن يَـدَّعـي الـفـهْـمْ إِلى كـم يـا أخـا الـوهْـمْ تُـعـبِّـي الـذَّنـبَ والـذَّمْ
وتُـخـطـي الخـطـأَ الجَـمْ

أمـا بـان لـك الـعـيْـبْ، أمـا أنـذرك الـشَّـيْـبْ ومـا فـي نُـصـحـه رَيْـبْ
ولا سَـمْـعُـكَ قـد صـمْ

أمـا نـادى بـك المـوتْ أمـا أسـمـعـكَ الـصـوْتْ أمـا تـخـشـى مـن الـفـوْتْ
فـتـحـتـاط وتـهـتـمْ

فـكـم تَـسـدرُ فـي الـسَّـهْـوْ وتـخـتـالُ مـن الـزَّهْـوْ وتـنـصـبُّ إلـى الـلـهْـوْ
كـأنَّ المـوتَ مـا عَـمْ

وحـتـام تَـجـافـيـكْ وإبـطـاءُ تـلافـيـكْ طِـبَـاعًـا جَـمَّـعَـتْ فِـيـكْ
عُـيُـوبًـا شـمـلُـهَـا انـضَـمْ

إِذا أَسـخـطـتَ مـولاكْ فـمـا تـقـلـقُ مِـن ذَاكْ وإن أخـفـق مَـسْـعَـاكْ
تـلـظَّـيـتْ مـن الـهَـمْ

---

(١) المعنى: طالما حزنتم على انكسار حبوب المأكولات.

(٢) نوع من الرقص.

وإن لاحَ النَّقشْ من الأصفر تهتشّ وإن مرّ بكَ النعْشْ
تَغامْتَ ولا غَمْ

تُعاصي النَّاصَح البَرّ وتَعتاصُ[1] وتَزور[2] وتَنْقاد لمن غَرَّ
ومن مانَا[3] ومن نَمْ

وتسعى في هوى النفْسْ وتحتالُ على الفَلْسْ وتنسى ظُلمةَ الرَّمْسْ
ولا تَذكُرُ مَا ثَمْ

ولو لاحظكَ الحَظّ لما طاحَ بكَ اللَّحْظْ ولا كُنتَ إذا الوَعْظْ
جَلاَ الأحزانَ تَغْتَمْ

سَتُذرِي الدَّمَ لا الدَّمْعْ إذا عاينتَ لا جَمْعْ يَقِي في عَرْصَةِ الجَمْعْ
ولا خَالَ ولا عَمْ

كأنّي بكَ تَنْحَطَ إلى اللَّحدِ وتَنْغَطّ وقد أسلمكَ الرَّهْطْ
إلى أضْيقَ من سَمْ

هُناكَ الجِسمُ ممدودْ ليستأكلَهُ الدُّودْ إلى أنْ يَنخَرَ العُودْ
ويُمسِي العَظْمُ قد رَمْ

وَمِنْ بَعْدُ فلا بُدّ منَ العَرضِ إذا اعتُدّ صِرَاطٌ جِسْرُهُ مُدّ
عَلَى النَّارِ لِمنْ أَمْ

فَكَمْ مِن مُرشدٍ ضَلّ ومن ذِي عِزَّةٍ ذَلّ وكَمْ مِن عَالِمٍ زَلّ
وَقَالَ الخَطْبُ قد طَمْ

---

(١) أي: تصعب، يقال: اعتاص عليه الأمر إذ أشكل.

(٢) تزور أي: تميل وتعدل وتنثني عن قبول ما يقال لك من الحق.

(٣) مان أي: كذب، نم: سعى بالنميمة.

فَبادر أيها الغُمْرُ[(١)] لما يَحلُو به المُرّ فقدْ كادَ يَهي العُمْرْ
وما أقلعتَ عن ذَمْ

ولا تركنْ إلى الدَّهْرْ وإنْ لان وإنْ سَرّ فتُلْقَى كَمَنِ اغتَرّ
بأَفْعَى تنفُثُ السُّمْ

وَخَفِّضْ من تَرَاقيكْ فإنَّ الموتَ لاقيكْ وسَارٍ في تَراقيكْ
وما يَنْكُلُ إنْ هَمْ

وجَانِبْ صَعَرَ الخَدّ إذا سَاعدكَ الجَدّ وَزُمَّ اللَّفْظَ إن نَدّ
فما أسعَدَ من زَمْ

ونَفِّسْ عن أخي البَثّ وصَدِّقْه إذا نَثّ[(٢)] ورُمَّ العَمَلَ الرَّثّ
فقدْ أفلحَ من رَمْ

ورِش مَنْ رِيشُهُ انْحَصّ بما عَمَّ وما خَصَّ ولا تَاسَ عَلى النَّقْصْ
ولا تحرصْ على اللَّمْ

وعَادِ الخُلُقَ الرَّذْلْ وعَوِّدْ كَفَّكَ البَذْلْ ولا تستَمِعِ العَذْلْ
ونزِّهْها عَنِ الضَّمْ

وزَوِّدْ نفسَكَ الخَيْرْ ودَعْ ما يُعْقِبُ الضَّيْرْ[(٣)] وهَيِّئْ مَركبَ السَّيْرْ
وخَفْ من لُجَّةِ اليمْ

بِذَا أُوصِيتُ يَا صَاحْ وقد بُحْتُ كَمنْ بَاحْ فَطُوبَى لِفَتًى رَاحْ
بذكرِ الموتِ يَهْتَمْ

---

(١) الجاهل الذي لم يجرب الأمور.

(٢) أي: نشر الكلام.

(٣) يقال: ضاره يضيره ضيراً إذا ضره.

● **أخي:**

إنـي أرقـتُ وذكـر المـوت أرَّقـنـي ... فقلت للدمع أسعدني فأسعدني
إن لـم أبك لـنـفسي مشـعراً حزنًا ... قبـل الممـات ولـم أرق لـهـا فـمـن
يـا مـن يموت ولـم تحزنـنـه ميتتـه ... ومـن يمـوت فـمـا أولاه بـالحـزنِ
إنـي لأرقـع أثـوابـي ويـخـلـقـهـا ... جدب الزمان لها بالوهن والعفن
لمـن أثـمـر أمـوالـي وأجـمـعُـهـا ... لمـن أروح لمـن أغـدو لمـن لمـن
لمـن سيـوقـع بي لحـدي ويتـركـنـي ... تحت الثرى ترب الخدين والذقن[1]

● **وقال آخر:**

ومـا المـرء إلا راكـب ظَـهْـرَ عـمـرِه ... علـى سفـر يفـنيه بـاليـوم والـشـهـر
يـبـيـت ويضـحـى كـل يـوم ولـيـلـــ ... ـــة بعيداً عن الدنيا قريبًا إلى القبر

● ما أطولها من غفلة نحن في ليلها نائمون وفي نهارها سارحون.

● قال إبراهيم بن أدهم: قـد حُجبت قلوبنا بثلاثة أغطـية، فلن يكشف العبد اليـقين حتى ترفع هذه الحجـب الفرح بالموجود، والحزن علـى المفقود، والسرور بالمدح، فإذا فرحت بالموجود فأنت حريص، وإذا حزنت على المفقود فأنت ساخط، والساخط معذب، وإذا سررت بـالمدح فأنت معجب والمعجب يحبط عمله[2] .

● قال الحارث بـن إدريس: قلت لداود الطـائي: أوصني فقال: عـسكر الموت ينتظرونك[3] .

---

(١) «محاسبة النفس» ص(٨٧)، و«المدهش» ص(١٨٣).

(٢) «الإحياء» (٤/ ٣٣٦).

(٣) «صفة الصفوة» (٣/ ١٤١).

كأن المنايا قد قصدن إليك ... يردنك فانظر ما لهن لديكا
سيأتيك يومٌ لست فيه بمكرم ... بأكثر من حثو التراب عليكا[(١)]

• قال عمر بن عبد العزيز: من قرب الموت من قلبه استكثر ما في يديه[(٢)].

• قال أبو الدرداء: أحب الفقر تواضعًا لربي، وأحب الموت اشتياقًا لربي، وأحب المرض تكفيرًا لخطيئتي[(٣)].

• إخواني:

جدوا فقد سُبقتم، واستعدوا فقد لُحقتم، وانظروا بماذا من الهوى عُلقتم، ولا تغفلوا عما له خلقتم، ذهبت الأيام وما أطعتم، وكُتِبَت الآثام وما أصغيتم، وكأنكم بالصادقين قد وصلوا، وانقطعتم، أهذا التوبيخ لغيركم؟ أما قد سمعتم؟

كم سكن مثلك في هذا الدار. فحام الموت حول حماهم ودار، ثم ناهضهم وسلب الجار، فمن أنذر قبل هجومه فما جار، يا هذا العمر عمرٌ قليل وقد مضى أكثره بالتعليل، وأنت تعرض البقية للتأويل، وقد آن الأوان أن يرحل النزيل[(٤)].

لقد خوفنا الموت بمن أخذ منا، ونعلم هجومه علينا وقد أمنا.

قال لقمان لابنه: يا بني أمرٌ لا تدري متى يلقاك استعد له قبل أن يفجأك[(٥)].

---

(١) «ديوان أبي العتاهية» ص(٣٠١).
(٢) «شرح الصدور» ص(٢١).
(٣) «شرح الصدور» ص(١٥).
(٤) «التذكرة في الاستعداد ليوم الآخرة» ص(٩١).
(٥) «العاقبة في ذكر الموت والآخرة» ص(٩٢) لعبد الحق الإشبيلي.

فتفكر يا مغرور في الموت وسكرته، وصعوبة كأسه ومرارته، فيا للموت من وعد ما أصدقه، ومن حاكم ما أعدله، كفى بالموت مقرحًا للقلوب ومبكيًا للعيون، ومفرقًا للجماعات، وهادمًا للذات، وقاطعًا للأمنيات فهل تفكرت يا ابن آدم في يوم مصرعك، وانتقالك من موضعك وإذا نقلت من سعة إلى ضيق وخانك الصاحب والرفيق وهجرك الأخ والصديق، وأخذت من فراشك وغطائك إلى عرر، وغطوك بعد لين لحافك بتراب وقذر، فيا جامع المال والمجتهد في البنيان، ليس لك والله من مال إلا الأكفان، بل هي والله للخراب والذهاب وجسمك للتراب والمآب، فأين الذي جمعته من مال؟ هل أنقذك من الأهوال؟ كلا بل تركته إلى من لا يحمدك، وقدمت بأوزارك على من لا يعذرك[1] .

● قال أبو سليمان الداراني: قلت لأم هارون العابدة: أتحبين أن تموتي؟ قالت: لا. قلت: ولِمَ؟ قالت: والله لو عصيت مخلوقًا لكرهت لقاءه فكيف بالخالق جل جلاله[2] .

* ألا قلوبٌ لها عيون؟!

قال ابن الجوزي في «بستان الواعظين»:

قيل للربيع ـ رحمه الله ـ ألا تجلس معنا نتحدث؟ فقال: إن ذكر الموت إذا فارق قلبي ساعة فسد عليّ قلبي. وأنشدوا:

ما أغفل الناس عن وعيد ... قربه الليل والنهار
والعار ما جرَّت المعاصي ... وليس في النائبات عار

---

(١) «التذكرة» ص(١٠).

(٢) «العافية» ص(٣٠).

ويحك ما تصنع المنايا ... تأتي فتخلى لها الديار
فلا قلوب لها عيون ... ولا عيون لها اعتبار

عباد اللَّه اسعوا في فكاك رقابكم، وأجهدوا أنفسكم في خلاصها قبل أن تزهق، فواللَّه ما بين أحدكم وبين الندم، والعلم بأنه قد زلت به القدم، إلا أن يحوم عقاب المنية عليه، ويفوق سهامها إليه، فإذا الندم لا ينفع، وإذا العذر لا يمنع، وإذا النصير لا يدفع، وإذا الشفيع لا يشفع، وإذا الذي فات لا يسترجع، وإذا البائس المحابي به في النجاة لا يطمع. فكأني بك يا أخي وقد صرخ عليك النسوان، وبكى عليك الأهل والإخوان، وفقدك الولدان ونفخ لفرقتك الجيران، ونادى عليك المنادي قد مات فلان بن فلان. ثم نقلت عن الأحباب، وحملت إلى أرماس التراب وأضجعوك في محل ضنك، قصير السمك، مهول منظره، كثير وعره، مغشى بالوحشة. عرفته مهول الضريح، مطبق الصفيح، على غير مهاد ولا وداد، ولا مقدمة زاد ولا استعداد».

• يا نفس هذا بيت مثواك:

أيها المعجب فخراً ... بمقاصير البيوتِ
إنما الدنيا محل ... لقيام وقنوتِ
فغداً تنزل بيتًا ... ضيقًا بعد النحوت
بين أقوام سكوت ... ناطقات في الصموت
فأرض في الدنيا بثو ... ب من العيش بقوت
واتخذ بيتًا ضعيفًا ... مثل بيت العنكبوت
ثم قل: يا نفس هذا ... بيت مثواك فموتِي[1]

---

(١) «الكبائر» المنسوب للذهبي ص(١٥٥).

• أخي: أزف الرحيل وما حصل الزاد:

أزف الرحيل وماحصل الزاد، فيا لرحيلك ما أعجله، يا لسفرك ما أطوله، يا لطريقك ما أهوله.

تنبه أيها الشاب لاغتنام العمل، تيقظ أيها الكهل قبل خيبة الأمل، بادر أيها الشيخ فكأن قد قيل ورحل ـ يا من ستفوت أنفاسه استدركها، يا من ستفوت أيامه أدركها، أعز الأنفس عليك نفسك فلا تهلكها[1] .

• أخي:

إنْ كنت تطمع في الحياة فقد ترى ... أرباب دارك ساكَنوا الأمواتْ

أَنَّى تحسُّ من الأكارم ذكرهم ... خلت الديار وبادت الأصواتْ[2]

فالموت طالب لايعجزه المقيم، ولا ينفلت منه الهارب.

وللنفوس وإن كانت على وجلٍ ... من المنيّة آمال تقوّيها

والمرء يبسطها، والدهر يقبضها ... والنفس تنشرها والموت يطويها[3]

أخي.. أخي.. يا مأكول الدود غدًا.

حتى متى تُسقى النفوس بكأسها ... ريب المنون وأنت لاهٍ ترتعُ

أفقدْ رضيت بأن تُعَلَلّ بالمنى ... وإلى المنيّة كل يوم تُدفعُ؟

فتزودنّ ليوم فقرك دائبًا ... واجمع لنفسك لا لغيرك تجمع[4]

• ﴿ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر﴾:

يا له مَرامًا ما أبعده، وزَوْرًا ما أغفله! وخطرًا ما أفظعه، ، لقد استَخْلوا

---

(١) «رؤوس القوارير» لابن الجوزي ص(١٥٣ ـ ١٥٨)، دار الصحابة.

(٢، ٣، ٤) «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» للحافظ أبي حاتم محمد بن حبان ص(٢٨٦، ٢٨٧) ـ مكتبة السنة.

منهم أي مُدَّكر وتناوشهم من مكان بعيد! أفبمصارع آبائهم يفخرون! أم بعديد الهلكى يتكاثرون! يرتجعون منهم أجسادًا خوت وحركات سكنت ولأن يكونوا عبرًا أحق من أن يكونوا مفتخرًا، ولأن يهبطوا بهم جناب ذلة، أحجى من أن يقوموا بهم مقام عِزّة! لقد نظروا إليهم بأبصار العَشْوَة، وضربوا منهم في غَمْرَةَ جَهالَة ولو استنطقوا عنهم عَرصَات تلك الديار الخاوية، والربوع الخالية لقالت: ذهبوا في الأرض ضُلاَّلاً، وذهبتم في أعقابهم جُهّالاً، تطئون في هامهم وتستنبتون في أجسادهم، وترتعون فيما لفظوا، وتسكنوا فيما خَرّبوا، وإنما الأيام بينكم وبينهم بواك ونوائح عليكم، أولئكم سلف غايتكم وفراط مناهلكم الذين كانت لهم مقاوم العز وحلبات الفخر ملوكًا وسُوَقًا...

سلكوا في بطون البرزخ سبيلاً، سُلِّطت الأرض عليهم فيه، فأكلت من لحومهم، وشربت من دمائهم، فأصبحوا في فجوات قبورهم جمادًا لا ينمون، وضمارًا لا يوجدون، لا يُفزعهم ورود الأهوال، ولا يحزنهم تنكرُ الأحوال، ولا يَجْفُلون بالرواجف، ولا يأذنون للقواصف، غُيَّبًا لا ينتظرون وشهودًا لا يحضرون، وإنما كانوا جميعًا فتشتتوا وأُلافًا فافترقوا.

وما عن طول عهدهم، ولا بعد مَحَلِّهم عميت أخبارهم، وصُمَّت ديارهم ولكنهم سقوا كأسًا بدّلتهم بالنطق خَرَسًا وبالسمع صممًا، وبالحركات سكونًا، فكأنهم في ارتجال الصفة صرعى سبات.

جيران لا يتآنسون، وأحباء لا يتزاورون، بليت بينهم عرى التعارف، وانقطعت منهم أسباب الإخاء، فكلهم وحيد وهم جميع، وبجانب الهجر وهم أخلاء. لا يتعارفون لليل صباحًا، ولا لنهارٍ مساءً، أي الجديدين ظعنوا فيه كان عليهم سرمدًا، شاهدوا من أخطار دارهم أفظع مما خافوا، ورأوا من آياتها أعظم مما قدروا.

فكلتا الغايتين[١] مُدت لهم إلى مَباءة[٢] فاتت مبالغ الخوف والرجاء.

فلو كانوا ينطقون بها لَعيُّوا بصفة ما شاهدوا وما عاينوا ولئن عميت آثارهم، وانقطعت أخبارهم، لقد رجعت فيهم أبصار العبر، وسمعت عنهم آذان العقول، وتكلموا من غير جهات النطق، فقالوا: كلحت الوجوه النواضر وخوت الأجسام النواعم، ولبسنا أهدام البلى، وتكاءَدَنا ضيق المضجع، وتوارثتنا الوحشة، وتهكمت [تهدمت] علينا الربوع الصموت، فانمحت محاسن أجسادنا وتنكرت معارف صورنا، وطالت في مساكن الوحشة إقامتنا ولم نَجدْ من كرب فرجًا، ولا مِنْ ضيق متسعًا.

فلو مثلتهم بعقلك، أو كشف عنهم محجوب الغطاء لك.. وقد ارتسخت أسماعهم بالهوام فاستلت، واكتحلت أعينهم بالتراب فخسفت، وتقطعت الألسنة في الأفواه بعد ذلاقتها، وهَمَدت القلوب في صدورهم بعد يقظتها وعاث في كل جارحة منهم جديد بلىً سمّجها وسهل طرق الآفة إليها مُسْتسلِمات فلا أيدٍ تَدْفَع، ولا قلوب تجزع لرأيت أشجان قلوب، وأقذاء عيون، لهم من كل فظاعة صفة حال لا تنتقل وغَمْرَة لا تنجلي.

فكم أكلت الأرض من عزيز جسد، وأنيق لون كان في الدنيا غَذِيّ ترف، وربيب شرف يتعلل بالسرور في ساعة حزنه، ويفزع إلى السلوة إنْ مصيبة نزلت به ضنًّا بغضارة عيشه[٣]، وشحاحةً بلهوه ولعبه.

فبينا هو يضحك إلى الدنيا وتضحك إليه، في ظل عيش غفول. إذ وطئ الدهر به حَسَكَه، ونقضت الأيام قواه ونظرت إليه الحتوف من كثب،

---

(١) الغايتان: الجنة والنار.

(٢) المباءة: مكان التبوء والاستقرار والمراد منها ما يرجعون إليه في الآخرة.

(٣) غضارة العيش: طيبه.

فخالطه بثٌّ لا يعرفه ونجيّ همٍّ ما كـان يجده، وتولدت فيه فترات علل آنس ما كان بصحته ففزع إلى الأطباء؛ حتى فتر مُعَلِّله، وذهل مُمَرِّضه وتعايا أهله بصفـة دائه، وخرسوا عـن جواب السائـلين عنه وتـنازعوا دون شجـي خبر يكتمـونه، فقائل: هو لِمَـا به، ومُمَنٍّ إياب عافيـته، ومصبرٌ لهم عـلى فقده يذكرهم أسى الماضي من قَبْله.

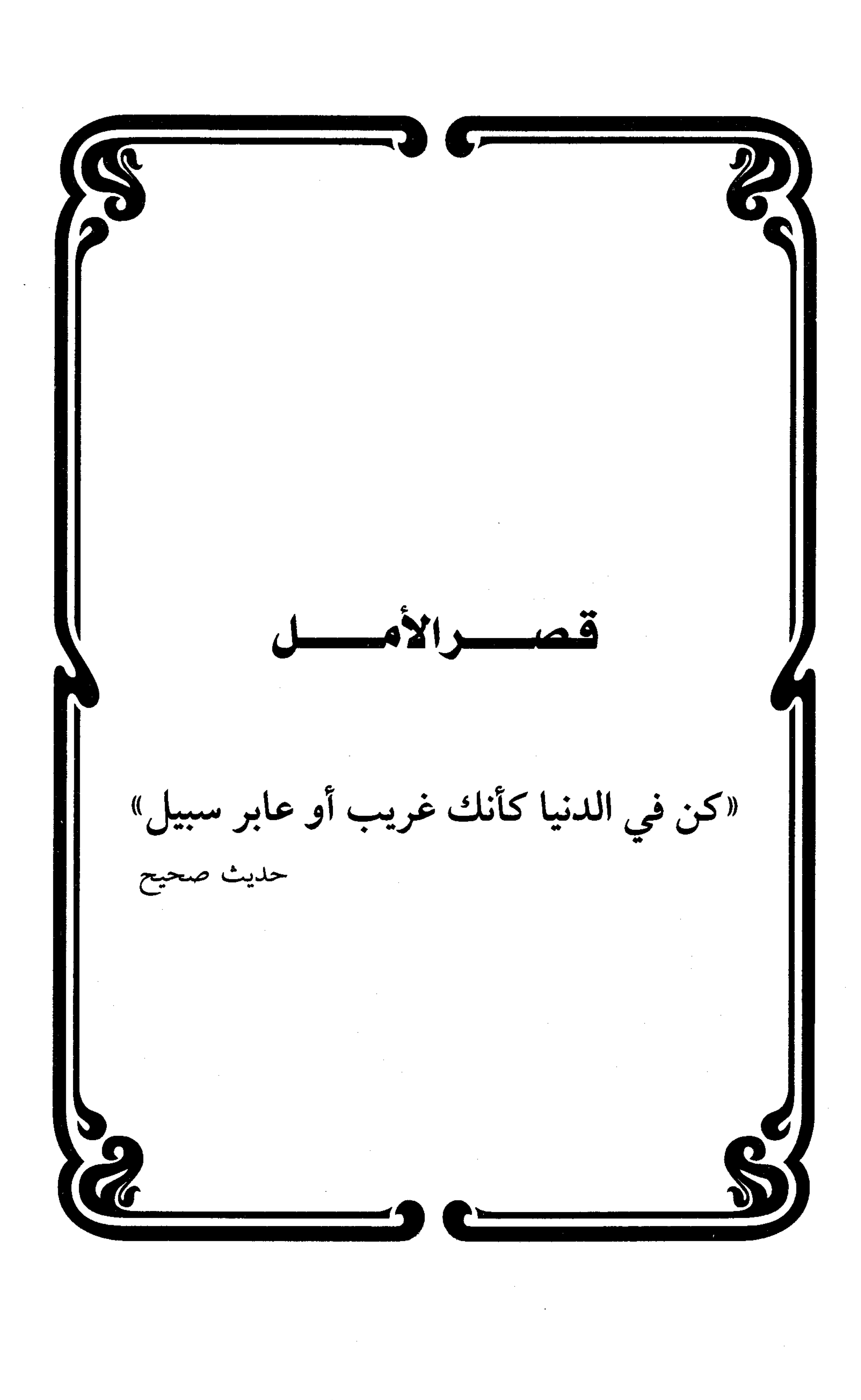
فبينـا هو كذلك على جنـاح من فراق الدنيا وترك الأحـبة، إذ عَرَضَ له عارض من غصَصِـه، فتحيرت نوافذ فطنـته ويَبِسَت رطوبةُ لســانه؛ فكم من مُهمٍّ من جوابه عَرفَه فعي عن ردِّه، ودُعاءٍ مؤلم بـقلبه سمعه فتصام عنه! من كبير كان يعظمه، أو صغير كان يرحمه.

وإن للموت لـغَمَرات هي أفظع من أن تسـتغرق بصفة، أو تعـتدل على عقول أهل الدنيا[1] .

***

(١) «نهج البلاغة» ص(٢٦٦ ـ ٢٧٠).

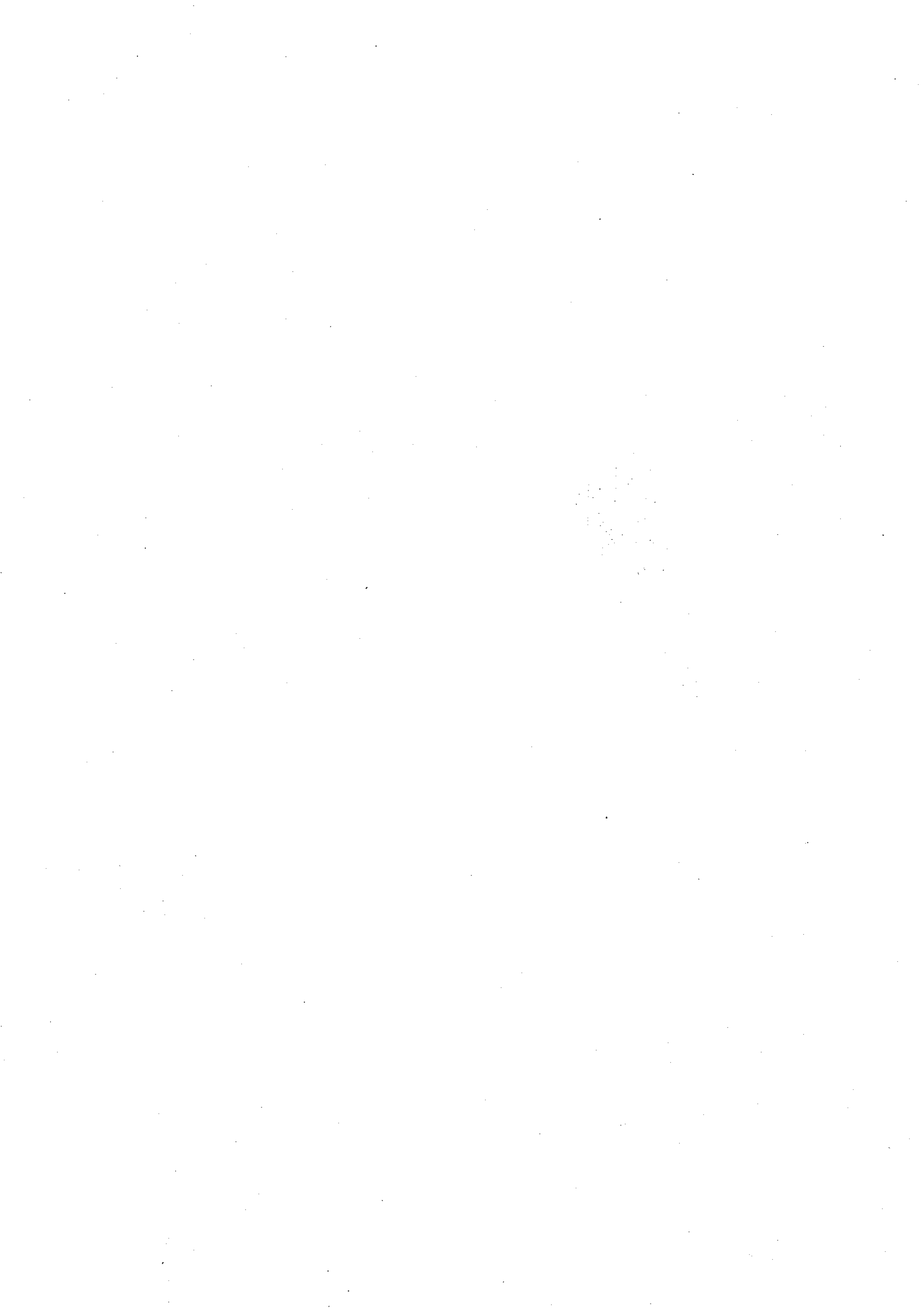




قصـــــــر الأمـــــــل

«كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»

حديث صحيح



قصـــر الأمـــل

● عن أنس قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«يَهرَمُ ابن آدم ويبقى منه اثنتان: الحرصُ والأمل»[1] .

● عن سلمان الفارسي قال:

ثلاثٌ أعجبتني، ثم أضحكتني!

- مؤمِّلُ الدنيا والموتُ يطلبه.

- وغافلٌ وليس بمغفولٍ عنه.

- وضاحكٌ ملءَ فيه ولا يدري أساخطٌ ربُّ العالمين عليه أم راضٍ عنه.

وثلاثةٌ أحزنتني حتى أبكتني:

- فراقُ محمد ﷺ وحزبه والأحبة.

- وهولُ المطلع.

- والوقوفُ بين يدي ربي، لا أدري إلى الجنة يُؤْمَرُ بي أو إلى النار!

● عن صالح البراد قال:

رأيتُ زُرارةَ بن أوفى بعد موته في منامي، فقلت: أي الأعمال أبلغ فيما عندكم؟

قال: التوكل، وقِصَرُ الأمل[2] .

---

(١) رواه البيهقي في «الزهد الكبير» ص(١٨٩) رقم (٤٥٤) عن أنس بلفظ ابن أبي الدنيا، وقال الحافظ العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» بإسناد صحيح، «إتحاف السادة المتقين» (١٠/ ٢٣٩).

(٢) «قصر الأمل» ص(٤١).

● عن محمد بن معمر قال:

سأل المُفَضَّل بن فَضَالة ربَّه أن يرفع عنه الأمل، فذهب عنه الطعام والشراب.

ثم دعا ربَّه، فردَّ عليه الأمل، فرجع إلى الطعام والشراب![1].

● عن داود الطائي قال:

سألت عطوان بن عمرو التميمي قلت: ما قِصَرُ الأمل؟

قال: ما بين تردُّدِ النَّفَس[2].

● عن الحسن:

أن ثلاثة علماء اجتمعوا، فقالوا لأحدهم: ما أمَلُك؟

قال: ما أتى عليَّ شهرٌ إلا ظننتُ أني أموت فيه.

قال صاحباه: إن هذا لأمل!

فقالوا للآخر: ما أملك؟

قال: ما أتت عليَّ جمعةٌ إلا ظننتُ أني سأموت فيها!

قال صاحباه: إنْ هذا لأمل!

فقالوا للآخر: ما أملك؟

قال: ما أَمَلُ مَنْ نفسُه في يدِ غيره؟![3].

● قال مالك بن مغول: يقال:

من قَصَرَ أملُه هان عليه عشيه.

---

(١) «قصر الأمل» ص(٤٢، ٤٣).

(٢) المصدر السابق.

(٣) «قصر الأمل» ص(٤٤).

قال سفيان: يعني في المطاعم والملابس.

● عن هشام بن يحيى الغساني، عن أبيه أنه قال:

ما نمتُ يومًا قطُّ فحدثتُ نفسي أني أستيقظُ منه!

● عن الحسن قال:

قيل: يا أبا سعيد، ألا تغسل قميصك؟

قال: الأمر أعجل من ذلك![1].

● إن بكر بن عبد اللَّه المزني لقي أبا جميلة فقال:

يا أبا جميلة، كيف أنت؟

قال: أنا واللَّه هكذا: كرجلٍ مادٍّ عنقَه والسيف عليها، ينتظر متى تُضرب عنقه![2].

● عن سُويد بن عمرو. قال: سمعت داود الطائي يقول:

لو أَمَلْتُ أن أعيشَ شهرًا، لرأيتني قد أتيت عظيمًا! وكيف أؤمل ذلك وأرى الفجائع تغشى الخلق في ساعات الليل والنهار[3].

● عن الحسن قال:

كان أحدهم يتخذ القصبة، ويجعل فيها خيطًا يعلقها في إصبعه فيها ماء، يريد إذا بال أن يتوضأ، مخافة أن يأتيه أمر اللَّه![4].

● قال علي بن أبي طالب ﷺ:

إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتين: اتباع الهوى، وطول الأمل.

---

(١) «قصر الأمل» ص(٤٥).

(٢) «إتحاف السادة المتقين» (١٠/ ٢٤١)، و«قصر الأمل» ص(٤٧).

(٣) المصدر السابق.

(٤) «الزهد» لابن المبارك ص(٩٩) رقم (٢٩٣) بألفاظ متقاربة.

فأما اتباع الهوى: فيصدُّ عن الحق.

وأما طول الأمل: فيُنسي الآخرة.

ألا وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة.

ألا وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة.

ولكل واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولاحساب، وغدًا حساب ولا عمل(١).

● عن عمر بن عبد العزيز أنه قال في بعض خطبه:

إن لكل سفرٍ زادًا لا محالة، فتزوَّدوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة بالتقوى(٢).

● كتب محمد بن يوسف الأصبهاني العابد إلى بعض إخوانه:

أَقْرِئ من أقرأتنا منه السلامَ السلامَ، وتزوَّد لأُخراك، وتجافَ عن دنياك، واستعد للموت، وبادر الفوت، واعلم أن أمامك أهوالاً وأفزاعًا قد أرعبَت الأنبياء والرسل، والسلام(٣).

● عن رجل من قريش قال: كتب رجل إلى أخ له:

أما بعد، فإن الدنيا حُلم والآخرة يقظة! والمتوسط بينهما الموت، ونحن في أضغاث، والسلام(٤).

* * *

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» كتاب الرقائق باب في الأمل وطوله (٧/ ١٧٠).

(٢) «حلية الأولياء»، و«قصر الأمل» ص(٥٠).

(٣) «حلية الأولياء» (٨/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦).

(٤) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٢).

● أنشد أبو بكر بن علي قوله:

قل للمؤمِّل إن الموتَ في أَثَرِكْ ... وليس يخفى عليك الأمرُ مِنْ نَظَرِك
فيمن مضى لك إن فكَّرتَ مفتكرٌ ... ومَنْ يمت كلَّ يوم فهو من نُذُرِك
دارٌ تسافر فيها من غد سفراً ... فلا تؤوب إذا سافرتَ من سفرك
تضحى غداً سمراً للذاكرين كما ... صار الذين مضوا بالأمس من سمرك

● وأنشد قوله:

نُوديْ بصوتٍ أيَّما صوتِ ... ما أقربَ الحي من الموت
كأنَّ أهل الغيٍّ في غيِّهم ... قد أخذوا أمنًا من الموت
كم مصبح يَعْمُر بيتًا له ... لم يُمْسِ إلا خارب البيت!
هذا وكم حيٌّ بكى مَيْتًا ... فأصبح الحيُّ مع الميتِ[1]

● قال عون بن عبد اللَّه بن عتبة:

ما أنزلَ الموتف كُنهَ منزلته مَنْ عدَّ غدًا من أَجَله!

كم من مستقبِلٍ يومًا لا يستكمله!

وكم من مؤمِّل لغدٍ لا يدركه!

إنكم لو رأيتم الأجلَ ومسيرَه، لأبغضتم الأمل وغروره![2].

● عن عبيد اللَّه بن شُميط بن عجلان قال: سمعت أبي يقول:

إن المؤمن يقول لنفسه: إنما هي أيام ثلاثة:

فقد مضى أمس بما فيه.

وغدًا أملٌ لعلك لا تدركه، إنك إن كنتَ من أهل غدٍ فإن غدًا يجيء

---

(١) «قصر الأمل» ص(٥٣).

(٢) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٣/١٠٣)، و«قصر الأمل» ص(٥٦).

برزق غد، إن دون غدٍ يومًا وليلةً تُخترم فيه أنفسٌ كثيرة، لعلك المُخْتَرم فيها. كفى كل يوم همُّه.

ثم قد حملتَ على قلبك الضعيف همَّ السنين والأزمنة، وهمَّ الغلاء والرَّخص، وهمَّ الشتاء قبل أن يجيء الشتاء، وهمَّ السيف قبل أن يجيء الصيف، فماذا أبقيتَ من قلبك الضعيف لآخرته؟!

كل يوم ينقص من أَجَلك وأنتَ لا تحزن، وكل يوم تستوفي رزقك وأنت لا تحزن!

أُعطيتَ ما يكفيك، فأنت تطلب ما يُطغيك!

لا بقليل تقنع، ولا من كثير تشبع!

وكيف لا يستبين بعالم جهلُه وقد عجز عن شكرِ ما هو فيه، وهو مغترٌّ في طلب الزيادة؟

أم كيف يعمل للآخرة من لا ينقطعُ من الدنيا شهوته، ولا تنقضي منها نُهمته؟! فالعجب كل العجب لمن يصدِّق بدار الحيوان وهو يسعى لدار الغرور![1].

● ويقول شميط بن عجلان:

طالت آمالكم، فجدَّدتم منازلكم من الدنيا، وطَيَّبْتم منها معايشكم، وتلذَّذتم فيها بطيبِ الطعام، ولين اللباس، كأنكم للدنيا خُلقتم! أَوَلا تعلمون أن الموت أمامكم؟ أَوَلا تعلمون أن مَلَك الموت موكَّل بآجالكم، لا يذهب عنه من المدة شيء؟

ثم يقول: لا تكونوا - رحمكم الله - أقلَّ شيء بالموت اكتراثًا، وأعظمَ

(١) «قصر الأمل» ص(٥٧).

شيء عن الموت غفلة، فما ينتظر الحيُّ إلا الموت! وما ينتظر المسافرُ إلا الظَّعن[١].

● كان صفوان بن سُلَيم لا يكاد يخرج من مسجد النبي ﷺ. فإذا أراد أن يخرج بكى، وقال: أخاف أن لا أعود إليه![٢].

● عن إسماعيل بن زكريا ـ وكان جار الحبيب أبي محمد ـ رحمه اللَّه ـ قال:

كنتُ إذا أمسيتُ سمعتُ بكاءه، وإذا أصبحت سمعتُ بكاءه. فأتيتُ أهله فقلت: ما شأنه يبكي إذا أمسى، ويبكي إذا أصبح؟!

قال: فقالت لي: يخاف ـ واللَّه ـ إذا أمسى أن لا يُصبح، وإذا أصبح أن لا يُمسي![٣].

● كان حبيب يقول لزوجته:

إن متُّ في اليوم فأرسلي إلى فلان يغسلني، وافعلي كذا، واصنعي كذا.

فقيل لامرأته: أرأى رؤيا؟

قالت: هذا يقوله في كل يوم![٤].

● عن إبراهيم بن نَشيط قال: قال لي أبو زُرعة الشامي:

لأقولنَّ لك قولاً ما قلتُه لأحدٍ سواك!

---

(١) «قصر الأمل» ص(٥٨).

(٢) «صفة الصفوة» (٢/ ١٥٣).

(٣) «صفة الصفوة» (٣/ ٣٢٠)، و«جامع العلوم والحكم» (٢/ ٢٦٣).

(٤) «صفة الصفوة» (٣/ ٣٢٠).

ما خرجتُ من المسجد منذ عشرين سنة فحدثتْ نفسي أن أرجع إليه[١] .

● يقول زياد النميري:

لو كان لي من الموت أجلٌ أعرفُ مدَّتهُ، لكنتُ حريًّا بطول الحزن والكمد حتى يأتيني وقته، فكيف وأنا لا أعلم متى يأتيني الموت صباحًا أو مساء؟!!

ثم خنقته العَبْرة، فقام[٢] .

● كتب أبو عتبة عبَّاد الخواص إلى سليمان بن حيَّان أبي خالد الأحمر:

أما بعد، فإني أوصيك بتقوى اللَّه، وحسن النظر مما هو منظورٌ فيه من أمرك.

وأعرض نفسك قبل عرض اللَّه إياك.

وبادر الأجَلَ بصالح العمل قبل فوت ذلك والأسف عليه.

فالعجبُ لموقع هذا الخطر من القلوب مع المعرفة بفنائه والعلم بما مضى منه ومن أهله!

هل فيهم مغبوطٌ بشيء كان فيه؟ أم هل منهم ظاعن بشيء معه؟ أم هل منهم مردود إلى معتمد، فأتى كتابك، فسررت بعافية اللَّه؟! إياكم... غلبة الهوى على المعرفة، قد كان السرور بالموت أحق، ولكنَّا نسأل اللَّه لنا ولك بركة عطائه، واللطف بالسلامة فيما أخَّرَنا له، فقد... الموتَ الصالحون قبلنا عند وقوع أوائل... في جمهورها. إنما وصف... منها... لا نعرفه من أنفسنا، ولا نناله إلا باللَّه تعالى. نحن معافون، وما يأتينا من نعم اللَّه عظيم[٣] .

---

(١) «قصر الأمل» ص(٦٠).

(٢) «حلية الأولياء» (٦/ ٢٦٧)، «قصر الأمل» ص(٦١).

(٣) «قصر الأمل» ص(٦٥).

● يقول شميط بن عجلان:

أيها المغترُّ بطول صحته، أما رأيت ميتًا قطُّ من غير سقم؟

أيها المغترُّ بطول المهلة، أما رأيت مأخوذًا قطُّ من غير عُدَّة؟

إنك لو فكرت في طول عمرك لنسيت ما قد تقدَّمَ من لذاتك.

أبالصحةِ تغترُّون؟ أم بطول العافية تمرحون؟ أم للموت تأمنون؟ أم على ملك الموت تجترؤون؟!

إن ملك الموت إذا جاء لم يمنعه منك ثروةُ مالك، ولا كثرة احتشادك.

أما علمتَ أن ساعة الموت ذاتُ كربٍ وغُصص وندامة على التفريط؟

ثم يقول:

رحم اللَّه عبدًا عمل لساعة الموت.

رحم اللَّه عبدًا عمل لما بعد الموت.

رحم اللَّه عبدًا نظر لنفسه قبل نزول الموت[1].

● من محمد بن يوسف إلى عبد الرحمن بن يوسف:

سلام عليك.

فإني أحمد إليك اللَّه الذي لا إله إلا هو، أما بعد:

فإني محذِّرك مُتحوَّلك من دار مُهْلتك إلى دار إقامتك وجزاءِ أعمالك، فتصير في قرار باطن الأرض بعد ظاهرها، فيأتيك منكر ونكير، فيُقعدانك وينتهرانك، فإن يكن اللَّه معك فلا بأس، ولا وحشة ولا فاقة، وإن يكن غير ذلك فأعاذني اللَّه وإياك من سوءِ مصرعٍ وضيقِ مضجعٍ. ثم تتبعك صيحةُ

(١) «صفة الصفوة» (٣/ ٣٤٧)، «قصر الأمل» ص(٦٢).

الحشر ونفخ الصُّور وقيام الجبار لفصل قضاء الخلائق، وخلاء الأرض من أهلها، والسماوات من سكانها. فباحت الأسرار، وأُسعرت النار، ووُضعت الموازين، وجيءَ بالنبيين والشهداء: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فكم من مفتضح ومستور! وكم من هالك وناجٍ؟! وكم من معذبٍ ومرحوم؟!

فيا ليت شعري ما حالي وحالك يومئذ؟

ففي هذا ما هَدَم اللذت، وسلا عن الشهوات، وقصَّر الأمل، فاستيقظ النائمون، وحذر الغافلون.

أعاننا اللَّه وإياك على هذا الخطر العظيم، وأوقع الدنيا والآخر من قلبي وقلبك موقعهما من قلوب المتقين. فإنما نحن به وله[1].

● روى البخاري بسنده: «خط النبي ﷺ خطوطًا فقال: «**هذا الأمل وهذا أجله فبينما هو كذلك، إذا جاءه الموت**»[2].

● عن القعقاع بن عجلان قال: خطب عمر بن عبد العزيز، فحمد اللَّه تعالى وأثنى عليه، وقال:

أيها الناس، إنكم لم تُخْلَقوا عبثًا، ولن تُتركوا سُدى. وإن لكم معادًا يجمعكم اللَّه للحكم فيكم والفصلِ فيما بينكم، فخاب وشقيَ عبدٌ أخرجه اللَّه من رحمته التي وسعت كلَّ شيء، وجنتِه التي عرضُها السماواتُ والأرض.

وإنما يكون الأمان غدًا لمن خاف اللَّه واتقى، وباع قليلاً بكثير، وفانيًا

---

(١) «حلية الأولياء» (٨/ ٢٣٦)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٢).

(٢) «البخاري» كتاب الرقائق ـ باب في الأمل وطوله (٧/ ١٧١).

بباقٍ، وشِقْوةً بسعادة.

ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وسيخلفه بعدكم الباقون؟

ألا ترون أنكم في كلِّ يوم تشيِّعون غاديًا أو رائحًا إلى اللَّه، قد قضى نحبه، وانقطع أملُه، فيضعونه في بطنِ صدعٍ من الأرض، غير موسد ولا ممهد؟ قد خلع الأسلاب، وفارق الأحباب، وواجه الحساب؟

وايمُ اللَّه إني لأقول لكم مقالتي هذه، وما أعلمُ عند أحدٍ منكم من الذنوب أكثرَ مما أعلم من نفسي، ولكنها سننٌ من اللَّه عادلةٌ، أَمَرَ فيها بطاعته، ونهى فيها عن معصيته. وأستغفر اللَّه.

ووضع كُمَّهُ على وجهه، فبكى حتى لثقت لحيته، فما عاد إلى مجلسه حتى مات ـ رحمه اللَّه ـ[1].

● قال مسكين بن دينار:

كان في تَيمِ اللَّه شيخ متعبد، يجتمع إليه فتيانُ الحي ونُسَّاكُهم، قال: فيذكرهم، فإذا أرادوا أن يتفرقوا قال: يا إخوتاه، قوموا قيام قوم قد يئسوا من المعاودة لمجلسهم، خوفًا من خَطَفات الموكَّل بالنفوس!

قال: فيَبكي ـ واللَّه ـ ويُبكي[2].

● كان الربيع بن عبد الرحمن يقول في كلامه:

قَطَعَتنا غفلةُ الآمال عن مبادرة الآجال، فنحن في الدنيا حيارى، لا ننتبه من رقدة إلا أعقبتنا في أَثَرها غفلةٌ!

فيا إخوتاه، نشدتكم باللَّه، هل تعلمون مؤمنًا باللَّه أغرَّ، ولِنِقَمِه أقلَّ

---

(١) «حلية الأولياء» (٥/ ٢٩٥)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٣).

(٢) «قصر الأمل» ص(٦٨).

حذرًا، من قومٍ هجمت بهم العبَر علـى مصارع النادمين، فطاشت عقولهم، وضلت حلومهم عند ما رأوا من العِبَر والأمثال، ثم رجعوا عن ذلك إلى غير قلعة ولا نقلة؟!

فباللَّه يا إخوتاه، هل رأيتم عاقلاً رضيَ من حاله لنفسه بمثل هذه حالاً؟

واللَّه عبادَ الـلَّه لتبلُغُنَّ من طاعـة اللَّه رضاه، أو لتُنكرنَّ مـا تعرفون من حسن بلائه، وتواتر نعمائه.

إن تُحـسن أيها المـرء يُحسَن إلـيك. وإن تُسيء فـعلى نفـسك بالعـتبِ فارجع، فقد بين وأعذر وأنذر، فما للناس على اللَّه حُجَّةٌ بعد الرسل، وكان اللَّه عزيزًا حكيمًا[١].

● قال عبد الرحمن بن يزيد ـ وكان له حظ من دين وعقل ـ فقال لبعض أصحابه: أبا فلان، أخبرني عن حالك التي أنت عليها، أترضاها للموت؟

قال: لا.

قال: فهل أزمعت التحويلَ إلى حالٍ ترضاها للموت؟

قال: لا، واللَّه ما تاقت نفسي إلى ذلك بعد!

قال: فهل بعد الموت دارٌ فيها مُعتمل؟

قال: لا.

قال: فهل تأمن أن يأتيك الموت وأنت على حالك هذه؟

قال: لا.

قال: ما رأيت مثـل هذه حالاً رضي بها، وأقام عليهـا ـ أحسبه قال ـ: عاقل[٢].

(١) «حلية الأولياء» (٦/ ٢٩٨)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥).

(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ٢١٥)، و«تهذيب الكمال» (١٨/ ١٥ ـ ١٦).

● قال القعقاع بن حكيم:

قد استعددتُ للمـوت منذ ثلاثين سنة! فلو أتاني ما أحـببتُ تأخير شيء عن شيء![١] .

● قال سفيان الثوري:

رأيت شيخًا في مسجد الكوفة يقول: أنا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة أنتظر الموتُ أن ينزل بي، لو أتاني ما أمرته بشيء ولا نهيته عن شيء، ولا لي على أحدٍ شيء، ولا لأحد عندي شيء![٢] .

● كان يزيد الرقاشي يقول:

إلى متى نقول: غدًا أفعل كذا، وبعـد غدٍ أفعل كذا، وإذا أفطرتُ فعلت كذا، وإذا قدمتُ من سفري فعلتُ كذا؟!

أغفلت سفرك البعيد، ونسيت ملك الموت؟

أما علمت أن دون غدٍ ليلةٌ تُخترم فيها أنفسٌ كثيرة؟

أما علمت أن ملك الموت غير منتظر بك أملك الطويل؟

أما علمت أن الموت غاية كل حي؟

قال: ثم يبكي حتى يبلَّ عمامته، ثم يقول:

لو رأيته صريعًا بين أحبابه لا يـقدر على ردِّ جوابهم، بعد أن كان جدلاً خصمًا سمحًا كريمًا عليهم؟

أيها المغتر بشبابه! أيها المغتَرُّ بطول عمره!

قال: ثم يبكي حتى يبلَّ عمامته![٣] .

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٣).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٣)، و«قصر الأمل» ص(٧١).

(٣) «قصر الأمل» ص(٧١، ٧٢).

● قال عمر بن ذر:

ابنُ آدم إنما يتعجلُ أفراحَه بكاذب آماله، ولا يتعجَّل أحزانَه بأعظمِ أخطاره![١] .

● قال مالك بن ضيغم:

ما سمعتُ أبي يُنشد من الشعر شيئًا إلا هذه الأبيات:

قل للمؤمِّل والمنايا شُرَّعُ ... ماذا يغرُّك يا ابنَ مَنْ لم يَخْلُدِ
يا ابنَ الذين تقطَّعت أوصالُهم ... ترجو البقاءَ وأنت غيرُ مُخَلَّدِ
وأبوك مالكُ كان يأمُلُ ما ترى ... حتى أَتَتْهُ منيَّةٌ لم تُرْدَدِ

قال: فإذا قالها، بكى وأبكى[٢] .

● عن عتبة بن هارون قال: قال ابن أبي عَمْرة:

يا أيُّهذا الذي قد غرَّه الأملُ ... ودونَ ما يَأْمُلُ التنغيصُ والأَجَلُ
ألا ترى أنَّما الدنيا وزينتُها ... كمنزلِ الرَّكْبِ دارًا ثَمَّة ارتحلوا
حُتوفها رَصَدٌ وَعَيْشُها نَكَدٌ ... وصفوها رَنَقٌ ومُلْكُها دُوَلُ
تَظَلُّ تُفْزِعُ في الرَّوعات ساكِنَها ... فما يسوغُ له لِيْنٌ ولا جَذَلُ
كأنه للمنايا والرَّدى عَرَضٌ ... تظلُّ فيه بناتُ الدهر تنتضلُ
المرء يشقى بما يسعى لوارثه ... والقبر وارثُ ما يسعى له الرجلُ[٣]

● كان عبد اللَّه بن مرزوق يتمثل كثيرًا بهذا البيت

ومؤمِّلٍ والموت دون رجائه ... ومحاذرٍ أكفانه لم تُغزَلِ[٤]

---

(١) «قصر الأمل» ص(٧٢).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٢١)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٣٥٧ ـ ٣٦٠).

(٣) «قصر الأمل» ص(٧٢)، وما بعدها.

(٤) «صفة الصفوة» (٢/ ٣١٧).

● كان عبد اللَّه بن ثعلبة الحنفي يقول:

«تضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار»[١] .

● قال عبد اللَّه بن زبيد الأيامي:

التقى رجلان من الحكماء، فتذاكرا الموت.

فقال أحدهم: ما أكدر عيش مَنْ قصر أمله.

فقال الآخر: لا أقول ما قلت.

قال: فماذا تقول؟

قال: أقول: ما أصفى عيش من كان كذلك!

قال: أي أخي! وكيف ذلك؟

قال: قد استراح في عاجل الأمر، إلا مما يقوم به رمق النفس![٢] .

● عن عتبة بن عبد اللَّه قال:

قالوا لعون بن عبد اللَّه: ما أنفعُ أيامِ المؤمن له؟

قال: يوم يلقى ربَّه، فيُعْلِمه أنه راض.

قالوا: إنما أردنا من أيام الدنيا.

قال: إن من أنفع أيامه له في الدنيا ما ظَنَّ أنه لا يُدرك آخرَه![٣] .

● قال عون بن عبد اللَّه بن عتبة:

وَيْحِي! كيف أغفل عن نفسي وملك الموت ليس بغافل عني؟!

وَيْحِي! كيف أتَّكل على طول الأمل والأَجَل يطلبني؟![٤] .

---

(١) «حلية الأولياء» (٦/ ٢٤٥)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٣).

(٢) «قصر الأمل» ص(٧٤، ٧٥).

(٣) «قصر الأمل» ص(٧٥).

(٤) من مقولة طويلة له في «حلية الأولياء» (٤/ ٢٥٨).

● عن محمد بن واسع قال:

أربعة من الشقاء: طولُ الأمل، وقسوةُ القلب، وجمودُ العين، والبخل[١].

● قال الفضيل بن عياض:

إن من الشقاء طولَ الأمل، وإن من النعيم قِصَرَ الأمل[٢].

● قال بكر بن عبد اللَّه المزني:

كانت امرأة متعبِّدة، وكانت إذا أمست قالت: يا نفسُ! الليلة ليلتك، لا ليلة لكِ غيرها!.

فإذا أصبحت قالت: يا نفس! اليوم يومك، لا يوم لكِ غيره. فاجتهدت[٣].

● قال صدقة أبو محمد الزاهد:

خرجنا في جنازة بالكوفة، وخرج فيها داود الطائي، فانتبذ مقعد ناحيةٍ وهي تُدفن، فجئت قريبًا منه، فتكلم فقال: من خاف الوعيد قصر عليه البعيد، ومن طال أمله ضعف عمله، وكل ما هو آتٍ قريبٌ.

واعلم - أي أخي - أن كل شيء يشغلك عن ربك فهو عليك مشؤوم.

واعلم أن أهل الدنيا جميعًا من أهل القبور، إنما يندمون على ما يخلِّفون، ويفرحون بما يقدِّمون، ممَّا عليه أهلُ القبور ندموا أهلُ الدنيا عليه يقتتلون، وفيه يتنافسون، وعليه عند القضاء يختصمون![٤].

(١) «صفة الصفوة» (٣/ ٢٦٦)، «الأعلام».
(٢) «قصر الأمل» ص(٧٦).
(٣) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب.
(٤) «حلية الأولياء» (٧/ ٣٥٧ - ٣٥٨).

● كتب الربيع بن خثيم إلى بعض إخوانه:

أن رُمَّ جهازك، وكن وصيَّ نفسك، ولا تجعل أوصياءك الرجال[1].

● وفي «الحلية»: «أعد زادك، وخذ في جهادك وكن وصي نفسك».

ويعني بعدم وصية الرجال: أن لا يبقى عنده شيء من الدنيا فيوصي به.

● أنشد الحسين بن عبد الرحمن:

يَأمُلُ المرءُ أبعدَ الآمالِ ... وهو رهنٌ بأقرب الآجالِ

لو رأى المرءُ رأيَ عينيه يومًا ... كيف صولُ الآجال بالآمال

لتناهى وقَصَّر الخطو في الـ ... ـلهو ولم يغْتَرَّ بدار الزوال

نحن نلهو ونحن تُحصى علينا ... حركاتُ الإدبار والإقبال

فإذا الساعة الخفية حُمَّت ... لم يكن عَثْرُ عاثرٍ بمُقَال

نحن أهلُ اليقين بالموت والـ ... ـبعثِ وعرضِ الأقوال والأعمال

ثم لا نرعوي وقد أعذر الـ ... ـلَّهُ بطول البقا والإمهال

أيَّ شيء تركتَ يا عارفًا ... باللَّه للممترين والجُهَّال

تركبُ الشيء ليس فيه سوى ... أنك تهواه، فعلَ أهلِ الضلال

أنت ضيف، وكل ضيف وإن ... طالت لياليه مؤذِن بارتحال

لو تزوَّدتَ من تُقى اللَّه ... زادًا وتجنَّبْتَ باهظَ الأثقال

---

(١) لفظه في كتاب «الزهد» للإمام أحمد (٢/ ٢١٤): «ذم جهارك وافرغ من زادك وكن وصي نفسك، ولا تجعل أوصياءك الرجال»، «قصر الأمل» ص(٧٩)، وانظر: «الحلية» (٢/ ١٠٧).

(٢) «قصر الأمل» ص(٨٠ ـ ٨١).

أيها الجامعُ الذي ليس يدري كيف جَورُ الأهلينَ والأموال
يستوي في الحساب والبعث والـ موقفِ أهلُ الإكثارِ والإقلال
ثم لا يقتسمون النار والـ جنةَ إلا بسالفِ الأعمال[1]

● عن أبان بن سُلَيم الصوري، أنه كتب إلى بعض إخوانه:

أما بعد، فإنك أصبحت تجدِّد الدنيا بطول أملك، وتتمنَّى على اللَّه الأماني بسوء فعلك، وإنما صرت حديدًا باردًا. والسلام.

● وقال بعض الحكماء:

احذر طولَ الأمل، فإنه سببُ هلاك الأمم.

باللَّه من طول الأمل، فإنه يمنع خير العمل[2].

● قال بعض الحكماء:

الأمل سلطان الشيطان على قلوب الغافلين[3].

● كان بكر بن عبد اللَّه المزني يقول:

إذا أردت أن تنفعك صلاتُك فقل: لعلي لا أصلي غيرها[4].

● قال الحسن:

ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل.

وقال: إذا سرَّك أن تنظر إلى الدنيا. بعدك، فانظر إليها بعد غيرك[5].

● قال عون بعد عبد اللَّه:

كم من مستقبلٍ يومًا لا يستكمله، ومنتظر غدًا لا يبلغه. لو تَنظرون إلى

---

(١) «قصر الأمل» ص(٧٩).

(٢، ٣، ٤) «قصر الأمل» ص(٨١ ـ ٨٢).

(٥) «الزهد» للحسن البصري ص(٨٢)، وهو مروي عن الفضيل بن عياض في «الزهد الكبير» للبيهقي ص(١٩٤) رقم (٤٦٧).

الأجل ومسيره، لأبغضتم الأمل وغروره(١) .

● عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه:

«اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هَرَمك، وصحتكَ قبل سُقْمِك، وغناكَ قبل فَقْرِك، وفَراغك قبل شُغْلك، وحياتك قبل موتك»(٢) .

● وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»(٣) .

● عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل. ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»(٤) .

● وكان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال:

«أيها الناس، اذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه»(٥) .

---

(١) «قصر الأمل» ص(٨٤).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٠٦)، وقال: صحيح على شرط الشيخين. قال الحافظ العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا بإسناد حسن «إحياء علوم الدين» الهامش (٤/ ٦٦٧).

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» كتاب الرقاق ـ باب الصحة والفراغ.

(٤) رواه الترمذي في «سننه»، كتاب صفة القيامة (٤/ ٦٣٣) رقم (٢٤٥٠) وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي النَّضْر.
قلت: لكن ورد في «مسند الترمذي» «يزيد بن سنان التميمي» بدل «بُرْد بن سنان» في «سند ابن أبي الدنيا». وأدلج معناه: سار من أول الليل.

(٥) **صحيح**: رواه الترمذي في «سننه» كتاب صفة القيامة، و«الرقائق والورع».
قال البخاري: الراجفة: النفخة الأولى، والرادفة: النفخة الثانية.

● وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال:

خرج علينا رسول اللَّه ﷺ والشمسُ على أطراف السَّعَف، فقال: **«ما بقي من الدنيا إلا مثل ما بقي من يومنا هذا إلى ما مضى منه»**(١).

● عن جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما:

أن رسول اللَّه ﷺ كان إذا خطب فذكر الساعة، رفع صوته، واحمرَّت وجنتاه، كأنه منذرُ جيشٍ يقول: صبَّحتْكم أو مسَّتْكم. ثم يقول: **«بُعثت أنا والساعة كهاتين»** يفرِّق بين إصبعيه السبابة والتي تليها: صبَّحَتْكم الساعةُ ومسَّتْكم(٢).

● عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين»(٣).

---

(١) قال الحافظ العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» بإسناد حسن.

(٢) رواه الإمام مسلم في «صحيحه»، كتاب الجمعة ـ باب تخفيف الصلاة والخطبة (٣/ ١١). وابن خزيمة في «صحيحه» (٣/ ١٤٣) رقم (١٧٨٥). وأبو نعيم في الحلية» (٣/ ١٨٩) وقال: حديث صحيح ثابت من حديث محمد بن علي رواه وكيع وغيره عن الثوري. وأورده ابن أبي الدنيا في كتاب «الأهوال» أيضًا ص(٣٠) رقم (٣)، وقال محققه في تخريجه: حديث صحيح وإسناده حسن.
وفي الباب عن أنس عند «البخاري» (٧/ ١٩٠ ـ ١٩١)، و«مسلم» (٨/ ٢٠٨)، والترمذي (٤/ ٤٩٦). وعن سهل بن سعد عند «البخاري» (٦/ ٧٩)، (٧/ ١٩١)، و«مسلم» (٨/ ٢٠٨). وعن المستورد بن شداد الفهري في «الترمذي» (٤/ ٤٩٦).

(٣) رواه البخاري في «صحيحه»، كتاب الرقاق ـ باب قول النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» (٧/ ١٩١)، وابن ماجه في كتاب الفتن ـ باب أشراط الساعة (٢/ ١٣٤١) رقم (٤٠٤٠)، وعند البخاري ـ في آخر الحديث: «يعني إصبعين»، وعند ابن ماجه: «وجمع بين إصبعيه». ورواه الطبري في «تاريخه» (١/ ١٢)، وفي آخره: وأشار بالسبابة والوسطى. وأورده المصنف في كتابه «الأهوال» ص(٣٢) رقم (٤)، وقال محققه: حديث صحيح وإسناده حسن.

● وعن عبد اللَّه بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال:

«ما لي وللدنيا؟! إنما مَثَلي ومَثَلُ الدنيا كمثل راكبٍ قَالَ في ظل شجرة في يوم صائف فراح وتركها»[1] .

● قال عمر بن عبد العزيز:

لقد نغَّص هذا الموت على أهل الدنيا ما هم فيه من غضارة الدنيا وزينتها، فبينما هم فيه كذلك وعلى ذلك، أتاهم حياضُ الموت فاخترمهم. فالويل والحسرة هنالك لمن لم يحذر الموت ويذكره في الرخاء، فيقدم لنفسه خيرًا يجده بعد ما فارق الدنيا وأهلها.

ثم غلبه البكاء فقام[2] .

● عن رجل من عبد القيس، أن حذيفة كان يقول:

ما من صباح ولا مساء إلا ومنادٍ ينادي: يا أيها الناس! الرحيل الرحيل!

وإن تصديق ذلك في كتاب اللَّه عز وجل: ﴿**إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ * نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ * لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ**﴾، قال: في الموت، ﴿**أَوْ يَتَأَخَّرَ**﴾ قال: في الموت[3] .

---

(١) رواه الترمذي في «سننه»، كتاب الزهد (٤/٥٨٨ ـ ٥٨٩) رقم (٢٣٧٧) وقال: حديث حسن صحيح، وقال: وفي الباب عن عمر وابن عباس. وابن ماجه في «السنن»، كتاب الزهد ـ باب مثل الدنيا (٢/١٣٧٦) رقم (٤١٠٩). وأبو نعيم في «الحلية» (٢/١٠٢)، وقال: لم يروه عن عمرو بن مرة متصلاً مرفوعًا إلا المسعودي. وأورده ابن أبي الدنيا في كتابه «ذم الدنيا» ص(٥٤ ـ ٥٥) رقم (١٣٣) وقال محققه: إسناده حسن، والحديث صحيح.

(٢) «حلية الأولياء» (٥/ ٢٦٤).

(٣) «إحياء علوم الدين» (٤/٦٦٨).

● عن سحيم مولى بني تميم قال:

جلستُ إلى عامر بن عبد اللَّه وهو يصلي، فجوَّز في صلاته، ثم أقبل عليَّ فقال: أرحني بحاجتك فإني أبادر!

قلت: وما تبادر؟

قال: ملكَ الموت، رحمك اللَّه!

قال: فقمت عنه، وقام إلى صلاته[1].

● مرَّ داود الطائي، فسأله رجلٌ عن حديث، فقال: دعني، فإني إنما أبادر خروج نفسي![2].

● عن أبي بكر الصوفي قال: سمعت أبا معاوية الأسود يقول:

إن كنت يا أبا معاوية تريد لنفسك الجزيل، فلا تنامنَّ الليل ولا تقيل.

قدِّم صالح الأعمال، ودع عنك كثرة الأشغال.

بادر ثم بادر قبل نزول ما تُحاذر.

ولا تهتمَّ بأرزاق من تُخَلِّف، فلستَ أرزاقَهم تُكَلَّف[3].

● قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

التؤدة في كل شيء خير، إلا في أمر الآخرة[4].

● عن عبد الواحد بن صفوان قال:

كنا مع الحسن في جنازة، فقال: رحم اللَّه امرءًا عمل لمثل هذا اليوم.

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٨)، و«قصر الأمل» ص(١٠٣).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٨)، «قصر الأمل» ص(١٠٣).

(٣) «حلية الأولياء» (٨/ ٢٧٢)، «صفة الصفوة» (٤/ ٢٧١ ـ ٢٧٢) في حديث طويل.

(٤) «الزهد» لابن حنبل (١/ ٢٩)، وورد الحديث مرفوعًا إلى النبي ﷺ بسند آخر، أورده البيهقي في «الزهد الكبير» ص(٧٩).

إنكم اليـوم تَقْدِرون على ما لا يَقْدِرُ عـليه إخوانكم هؤلاء من أهـل القبور. فاغتنموا الصحة والفراغ، قبل يوم الفزعة والحساب[١].

● كان مالك بن دينار يقول لنفسه:

ويحكِ! بادري قبل أن يأتيك الأمر! ويـحكِ بادري قبل أن يأتيك الأمر! ويحكِ بادري قبل أن يأتيك الأمر!

قال: فسمعته يقول ذلك ستين مرة[٢].

● كان الحسن يقول في موعظته:

المبادرة عبادة، المبادرة! فإنما هي الأنفاس، لـو قد حُبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تقرّبون بها إلى اللَّه عز وجل.

رحم اللَّه امرءًا نظر لنفسه، وبكى على ذنوبه! ثم قرأ هذه الآية:

﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾.

ثم يبكي ويقول: آخر العدد خروجُ نفسك.

آخر العدد فراقُ أهلك.

آخر العدد دخولك في قبرك[٣].

● عن محمد بن علي:

﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾: النَّفَس[٤].

● عن صالح بن موسى الطلحي، عن أبيه قال:

---

(١) «قصر الأمل» ص(١٠٥).

(٢) «قصر الأمل» ص(١٠٦).

(٣) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٨).

(٤) وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما كما في «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٣٧).

اجتهد الأشعري قبل موته اجتهادًا شديدًا، فقيل له: لو أمسكت أو رفقتَ بنفسك بعض الرفق؟

فقال: إن الخيل إذا أُرسلت فقاربتْ رأسَ مجراها، أخرجتْ جميعَ ما عندها، والذي بقي من أَجَلي أَقلُّ من ذلك!.

قال: فلم يزل على ذلك حتى مات[1].

● قال خليد العصري:

كلُّنا قد أيقن بالموت، وما نرى له مستعدًا!

وكلُّنا قد أيقن بالجنة، وما نرى لها عاملاً!

وكلُّنا قد أيقن بالنار، وما نرى لها خائفًا!

فعلامَ تعرِّجون؟ وما عسيتم تنتظرون؟ الموت؟ فهو أول واردٍ عليكم من اللَّه، بخير أو بشرٍّ!

يا إخوتاه سيروا إلى ربكم سيرًا جميلاً[2].

● كان صالح بن بشير يتمثل هذا البيت في قصصه:

وغائبُ الموت لا ترجون رجعته … إذا ذوو سفرٍ من غيبةٍ رجعوا

قا: ثم يبكي ويقول: هو واللَّه السفر البعيد فتزودوا لمراحله، فإن خير الزاد التقوى.

واعلموا أنكم في مثل أمنيتهم، فبادروا الموت، فاعملوا له قبل حلوله.

قال: ثم بكى[3].

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٨ ـ ٦٦٩)، و«قصر الأمل» ص(١٠٨).

(٢) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٣/ ٢٣١).

(٣) «حلية الأولياء» (٦/ ١٦٨).

● قال سلمان الفارسي:

أُصبح على وَجَل وأُمسي على وَجَل[١] .

● عن مطيع بن سعيد الثقفي قال: سمعت الحجاج بن يوسف يخطب على المنبر وهو يقول:

رحم اللَّه امرءًا نظر لنفسه، بادرًا فَوْتَها قبل أن ينزل الموت بها.

قال: ثم ينزل الموت بها.

قال: ثم نزل عن المنبر وهي يبكي[٢] .

● قال الربيع بن برة:

عجبتُ للخلائق كيف ذُهلوا عن أمرٍ حقٍّ تراه عيونهم، وتشهد عليه معاقد قلوبهم، إيمانًا وتصديقًا بما جاء به المرسلون، ثم ها هم في غفلة عنه، سكارى يلعبون![٣] .

● عن الحسن قال:

﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾، قال: زيَّن لهم الخطايا، ومدَّ لهم في الأمل[٤] .

● عن أبي العباس الوليد بن مسلم قال: قال بعض الخلفاء على المنبر:

اتقوا اللَّه عباد اللَّه ما استطعتم، وكونوا قومًا صيح بهم فانتبهوا، وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا.

---

(١) «قصر الأمل» ص(١١٢).

(٢) «قصر الأمل» ص(١١٣).

(٣) «حلية الأولياء» (٦/ ٢٩٧)، «صفة الصفوة» (٣/ ٣٥٣).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٦/ ٢٤٩).

واستعِدُّوا للموت فقد أظلَّكم، وترحَّلوا فقد جُدَّ بكم.

وإن غايةً تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة.

وإن غائبًا يجدُّ به الجديدان: الليلُ والنهارُ، لحريٌّ بسرعة الأوبة.

وإن قادمًا يحلُّ بالفوز أو الشِّقوة لمستحقٌّ لأفضل العُدَّة.

فالتقيُّ عند ربِّه مَنْ ناصح نفسه، وقدَّم توبته، وغلب شهوته. فإن أَجَله مستورٌ عنه، وأمله خادعٌ له، والشيطان موكَّل به يمنِّيه التوبة ليسوِّفها، ويزيِّن إليه المعصية ليرتكبها، حتى تهجم منيَّتُه عليه أغفلَ ما يكون عنها.

وإنه ما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموت أن ينزل به!

فيا لها حسرةً على كل ذي غفلةٍ، أن يكون عمره عليه حجة، وأن تُرْديه أيامه إلى شقوة.

جعلنا اللَّه وإياكم ممَّن لا تبطره نعمة، ولا تقصر به عن طاعة اللَّه معصية، ولا يَحِلُّ به بعد الموت حسرة. إنه سميع الدعاء، وإنه بيده الخير، وإنه فعَّال لما يشاء[1].

● عن صفوان بن هبيرة قال:

قدم علينا عبد الملك بن أيوب النميري واليًا من قبل أبي جعفر، فاستحفيناه، فخطبنا يوم الجمعة فقال:

الحمد للَّه الذي علا في سمائه، وقهر في ملكه، وعدل في حكمه، وسمي الجبار لجبروته. فله الأسماء والأمثال العُلا، يعلم السرَّ وأخفى، وهو بالمنظر الأعلى.

أحمده على توالي مننه، وتظاهر نعمه. وأعوذ بجلاله و... من

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٩).

سطواته ونقمه.

وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بوحي منظوم، وأمر معلوم، وختم معزوم. فنطق بالصدق، ودعا إلى الحق. وكان كما قال اللَّه عز وجل رؤوفًا رحيمًا ﷺ.

أوصيكم عباد اللَّه بتقوى اللَّه، وأحذِّركم الدنيا، فلقد صحبها أقوام، فواللَّه ما بقيت لهم، ولا بقوا عليها. بل تخرَّمتهم الآجال، وأفنتهم المنايا، فصارت منازلهم حُفرًا، وصاروا للقبور سكانًا، وللأموات جيرانًا.

فبادروا الموت قبل أن يحلّ منكم بحوالثه، ويُمكَّن منكم بمخالبه، فيطفئ الأبصار... نورها، ويحمل الأجسادَ إلى قبورها... كفنه، ويفرِّق بينه وبين سكنه، ويلحق بسيِّئه وحَسَنه، ويقلُّ الرد عنه البواكي وتولَّى عنه الأكفُّ الحواني، ويصير بمنزلة الغريب الشاوي. ولا يُمَدُّ له في الأجل، ولا يُعَدَّد بالعِلل، ولا يؤخَّر للعمل، وقِبَل اليوم العسير، والشرِّ المستطير[(١)].

● عن الحسن قال:

تصبَّروا وتشدَّدوا، فإنما هي ليالٍ قلائل، وإنما أنتم رَكْبٌ وقوفٌ يوشك أن يُدعى الرجل منكم، فيجيب ولا يلتفت، فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم[(٢)].

● عن ميمون بن مهران أنه قال:

دخلتُ على عمر بن عبد العزيز يومًا وعنده سابق البربري الشاعر وهو ينشد شعرًا، فانتهى بشعره إلى هذه الأبيات:

وكم من صحيحٍ باتَ للموتِ آمنًا ... أتته المنايا بغتةً بعد ما هَجَعْ

---

(١) انظر: «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٥/ ٣٧ ـ ٥٣). وانظر: «قصر الأمل» ص(١١٥، ١١٦).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٩)، و«قصر الأمل» ص(١١٩).

ولم يستطعْ إذ جاءه الموت بغتةً … فراراً ولا منه بقوَّته امتَنَعْ
فأصبح تبكيه النساء مقنَّعًا … ولا يسمعُ الداعي وإن صوتَه رَفَعْ
وقُرِّب من لحدٍ صار مقيلَهُ … وفارق ما قد كان بالأمس قد جَمَعْ
ولا يترك الموتُ الغنيَّ لماله … ولا مُعْدَمًا في الحال ذا حاجة يَدَعْ

* * *

قال: فلم يزل عمر ﷺ يبكي ويضطرب، حتى غُشي عليه[١].

● عن يونس بن عبيد يروي هذه الأبيات[٢]:

هو الموتُ لا ذو الصبر ينجيه صبره … ولا لجزوعٍ كارهِ الموت مَجْزَعُ
أري كلَّ ذي نفس وإن طال عمرها … وعاشتْ لها سمٌّ من الموت مُنْقَعُ
وكلُّ امريء لاقٍ من الموت سكرةً … له ساعةٌ فيها يَذِلُّ ويُصْرَعُ
فللَّه فانصح يا ابن آدم إنه … متى ما تُخادعْهُ فنفسَك تَخْدَعُ
واقبل على الباقي من الخير وارجُه … ولا تكُ ما لا خيرَ فيه تَتْبَعُ
فإنك مَنْ يُعجِبْكَ لا تَكُ مثلَه … إذا أنت لم تصنع كما كان يَصْنَعُ

* * *

● عن عُمارة بن عُمَير قال: كان النخعي يقول:

يا أيها الناس، إن الدنيا جُعلت قليلاً، وإنه لم يبق إلا قليلٌ من قليل[٤].

* * *

(١) «الزهد الكبير» للبيهقي ص(٢٦٣) رقم (٦٨٨).
(٢) «قصر الأمل» ص(١٢٤).
(٣) «قصر الأمل» ص(١٢٤ ـ ١٢٥).

● عن الحجاج بن محمد قال:

كتبَ إليَّ أبو خالد الأحمر، فكان في كتابه:

إن الصدِّيقين كانوا يستحيون من اللَّه عز وجل أن يكونوا اليومَ على منزلةِ أمس![1].

● عن يحيى بن سَلِم قال: سمعت سفيان الثوري قال:

بلغني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يتمثَّل:

لا يغرَّنْكَ عِشاءٌ ساكنٌ ... قد تُوافي بالمنيَّات السَّحَر[2]

● وأنشد رجل هذه الأبيات عند بعض الخلفاء:

حياتك أنفاس تُعَدُّ فكلما ... مضى نَفَس منها انتقصتَ له جُزْءا

فتصبح في نقص وتُمسي بمثله ... فما لك معقول تحس به رُزءًا

يميتك ما يحسُّك في كل ساعة ... ويحدوك حادٍ لا يريد بك الهُزْءا[3]

* * *

● قال ابن أبي الدنيا: أنشدني بعض أصحابنا هذه الأبيات:

عمرٌ ينقضي وذنب يزيد ... ورقيب محضر عليَّ شهيدُ

واقترابٌ من الحُمام وتأ ... ميلٌ لطول البقا عصر جديد

أنا لاهٍ ولَلمنية حتمٌ ... حيث يممتُ منهلٌ مورود

كلَّ يوم يموت مني جزءٌ ... وحياتي تنفُّسٌ معدود

كم أخ قد رُزئتُه فهو وإن ... أضحى قريب المحلِّ مني بعيد

---

(١) «حلية الأولياء» (١٠/ ١٤٢).

(٢) «قصر الأمل» ص(٣١ ـ ٣٢).

(٣) «قصر الأمل» ص(٣٢ ـ ٣٣).

خلَسَتْهُ يدُ المنون فما لي   خَلَفٌ منه في الورى موجود
كان لي مؤنسًا فغودر في   نهارٍ عقيم صفيحه منضود
قل لنفسي بواعظات الجديدين   إن... عن منزل سيبيد[1]

● وأنشد إبراهيم بن سعيد الأصبهاني لمحمد بن أيوب الأصبهاني ـ وقد رآه ـ:

رأيتك في النقصان مذْ أنت في المهدِ   تقرِّبك الساعات من ساعة اللحدِ
ستضحك سنٌّ بعد عين تعصَّرتْ   عليك وإن قالت بكيت من الوجد
أتطمع أن شيخًا لفقدك فاقد   لعل سرور الفاقدين مع الفقد[2]

● عن أبي إسحاق قال:

قيل لرجل من عبد القيس: أوصِ.

قال: احذروا سوف[3].

● عن أبي الجلد قال:

قرأت في بعض الكتب أن «سوف» جند من جنود إبليس![4].

● قال الحسن: يا معشر الشباب إياكم والتسويف: سوف أفعل سوف أفعل.

● عن أبي بكر العدوي ـ رجل من قريش ـ قال:

كتب رجل من الحكماء إلى أخ له: أخي، إياك وتأمير التسويف على

---

(١) «قصر الأمل» ص(٣٤ ـ ٣٥).

(٢) «قصر الأمل» ص(١٣٦).

(٣) «قصر الأمل» ص(١٤٠).

(٤) «حلية الأولياء» (٦/ ٥٥)، وصيغته في «حلية الأولياء»: «وجدتُ التسويف جندًا من جنود إبليس، قد أهلك خلقًا من خلق اللّه كثيرًا».

نفسك وإمكانه من قلبك، فإنه محلُّ الكَلال، وموئل الملال، وبه تُقطع الآمال، وبه تنقضي الآجال، وأنت - أي أخي - إن فعلت ذلك أدلتَ من عزمك، فاجتمع وهواك عليه فَعَلاه، واسترجعا من يديك من السآمة ما قد ولَّى عنك، ونَفَاه من جوارحك الحزن والمخافة، وأوثقه الشوق والمحبة، فعند مراجعته إياك لا تنتفع نفسك من يديك بنافعة، ولا تجيبك إلى نفعٍ جارحةٌ.

أي أخي! فبادر، ثم بادر، فإنك مُبَادَرٌ بك. وأسرع، فإنك مسروعٌ بك. وكأن الأمر قد بَغَتك، فاغتبطتَ بالتسرُّع، وندمت على التفريط، ولا قوة بنا وبك إلا بالله[١].

● عن أبي هريرة قال: تعودوا الخير فإن الخير عادة. وإياكم وعادة السُّوّاف. من سَوْفِ أو من سَوْفَ[٢].

● أنشد محمود بن الحسن قوله:

زيَّنْتَ بيتك يا هذا وشَحَنْتَه	ولعل غيرَك صاحبُ البيتِ
والمرءُ مرتهنٌ بسوفَ وليتني	وهلاكُه من السَّوْف واللَّيْتِ
من كانت الأيام تسايره به	فكأنه قد حلَّ بالموتِ
للَّه دَرُّ فتىً تدبَّر أمره	فغدا وراح مبادرَ الفَوْتِ[٣]

---

(١) «قصر الأمل» ص(١٤٢، ١٤٣).

(٢) وهو أيضًا من قول عبد الله مسعود ﷺ، بألفاظ متقاربة. انظر: «الزهد» لوكيع بن الجراح (١/ ٢٦٤، ٢٦٥ - ٢٦٦) رقم (٣٤، ٣٥)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (١٣/ ٣٠٣) رقم (١٦٤١٩).

وورد مرسلاً عن أبي الأحوص إلى الرسول ﷺ بلفظ: «تعوَّدوا الخير، فإن الخير بالعادة». كتاب «الزهد» لابن أبي عاصم ص(٤٦) رقم (٧٨).

(٣) «قصر الأمل» ص(١٤٣ - ١٤٤).

السَّوف: الصبر والمطل، ويعني التسويف هنا. والليت: من لَيْتَ.

● قال رجل من قريش من بني أمية:

دع عنك ما منَّت اللَّعلُ ... خطبك فمن نفسك الأجلُ
قد شمل الشيب عارضيه ... فعمره الأنزرُ الأقلُ
صاح بك الدهر غيرَ صوت ... وأنت باللهو مستظلُ
أما ترى حادي المنايا ... منك يوطَّأ له المحلُ
كم فرَّق الدهر من جمعٍ ... ومن كثيرٍ رأيت قلُّوا
صيح في جمعهم بصوتٍ خلُّوا ... له الدارَ واستقلُّوا
من أحسن الظنَّ بالليالي ... زلَّت به للهلاك..[1]

● عن محمد بن الحارث قال:

رأيت الحسن صلى على جنازة، فكبَّر عليها أربعًا، ثم اطَّلع في القبر فقال: يا لها من عِظَةَ! يا لها من عِظَة ـ ومدَّ صوته بها ـ لو وافقت قلبًا حيًّا.

ثم قال: إن الموت فضح الدنيا، فلم يدع لذي لُبٍّ فرحًا. فرحم اللَّه امرءًا أخذ منها قُوتًا مُبْلِغًا، وهضم الفضل ليوم فقره وحاجته، فكأن ذلك اليوم قد أظلَّكم![2] .

● وعن الحسن قال:

كانوا يقولون: منع البرُّ النوم، ومن يخف يُدلج[3] .

---

(١) «قصر الأمل» ص(١٤٥).

(٢) ورد جزء من الفقرة الأخيرة في مصادر متعددة. انظر: «الزهد الكبير» للبيهقي ص(٢١٧) رقم (٥٥٤)، و«الزهد» للإمام أحمد (٢/ ٢٢٦)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٥٦).

(٣) «قصر الأمل» ص(١٤٦).

● أنشد أبو عبد اللَّه أحمد بن أيوب:

اغتنم في الفراغ فَضْلَ ركوعٍ فعسى أن يكون موتك بَغْتَهْ
كم صحيحٍ رأيتَ من غير سَقْمٍ ذهبتْ نفسُه الصحيحة فَلْتَهْ[١]

● كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز:

أما بعد، فكأنك بآخر من كُتب عليه الموت قد مات.

فأجابه عمر بن عبد العزيز:

أما بعد، فكأنك بالدنيا لم تكن، وبالآخرة لم تزل[٢].

● كان محمد بن واسع إذا أراد أن ينام قال لأهله قبل أن يأخذ مضجعه: أستودكم اللَّه، فلعلها أن تكون منيَّتي التي لا أقوم فيها! فكان هذا دأبَه إذا أراد النوم![٣].

● عن عبد اللَّه بن عمرو قال: مر النبي ﷺ وأنا أبني خُصًّا فقال لي: **«يا عبد اللَّه بن عمرو ما هذا؟ إن الأمر أسرع من ذلك»**[٤].

● عن الحسن قال:

كنت أدخل بيوت أزواج النبي ﷺ في خلافة عثمان، فأتناول سُقُفها بيدي![٥].

(١) «الزهد الكبير» للبيهقي ص(٢٣٥)، و«جامع العلوم والحكم» (٢/ ٢٦٨).
(٢) «حلية الأولياء» (٥/ ٣٠٥).
(٣) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (٢/ ٢٦٣).
(٤) «رواه البخاري في «الأدب المفرد»، باب من بنى ص(١٦٢) رقم (٤٥٦). ورواه الترمذي في «سننه»، كتاب «الزهد»، باب ما جاء في قصر الأمل (٤/ ٥٦٨) رقم (٢٣٣٥)، وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه في «سننه»، كتاب الزهد ـ باب في البناء والخراب (٢/ ١٣٩٣) رقم (٤١٦٠).
(٥) رواه البخاري في الأدب المفرد ـ باب التطاول في البنيان ص(١٦٠) رقم (٤٥٠). وورد في «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ٨٦)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٣٤٣).

• قال قيس بن أبي خالد: أتينا خبَّاب بن الأرت وهو يبني حائطًا فقال: إن المسلم يُؤْجَر في كل شيء إلا شيئًا يُنفقه في التراب. ولولا أن النبيَّ ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوتُ به[١].

• عن وهب بن منبِّه قال:

لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم إلى اللَّه ليس له بيت يسكن فيه. فقيل له: يا نبي اللَّه، لو اتخذت بيتًا يكنُّك.

قال: اليوم أموت، غدًا أموت. حتى أتاه الموت ولم يتخذ بيتًا![٢].

• قال ثابت البناني:

بنى أبو الدرداء مسكنًا قَدْرَ بسطة، فمرَّ به أبو ذر فقال: ما هذا؟ أتعمر دارًا قد أذن اللَّه في خرابها؟ لأن أمرَّ بك متمرِّغًا في عَذرَةٍ. أحبُّ إلي من أن أراك في هذا![٣].

• عن أبي الدرداء قال:

يا أهل دمشق استمعوا إلى قولِ أخٍ لكم ناصح:

قال: فاجتمعوا إليه فقال: ما لي أراكم تبنون ما لا تسكنون، وتجمعون ما لا تأكلون، وتأمُلون ما لا تُدركون؟ فإنه من كان قبلكم بنوا شديدًا،

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه»، كتاب المرضى ـ باب تمني المريض الموت (٧/ ١٠) وكذا رواه في «الأدب المفرد» ـ باب من بنى، ص(١٦١ ـ ١٦٢) رقم (٤٥٥). ورواه ابن ماجه في «سننه» عن طريق حارثة بن مضرِّب، عن خباب، كتاب الزهد ـ باب في البناء والخراب (٢/ ١٣٩٤) رقم (٤١٦٣). ولفظه: «إن العبد ليؤجر في نفقته كلها إلا في التراب» أو قال: «في البناء».

(٢) «قصر الأمل» ص(١٦٦ ـ ١٦٧).

(٣) «قصر الأمل» ص(١٦٨).

وأملوا بعيدًا، وجمعوا كثيرًا، فأصبح أملهم غرورًا، ومجمعهم بُورًا، ومساكنهم قبورًا[١].

إن كنت تطمع في الحياة فقد ترى ... أربــاب دارك ساكَنوا الأمــوات

أنى تحس من الأكــارم ذكرهــم ... خلت الديار وبــادت الأصــوات

● وقال أحدهم:

يا أيهــا البــاني الناسي منيَّتــه ... لا تأمنَنَّ فإن المــوتَ مكتــوبُ

على الخــلائق إن سرُّوا وإن فرحوا ... فالموتُ حتفٌ لدى الآمــالِ منصوبُ

لا تبنينَّ ديــارًا لستَ تسكُنها ... وراجعْ لنفسكَ فيما يُغْفَر الحَوْب[٢]

● بنى عبد اللَّه بن مسعود بيتًا في داره، فدعا عمار بن ياسر قال: كيف ترى؟

قال: بنيتَ شديدًا، وأملتَ بعيدًا، وتموت قريبًا[٣].

● عن أبي عبيدة الناجي قال: سمعت الحسن يقول:

تبني، وتزخرف، وتدعو الناس: انظروا؟ فقد نظرنا يا أفسق الفاسقين.

أما أهل الدنيا فغرُّوك، وأما أهل الآخرة فمقتوك![٤].

---

(١) رواه أبو نعيم في عبارة أطول وأحسن، وهي: يا أهل دمشق، أنتم الإخوان في الدين، والجيران في الدار، والأنصار على الأعداء، ما يمنعكم من مودتي وإنما مؤنتي على غيركم؟ ما لي أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون؟ وأراكم قد أقبلتم على ما تُكُفِّل لكم به وتركتم ما أُمرتم به؟ ألا إن قومًا بنوا شديدًا، وجمعوا كثيرًا، وأملوا بعيدًا، فأصبح بنيانهم قبورًا، وأملهم غرورًا، وجمعهم بورًا، ألا فتعلموا وعلموا، فإن العالم والمتعلم في الأجر سواء، ولا خير في الناس بعدهما. «حلية الأولياء» (١/ ٢١٣).

(٢) «قصر الأمل» ص(١٧٥).

(٣) «حلية الأولياء» (١/ ١٤٢).

(٤) «قصر الأمل» ص(٨١).

• قال عبد اللَّه الرومي:

دخلتُ على أم طلق، فرأيت سقف بيتها قصيرًا، فقلت لها: يا أم طلق، ما لي أرى سقف بيتك قصيرًا؟

قالت: إن عمر بن الخطاب ﷺ كتب إلينا: لا تطيلوا بناءكم، فإنه من شرِّ أيامكم.

• أنشد الحسين عبد الرحمن:

بنوا مقاصير في الدنيا مشيَّدةً ... فمن لهم بخلود في المقاصير

• قال رجل ونظر إلى بناء لبعض الملوك:

يموت الذي يبني ويبقى بناؤه ... أليس ترابًا... في ذاك غيبةِ

فيا غافلاً عن نفسه أين من بنى ... مدائد امَّحت بعده اليوم قفرةِ

رمت بهم الأيام في عرضة البلى ... كأن لم يكونوا زينة الأرض مرَّةِ

وما زال هذا الموت يغشى ديارهم ... يكرُّ عليهم كرَّةً ثم كرَّةِ

فأجلاهمُ منها جميعًا فأصبحت ... مساكنهم في الأرض لحدًا وحُفْرةِ[1]

• قال رجل من قريش أموي:

رُبَّ قومٍ رأيتهم ... ليس في عيشهم كدرْ

في رياض سماؤها ... تمطر السؤل بالدُّررْ

ليس يخشون حاذرًا ... قد نأى عنهم الحَذَر

أوطنوا منزل الغرو ... رِ وساعدهم القَدَر

في مقاصير تخدَّت ... وقبابٍ على السُّرر

وبساتين في المقاصيـ ... ـرِ يضحكن بالزَّهَر

---

(١) «قصر الأمل» ص(١٩٧).

وحَوارٍ كأنهنَّ الـ ... مصابيح والصُّوَر
بينما القوم يجتنون ... جَنَى اللهو الثَّمَر
صاحت الحادثات فيهم ... بصوت له غِيَر
فتولَّوا من القصو ... رِ إلى مظلم الحُفَر[1]

● قال مسعر بن كدام[2] :

ومشيدٍ دارًا ليسكن دارَه ... سكن القبور وداره لم يسكن

● عن أبي بكر بن عياش قال:

لـمَّا دخل الناسُ مع علي المدائن تمثَّل رجلٌ من أصحابه:

جرتِ الرياح على مكان ديارهم ... فكأنما كانوا على ميعادِ
وإذا النعيم وكل ما يُلهى به ... يومًا يصير إلى بِلىً ونفادِ

فقال علي: لا تقل هكذا، ولكن قل كما قال اللَّه: ﴿كَمْ تَرَكُواْ من جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَالِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾. إن هؤلاء القوم كانوا وارثين فأصبحوا موروثين، إن هؤلاء القوم استحلوا الحُرم فحلَّت بهم النِّقم، فلا تستحلوا الحُرم فتحلَّ بكم النَّقم[3] .

● كان عمر بن عبد العزيز لا يبني بنيايًا وقال: سنة رسول اللَّه ﷺ خيرٌ من الدنيا وما فيها، لم يبنِ بنيانًا، ولم يضع لَبِنة على لَبِنة، ولا قصبة على قصبة[4] .

(١) «قصر الأمل» ص(١٩٨).
(٢) «الزهد الكبير» ص(٢٢٩ ـ ٢٣٠)، و«حلية الأولياء» (٧/ ٢٢١).
(٣) «قصر الأمل» ص(٢٠٦ ـ ٢٠٧).
(٤) وكذا رواه الحسن البصري مرسلاً.

● عن مالك بن يخامر السكسكي: أن قومًا دخلوا عليه يعودونه، فقالوا: إنا منزلك من المدينة موضع جيد فلو رممته، فقال: إنما نحن سَفْر نازلون، نزلنا للمقيل فإذا برد النهار وهبت الريح ارتحلنا ولا أعالج منها شيئًا حتى ارحل منها[1] .

* * *

(١) «قصر الأمل» ص(٢٠٩).

«طــول الأمــل»

● عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ خط خطوطًا وخط خطًّا ناحية، وقال: **«هل تدرون ما هذا؟ هذا مثل ابن آدم ومثل التمني، وذلك الخط الأمل بينما يأمل إذا جاءه الموت»**(١) .

● وعن أنس بن مالك قال: قال ﷺ :

«يهرم ابن آدم ويبقى منه اثنتان الحرص وطول الأمل»(٢) .

● عن عبد اللّه بن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً قال للنبي ﷺ : أي المؤمنين أفضل؟ قال: **«أحسنهم خلقًا»**، قال: فأي المؤمنين أكيس؟ قال: **«أكثرهم ذكرًا للموت وأحسنهم له استعدادًا، أولئك الأكياس»**(٣) .

● عن أبي عبد الرحمن قال خطب علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالكوفة فقال: أيها الناس إن أخوف ما أخاف عليكم طول الأمل واتباع الهوى، فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، ألا إن الدنيا قد ولت مدبرة، والأخرة قد ترحلت مقبلة، ولك واحد منهما بنون، فكونوا من

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ٢٣٨)، وقال الهيثمي: رواه أحمد بمعناه عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا ورجاله رجال الصحيح غير علي بن علي الرفاعي وهو ثقة «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٥٥).

(٢) قال العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/ ٢٥٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» بإسناد صحيح ورواه ابن ماجه في باب ـ الأمل والأجل (٢/ ١٤١٥) رقم الحديث (٤٢٣٤)، وأخرجه السيوطي في «الجامع الصغير» ورمز إليه بالصحة ورواه البخاري ومسلم بتغير يسير، انظر: «فيض القدير» (٦/ ٤١٦).

(٣) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في «الموت» وإسناده جيد، «تخريج ما في الإحياء» (٣/ ٢٣٤)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٠٩): رواه الطبراني في «الصغير» وإسناده حسن وأخرجه ابن ماجه في «سننه» (٢/ ١٤٢٣). وانظر: «الزهد الكبير» ص(٢٢٠).

أبناء الأخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب وغدًا حساب ولا عمل».

● عن ابن عمر رضي الله عنه قال: أخذ رسول اللَّه ﷺ بجسدي فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل، واعدد نفسك في الموتى وأهل القبور**». قال مجاهد: ثم قال لي عبد اللَّه بن عمر: يا مجاهد: إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وخذ من صحتك قبل سقمك، ومن حياتك قبل موتك، يا عبد اللَّه لا تدري ما اسمك غدًا»[1] .

● قال الفضيل بن عياض: إنما أمس مثل، واليوم عمل، وغدًا أمل.

● قال الأصمعي:

سمعت أعرابيًا يقول: مضى أمسك، وعسى غدًا لغيرك.

● وعن الحسن قال:

الدنيا ثلاثة أيام: أما أمس فقد ذهب بما فيه، وأما غدًا فلعلك لا تدركه، فاليوم لك فاعمل فيه.

● قال يحيى بن معاذ الرازي:

دم جهازك، وهيئ زادك، وتهيأ للعرض على ربك جلت عظمته.

إن الحزن على الدنيا طويل، والموت من الإنسان قريب، وينتقص منه في كل وقت نصيب، وللبلى في جسمه ربيب، فبادر بالعمل قبل أن ينادى بالرحيل، واجتهد في العمل في دار الجهاد قبل أن تدخل دار المقر.

● وقال يحيى بن معاذ الرازي:

المغبوط من ترك الدنيا قبل أن تتركه، وبنى قبره قبل أن يدخله، وأرضى ربه

---

(١) **إسناده صحيح**: «الزهد الكبير» ص(٢٢٣).

قبل أن يرضاه.

● وعن عطاء السلمي لما عوتب في الرفق بنفسه فقال:

أتأمرونني بالتقصير والموت في عنقي والقبر بيتي، وجهنم أمامي ولا أدري ما يصنع بي ربي عز وجل[١].

● قال أبو محمد الجريري:

كنت واقفًا على رأس الجنيد في وقت وفاته، وكان يوم الجمعة، وهو يقرأ القرآن، فقلت له: يا أبا القاسم ارفق بنفسك، فقال: يا أبا محمد رأيت أحدًا أحوج مني في هذا الوقت هو ذا تطوى صحيفتي؟؟

● قال السري:

اجعل قبرك خزانتك، احشوها من كل عمل يمكنك، فإذا وردت على قبرك سرك ما ترى فيه.

● لقي خيثمة محاربًا فقال:

كيف حبك للموت؟ قال: ما أحبه.

قال: إن ذلك بك لنقص كبير[٢].

● قال الحسن البصري ذات يوم لجلسائه: يا معشر الشيوخ ما ينتظر بالزرع إذا بلغ؟ قالوا: الحصاد. قال: يا معشر الشباب إن الزرع قد تدركه العاهة قبل أن يبلغ[٣].

● كتب حكيم إلى أخيه: اعلم أن الموت في الشباب كثير وآية ذلك أن الشيوخ قليل.

---

(١) انظر أيضًا: «صفة الصفوة» (٣/ ٢٤٥).

(٢) «الزهد الكبير» (٢٢٩).

(٣) «الزهد الكبير» (٢٣٠).

● قال بعض الحكماء:

عجبت ممن يحزن على نقصان ماله ولا يحزن على فناء عمره، وعجبت من الدنيا مولية عنه والآخرة مقبلة عليه يشتغل بالمدبرة ويعرض عن المقبلة.

● قال الحسن: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ [القيامة: ٢٩] هما ساقان إذا التفتا في الكفن.

● وعن يونس بن عبيد: قال:

شهدت الحسن فسمعته حين ثقل يقول: إنا للَّه وإنا إليه راجعون حتى فرغ، قال: فانكب عليه ابنه عبد اللَّه قال: يا أبت ما لك تسترجع؟ قد أفزعتنا فهل رأيت شيئًا؟ قال: يا بني استرجعت على نفسي التي لم أصب بمثلها[١].

● قال أبو الدرداء: ابن آدم طأ الأرض بقدمك؛ فإنها عن قليلٍ قبرك، ابن آدم إنما أنت أيام فكلما ذهب يوم ذهب بعضك، ابن آدم إنك لم تزل في هدم عمرك منذ يوم ولدتك أمك[٢].

● قال إبراهيم بن بشار:

مررت أنا وأبو يوسف الغولي في طريق الشام فوثب إليه رجل فسلم عليه، ثم قال: يا أبا يوسف عظني بموعظة أحفظها عنك. قال: فبكى، ثم قال: اعلم يا أخي أن اختلاف الليل والنهار ومرهما يسرعان في هدم بدنك وفناء عمرك وانقضاء أجلك، فينبغي لك يا أخي أن لا تطمئن ولا تأمن حتى تعلم أين مستقرك ومصيرك، وساخط عليك ربك بمعصيتك وغفلتك أو راض

---

(١) «الزهد الكبير» ص(٢٣٢).

(٢) «الزهد الكبير» ص(٢٣٣).

عنك بفضله ورحمته.

ابن آدم الضعيف نطفة بالأمس وجيفة غدًا، فإن كنت ترضى لنفسك فسترد، وتعلم وتندم في وقت لا ينفعك الندم، قال: فبكى أبو يوسف، وبكى الرجل، وبكيت لبكائهما ووقعا مغشيين عليهما[١].

● كتب الأوزاعي إلى أخ له: أما بعد:

فإنه قد أحيط بك من كل جانب واعلم أنه ليسار بك في كل يوم وليلة، فاحذر اللَّه والوقوف بين يديه، وأن يكون آخر عهدك به والسلام[٢].

● قال أبو معاوية الأسود وهو واقف على طور طرسوس:

من كانت الدنيا أكبر همه طال غدًا في القيامة غمه، ومن خاف الوعيد لها من الدنيا عما يريد، ومن خاف ما بين يديه ضاق ذرعه بما في يديه، إن كنت تريد لنفسك الجزيل فلا تنم الليل، قدم صالح الأعمال ودع عنك: كثرت الأشغال، بادر قبل نزول ما تحاذر ثم بكى[٣].

● قال روح بن مدرك وهو على المنبر:

الآن قبل أن تسقم فتضنى، وتهرم فتبلى، ثم تموت فتنسى، ثم تقبر فتبلى، ثم تبعث فتحيى، ثم تحضر فتدعى، ثم توقف فتجزى، بما قدمت وأمضيت، وأذهبت فأفنيت من موبقات سيئاتك، ومتلفات شهواتك فالآن الآن وأنتم سالمون[٤].

---

(١) «الزهد الكبير» ص(٢٣٣).
(٢) «الزهد الكبير» ص(٢٣٤)، «صفة الصفوة» (٤/ ٢٢٨).
(٣) المصدر السابق ص(٢٣٥).
(٤) نفس المصدر.

● قال عقيل بن عمرو في خطبته:

إخواني لا بد من الفناء فليت شعري أين الملتقى؟.

● وقال أحد الزهاد:

كونوا من اللَّه على حذر، ومن دنياكم على خطر، ومن الموت على وجل، ولقدوم الآخرة على عجل.

● قال منازل بن سعيد: صلينا خلف جنازة فيها داود الطائي، وهو لا يراني خلفه، فقال: أو ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، ثم قال لنفسه: يا داود من خاف الوعيد قَصر عليه البعيد، ومن طال أمله قصر عمله، وكل ما هو آت قريب، واعلم يا داود أن كل شيء يشغلك عن ربك فهو مشئوم، واعلم يا داود أن أهل الدنيا جميعًا من أهل القبور، إنما يندمون على ما يخلفون، ويفرحون بما يقدمون، فما عليه أهل القبور يندمون، عليه أهل الدنيا يقتتلون وفيه يتنافسون، وعليه عند القضاء يختصمون، ثم نظر إلي فقال: لو علمت أنك خلفي لم أنطق بحرف[1].

● أقام معروف الصلاة، ثم قال لمحمد بن أبي توبة: تقدم، فقال:

إن صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم غيرها، فقال معروف: وأنت تحدث نفسك أن تصلي صلاة أخرى، نعوذ باللَّه من طول الأمل فإنه يمنع خير العمل[2].

● قال الفضيل بن عياض: قال ابن المبارك:

استعد للموت ولما بعد الموت فشهق عليّ شهقة فلم

---

(١) «الزهد الكبير» (٢٣٧).

(٢) «الزهد الكبير» (٢٣٧ ـ ٢٣٨).

يـــزل مغشيًّا عليه عامة الليل(١) .

● قال حاتم الأصم: سمعت شقيقًا يقول:

استعد إذا جاءك الموت أن لا تسأل الرجعة.

● قال حاتم:

ما من صباح إلا والشيطان يقول لي: مـا تأكل وما تلبس، وأين تسكن؟ فأقول: آكل الموت وألبـس الكفن، وأسكن القبر، قال ـ رحـمه اللَّه ـ: الزم خدمة مولاك تأتيك الدنيا راغمة، والجنة عاشقة.

● قال رابعة زوجة أحمد بن أبي الحـواري: ما رأيت ثلجًا قط إلا ذكرت تطاير الصحف، ولا رأيت جرادًا قط إلا ذكرت الحشر، ولا سمعت أذانًا قط إلا ذكرت منادي القيامة، قالت: وقلت لنفـسي: كوني في الدنيا بمنزلة الطير الواقع حتى يأتيك قضاءه.

● قال إسماعيل بن مسعود:

خرج الحســن بن صالح بـن حيي يومًا مــن بيتي فنـظر إلى جراد يـطير فقال: ﴿**يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ**﴾، ثم خر مغشيًّا عليه.

● قال الربيع بن أبي راشد: لو فارق ذكر المـوت قلبي لخشيت أن يفسد، ولولا أن أخالف من كان قبلي لسكنت الجبّانة حتى أموت(٢) .

● قال إبراهيم بن أدهم:

دارنا أمامنا، وحياتنا بعد موتنا إمّا الجنة وإما إلى النار.

وقال لابـن بشار: يا بـن بشار مَـثِّل لبصـر قلبـك حضور ملـك الموت وأعوانه لقبض روحك، فانظر كيف تكون؟ ومثل له القيامة وأهوالها وأفزاعها

---

(١) «الزهد الكبير» ص(٢٣٧ ـ ٢٣٨).

(٢) «الزهد الكبير» ص(٢٤٠).

والعرض والحساب والوقوف فانظر كيف تكون؟ ثم خر مغشيًّا عليه.

● وقال ابن أدهم أيضًا:

إن للموت كأسًا لا يقوى على تجرعها لا خائف وَجِل طائع كان يتوقعها، فمن كان مطيعًا فله الحسنى والكرامة والنجاة من عذاب القيامة، ومن كان عاصيًا نزل بين الحسرة والندامة يوم الصاخة والطامة.

● وقال داود الطائي لسفيان:

إن تشرب الماء البارد والمروق، وتأكل اللذيذ المطيب وتمشي في الظل الظليل متى تحب الموت والقدوم على اللَّه عز وجل؟ فبكى سفيان[1] .

● وقال إبراهيم بن أدهم لأبي ضمرة وقد رآه يضحك:

يا أبا ضمرة لا تطمعن فيما لا يكون، ولا تيأس مما يكون، فقلت: يا أبا إسحاق ما معنى هذا؟ فقال: ما فهمت؟ قلت: لا. قال: لا تطمعن في بقائك وأنت تعلم أن مصيرك إلى الموت فلم يضحك من يموت، ولا يدري إلى أين يصير بعد موت إلى جنة أم إلى نار، ولا تيأس مما يكون أنت لا تدري أي وقت يكون الموت صباحًا أو مساءً أو نهارًا، ثم قال: أوه أوه وسقط مغشيًّا عليه.

● وعن جعفر الصادق عن أبيه وقد جاءه رجل، فقال: أوصني. قال: هيئ جهازك، وقدم زادك، وكن وصي نفسك.

● وقال الحسن:

حقيقٌ على من كان الموت موعده، والقبر مورده والحساب مشهده، أن يطول بكاؤه وحزنه.

---

(١) «الزهد الكبير» ص(٢٤١).

● وقال الفضيل بن عياض:

كفى بالله محبًّا وبالقرآن مؤنسًا وبالموت واعظًا وكفى بخشية الله علمًا والاغترار بالله جهلاً.

● نظر الحسن إلى ميت يدفن فقال: والله إن أمرًا هذا أوله لحري أن يخاف آخره، وإن أمرًا هذا آخره لحري أن يزهد في أوله.

● كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز:

أما بعد. فمن كان آخر علته الموت فقد مات، فكتب إليه عمر بن عبد العزيز: أما بعد: فكأنك بالدنيا لم تكن، وكأنك بالآخرة لم تزل والسلام عليك.

● ودخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز فقال له: عظني. فقال: لست أول خليفة تموت يا أمير المؤمنين، قال: زدني. قال: لم يبق أحد من آبائك من لدن آدم إلى أن بلغت النوبة إليك إلا وقد ذاق الموت. قال: زدني. قال: ليس بين الجنة والنار منزل والله ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ**﴾ وأنت أبصر ببرك وفجورك، فبكى عمر حتى سقط عن سريره.

● قال الحسن: «إن هذا الموت فضح الدنيا ولم يدع لذي لب فرحًا يا لها من موعظة لو وافقت من القلوب حياة».

● قال محمد بن كعب القرظي:

«إن الأرض لتبكي من رجل وتبكي على رجل، تبكي على من كان يعمل على ظهرها بطاعة الله، وتبكي ممن كان يعمل على ظهرها بمعصية الله قد أثقلها، ثم قرأ ﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ**﴾»[1].

---

(١) «البداية والنهاية» (٩/ ٢٦٩).

● كان سابق البربري يقول[١] :

فكم من صحيح بات للموت آمنا ... أتته المنايا بغتة بعد ما هجع

فلم يستطع إذ جاءه الموت بغتة ... فرارًا ولا منه بقوته امتنع

فأصبح تبكيه النساء مقنعًا ... ولا يسمع الداعي وإن صوته رفع

وقرّب من لحد فصار مقيله ... وفارق ما قد كان بالأمس قد جمع

فلا يترك الموت الغني لماله ... ولا معدمًا في المال ذا حاجةٍ يدع

● قال عمر بن عبد العزيز[٢] :

تجهزي بجهاز تبلغين به ... يا نفس قبل الردى لم تخلقي عبثًا

ولا تكدي لم يبقى وتفتقري ... إن الردى وارث الباقي وما ورثا

مَنْ كان حين تصيب الشمس جبهته ... أو الغبار يخاف الشين والشعثا

ويألف الظل كي تبقى بشاشته ... فكيف يسكن يومًا راغمًا جدثًا

قفراء موحشة غبراء مظلمة ... يطيل تحت الثرى من قعرها اللبثا

● للَّه در القائل ناعيًا إلى المرء نفسه:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى ... غير أن لا بقاء للإنسان

أنت خلوٌ من العيوب ومما ... يكرَه الناس غير أنك فان

● كان زين العابدين إذا مرت به الجنازة يقول:

نراع إذا الجنائز روعتنا ... ونلهو حين تمضي ذاهبات

كروعة ثلّة لمغار سبع ... فلمّا غاب عادت راتعات

***

(١) «البداية والنهاية» (٩/ ٢٢٣).

(٢) «البداية والنهاية» (٩/ ٢١٤).

● قال مطرف:

أفسد الموت على أهل النعيم نعيمهم، فاطلبوا نعيمًا لا موت فيه[١] .

● قال بشر بن الحارث:

«يا ليت شعري كيف يخرج المذنبون غدًا من قبورهم وأين مقر الظالمين غدًا من اللَّه عز وجل».

● وقال بشر بن الحارث:

«كان ابن سيرين إذا ذكر الموت عنده مات كل عضو منه».

● قال ثابت البناني:

«أي عبد أعظم حالاً من عبد يأتيه ملك الموت وحده، ويدخل قبره وحده، ويوقف بين يدي اللَّه وحده، ومع ذلك ذنوب ونعم من اللَّه كثيرة»[٢].

● قال قبيصة:

«ما جلست مع سفيان ـ يعني: الثوري ـ مجلسًا إلا ذكر فيه الموت، وما رأيت أحدًا كان أكثر ذكرًا للموت منه»[٣] .

● قال حماد بن سلمة كان سفيان الثوري عندنا بالبصرة وكان كثيرًا يقول: ليتني مت، ليتني قد استرحت، ليتني في قبري، فقال له حماد بن سلمة: يا أبا عبد اللَّه ما أكثر تمنيك للموت، واللَّه لقد آتاك اللَّه القرآن والعلم، فقال سفيان لحماد: يا أبا سلمة وما يدريني لعلي أدخل في دعة لعلي أدخل فيما لا يحل، لعلي أدخل في فتنة أكون قد مت فسبقت هذا.

---

(١) «الزهد الكبير» ص(٢٤٤).

(٢) المرجع السابق.

(٣) «الزهد الكبير» ص(٢٤٦).

● قيل لربيع بن أبي راشد: ألا تجلس فتحدث؟ قال: إن ذكر الموت إذا فارق قلبي ساعة فسد عليّ قلبي، قال مالك بن مغول: ولم أر رجلاً أظهر حزنًا منه.

● التقى حسان بن أبي سنان وحوشب فقال حوشب لحسّان:

كيف أنت يا أبا عبد اللَّه؟ قال: ما حال من يموت، ثم يبعث، ثم يحاسب؟ أصبحت قريب أجلي، بعيد أملي، سيئ عملي.

● قيل للحسن كيف أصبحت يا أبا سعيد؟ كيف حالك؟ قال:

بأشد حال، ما حال من أمسى وأصبح ينتظر الموت، لا يدري ما يفعل اللَّه به.

● عن سلمة بن بشير أن أبا هريرة ﷺ بكى في مرضه فقيل: ما يبكيك؟ فقال: أبكي لبعد سفري، وقلة زادي وأني أصبحت في صعود مهبطه على جنة أو نار فلا أدري إلى أيتها يسلك بي[١] .

● وقيل للربيع بن خثيم كيف أصبحت يا أبا يزيد؟ قال:

«أصبحنا ضعفاء ومذنبين نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا»[٢] .

● وقال رجل لعمر بن عبد العزيز كيف أصبحت يا أمير المؤمنين؟

قال: أصبحت بطيئًا بطينًا متلوثًا بالخطايا، أتمنى على اللَّه عز وجل الأماني.

● وقيل لإبراهيم بن عيسى اليشكري كيف أصبحت؟ فقال:

«أصبحت في أجل منقوص وعمل محفوظ والموت في رقابنا والقيامة من ورائنا ولا ندري ما يفعل اللَّه بنا»[٣] .

---

(١) «الزهد الكبير» ص(٢٤٨).

(٢) «صفة الصفوة» (٣/ ٣٥).

(٣) «الزهد الكبير» ص(٢٤٩).

● قال المزني دخلت على الشافعي ـ رحمه الله ـ وهو عليل، فقلت: كيف أصبحت يا أبا عبد الله، فقال: أصبحت من الدنيا راحلاً وللإخوان [ولإخواني] مفارقًا، ولسوء أفعالي ملاقيًا، وعلى الله واردًا، ولكأس المنية شاربًا، ولا والله ما أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها أو إلى النار فأعزيها. ثم بكى وأنشأ يقول:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت الرجا مني لعفوك سلمًا

تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما

وما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو منّة وتكرمًا[(١)]

● قال مسعر بن كدام: كم من مستقبل يومًا ليس بمستكمله، ومنتظر غدًا، وليس بمستدركه، ولولا الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره[(٢)].

● وعن عون بن عبد الله قال: كم من مستقبل يومًا لا يتمه، ومنتظر لا يبلغه، ولو تنظرون إلى الأجل ومصيره لأبغضتم الأمل وغروره[(٣)].

● وقال الأوزاعي:

من أكثر ذكر الموت كفاه اليسير، ومن عرف أن منطقه من عمله قل كلامه[(٤)].

● كانت إحدى العابدات إذا أصبحت قالت:

يا نفس هذا اليوم ساعديني يومي هذا فلعلك لا ترين بياض يوم أبدًا، وإذا أمست، قالت: يا نفس هذه الليلة ساعديني ليلتي هذه فلعلك لا ترين

---

(١) «الزهد الكبير» ص(٢٤٩)، و«صفة الصفوة» (٢/ ١٣٦).

(٢) «الزهد الكبير» ص(٢٥٣).

(٣) «صفة الصفوة» (٣/ ٥٦)، و«الزهد الكبير» ص(٢٥٣).

(٤) «الزهد الكبير» ص(٢٥٣).

سواد ليلة أبدًا فما زالت تخدع وتدفع يومها بلـيلها وليلها بنهارها حتى ماتت على ذلك[1] .

● قال البيهقي ـ رحمه اللَّه ـ:

الموت كسوف قمر الحياة وخسوف شمسها، وهو لـيوم الحياة مساء، والمحسن والمسيء فيها سواء وهو منتهى راحة قوم ومبتدأ عذابهم، والموت بين الدنيا والآخرة جسر لكل أحد معبر عليه، والموت وإن كان للحياة الفانية آخرًا فهو للحياة الباقية أولاً وصدرًا[2] .

● وقال ابن عيينة:

أوحش ما يكون ابن آدم في ثلاثة مواطن: في يوم ولد فيخرج إلى دارهم، وليلة يبيت مع الموتى فيجاور جيرانًا لم ير مثلهم، ويوم يبعث فيشهد مشهدًا لم ير مثله قط، قال اللَّه تعالى ليحيى بن زكريا في هذه المواطن: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٥][3] .

● قال يحيى بن معاذ :

«لا تكن ممن يفضحه يوم موته ميراثه، ويوم حشره ميزانه»[4] .

● وقال مسعر بن كدام:

ومشيدًا دارًا ليسكن داره ... سكن القبور وداره لم يسكن[5]

● وكان عمر بن عبد العزيز كثيرًا ما يتمثل ويقول:

نهارك يا مغرور سهو وغفلة ... وليلك نوم والردى لك لازم

وتعمل فيما سوف تكره غبه ... كذلك في الدنيا تعيش البهائم

(١، ٢، ٣) «الزهد الكبير» ص(٢٥٤).

(٤، ٥) «الزهد الكبير» ص(٢٥٥).

● كان الحسن إذا أمسى يقول:

وما الدنيا بباقية لحي ... وما حيّ على الدنيا بباق

● قال عبد اللَّه بن المعتز[١] :

الدهر يبلى وآمال الفتى جدد ... تزيد آماله والدهر يفنيها

ليل وصبح وآجال مقدورة ... تمضي ونمضي وتطوينا ونطويها

● وقال الشاعر محمود بن الحسن[٢] :

مضى أمسك الماضي شهيداً معدلا ... وأعقبه يوم لليك جديد

فإن كنت بالأمس اقترفت إساءة ... فثن بإحسان وأنت حميد

فيومك إن أعتبته عاد نفعه ... عليك وماضي الأمس ليس يعود

ولا ترج فعل الخير يومًا إلى غداً ... لعل غداً يأتي وأنت فقيد

● عن طلحة بن عبيد اللَّه ﷺ أن رجلين من بلى ـ وهو حي من قضاعة ـ قتل أحدهما في سبيل اللَّه وأخر الآخر بعده سنة، ثم مات، قال طلحة: فرأيت في المنام الجنة فتحت فرأيت الآخر من الرجلين دخل الجنة قبل الأول فتعجبت، فلما أصبحت ذكرت ذلك فبلغت رسول اللَّه ﷺ ، فقال لي رسول اللَّه ﷺ : **«أليس قد صام بعده رمضان، وصلى بعده ستة آلاف ركعة وكذا وكذا ركعة لصلاة السنة»**[٣] .

● عن وهب بن منبه قال: قرأت في التوراة أن للَّه مناديًا ينادي كل ليلة: أبناء الأربعين، زرع قد دنا حصاده، أبناء الخمسين هلموا إلى الحساب، ماذا

(١، ٢) «الزهد الكبير» ص(٢٥٩).

(٣) «الزهد الكبير» ص(٢٦٣)، والحديث أخرجه ابن ماجه، وابن المبارك في «الزهد»، وصححه الألباني.

قدمتم وماذا أخرتم؟ أبناء الستين لا عذرتم أبناء السبعين عدوا أنفسكم في الموتى(١) .

إذا ما مضى القرن الذي أنت فيهم   وخلفت في قرن وأنت غريب
وإن امرءًا قد سار خمسين حجة   إلى منهل من ورده لقريب

● وأنشد محمد بن حرب الهلالي(٢) :

إذا مات من فوقي ومن دون مولدي   ومُوِّت أترابي فكيف بقائي

● قال أبو يوسف تلميذ أبي حنيفة:

ما هدّني شيء مثل ما هدني موت الأقران(٣) .

● كان معاوية يقول:

إنا واللَّه زرع قد استحصد، قال: ونعي له عبد اللَّه بن عامر بن كريز والوليد بن عقبة وكان أحدهما أكبر منه والآخر دونه، فقال: إذا سار من خلف امرء وأمامه وأفرد من أصحابه فهو ساير(٤) .

● قالوا للفضيل بن عياض: يا أبا علي كم سنك؟ فقال:

بلغت الثمانين أو جزتها   فماذا أؤمل أو أنتظر
أتت لي ثمانون من مولدي   ودون الثمانين ما يعتبر
علتني السنون فأبلينني   فرقت عظامي وكلّ البصر

* * *

ألا ذهب الكماة وخلفوني   كفى حزنًا تذكري الكماة

(١) «صفة الصفوة» (٢/١٥٦)، و«الزهد الكبير» ص(٢٦٥).
(٢) «الزهد الكبير» (٢٧٢).
(٣) المصدر السابق.
(٤) «الزهد الكبير» ص(٢٧٣).

فدع عنك الكماة فقد تولوا ... ونفسك فابكها قبل الممات
وكل جماعة لا بد يومًا ... يفرق بينهم شعب الشتات

● وقال محمد الوراق[1]:

يبكي على ميت ويغفل نفسه ... كأن بكفيه أمانًا من الردى
وما الميت المقبور في صدر يومه ... أحق بأن يبكيه من ميت غدا

* * *

هذي منازل أقوام عهدتهموا ... في رغد عيش رغيب ما له خطر
صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا ... إلى القبور فلا عين ولا أثر[2]

● وقال آخر:

أفنى جديدهم وشتت جمعهم ... ملك تفرد بالبقاء عزيز

● قال مسلمة: واللَّه ما وعظني شعر قط ما وعظني ابن حطان حين يقول:

أفي كل عام مرضة ثم نعمة ... وتنعي ولا تنعى فكم ذا إلى متى؟
فيوشك يوم أو يوافك ليلة ... يسوقان حتفًا راح نحوك أو غدا

● سئل بعض الحكماء: من أنعم الناس عيشًا؟ قال:

بدنه في التراب قد أمن العقاب ينتظر الثواب[3].

● وانشدوا لقس بن ساعدة:

يا ناعي الموت والأموات في جدث ... عليهم من بقايا ثوبهم مزق
دعهم فإن لهم يومًا يصاح بهم ... كي ينتبه من نوماته الصعق
منهم عراة وموتى في ثيابهم ... منها الجديد ومنها الأورق الخلق

---

(١) «الزهد الكبير» ص(٢٧٨).

(٢) «الزهد الكبير» ص(٢٧٩).

(٣) «الزهد الكبير» ص(٢٨٧).

● وقال أيضًا:

في الذاهبين الأولين ... من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردًا ... للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها ... تمضي الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضي إليّ ... ولا من الباقين غابر
أيقنت أني لا محالة ... حيث صار القوم صائر[1]

* * *

(١) «الزهد الكبير» ص(٢٨٥ ـ ٢٨٦).



أرَأيت
شِعرًا
للبُكاءِ يُعَار؟!



لأَبْكِيَنَّ عَلَى نَفْسِي وَحَقٌّ لِيَهْ يَا عَيْنُ لا تَبْخُلِي عَني بِعَبْرَتِيَهْ
لأبْكِيَنَّ لِفقْدَانِ الشَّبَابِ وَقَدْ نَادَى الْمَشِيبُ عَنِ الدُّنْيَا بِرِحْلَتِيَهْ
لأبْكِيَنَّ عَلَى نَفْسِي فَتُسْعِدُنِي عَيْنٌ مُؤَرَّقَةٌ تَبْكِي لِفُرْقَتِيَهْ
لأبْكِيَنَّ وَيَبْكِينِي ذَوُو ثِقَتِي حَتَّى الْمَمَاتِ أخِلاَّئي وَإِخْوَتِيَهْ
لأبْكِيَنَّ فَقَدْ جَدَّ الرَّحِيلُ إِلَى بَيْتِ انْقِطَاعِي عَنِ الدُّنْيَا وَرِحْلَتِيَهْ
يَا بَيْتُ بَيْتَ الرَّدَى يَا بَيْتَ مُنْقَطَعِي يَا بَيْتُ بَيْتَ الرَّدَى يَا بَيْتَ غُرْبَتِيَهْ
يَا بَيْتُ بَيْتَ النَّوَى عَنْ كُلِّ ذِي ثِقَةٍ يَا بَيْتُ بَيْتَ الرَّدَى يَا بَيْتَ وَحْشَتِيَهْ
يَا نَأْيَ مُنْتَجَعِي يَا هَوْلَ مُطَّلَعِي يَا ضِيقَ مُضَّجَعِي يَا بُعْدَ شُقَّتِيَهْ
يَا عَيْنُ كَمْ عَبْرَةٍ لِي غَيْرِ مُشْكِلَةٍ إِنْ كُنْتُ مُنْتَفِعًا يَوْمًا بِعَبْرَتِيَهْ
يَا عَيْنُ فَانْهَمِلِي إِنْ شِئْتِ أَوْ فَدَعِي أَمَّا الزَّمَانُ فَقَدْ أَوْدَى بِجِدَّتِيَهْ
يَا كُرْبَتِي يَوْمَ لا جَارٌ يَبِرُّ وَلا مَوْلًى يُنَفِّسُ إِلاَّ اللَّهُ كُرْبَتِيَهْ
إِذَا تَمَثَّلَ لِي كَرْبُ السِّيَاقِ وَقَدْ قَلَّبْتُ طَرْفِي وَقَدْ رَدَّدْتُ غُصَّتِيَهْ
إِنْ حَثَّ بِي عَلَزٌ عَالٍ وَحَشْرَجَ فِي صَدْرِي وَدَارَتْ لِكَرْبِ الْمَوْتِ مُقْلَتِيَهْ
أُمْسِي وَأُصْبِحُ فِي لَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ مَاذَا أُضَيِّعُ فِي يَوْمِي وَلَيْلَتِيَهْ
أَلْهُو وَلِي رَهْبَةٌ مِنْ كُلِّ حَادِثَةٍ وَإِنَّمَا رَهْبَتِي فَرْعٌ لِرَغْبَتِيَهْ
إِنِّي لأَلْهُو وَأَيَّامِي تُنَقِّلُنِي حَتَّى تَسُدَّ بِيَ الأَيَّامُ حُفْرَتِيَهْ
مَاذَا أُضَيِّعُ مِنْ طَرْفِي وَمِنْ نَفَسِي لِغَفْلَتِي وَهُمَا فِي حَذْفِ مُدَّتِيَهْ
الرُّشْدُ يُعْتِقُنِي لَوْ كُنْتُ أَتْبَعُهُ وَالْغَيُّ يَجْعَلُنِي عَبْدًا لِشَهْوَتِيَهْ
يَا نَفْسُ ضَيَّعْتِ أَيَّامَ الشَّبَابِ وَهذَا الشَّيْبُ فَاعْتَبِرِي فِي الشَّيْبِ صُحْبَتِيَهْ
يَا نَفْسُ وَيْحَكِ مَا الدُّنْيَا بِبَاقِيَةٍ فَشَمِّرِي وَاجْعَلِي فِي الْمَوْتِ فِكْرَتِيَهْ
لَئِنْ رَكَنْتُ إِلَى الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا لأَخْرُجَنَّ مِنَ الدُّنْيَا بِحَسْرَتِيَهْ

أشْكُو إلَى اللَّهِ تَضْيِيقِي وَمَسْكَنَتِي ... أشْكُوُ إلَى اللَّهِ تَقْصِيرِي وَقَسْوَتِيَهْ

وَاللَّهُ وَاللَّهُ رَبِّي الْمُسْتَغَاثُ بِهِ ... وَاللَّهُ رَبِّى بِهِ حَوْلِي وَقُوَّتِيَهْ

الْمَالُ مَا كَانَ قُدَّامِي لآخِرَتِي ... مَا لَمْ أَقَدِّمْهُ مِنْ مَالِي فَلَيْسَ لِيَهْ[1]

* وقال:

تَلْهُو وللموتِ مُمْسَانا ومُصْبَحُنَا ... مَنْ لَمْ يُصَبِّحْهُ وجهُ الموتِ مَسَّاهُ

ما أقربَ الموتَ في الدنيا وأبْعَدَهُ ... وما أَمَرَّ جَنَى الدنيا وأَحْلاهُ

بينا الشَّقيقُ على إلْفٍ يُسَرّ به ... إذْ صَارَ أَغْمَضَهُ يومًا وَسَجَّاهُ

يَبْكِي عليه قليلاً ثُمَّ يُخْرِجُهُ ... فَيُمْكِنُ الأرضَ منهُ ثم ينساهُ[2]

* وقال ـ رحمه اللَّه ـ:

رُبَّ مَذْكُورٍ لِقَوْمٍ ... غَابَ عَنْهُمْ فَنَسَوْهُ

وَإِذَا أفْنَى سِنِيهِ ... الْمَرْءُ أفْنَتْهُ سَنُوهُ

وكَأنَّ بالْمَرْءِ قَدْ يَبْكِي ... عَلَيْهِ أَقْرَبُوهُ

وكَأنَّ الْقَوْمَ قَدْ قَا ... مُوا فَقَالُوا أدْرِكُوهُ

سَائِلُوهُ كَلِّمُوهُ ... حَرِّكُوهُ لَقِّنُوهُ

فَإِذَا اسْتَيْأسَ مِنْهُ ... الْقَوْمُ قَالُوا أحْرِقُوهُ

حَرِّفُوهُ وَجِّهُوهُ ... مَدِّدُوهُ غَمِّضُوهُ

عَجِّلُوهُ لِرَحِيلٍ ... عَجِّلُوا لا تَحْبِسُوهُ

ارْفَعُوهُ غَسِّلُوهُ ... كَفِّنُوهُ حَنِّطُوهُ

فَإِذَا مَا لُفَّ فِي الأ ... كْفَانِ قَالُوا فَاحْمِلُوهُ

---

(١) «ديوان أبي العتاهية» ص(٢٥٦ ـ ٢٥٧) ـ دار الكتب العلمية.

(٢) المصدر السابق ص(٢٤٨ ـ ٢٤٩).

أخْرِجُوهُ فَوْقَ أعْوَا ... دِ الْمَنَايَا شَيِّعُوهُ
فَإِذَا صَلَّوْا عَلَيْهِ ... قِيلَ هَاتُوا وَاقْبِرُوهُ
فَإِذَا مَا اسْتَوْدَعُوهُ ... الأرْضَ رَهْنًا تَرَكُوهُ
خَلَّفُوهُ تَحْتَ رَمْسٍ ... أوْقَرُوهُ أثْقَلُوهُ
أبْعَدُوهُ أسْحَقُوهُ ... أوْحَدُوهُ أفْرَدُوهُ
وَدَّعُوهُ فَارَقُوهُ ... أسْلَمُوهُ خَلَّفُوهُ
وَانْثَنُوا عَنْهُ ... وَخَلَّوْهُ كَأنْ لَمْ يَعْرِفُوهُ
وكَأنَّ القَوْمَ فِيمَا ... كَانَ فِيهِ لَمْ يَلُوهُ
ابْتَنَى النَّاسُ مِنَ الْبُنْيَا ... نِ مَا لَمْ يَسْكُنُوهُ
جَمَعَ النَّاسُ مِنَ الأ ... مْوَالِ مَا لَمْ يَأكُلُوهُ
طَلَبَ النَّاسُ مِنَ الآ ... مَالِ مَا لَمْ يُدْرِكُوهُ
ظَعَنَ الموتَى إلَى مَا ... قَدَّمُوه وَحَدَوْهُ[1]

* وقال ـ رحمه الله ـ في ورود الموت وبطشه بالأنام طُرّاً:

لِمَنْ طَلَلٌ أُسَائِلُهُ ... مُعَطَّلَةٌ مَنَازِلُهُ
غَدَاةَ رَأيْتُهُ تَنْعَى ... أعَالِيَهُ أسَافِلُهُ
وكُنْتُ أرَاهُ مَأهُولاً ... وَلَكِنْ بَادَ آهِلُهُ
وكُلٌّ لاعْتِسَافِ الدَّهْرِ ... مُعْرَضَةٌ مَقَاتِلُهُ
وَمَا مِنْ مَسْلَكٍ إلاَّ ... وَرَيْبُ الدَّهْرِ شَامِلُهُ

---

(١) «ديوان أبي العتاهية» ص(٢٤٩ ـ ٢٥٠).

فَيَصْرَعُ مَنْ يُصَارِعُهُ ... وَيَنْضُلُ مَنْ يُنَاضِلُهُ

يُنَازِلُ مَنْ يَهُمُّ بِهِ ... وَأَحْيَانًا يُخَاتِلُهُ

وَأَحْيَانًا يُؤَخِّرُهُ ... وَتَارَاتٍ يُعَاجِلُهُ

كَفَاكَ بِهِ إِذَا نَزَلَتْ ... عَلَى قَوْمٍ كَلاَكِلُهُ

وَكُمْ قَدْ عَزَّ مِنْ مَلِكٍ ... يَحُفُّ بِهِ قَنَابِلُهُ

يَخَافُ النَّاسُ صَوْلَتَهُ ... وَيُرْجَى مِنْهُ نَائِلُهُ

وَيَثْنِي عِطْفَهُ مَرَحًا ... وَيُعْجِبُهُ شَمَائِلُهُ

فَلَمَّا أنْ أتَاهُ الْحَقُّ ... وَلَّى عَنْهُ بَاطِلُهُ

فَغَمَّضَ عَيْنَهُ لِلْمَوْ ... تِ وَاسْتَرْخَتْ مَفَاصِلُهُ

فَمَا لَبِثَ السِّيَاقُ بِهِ ... إِلَى أنْ جَاءَ غَاسِلُهُ

فَجَهَّزَهُ إِلَى جَدَثٍ ... سَيَكْثُرُ فِيهِ خَاذِلُهُ

وَيُصْبِحُ شَاحِطُ الْمَوْتَى ... مُفَجَّعَةً ثَوَاكِلُهُ

مُخَمَّشَةً نَوَادِبُهُ ... مُسَلَّبَةً (١) غَلاَئِلُهُ

وَكَمْ قَدْ طَالَ مِنْ أمَلٍ ... فَلَمْ يُدْرِكْهُ آمِلُهُ

رَأيْتُ الْحَقَّ لا يَخْفَى ... وَلاَ تَخْفَى شَوَاكِلُهُ

ألا فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ أيَّ ... زَادٍ أنْتَ حَامِلُهُ

لِمَنْزِلِ وَحْدَةٍ بَيْنَ ... الْمَقَابِرِ أنْتَ نَازِلُهُ

قَصِيرِ السَّمْكِ قَدْ رُصَّتْ ... عَلَيْكَ بِهِ جَنَادِلُهُ

بَعِيدٍ تَزَاوُرُ الْجِيرَا ... نِ ضَيِّقَةٌ مَدَاخِلُهُ

أأيَّتُهَا الْمَقَابِرُ فِيكِ ... مَنْ كُنَّا نُنَازِلُهُ

---

(١) وفي رواية: مثلّبة.

وَمَـنْ كُـنَّـا نُـتَـاجِـرُهُ ... وَمَـنْ كَـنَّـا نُـعَـامِـلُـهُ
وَمَـنْ كُـنَّـا نُـعَـاشِـرُهُ ... وَمَـنْ كُـنَّـا نُـطَـاوِلُـهُ(١)
وَمَـنْ كُـنَّـا نُـشَـارِبُـهُ ... وَمَـنْ كُـنَّـا نُـؤَاكِـلُـهُ
وَمَـنْ كُـنَّـا نُـرَافِـقُـهُ ... وَمَـنْ كُـنَّـا نُـنَـازِلُـهُ(٢)
وَمَـنْ كُـنَّـا نُـكَـارِمُـهُ ... وَمَـنْ كُـنَّـا نُـجَـامِـلُـهُ
وَمَـنْ كُـنَّـا لَـهُ إِلْـفًـا ... قَـلِـيـلاً مَا نُـزَايِـلُـهُ
وَمَـنْ كُـنَّـا لَـهُ بِـالأَمْـسِ ... أَحْـيَـانًـا نُـوَاصِـلُـهُ
فَـحَـلَّ مَـحَـلَّـةٌ مَـنْ حَـلَّـهَـا ... صُـرِمَـتْ حَـبَـائِـلُـهُ
أَوَاخِـرُ مَـنْ تَـرَى تَـفْـنَـى ... كَـمَـا فَـنِـيَـتْ أَوَائِـلُـهُ(٣)

* وقال ـ رحمه الله ـ:

يَا نَفْسُ أَيْنَ أَبِي وَأَيْنَ أَبُو أَبِي ... وَأَبُوهُ عُدِّي لاَ أَبَا لَكِ وَاحْسُبِي
عُدِّي فَأَيْنَمَا قَدْ نَظَرْتُ فَلَمْ أَجِدْ ... بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِيكِ آدَمَ مِنْ أَبِ
أَفَأَنْتِ تَرْجِينَ السَّلامَةَ بَعْدَهُمْ ... هَلاَّ هُدِيتِ لِسَمْتِ وَجْهِ الْمَطْلَبِ
قَدْ مَاتَ ما بَيْنَ الْجَنِينِ إِلَى الرَّضِيعِ ... إِلَى الْفَطِيمِ إِلَى الْكَبِيرِ الأَشْيَبِ
فَإِلَى مَتَى هذا أَرَانِي لاَعِبًا ... وَأَرَى الْمَنِيَّةَ إِنْ أَتَتْ لَمْ تَلْعَبِ(٤)

* وقال ـ رحمه الله ـ:

مَا لِلْمَقَابِرِ لاَ تُجِيبُ ... إِذَا دَعَاهُنَّ الْكَئِيبُ
حُفَرٌ مُسَقَّفَةٌ عَلَيْهِنَّ ... الْجَنَادِلُ وَالْكَثِيبُ

---

(١) وفي نسخة: نداخله.
(٢) وفي رواية: نناوله.
(٣) «ديوان أبي العتاهية» ص(١٩٤ ـ ١٩٥).
(٤) المصدر السابق ص(٢٣).

فِـيهِـنَ وِلْـــدَانٌ وَأطْـفَـــالٌ ... وَشُبَّـــانٌ وَشِيـــبُ
كَـمْ مِـن حَـبِـيبٍ لَـمْ تَـكُـنْ ... نَفْسِـي بِفُرْقَتِــهِ تَطِيــبُ
غَـادَرْتُــهُ فِـي بَـعْـضِـهِـنَّ ... مُجَـــدَّلاً وَهْــوَ الْحَبِيبُ
وَسَلَـوْتُ عَنــهُ وإنَّـمَــا ... عَـهْـدِي بِـرُؤْيَـتِـهِ قَرِيــبُ[1]

* وقال ـ رحمه اللَّه ـ:

ايْن المُلُوكُ ذَوُو الْعَسَاكِرِ وَالْمَنَـا ... بِرِ وَالدَّسَاكِرِ وَالْقُصُـورِ الْمُشْرِفَاتْ
وَالْمُلْهِيَاتُ فَمَنْ لَهَا وَالْغَادِيَـاتُ ... الرَّائِحَاتُ مِنَ الْجِيَـادِ الصَّافِنَاتْ
هُمْ بَيْنَ أطْبَاقِ الثَّرَى فَتَراهُـمُ ... أهْلَ الدِيَـارِ الْخَاوِيَـاتِ الْخَالِيَاتْ
هَلْ فِيكُمُ مِنْ مُخْبِرٍ حَيْثُ اسْتَقَـرَّ ... قَـرَارُ أرْوَاحِ الْعِظَـامِ الْبَالِيَـاتْ
فَلَقَلَّ مَا لَبِثَ الْعَوَائِـدُ بَعْدَكُمْ ... وَلَقَلَّ مَا ذَرَفَتْ عُيُونُ الْبَاكِيَـاتْ[2]

* وقال ـ رحمه اللَّه ـ:

كَأنك فِي أهْلِيك قَد أُتِيتَا ... وَفِي الْجِيْرَانِ وَيْحَكَ قَدْ نُعِيتَا
كَـأنَّـكَ كُـنْـتَ بَـيْـنَـهُـمُ غَـرِيبًا ... بِكَأْسِ الْمَوْتِ صِرْفًا قَدْ سُقِيتَا
وَأصْبَحَتِ الْمَسَاكِنُ مِنْكَ قَفْرًا ... كَأنَّكَ لَمْ تَكُنْ فِيهَا عَنِيتَا
كَأنَّكَ وَالْحُتُوفُ لَهَـا سِهَامٌ ... مُفَوَّقَةٌ بِسَهْمِكَ قَدْ رُمِيتَا
وَأنَّكَ إذْ خُلِقْتَ خُلِقْتَ فَرْدًا ... إلَى أجَلٍ تُجِيبُ إذَا دُعِيتَا
إلَى أجَلٍ تُعَدُّ لَكَ اللَّيَالِي ... إذَا أوْفَيْتَ عِدَّتَهَا فَنِيتَا
وَكُلُّ فَتًى تُغَافِصُهُ الْمَنَايَا ... وَيُبْلِيهِ الزَّمَانُ كَمَا بَلِيتَا

---

(١) «ديوان أبي العتاهية» ص(٢٥).
(٢) المصدر السابق ص(٣٧).

فَكَمْ مِنْ مُوجَعٍ يَبْكِيكَ شَجْواً ... وَمَسْرُورِ الْفُؤَادِ بِمَا لَقِيتَا[1]

* وقال ـ رحمه الله ـ:

وَلِلَّهِ يَوْمِي أيَّ يَوْمٍ فَظَاعَةٍ ... وَأفْظَعَ مِنْهُ بَعْدُ يَوْمُ قِيَامَتِي

وَلِلَّهِ أهْلِي إذْ حَبَوْنِي بِحُفْرَةٍ ... وَهُمْ بِهَوَانِي يَطْلُبُونَ كَرَامَتِي

وَلِلَّهِ دُنْيَا لاَ تَزَالُ تَرِدُّنِي ... أبَاطِيلُهَا فِي الْجَهْلِ بَعْدَ اسْتِقَامَتِي

وَلِلَّهِ أصْحَابُ الْمَلاَعِبِ لَوْ صَفَتْ ... لَهُمْ لَذَّةُ الدُّنْيَا بِهِنَّ وَدَامَتِ

ولِلَّه عينٌ أيقنتْ أن جنةً ... ونارًا يقين صادقٌ ثُمّ نامت[2]

* وقال ـ رحمه الله ـ:

الْمَوْتُ لاَ وَالِداً يُبْقِي وَلاَ وَلَدَا ... وَلاَ صَغِيراً وَلا شَيْخًا وَلاَ أحَدَا

لِلْمَوْتِ فِينَا سِهَامٌ غَيْرُ مُخْطِئَةٍ ... مَنْ فَاتَهُ الْيَوْمَ سَهْمٌ لَمْ يَفُتْهُ غَدَا

مَا ضَرَّ مَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا وَغِرَّتَهَا ... ألاَّ يُنَافِس فِيهَا أهْلُهَا أبَدَا[3]

* وقال ـ رحمه الله ـ:

أيُّهَا الْمُزْمِعُ الرَّحِيلَ عَنِ الدُّنْيَا ... تَزَوَّدْ لِذَاكَ مِنْ خَيْرِ زَادِ

لَتَنَالَنَّكَ اللَّيَالِي وَشِيكًا ... بِالْمَنَايَا فَكُنْ عَلَى اسْتِعْدَادِ

أتَنَاسَيْتَ أمْ نَسِيتَ الْمَنَايَا ... أنَسِيتَ الْفِرَاقَ لِلأوْلاَدِ

أنَسِيتَ الْقُبُورَ إذْ أنْتَ فِيهَا ... بَيْنَ ذُلٍّ وَوَحْشَةٍ وَانْفِرَادِ

أيُّ يَوْمٍ يَوْمُ السِّبَاقِ وَإذْ أنْتَ ... تُنَادَى فَمَا تُجِيبُ الْمُنَادِي

أيُّ يَوْمٍ يَوْمُ الْفِرَاقِ وَإذْ أنْتَ ... نَفْسُكَ تَرْقَى عَنِ الْحَشَا وَالْفُؤَادِ

---

(١) المصدر السابق ص(٤٠).

(٢) المصدر السابق ص(٤١ ـ ٤٢).

(٣) «ديوان أبي العتاهية» ص(٦٧).

أيُّ يَـومٍ يَـوْمُ الْـفِـراقِ وَإِذ أَنْـتَ ... مِـنَ الـنَّـزْعِ فِـي أشَـدِ الْـجِـهَـادِ

أيُّ يَـومٍ يَـوْمُ الـصُّـرَاخِ وَإِذْ ... يَـلْـطِـمْـنَ حُـرَّ الْـوُجُـوهِ وَالآسَـادِ

بَـاكِيَـاتٍ عَـلَيْـكَ يَـنْـدبْـنَ شَجْـوًا ... خَـافِـقَـاتِ الْـقُـلُـوبِ وَالأكْـبَـادِ

يَـتَـجَـاوَبْـنَ بِـالـرَّنِـينِ وَيَـذْرِفْـنَ ... دُمُـوعًـا تَـفِـيـضُ فَـيْـضَ الْـمَـزَادِ

أيُّ يَـوْمٍ نَـسِـيـتُ يَـوْمُ الـتَّـلاَقِـي ... أيُّ يَـوْمٍ نَـسِـيـتُ يَـوْمُ الْـمَـعَـادِ

أيُّ يَـومٍ يَـوْمُ الْـوُقُـوفِ إِلَـى الـلَّـهِ ... وَيَـوْمُ الْـحِـسَـابِ وَالإِشْـهَـادِ

أيُّ يَـومٍ يَـوْمُ الْـمَـمَـرِّ عَلَـى الـنَّـا ... رِ وَأهْـوَالِـهَـا الْـعِـظَـامِ الـشِّـدَادِ

أيُّ يَـومٍ يَـوْمُ الْـخَـلاَصِ مِـنَ الـنَّـا ... رِ وَهَـوْلِ الْـعَـذَابِ وَالأصْـفَـادِ

كَمْ وَكَمْ فِي الْقُبُورِ مِنْ أَهْلِ مُلْكٍ ... كَـمْ وَكَـمْ فِـي الْـقُـبُـورِ مَـنْ قُـوَّادِ

كَمْ وَكَمْ فِي الْقُبُورِ مِنْ أهْلِ دُنْيَا ... كَـمْ وَكَـمْ فِـي الْـقُـبُـورِ مَـنْ زُهَّـادِ

لَوْ بَذَلْتُ النُّصْحَ الصَّحِيحَ لِنَفْسِي ... لَـمْ تَـذُقْ مُـقْـلَتَـايَ طَعْـمَ الرُّقَـادِ

لَوْ بَذَلْتُ النُّصْحَ الصَّحِيحَ لِنَفْسِي ... هِـمْتُ أُخْرَى الزَّمَـانِ فِي كُلِّ وَادِ

بُـؤْسَ لِـي بُـؤْسَ مَـيِّـتًـا يَـوْمَ أبْـكِـي ... بَـيْـنَ أهْـلِـي وَحَـاضِـرِ الْـعُـوَّادِ

كَـيْـفَ ألْـهُـو وَكَـيْـفَ أَسْـلُـو وَأنْـسَـى ... الْـمَـوْتَ وَالْـمَـوتُ رَائِـحٌ ثُـمَّ غَـادِ

أيُّـهَـا الْـوَاصِـلِـي سَـتَـرْفِـضُ وَصْـلِـي ... عَـنْـكَ لَـوْ قَـدْ أُذِقْـتَ طَعْـمَ افْـتِـقَـادِي

يَـا طَـوِيـلَ الـرُّقَـادِ لَـوْ كُـنْـتَ تَـدْرِي ... كُـنْـتَ مَـيْـتَ الرُّقَـادِ حَـيَّ الـسُّـهَـادِ[1]

* وقال ـ رحمه الله ـ يذكر القبور وأهلها:

أخَـوَيَّ مُـرَّا بِـالْـقُـبُـو ... رِ وَسَـلِّـمَـا قَـبْـلَ الْـمَـسِـيرِ

ثُـمَّ أدْعُـوا مَـنْ عَـادَهَـا ... مَـنْ مَـاجِـدٍ قَـرْمٍ فَـخُـورِ

وَمُـسَـوَّدٍ رَحْـبِ الْـفِـنَـاءِ ... أغَـرَّ كَـالْـقَـمَـرِ الْـمُـنِـيـرِ

(١) «ديوان أبي العتاهية» ص(٦٨ ـ ٦٩).

يَـا مَـنْ تَـضَـمَّـنُـهُ الْـمَـقَـابِـرُ … مِـــنْ كَـبِـيـــرٍ أَوْ صَـغِـيـرِ

هَـــــلْ فِـيْـكُـمُ أَوْ مِـنْـكُـمُ … مِـــنْ مُـسْـتَـجَـارٍ أَوْ مَـجِـيـرِ

أَوْ نَـــاطِــقٍ أَوْ سَـــامِـــــعٍ … يَـوْمــــاً بِـعُـــرْفٍ أَوْ نَـكِـيـرِ

أَهْـــلَ الْـقُـبُـــورِ أَحِـبَّـتِـي … بَـعْـــــدَ الْـجَـذَالَـةِ وَالـسُّـرُورِ

بَـعْـــدَ الْـغَـضَــارَةِ وَالـنَّـضَــا … رَةِ وَالـتَّـنَـعُّـــمِ وَالْـحُـبُـــورِ

بَـعْـــدَ الْـمَـشَـــاهِـــدِ وَالْمَـجَا … لِـسِ وَالْـعَـسَـاكِـرِ وَالْـقُـصُـــورِ

بَـعْـــدَ الْـحِـسَـــانِ الْـمُـسْـمِـعَا … تِ وَبَـــعْـــدَ رَبَّـــاتِ الْـخُـــدُورِ

وَالـنَّـــائِـحَـــاتِ الْـمُـنْـجِـيَـــا … تِ مِـــنَ الْـمَـهَـــالِـكِ وَالـشُّـرُورِ

أَصْـبَـحْـتُـمُ تَـحْـتَ الـثَّـرَى … بَـيْـنَ الـصَّـفَـائِـــحِ وَالـصُّـخُـورِ

أَهْـــلَ الْـقُـبُـــورِ إِلَـيْـكُـــمُ … لاَ بُـــدَّ عَـــاقِـبَـةُ الأُمُـــــورِ[1]

*** وقال ـ رحمه الله ـ:**

لأَمْـرٍ مَـا خُـلِـقْـتَ فَـمَـا الْـغُـرُورُ … لأَمْـــرٍ مَـا تَـحُـثُّ بِكَ الـشُّـهُـــورُ

أَلَـسْـتَ تَرَى الْـخُـطُـوبَ لَـهَـا رَوَاحٌ … عَـلَـيْـكَ بِـصَـرْفِـهَـــا وَلَـهَـــا بُـكُـــورُ

أَتَـدْرِي مَـا يَـنُـوبُـكَ فِـي الـلَّـيَـالِـي … وَمَـرْكَـبُـكَ الْـجَـمُـوحُ هُـوَ الْـعَـثُـــورُ

كَـأَنَّـكَ لاَ تَـرَى فِـي كُـلِّ وَجْـهٍ … رَحَـى الْـحِـدْثَـــانِ دَائِـــرَةً تَـدُورُ

أَلاَ تَـأْتِـي الْـقُـبُـــورَ صَـبَـاحَ يَـوْمٍ … فَـتَـسْـمَـعَ مَـا تُـخَـبِّـرُكَ الْـقُـبُـــورُ

فَـإِنَّ سُـكُـونَـهَـــا خُـرْسٌ تُـنَـاجِـي … كَـأَنَّ بُـطُـــونَ غَـابَـتِـهَـــا ظُـهُـــورُ

فَـيَـا لَـكَ رَقْـدَةٌ فِـي غِـبِّ كَـأْسٍ … لِـشَـارِبِـهَـــا بِـلًى وَلَــهُ نُـشُـــورُ[2]

---

(١) «ديوان أبي العتاهية» ص(٨٥).

(٢) المصدر السابق ص(٩٣ ـ ٩٤).

*** وقال زهدًا في الدنيا مذكرًا بالقبور:**

يَا دَارُ وَيْحَكِ أيْنَ أرْ ... بَابُ الْمَدَائِنِ وَالْقُصُورِ
مَنَّيْتِنَا وَغَرَرْتِنَا ... يَا دَارَ أرْبَابِ السُّرُورِ
بَلْ يَا مُفَرِّقَةَ الْجَمِيعِ ... وَيَا مُنَغِّصَةَ السُّرُورِ
أيْنَ الَّذِينَ تَبَدَّلُوا ... حُفَرًا بِأفْنِيَةٍ وَدُورِ
زُرْتُ الْقُبُورَ فَحِيلَ بَيْنَ ... الزَّوْرِ فِيهَا وَالْمَزُورِ
أأُخَيَّ مَا لَكَ نَاسِيًا ... يَوْمَ التَّغَابُنِ فِي الأُمُورِ
أفْنَيْتَ عُمْرَكَ فِي الرَّوَا ... حِ إِلَى الْمَلاعِبِ وَالْبُكُورِ
لا تَأْمَنَنَّ مَعَ الْحَوَا ... دِثِ عَثْرَةَ الدَّهْرِ الْعَثُورِ
لَوْ أنَّ عُمْرَكَ زِيدَ فِيهِ ... جَمِيعُ أعْمَارِ النُّسُورِ
أوْ كُنْتَ مِنْ زُبَرِ الْحَدِيدِ وَكُنْتَ مِنْ صَمِّ الصُّخُورِ
أوْ كُنْتَ مُعْتَصِمًا بِأعْلَى ... الرِيحِ أوْ لُجَجِ الْبُحُورِ
لأتَتْ عَلَيْكَ نَوَائِبُ الدُّ ... نْيَا وَكَرَّاتُ الشُّهُورِ[1]

● وهذه الأبيات التي أبكت الرشيد حتى جعلت دموعه تتحدر على خدّيه وقال: كأني والله أخاطب بذلك دون الناس، ولم يلبث بعد ذلك قليلاً حتى مات.

لا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا لِذِي بَصَرٍ ... نَفَذَتْ لَهُ فِيهَا بَصَائِرُهُ
لَوْ أنَّ ذِكْرَ الْمَوْتِ لازِمُنَا ... لَمْ يَنْتَفِعْ بِالْعَيْشِ ذَاكِرُهُ[2]
كَمْ قَدْ ثُكِلْنَا مِنْ ذَوِي ثِقَةٍ ... وَمُعَاشِرٍ كُنَّا نُعَاشِرُهُ

---

(١) «ديوان أبي العتاهية» ص(٩٨ ـ ٩٩).

(٢) وفي رواية: الموت لو صحَّ اليقينُ به ... لم ينتفع بالموت ذاكره

أيْنَ الْمُلُوكُ وأيْنَ[1] غِرتُّهُمْ صَارُوا مَصِيرًا أنْتَ صَائِرُهُ
فَسَبِيلُنَا فِي الْمَوْتِ مُشْتَرَكٌ تَتْلُو أصَاغِرَهُ أكَابِرُهُ
مَنْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ مُدَّخِرًا فَسَتَسْتَبِينُ غَدًا ذَخَائِرُهُ
أمِنَ الْفَنَاءَ عَلَى ذَخَائِرِه وَجَرَى لَهُ بِالسَّعْدِ طَائِرُهُ
يَا مَنْ يُرِيدُ الْمَوْتُ مُهْجَتَهُ لاَ شَكَّ مَا لَكَ لاَ تُبَادِرُهُ
هَلْ أنْتَ مُعْتَبِرٌ بِمَنْ خَرِبَتْ مِنْهُ غَدَاةَ قَضَى دَسَاكِرُهُ
وَبِمَنْ خَلَتْ مِنْهُ أسِرَّتُهُ وَبِمَنْ خَلَتْ مِنْهُ مَنَابِرُهُ[2]
وَبِمَنْ خَلَتْ مِنْهُ مَدَائِنُهُ وَتَفَرَّقَتْ مِنْهُ عَسَاكِرُهُ[3]
وَبِمَنْ أذَلَّ الدَّهْرُ مَصْرَعَهُ فَتَبَرَّأتْ مِنْهُ عَشَائِرُهُ[4]
مُسْتَوْدِعًا قَبْرًا قَدَ اثْقَلَهُ فِيهَا مِنَ الْحَصْبَاءِ قَابِرُهُ
دَرَسَتْ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ وَنَفَى عَنْهُ النَّعِيمُ فَتِلْكَ سَاتِرُهُ
فَقَرِيبُهُ الأدْنَى مُجَانِبُهُ وَصَدِيقُهُ مِنْ بَعْدُ هَاجِرُهُ
يَا مُؤْثِرَ الدُّنْيَا وَطَالِبَهَا وَالْمُسْتَعِدَّ لِمَنْ يُفَاخِرُهُ[5]
نَلْ مَا بَدَا لَكَ أنْ تَنَالَ مِنَ الدُّنْيَا فَإنَّ الْمَوْتَ آخِرُهُ[6]

***

(١) وفي رواية: أين الملوك وأين عزُّهم.
(٢) وفي رواية: فغدا وقد عطلت.
(٣) وفي نسخة: وتعطلت منه منابره.
(٤) وفي رواية: عساكره.
(٥) وفي رواية: يا جامع الدنيا للَذَّتِه والمستعد لمن يكابرهُ.
(٦) «ديوان أبي العتاهية» ص(١٠٦ ـ ١٠٧).

* وقال ـ رحمه الله ـ:

أخٌ طَالَمَا سَرَّنِي ذِكْرُهُ ... فَقَدْ صِرْتُ أشْجَى لَدَى ذِكْرِهِ
وَقَدْ كُنْتُ أغْدُو إِلَى قَصْرِهِ ... فَقَدْ صِرْتُ أغْدُو إِلَى قَبْرِهِ
أتَتْهُ الْمَنِيَّةُ مُغْتَالَةً ... رُوَيْدًا تُخْتَلُ مِنْ سِتْرِهِ
فَلَمْ تُغْنِ أجْنَادُهُ حَوْلَهُ ... وَلاَ الْمُسْرِعُونَ إِلَى نَصْرِهِ
وَأصْبَحَ يَعْدُو إِلَى مَنْزِلٍ ... سَحِيقٍ تُؤَنِّيَ فِي حُفْرِهِ
تُغَلَّقُ بِالتُّرْبِ أبْوَابُهُ ... إِلَى يَوْمِ يُؤْذَنُ فِي حَشْرِهِ
وَخَلَّى الْقُصُورَ التِي شَادَهَا ... وَحَلَّ مِنَ الْقَبْرِ فِي قَعْرِهِ
وَبَدَّلَ بِالْبُسْطِ فَرْشَ الثَّرَى ... وَرِيحُ ثَرَى الأرْضِ مِنْ عِطْرِهِ
أخُو سَفَرٍ مَا لَهُ أوْبَةٌ ... غَرِيبٌ وَإِنْ كَانَ فِي مِصْرِهِ
فَلَسْتُ أُشَيِّعُهُ غَازِيًا ... أمِيرًا يَصِيرُ إِلَى ثَغْرِهِ
وَلاَ مُتَلَقٍّ لَهُ قَافِلاً ... بِقَتْلِ عَدُوٍّ إِلَى أسْرِهِ
فَلاَ يَبْعُدَنَّ أخِي هَالِكًا ... فَكُلٌّ سَيَمْضِي عَلَى إِثْرِهِ[1]

* وفي نسيان الأحيـاء للموتى قال:

عِندَ الْبِلَى هَجَرَ الضَّجِيعُ ضَجِيعَهُ ... وَجَفَاهُ مُلْطِفُهُ وَشَتَّ جَمِيعُهُ
وَكَذَاكَ كُلُّ مُفَارِقٍ لا يَرْتَجِي ... مَنْ كَانَ يَحْفَظُهُ فَسَوْفَ يُضِيعُهُ
مَنْ مَاتَ فَاتَ وَفِي الْمَقَابِرِ يَسْتَوِي ... تَحْتَ التُّرَابِ رَفِيعُهُ وَوَضِيعُهُ
لَوْ كُنْتَ تُبْصِرُ يَوْمَ يَطْلُعُ طَالِعٌ ... يَنْعَاكَ لا يَبْقَى عَلَيْكَ طُلُوعُهُ
لَرَأيْتَ أنْفَسَ مَنْ يَلِيكَ أخَفَّهُ ... بِنَوَاكَ أحْسَنَ مَا يَكُونُ صَنِيعُهُ
وَأشَدُّ أهْلِكَ ثَمَّ مِنْكَ تَبَرُّؤًا ... مَنْ كُنْتَ تَقْبَلُ نُصْحَهُ وَتُطِيعُهُ

(١) «ديوان أبي العتاهية» ص(١٠٧ ـ ١٠٨).

وَأَجَلُّ زَادِكَ مِنْ ثَرَائِكَ رَيْطَةٌ وَأَسَرُّ سِرِّكَ لِلْحَبِيبِ سَرِيعُهُ
إِنْ كَانَ مَنْ يَبْكِيكَ بَعْدَكَ صَادِقًا فِيمَا يَقُولُ فَلَنْ تَجِفَّ دُمُوعُهُ
هَيْهَاتَ كَلاَّ إِنَّ أَكْبَرَ هَمِّهِ فِيمَا جَمَعْتَ يَشِيلُهُ وَيَبِيعُهُ[1]

* أوصى أبو العتاهية بكتابة هذه الأبيات على قبره:

أُذْنَ حَيٍّ تَسَمَّعِي اسْمَعِي ثُمَّ عِي وَعِي
أَنَا رَهْنٌ بِمَضْجَعِي فَاحْذَرِي مِثْلَ مَصْرَعِي
عِشْتُ تِسْعِينَ حِجَّةً فِي دِيَارِ التَّزَعْزُعِ
لَيْسَ زَادٌ سِوَى التُّقَى فَخُذِي مِنْهُ أَوْ دَعِي

* وعارضه شاعر فقال:

أصبحَ القبرُ مضجَعي ومحلي وموضعي
صرعتني الحتوف في الترب يا ذل مصرعي
أين إخواني الذين إليهم تطلُّعي
مُتُّ وحدي فلم يُمت واحد منهم معي[2]

* * *

ألاَ أَيْنَ الأُلَى سَلَفُوا دُعُوا لِلْمَوْتِ وَاخْتُطِفُوا
فَوافُوا حِينَ لاَ تُحَفٌ وَلاَ طُرَفٌ وَلاَ لُطَفُ
تُرَصُّ عَلَيْهِمِ حُفَرٌ وَتُبْنَى ثُمَّ تَنْخَسِفُ
لَهُمْ مِنْ تُرْبِهَا فُرُشٌ وَمِنْ رَضْرَاضِهَا لُحُفُ
تَقَطَّعَ مِنْهُمُ سَبَبُ الرَّجَاءِ فَضُيِّعُوا وَجُفُوا

(١) «ديوان أبي العتاهية» ص(١٣٨).
(٢) المصدر السابق ص(١٣٨).

تَمُرُّ بِعَسْكَرِ الْمَوْتَى ... وَقَلْبُكَ مِنْهُ لاَ يَجِفُ
كَأنَّ مُشَيِّعِيكَ وَقَدْ ... رَمَوْا بِكَ ثَمَّ وَانْصَرَفُوا
فُنُونُ رَدَاكِ يَا دُنْيَا ... لَعَمْرِي فَوْقَ مَا أصِفُ
فَأنْتِ الدَّارُ فِيكِ الظُّلْمُ ... وَالْعُدْوَانُ وَالسَّرَفُ
وأنْتِ الدَّارُ فِيكِ الْهَمُّ ... وَالأحْزَانُ وَالأسَفُ
وَأنْتِ الدَّارُ فِيكِ الْغَدْ ... رُ وَالتَّنْغِيصُ وَالْكُلَفُ
وَفِيكِ الْحَبْلُ مُضْطَرِبٌ ... وَفِيكِ الْبَالُ مُنْكَسِفُ
وَفِيكِ لِسَاكِنِيكِ الْغَبْنُ ... وَالآفَاتُ وَالتَّلَفُ
وَمُلْكُكِ فِيهِمِ دُوَلٌ ... بِهَا الأقْدَارُ تَخْتَلِفُ
كَأنَّكِ بَيْنَهُمْ كُرَةٌ ... تُرَامَى ثُمَّ تُلْتَقَفُ
تَرَى الأيَّامَ لاَ يُنْظِرْ ... نَ وَالسَّاعَاتِ لاَ تَقِفُ
ولَنْ يَبْقَى لأهْلِ الأرْ ... ضِ لاَ عِزٌّ وَلاَ شَرَفُ
وكُلٌّ دَائِمُ الْغَفَلاَ ... تِ وَالأنْفَاسُ تُخْتَطَفُ[1]

* وقال يذكر دخول الإنسان إلى قبره وحالتُه فيه:

أتَبْكِي لِهذَا الْمَوْتِ أمْ أنْتَ عَارِفُ ... بِمَنْزِلَةٍ تَبْقَى وَفِيهَا الْمَتَالِفُ
كَأنَّكَ قَدْ غُيِّبْتَ فِي اللَّحْدِ والثَّرَى ... فَتَلْقَى كَمَا لاَقَى الْقُرُونُ السَّوَالِفُ
أرَى الْمَوْتَ قَدْ أفْنَى القُرُونَ التي مَضَتْ ... فَلَمْ يَبْقَ ذُو إِلْفٍ وَلَمْ يَبْقَ آلِفُ
كأنَّ الْفَتَى لَمْ يَفْنَ فِي النَّاسِ سَاعَةً ... إذَا أُعْصِبَتْ يَوْمًا عَلَيْه اللَّفَائِفُ
وَقَامَتْ عَلَيْهِ عُصْبَةٌ يَنْدُبُونَهُ ... فَمُسْتَعْبِرٌ يَبْكِي وَآخَرُ هَاتِفُ

---

(١) «ديوان أبي العتاهية» ص(١٤٤).

وَغُودِرَ فِي لَحْدٍ كَرِيهٍ حُلُولُهُ … وَتُعْقَدُ مِنْ لَبْنٍ عَلَيْهِ السَّقَائِفُ
يَقِلُّ الْغَنَا عَنْ صَاحِبِ اللَّحْدِ وَالثَّرَى … بِمَا ذَرَفَتْ فِيهِ الْعُيُونُ الذَّوَارِفُ
وَمَا مَنْ يَخَافُ الْبَعْثَ وَالنَّارَ آمِنٌ … وَلَكِنْ حَزِينٌ مُوجَعُ الْقَلْبِ خَائِفُ
إِذَا عَنَّ ذِكْرُ الْمَوْتِ أَوْجَعَ قَلْبَهُ … وَهَيَّجَ أَحْزَانًا ذُنُوبٌ سَوَالِفُ
وَأَعْلَمُ غَيْرَ الظَّنِّ أَنْ لَيْسَ بَالِغًا … أَعَاجِيبَ مَا يَلْقَى مِنَ النَّاسِ وَاصِفُ(١)

* وقال في وصف من دُرِجَ في قبره:

مَا حَالُ مَنْ سَكَنَ الثَّرَى مَا حَالُهُ … أَمْسَى وَقَدْ قُطِعَتْ هُنَاكَ حِبَالُهُ
أَمْسَى وَلاَ رُوحُ الْحَيَاةِ تُصِيبُهُ … يَوْمًا وَلاَ لُطْفُ الْحَبِيبِ يَنَالُهُ
أَمْسَى وَحِيدًا مُوحَشًا مُتَفَرِّدًا … مُتَشَتِّتًا بَعْدَ الْجَمِيعِ عِيَالُهُ
أَمْسَى وَقَدْ دَرَسَتْ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ … وَتَفَرَّقَتْ فِي قَبْرِهِ أَوْصَالُهُ(٢)

* وقال الشاعر:

أَلا أيُّها الناسِي ليومِ رحيلهِ … أراكَ عنِ الموتِ المفرِّقِ لاهيَا
ولم تحتفلْ بالظاعنينَ منَ الورى … وقد تركوا الدنيا جميعًا كما هيَا
وأنتَ غداً أو بعده في جوارِهمْ … وحيداً فريداً في المقابرِ ثاويَا
جَفاكَ الذي قدْ كُنتَ ترجو وداده … ولم تر إنسانًا لعهدك وافيَا

وقال:

ساكني الأجْداثِ أَنْتُمْ … مِثْلَنَا بالأمسِ كُنْتُمْ
ليتَ شعري ما صنعتُمْ … أَرَبِحْتُمْ أم خَسِرْتُمْ

* * *

(١) «ديوان أبي العتاهية» ص(١٤٥).
(٢) المصدر السابق ص(١٩٧).

* وقال الشاعر:

سَـأَلْـتُ الـدارَ تُـخْـبِـرُنِـي عـن الأحـبـاب مـا فـعـلُـوا

فـقـالـتْ لـي أقـامَ الـقَـومُ أيـامًـا وقـد رَحـلُـوا

فـقـلـتُ وأيـنَ أَطْـلُـبُـهُـمْ وأيُّ منـازلٍ نَـزَلُـوا

فـقـالـتْ فـي الـقـبـورِ ثَـوَوْا رَهَـانًـا بالـذي فَعَلُـوا

* وقال أبو العتاهية:

يَا بُعْدَ مَنْ مَاتَ ممَّنْ كَانَ يُلْطفُهُ قَامَتْ قيَامَتُهُ وَالنَّاسُ أحْيَاءُ

يُقْصي الْخَليلُ أخَاهُ عندَ ميتَته وَكُلُّ مَنْ مَاتَ أقْصَتْهُ الأخلاَّءُ

لَمْ تَبْك نَفْسُكُ أيَّامَ الْحَياة لمَا تَخْشَى وَأنْتَ عَلَى الأمْوَات بَكَّاءُ[1]

* وقال:

حَتَّى مَتَى لاَ تَرْعَوي يَا صَاحبي حَتَّى مَتَى حَتَّى مَتَى وَإلَى مَتَى

وَاللَّيْلُ يَذْهَبُ وَالنَّهارُ وَفيهمَا عبَرٌ وَفكْرَةٌ لأُلي النُّهَى

يَا مَعْشَرَ الأمْوات يَا ضيفَانَ رَب الأرْض كَيْفَ وَجَدتُّمُ طَعْمَ الثَّرَى

أهْلَ الْقُبُور مَحَى التُّرَابُ وُجُوهَكُمْ أَهْلَ الْقُبُور تَغَيَّرَتْ تلْكَ الْحُلَى

أهْلَ الْقُبُور كَفَى بنَاءُ ديَاركُمْ إنَّ الدِّيَارَ بكُمْ لَشَاحطَةُ النَّوَى

أهْلَ الْقُبُور ألاَ تَوَصُّلُ بَيْنَنَا مَنْ مَاتَ أصْبَحَ حَبْلُهُ رَثَّ الْقوَى

كَمْ منْ أخٍ لي قَدْ وَقَفْتُ بقَبْره فَدَعَوْتُهُ للَّه دَرُّكَ منْ فَتَى

أأُخَيَّ لَمْ تَفْكُرْ مَنيَّةُ إذْ أتَتْ مَا كَانَ أطْعَمَكَ الطَّبيبُ وَمَا سَقَى

أأُخَيَّ لَمْ تُغْنِ التَّمَائمُ عَنْكَ مَا قَد كُنْتُ أحْذَرُهُ عَلَيْكَ وَلاَ الرُّقَى

أأُخَيَّ كَيْفَ وُجدتَّ منْ سُكْنَاكَ في قَبْرٍ وَكَيْفَ وَجَدْتَّ ضيقَ الْمُتَّكَى

---

(١) «ديوان أبي العتاهية» ص(٥).

قَدْ كُنْتَ أفْرَقُ مِنْ فِرَاقِكَ سَالِمًا ... فَأجَلُّ مِنْهُ فِرَاقُ دَائِرَةِ الرَّدَى
فَالْيَوْمَ حَقَّ لِيَ التَّوَجُّعُ إِذْ جَرَى ... حُكْمُ الإِلهِ عَلَيَّ فِيكَ بِمَ جَرَى
يَبْكِيْكَ قَلْبِي بَعْدَ عَيْنِي حَسْرَةً ... وَتَقَطُّعًا مِنْهُ عَلَيْكَ إِذَا بَكَى
وَإِذَا ذَكَرْتُكَ يَا أُخَيَّ تَقَطَّعَتْ ... كَبِدِي فَأَفْلَقَتِ الْجَوَانِحَ وَالْحَشَى(١)

* وقال - رحمه الله -:

يَهْرُبُ الْمَرْءُ مِنَ الْمَوْتِ وَهَلْ ... يَنْفَعُ الْمَرءَ مِنَ الْمَوْتِ الْهَرَبْ
كُلُّ نَفْسٍ سَتُقَاسِي مَرَّةً ... كُرَبَ الْمَوْتِ فَلِلْمَوْتِ كُرَبْ
أيُّهَا ذَا النَّاسُ مَا حَلَّ بِكُمْ ... عَجَبًا مِنْ سَهْوِكُمْ كُلَّ الْعَجَبْ
وَسَقَامٌ ثُمَّ مَوْتٌ نَازِلٌ ... ثُمَّ قَبْرٌ وَنُزُولٌ وَجَلَبْ
وَحِسَابٌ وَكِتَابٌ حَافِظٌ ... وَمَوَازِينٌ وَنَارٌ تَلْتَهِبْ
وَصِرَاطٌ مَنْ يَقَعْ عَنْ حَدِّهِ ... فَإِلَى خِزْيٍ طَوِيلٍ وَنَصَبْ(٢)

* وقال - رحمه الله -:

إِنْ كُنْتَ تَطْمَعُ فِي الْحَيَاةِ فَهَاتِ ... كَمْ مِنْ أبٍ لَكَ لَيْسَ فِي الأَمْوَاتِ
مَا أقْرَبَ الشَّيءَ الْجَدِيدَ مِنَ الْبِلَى ... يَوْمًا وَأسْرَعَ كُلَّمَا هُوَ آتِ
اللَّيْلُ يَعْمَلُ وَالنَّهَارُ وَنَحْنُ عَمَّا ... يَعْمَلانِ بِأغْفَلِ الْغَفَلاَتِ
يَا ذَا الَّذِي اتَّخَذَ الزَّمَانَ مَطِيَّةً ... وَخُطَا الزَّمَانِ كَثِيرَةُ الْعَثَرَاتِ
مَاذَا تَقُولُ وَلَيْسَ عِنْدَكَ حُجَّةٌ ... لَوْ قَدْ أتَاكَ مُهَدِّمُ اللَّذَاتِ
أوْ مَا تَقُولُ إِذَا سُئِلْتَ وَلَمْ تَقُلْ ... وَإِذَا دُعِيتَ وَأَنْتَ فِي الْغَمَرَاتِ

---

(١) «ديوان أبي العتاهية» ص(١١ - ١٢).
(٢) المصدر السابق ص(٢١ - ٢٢).

أوْ مَا تَقُولُ إذَا حَلَلْتَ مَحَلَّةً ... لَيْسَ الثِّقَاتُ لأهْلِهَا بِثِقَاتِ
أو مَا تَقُولُ ولَيْسَ حُكْمُكَ نَافِذًا ... فِيمَا تُخَلِّفُهُ مِنَ التَّرِكَاتِ
مَا مَنْ أحَبَّ رِضَاكَ عَنْكَ بِخَارِجٍ ... حَتَّى تُقَطَّعَ نَفْسُهُ حَسَرَاتِ
زُرتَ الْقُبُورَ قُبُورَ أهْلِ الْمُلْكِ فِي ... الدُّنْيَا وَأهْلِ الرَّتْعِ فِي الشَّهَوَاتِ
كَانُوا مُلُوكَ مَآكِلٍ وَمَشَاربٍ ... وَمَلابِسٍ وَرَوَائِحٍ عَطِرَاتِ
فَإذَا بِأجْسَادٍ عَرِينَ مِنَ الْكِسَا ... وَبِأوْجُهٍ فِي التُّرْبِ مُنْعَفِرَاتِ
لَمْ تُبْقِ مِنْهَا الأرْضُ غَيْرَ جَمَاجِمٍ ... بِيضٍ تَلُوحُ وَأعْظُمٍ نَخِرَاتِ
إنَّ الْمَقَابِرَ مَا عَلِمْتَ لَمَنْظَرٌ ... يُفْنِي الْشَجِيَّ وَيُهَيِّجُ الْعَبَرَاتِ[1]

* وقال ـ رحمه الله ـ:

إيتِ الْقُبُورَ فَنَادِهَا أصْوَاتَا ... فَإذَا أجَبْنَ فَسَائِلِ الأمْوَاتَا
أيْنَ الْمُلُوكُ بَنُو الْمُلُوكِ فَكُلُّهُمْ ... أمْسَى وَأصْبَحَ فِي التُّرَابِ رُفَاتَا
كُمْ مِنْ أبٍ وَأبِي أبٍ لَكَ تَحْتَ ... أطْبَاقِ الثَّرَى قَدْ قِيلَ كَانَ فَمَاتَا
وَالدَّهْرُ يَومٌ أنْتَ فِيهِ وَآخَرٌ ... تَرْجُوهُ أوْ يَوْمٌ مَضَى بِكَ فَفَاتَا
هَيْهَاتَ إنَّكَ لِلْخُلُودِ لَمُرْتَجٍ ... هَيْهَاتَ مِمَّا تَرْتَجِي هَيْهَاتَا
مَا أسْرَعَ الأمْرَ الَّذِي هُوَ كَائِنٌ ... لا بُدَّ مِنْهُ وَأقْرَبَ الْمِيقَاتَا[2]

* وقال أبو العتاهية:

وَعَظَتْكَ أجْدَاثٌ صُمَتْ ... وَنَعَتْكَ أزْمِنَةٌ خَفَتْ
وَتَكَلَّمَتْ عَنْ أوْجُهٍ ... تَبْلَى وَعَنْ صُوَرٍ سَبَتْ
وَأرَتْكَ قَبْرَكَ فِي الْحَيَا ... ةِ وَأنْتَ حَيٌّ لَمْ تَمُتْ

---

(١) «ديوان أبي العتاهية» ص(٣٨ ـ ٣٩).
(٢) المصدر السابق ص(٤٢).

يَـا شَامِـتًـا بِـمَـنِـيَّـتِـي إنَّ الْـمَـنِـيَّـةَ لَـمْ تَـفُـتْ
فَلَـرُبَّمَا انْـقَـلَبَ الشَّـمَـا تُ فَـحَـلَّ بِـالْـقَـوْمِ الشَّـمَـتْ[1]

* وفي رواية المسعودي:

وعظتـكَ أجداثٌ صمَتْ وبكتك ساكنة خفَتْ
وتكلَّمت عن أعظمٍ تبلى وعن صورٍ سَبَتْ
وأرتكَ قبرك في القبو رِ وأنت حيٌّ لم تَمُتْ

* وفي رواية ابن عبد البر:

وعظتكَ أجداثٌ خُفُتْ فيهنَّ أجسادٌ سُبُتْ
وتكلَّمت لك بالبلى فيهنَّ ألسنةٌ صُمُتْ
وكأنني بك عن قريب رهنُ حتفٍ لم يَفُتْ
وأرتكَ قبرك في القبو رِ وأنت حيٌّ لم تَمُتْ

* * *

لَيْتَ شِعْرِي وَكَيْفَ أنْتَ إذَا مَا وَلْوَلَتْ بِاسْمِكَ النِسَاءُ الرَّوَاثِي
لَيْتَ شِعْرِي وَكَيْفَ أنْتَ مُسَجًّى تَحْتَ رَدْمٍ حَثَاهُ فَوقَكَ حَاثِي
لَيْتَ شِعْرِي وكيف ما هو حَالُك فِيمَا هُنَاكَ تَكُونُ بَعْدَ ثَلاَث[2]

* قال أبو العتاهية للرشيد فأبكاه:

عِشْ مَا بَدَا لَكَ آمِنًا فِي ظِلِّ شَاهِقَةِ القُصورِ
يُسعى عليكَ بما اشْتَهَيْتَ لدَى الرَّوَاحِ أو البُكُورِ

---

(١) «ديوان أبي العتاهية» ص(٤٧ ـ ٤٨).
(٢) المصدر السابق ص(٥٤).

فَإِذا النفوسُ تَقَعْقَعَتْ ... في ظِلِّ حَشْرَجَةِ الصُّدُورِ
فهناكَ تَعْلَمُ مُوقِنًا ... ما كنتَ إلاَّ في غُرُورِ(1)

* وقال يتهدَّد الساهي عن الموت:

ستَرَى بَعْدَ مَا تَرَى ... غَيْرَ هذَا الَّذي تَرَى
ستَرَى مَا بَقِيتَ مَا ... يَمْنَعُ النَّاعِسَ الْكَرَى
ستَرَى مَنْ يَصِيرُ بَعْدَ ... نَعِيمٍ إِلَى الثَّرَى
ستَرَى كُلَّ حَادِثٍ ... كَيْفَ تَجْرِي إذَا جَرَى(2)

* وقال ـ رحمه اللَّه ـ:

ألاَ لاَ أيُّهَا الْبَشَرُ ... لَكُمْ فِي الْمَوْتِ مُعْتَبَرُ
لأمْرٍ مَا بَنِي حُوَّا ... ءَ قَدْ نُصِبَتْ لَكُمْ سَقَرُ
ألَيْسَ الْمَوْتُ غَايَتَهَا ... فَأيْنَ الْخَوْفُ وَالْحَذَرُ
رَأيْنَا الْمَوتَ لاَ يُبْقِي ... عَلَى أحَدٍ وَلاَ يَذَرُ
لَحَثٌّ تَقَارُبِ الآجَا ... لِ تَجْرِي الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
تَعَالَى اللَّهُ مَاذَا ... تَصْنَعُ الأيَّامُ وَالْغِيَرُ
وَمَا يَبْقَى عَلَى الْحِدْثَا ... نِ لاَ صِغَرٌ وَلاَ كِبَرُ
وَمَا يَنْفَكُّ نَعْشُ جَنَا ... زَةٍ يَمْشِي بِهِ نَفَرُ
رَأيْتُ عَسَاكِرَ الْمَوْتَى ... فَهَاجَ لِعَيْنِيَ الْعِبَرُ
مَحَلٌّ مَا عَلَيْهِمْ فِيهِ ... أرْدِيَةٌ وَلاَ حُجَرُ
سُقُوفُ بُيُوتِهِمْ فِيهَا ... هُنَاكَ اللِّبْنُ وَالْمَدَرُ

---

(1) «ديوان أبي العتاهية» ص(81).
(2) المصدر السابق ص(89).

شُــرَاةً رُبَّمـــا غَـــابُـــوا وَكَانُـــوا طَـالَمَـــا حَضَـــرُوا
وَكَـــانُـــوا طَالَمـــا أشَـــرُوا[١] إِلَى الـلَّـــذَّات وَابْتَكَـــرُوا
فَقَـــدْ جَـدَّ الرَّحِيــلُ بِهِــمْ إِلَى سَـــفَـــرٍ هُـوَ الـسَّفَـــرُ
وَقَـــدْ أضْحَـــوْا بِـمَـنْـزِلَـةٍ يُتَــرْجِـمُ دُونَـهَـــا الْخَبَـــرُ
تَفَـكَّـــرْ أيُّهَـــا الْـمَغْـــرُو رُ قَبْـــلَ تَفُـوتَكَ الْفِكَـــرُ
فَـــإِنَّ جَـمِيـــعَ مَـا عَـظَّـمْـتَ عِنْـــدَ الْمَـوْتِ مُحْتَقَـــرُ
فَلاَ تَغْـتَـــرَّ بِـــالـدُّنْيَـــا فَـــإِنَّ جَـمِيعَـهَـــا غَـــرَرُ
وَقُـــلْ لِذَوِي الْغُـــرُورِ بِهَـــا رُوَيْـــدَكُـمُ ألاَ انْـتَظِـــرُوا
فَأقْصَى غَـــايَـــةِ الْـمِيعَـــا دِ فِيمَـــا بَيْنَنَـــا الْحُفَـــرُ
كَـــذاكَ تَـصَرُّفُ الأيَّـــا مِ فِيهَـــا الصَّفْـــوُ وَالْكَـــدَرُ[٢]

* **وقال على لسان القبــور:**

إِنِّـي سَـأَلْتُ الْقَبْـــرَ مَا فَعَلَتْ بَعْـدِي وُجُـــوهٌ فِيـكَ مُنْعَفِـرَهْ
فَأجَـابَنِـي صَيَّـرْتُ رِيحَـهُـــمُ تُـؤْذِيـكَ بَـعْـــدَ رَوَائِحٍ عَـطِـــرَهْ
وَأكَلْتُ أجْسَـــاداً مُنَـعَّـمَـــةً كَـــانَ النَّعِيمُ يَهُـزُّهَـا نَضِـرَهْ
لَمْ أُبْقِ غَيْـــرَ جَمَاجِمٍ عَرِيَتْ بِيضٍ تَلُـــوحُ وَأعْظُمٍ نَخِـــرَهْ[٣]

* **وقال يعاتب من يسهو عن الموت:**

حَتَّى مَتَى تَصْبُو وَرَأسُكَ أشْمَطُ أحَسِبْتَ أنَّ الْمَوْتَ فِي اسْمِكَ يَغْلَطُ
أمْ لَسْتَ تَحْسَبُهُ عَلَيْكَ مُسَلَّطًا وَبَلَـى وَرَبِّـكَ إِنَّـهُ لَـمُسَلَّـطُ

---

(١) وفي رواية: رحلوا.
(٢) «ديوان أبي العتاهية» ص(٩٧ ـ ٩٨).
(٣) «ديوان أبي العتاهية» ص(١٠٥).

وَلَقَــدْ رَأَيْتُ الْمَوْتَ يَفْرِسُ تَارَةً جُثَثَ الْمُلُوكِ وَتَــارَةً يَتَخَبَّطُ
فَتَآلَف الْخُلاَّنَ مُفْتَقِــدًا لَهُــمْ سَتَشطٌّ عَمَّنْ تَأْلَفَنَّ وَتَشْحَطُ
وَكَأَنَّنِي بِكَ بَيْنَهُمْ وَاهِي الْقُوَى نِضْوًا تَقَلَّص بَيْنَهُمْ وَتَبَسَّطُ
وَكَأَنَّنِي بِكَ بِيْنَهُمْ خَفِقَ الْحَشَا بِالْمَوْتِ فِي غَمَرَاتِه يَتَشَحَّطُ
وَكَأَنَّنِي بِكَ فِي قَمِيصٍ مُدْرَجًا فِي رَبْطَتَيْنِ مُلَفَّفٌ وَمُخَيَّطُ
لاَ رَيْطَتَيْنِ كَرَيْطَتَيْ مُتَنَسِّمٍ رُوحَ الْحَيَاةِ وَلاَ الْقَمِيصُ مُخَيَّطُ(١)

* أخي:

أمّا بيوتكُ في الدنيا فواسعةٌ فليت قبرك بعد الموت يتّسعِ
أَيَا بَانِيَ الدُّنْيَا لِغَيْرِكَ تَبْتَنِي وَيَا جَامِعَ الدُّنْيَا لِغَيْرِكَ تَجْمَعُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرْءَ يَحْبِسُ مَالَهُ وَوَارِثُــهُ فِيــهِ غَــدًا يَتَــمَتَّــعُ
كَأَنَّ الْحُمَاةَ الْمُشْفِقِينَ عَلَيْكَ قَدْ غَدَوْا بِكَ أَوْ رَاحُوا رَوَاحًا فَأَبْرَعُوا
وَمَا هُوَ إِلاَّ النَّعْشُ لَوْ قَدْ دَعَوْا بِهِ تُقِلُّ فَتُلْقَى فَوْقَــهُ ثُمَّ تُرْفَعُ
وَمَا هُوَ إِلاَّ حَادِثٌ بَعْدَ حَادِثٍ فَمِنْ أَيِ أَنْوَاعِ الْحَوَادِثِ تَجْزَعُ
أَلا وَإِذَا أُودِعْتَ تَوْدِيعَ هَالِكٍ فَآخِرُ يَوْمٍ مِنْكَ يَوْمٌ تُوَدَّعُ
أَلاَ وَكَمَا شَيَّعْتَ يَوْمًا جَنَازَةً فَأَنْتَ كَمَا شَيَّعْتَهُمْ سَتُشَيَّعُ(٢)

* * *

تَنَــاوَمْتَ عَــنِ الْمَــوْتِ وَدَاعِ الْمَــوْتِ يَدْعُــوكَ
وَحَــادِيــهِ وَإِنْ نِمْــتَ حَثِيثُ السَّيْــرِ يَحْدُوكَــا(٣)

---

(١) «ديوان أبي العتاهية» ص(١٢٣).
(٢) المصدر السابق ص(١٢٦ ـ ١٢٧).
(٣) «ديوان أبي العتاهية» ص(١٥٥).

كَأنْ قَدْ عَجَّلَ الأقْوامُ غَسْلَكْ ... وَقَامَ النَّاسُ يَبْتَدِرُونَ حَمْلَكْ

وَنُجِّدَ بالثَّرَى لَكَ بَيْتُ هَجْرٍ ... وَأَسْرَعَتِ الأكُفُّ إِلَيْهِ نَقْلَكْ

وَأَسْلَمَكَ ابْنُ عَمِّكَ فِيهِ فَرْدًا ... وَأَرْسَلَ مِنْ يَدَيْهِ أخُوكَ حَبْلَكْ

وَحَاوَلَتِ الْقُلُوبُ سِوَاكَ ذِكْرًا ... آنِسْنَ بِوَصْلِهِ وَنَسِينَ وَصْلَكْ

وَصَارَ الْوَارِثُونَ وَأَنْتَ صِفْرٌ ... مِنَ الدُّنْيَا لِمَالِكَ مِنْكَ أمْلَكْ

إِذَا لَمْ تَتَّخِذْ لِلْمَوْتِ زَادًا ... وَلَمْ تَجْعَلْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ شُغْلَكْ

فَقَدْ ضَيَّعْتَ حَظَّكَ يَوْمَ تُدْعَى ... وَأَصْلَكَ حِينَ تَنْسِبُهُ وَفَصْلَكْ

أَرَاكَ تَغُرُّكَ الشَّهَوَاتُ قِدْمًا ... وَكَمْ قَدْ غَرَّتِ الشَّهَوَاتُ مِثْلَكْ

أَمَا وَلَتَذْهَبَنَّ بِكَ الْمَنَايَا ... كَمَا ذَهَبَتْ بِمَنْ قَدْ كَانَ قَبْلَكْ

بَخُلْتَ بِمَا مَلَكْتَ فَقِفْ رُوَيْدًا ... كَأنَّكَ قَدْ وَهَبْتَ فَلَمْ يَجُزْ لَكْ

كَأنَّكَ عَنْ قَرِيبٍ بِالْمَنَايَا ... وَقَدْ شَتَّتْنَ بَعْدَ الْجَمْعِ شَمْلَكْ

ألاَ لِلَّهِ أنْتَ دَعِ التَّمَنِّي ... وَلاَ تَأْمَنْ عَوَاقِبَهُ فَتَهْلَكْ

وَخُذْ فِي عَذْلِ نَفْسِكَ كُلَّ يَوْمٍ ... لَعَلَّ النَّفْسَ تَقْبَلُ مِنْكَ عَذْلَكْ[1]

* **أخي:**

تَفْنَى وتبقى الأرضُ بَعْدَكَ مِثْلَما ... يَبْقَى المناخُ وَيرْحَلُ الرُّكْبَانُ

أَهْلَ البِلَى أَنْتُم مُعَسْكَرُ وَحْشَةٍ ... حَيْثُ استقَرَّ البُعْدُ والهجرانُ[2]

***

* **قال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ:**

اصْبِرْ لِمُرِّ حَوَادِثِ الدَّهْرِ ... فَلَتَحْمَدَنَّ مَغَبَّةَ الصَّبْرِ

(١) «ديوان أبي العتاهية» ص(١٥٩ ـ ١٦٠).

(٢) المصدر السابق ص(٢٢٠).

واجهدْ لنفسِكَ قبْل ميتَتِها ... واذخرْ ليومِ تفاضُلِ الذُّخْرِ

فكأنَّ أهْلَكَ قَدْ دعوْكَ فلَمْ ... تسْمَعْ وأنتَ مُحَشْرَجُ الصَّدْرِ

وكَأنَّهمْ قَدْ قلَّبُوكَ على ... ظَهْرِ السَّريرِ وأنتَ لا تدري

وكأنهمْ قَدْ زَوَّدُوكَ بما ... يَتَزوَّدُ الهلكى من العِطْرِ

يا ليتَ شِعْري كيفَ أنت إذا ... غُسِّلْتَ بالكافور والسِّدْرِ

أوْ لَيْتَ شِعْري كيفَ أنْتَ على ... نَبْشِ الضَّريحِ وظُلْمَةِ القبرِ

يا ليت شعري ما أقولُ إذا ... وُضِعَ الكتابُ صبيحة الحشرِ

ما حُجَّتي فيما أتيتُ على ... عِلْمٍ ومعرفةٍ وما عُذْري

يا سَوْأتا مما اكتسبتُ ويا ... أسَفَى على ما فاتَ من عُمْرِي(١)

* **قال أبو العتاهية:**

أيْنَ الْقُرُونُ الْمَاضِيَهْ ... تَركُوا الْمَنَازلَ خَالِيَهْ

فَاسْتَبْدَلَتْ بِهِم دِيَا ... رُهُمْ الرِّيَاحُ الْهَاوِيَهْ

وَتَشَتَّتَتْ عَنْهَا الْجُمُو ... عُ وَفَارَقَتْهَا الْغَاشِيَهْ

فَإِذَا مَحَلٌّ لِلْوُحُو ... شِ وَلِلْكِلَابِ الْعَاوِيَهْ

دَرَجُوا فَمَا أبْقَتْ صُرُو ... فُ الدَّهْرِ مِنْهُمْ بَاقِيَهْ

فَلَئِنْ عَقَلْتَ لَتَبْكِيَنَّهُمُ ... بِعَيْنٍ بَاكِيَهْ

لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ بَعْدَهُمْ ... إلاَّ الْعِظَامُ الْبَالِيَهْ

لِلَّهِ دَرُّ جَمَاجِمٍ ... تَحْتَ الْجَنَادلِ ثَاوِيَهْ

وَلَقَدْ عَتَوْا زَمَنًا كَأنَّهُمُ ... السِّبَاعُ الْعَادِيَهْ

---

(١) «التبصرة» لابن الجوزي (١/ ١٩).

فِـــي نِـعْـمَـــةٍ وَغَـضَـــارَةٍ ... وَسَلاَمَـــةٍ وَرَفَـــاهِـيَـــهْ
قَـدْ أصْبَحُـوا فِـي بَـرْزَخٍ ... وَمَحَلَّـــةٍ مُتَـــرَاخِيَــــهْ
مَـــا بَيْنَهُـــمْ مُتَفَـــاوِتٌ ... وَقُبُـــورُهُـــمْ مُتَـدَانِيَــــهْ[1]

ذنوبكَ يا مغرورُ تُحصى وتُحسبُ

ذُنُوبُكَ يَا مَغْرُورُ تُحصَى وَتُحْسَبُ ... وَتُجْمَعُ فِي لَوْحٍ حَفِيْظٍ وَتُكْتَبُ
وَقَـلْـبُـكَ فِـي سَـهْـوٍ وَغَـفْـلَـةٍ ... وَأنتَ عَلى الدُّنْيا حَرِيصٌ مُعَذَّبُ
تُبَاهِي بِجَمْعِ المَالِ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ ... وَتَسْعَى حَثِيْثًا فِي المَعَاصِيْ وَتُذْنِبُ
أَمَا تَذْكُرُ المَوْتَ المُفَاجِيْكَ فِي غَدٍ ... أمَا أَنْتَ مِن بَعْدِ السَّلامَةِ تَعْطَبُ
أَمَا تَذْكُرُ القَبْرَ الوَحِيْشَ وَلَحْدَهُ ... بِهِ الجِسْمُ مِن بَعْدِ العَمَارَةِ يَخْرُبُ
أَمَا تَـذْكُـرُ الـيَـوْمَ الطَّوِيْلَ وَهُـو لَـهُ ... وَمِيْزَانَ قِسْطٍ لِلْوَفَاءِ سَيُنْصَبُ
تَرُوْحُ وَتَغْدُو فِي مَرَاحِكَ لاَهِيًا ... وَسَوْفَ بِأشْرَاكِ المَنِيَّةِ تَنْشَبُ
تُعَالِجُ نَزْعَ الرُّوحِ مِنْ كُلِّ مَفْصِلٍ ... فَلاَ رَاحِمٍ يُنْجِي وَلاَ ثَمَّ مَهْرَبُ
وَغُمِّضَتِ العَيْنَانِ بَعْدَ خُرُوجِهَا ... وَبُسِّطَتْ الرِّجْلانِ وَالرَّأْسُ يُعْصَبُ
وَقَامُوا سِرَاعًا فِي جَهَازِكَ أحْضَرُوا ... حَنُوطًا وَأَكْفَانًا وَلِلْمَاءِ قَرَّبُوا
وَغَاسِلُكَ المَحْزُونُ تَبْكِيْ عُيُونُهُ ... بِدَمْعٍ غَزِيْرٍ وَاكِفٍ يَتَصَبَّبُ
وَكُلُّ حَبِيْبٍ لُبُّهُ مُتَحَرِّقٌ ... يُحَرِّكُ كَفَّيْهِ عَلَيْكَ وَيَنْدُبُ
وَقَدْ نَشَرُوا الأكْفَانَ مِنْ بَعْدِ طَيِّهَا ... وَقَدْ بَخَّرُوا مَنْشُورَهُنَّ وَطَيَّبُوا
وَألْقَوْكَ فِيْمَا بَيْنَهُنَّ وَأدْرَجُوا ... عَلَيْكَ مَثَانِي طَيِّهِنَّ وَعَصَّبُوا

---

[1] «ديوان أبي العتاهية» ص(٢٥٧).

وَفِي حُفْرَةٍ أَلْقَوكَ حَيْرانَ مُفْرَدًا تَضُمُّكَ بَيْدَاءٌ مِن الأَرْضِ سَبْسَبُ
إِذَا كَانَ هَذَا حَالُنَا بعد مَوْتِنا فَكَيْفَ يَطِيبُ اليومَ أَكْلٌ وَمَشْرَبُ
وكَيْفَ يَطِيبُ العَيْشُ وَالقَبْرُ مَسْكَنٌ بِهِ ظُلُمَاتٌ غَيْهَبٌ ثُمَّ غَيْهَبُ
وَهَوْلٌ وَدِيدَانٌ وَرَوْعٌ وَوَحْشَةٌ وَكُلُ جَدِيد سَوْفَ يَبْلَى وَيَذْهَبُ
فَيَا نَفْسُ خَافِي اللَّه وَارْجِي ثَوابَهُ فَهَادِمُ لِذَاتِ الفَتَى سَوْفَ يَقْرُبُ
وَقُولِي إِلَهِي أوْلِنِي مِنْكَ رَحْمَةً وَعَفْوًا فإنَّ اللَّه لِلذَّنْبِ يُذْهِبُ
وَلا تُحْرِقَنْ جِسْمِي بِنَارِكَ سَيِّدِيْ فَجِسْمِيْ ضَعِيفٌ وَالرَّجَا مِنْكَ أَقْرَبُ
فَمَا لِيَ إِلاَّ أَنْتَ يَا خَالِقَ الوَرَى عَلَيْكَ اتِّكَالِيْ أَنْتَ لِلْخَلْقِ مَهْرَبُ
وَصَلِّي إِلَهِيْ كُلَّمَا ذَرَّ شَارِقٌ عَلَى أَحْمَدَ الْمُخْتَارِ مَا لاحَ كَوْكَبُ[1]

إياك والدنيا[2]

فَدَعْهَا فَإِنَّ الزُّهْدَ فِيهَا مُحَتَّمٌ وإنْ لَم يَقُمْ جُلُّ الوَرَى بِأَدَائِهِ
وَمَن لَمْ يَذَرْهَا زَاهِدًا فِي حَيَاتِهِ سَتَزْهَدُ فِيهِ النَاسُ بَعْدَ فَنَائِهِ
فَتَتْرُكُهُ يَومًا صَرِيعًا بِقَبْرِهِ رهِيْنًا أَسِيْرًا آيِسًا مِن وَرَائِهِ
وَيَنْسَاهُ أَهْلُوهُ الْمُفَدَّى لَدَيْهِمُ وَتَكْسُوهُ ثَوبَ الرُّخْصِ بَعْدَ غَلائِهِ
وَيَنْتَهِبُ الوُرَّاثُ أَمْوَالَهُ الَّتِي عَلَى جَمْعِهَا قَاسَى عَظِيمَ شَقَائِهِ
وَتُسْكِنُهُ بَعدَ الشَّوَاهِقِ حُفْرَةً تَضِيقُ بِهِ بَعْدَ اتِّسَاعِ فَضَائِهِ

---

(١) انظر: «موارد الظمآن في دروس الزمان» للشيخ عبد العزيز المحمد السلمان (١/ ٣٥٤: ٣٥٦)، ولم ينسب هذه القصيدة لأحد.

(٢) لابن مشرف التميمي: أحمد بن علي بن حسين التميمي السلفي المالكي الأحسائي، ولد بالأحساء في أوائل القرن الثاني عشر الهجري، تتلمذ للشيخ الجليل مؤرخ العصر الشيخ حسين بن غنّام صاحب كتاب «تاريخ نجد».

يُقِيمُ بِهَا طولَ الزمانِ وَمَا لَهُ أنيسٌ سوى دُودٍ سَعَى في حَشَائه
فَوَاهًا لَهَا مِن غُربةٍ ثم كُرْبَةٍ ومِن تُربَةٍ تَحْوِي الفَتَى لِبَلائه
وَمِن بَعدِ ذا يَومُ الحِسَابِ وَهَوْلُه فَيُجزَى به الإنسانُ أوْفَى جَزائه
وَلاَ تَنْسَ ذِكَر الموتِ فالموتُ غائبٌ ولا بُدَّ يَوْمًا لِلْفَتَى مِن لِقَائه

* * *

باتُـوا على قُلَلِ الأجْبَـالِ تَحرِسُهُـمْ
غُلْبُ الرجَـالِ فَلَمْ تَنْفَعْهُـم القُلَلُ
واسْتُنْـزِلُوا بَـعْدَ عِزٍّ عـن مَـعَاقِلِهـم
إِلى مَقَــابِرِهِمْ يا بِئْسَ مَــا نَـزَلُوْا
نَـادَاهُـم صَـارِخٌ مِـن بَـعدِمَا دُفُنـــوا
أَيْـنَ الأَسِرَّةُ والـتِّيْـجَــانُ والحُـلَـلُ
أَيْـنَ الـوُجُـوهُ الـتِي كـانَـتْ مُـحَـجَّبَـةً
مِنْ دُوْنِهــا تُضْربُ الأَسْـتَارُ والكِلَلُ
أَيـنَ الـرُّمَــاةُ أَلَـمْ تَـمْـنَـعْ بِأَسْـهُـمِـهِـمْ
لَـمَّــا أَتَتْكَ سِـهَامُ الْمَـوْتِ تَنْتَصِلُ
هَيْهَاتَ ما كَشَفُوا ضَيْمًا ولا دَفَعُـوا
عَـنْـكَ المَـنِـيَّـةَ إِذْ وَافَـى بِـكَ الأَجَـلُ
ولا الرُّشَى دَفَعَتْهَا عَـنْـكَ لَو بَذَلُــوا
ولا الرُّقَى نَـفَعَـتْ فِـيـهَــا ولاَ الحِـيَلُ
مـا سَـاعَـدُوكَ ولا وَاسَاكَ أَقْــرَبُـهُـم
بَـلْ سَلَّـمُـوكَ لَـهَــا يَا قُبْحَ ما فَـعَلُوْا
مَـا بَـالُ قَـبـرِكَ لا يَـأتِـي بِــــه أحـدٌ
وَلاَ يَـدُوْرُ بِـــه مِـن بَيْـنِهِـم رجُـــلُ
مـا بَـال ذِكْـرِكَ مَـنْـسِـيًـا ومُـطَّـرَحًـا
وَكُـلُّـهُـمُ بـاقْتِـسَامِ الْمَــالِ قَدْ شُغِلُوْا

مـا بَـالُ قَـصْـرِكَ وَحْـشًـا لا أَنِـيْـسَ بـه
يَغْشَاكَ مِن كـنَفَـيه الرَوْعُ والـوَهَـــلُ
لا تُـنْـكِـرَنَّ فَـمَـــا دامَـتْ عـلـى مَـلِـكٍ
إلاَّ أَنَـاخَ عـلـيـه المــوتُ والـوَجَــــلُ
وكَـيْـفَ يَـرجُـو دَوَامَ الـعَيْـشِ مُـتَّـصِـلاً
وَرُوْحُــه بِـحِـبــالِ المــوتِ مُـتَّـصِـــلُ
وجِـسْـمُـهُ لِـبُـنَـيَّـاتِ الــــرَّدَى غَـرَضٌ
ومَـــــالُـه زَائِــــلٌ عَـنْـهُ ومُـنْـتَـقِـلُ
فـأَفْـصَـحَ الـقَـبْـرُ عَـنْـهُـم حِـيْـنَ سَـاءلَـهُـم
تِـلْـكَ الـوُجُـــوهُ عَـلَـيَـهـا الـدُوْدُ يَـقْـتَـتِـلُ
قَـدْ طَـالَمَـا أكَـلُـوا فِـيـهَـا ومـا شَـرِبُـوا
فـأصـبَـحُـوا بَـعدَ طُـولِ الأكـلِ قَـدْ أُكِـلُـوا
وطَـالَـمــا كَـنَــزُوا الأمْـوَالَ وادَّخَــروا
فَـخَـلَّـفُـوهَـا عَـلَـى الأَعْـــدَاءِ وارْتَـحَـلُـوْا
وطَـالَـمــا شَـيَّـدُوا دُوْرًا لِـتُـحْـصِـنَـهُـمْ
فَـفَــارَقُـــوْا الـدُّوْرَ والأهْـلِـيْـنَ وانْـتَـقَـلُـوا
أَضْـحَـتْ مَـسَـاكِـنُـهُـم وَحْـشًـا مُـعَـطَّـلَـةً
وسَـاكِـنُـوهَـا إِلى الأَجْـدَاثِ قَـدْ رَحَـلُـوا
سَـلِ الخَـلـيْـفَـةَ إِذْ وَافَـتْ مَـنِـيَّـتُـهُ
أَيْـنَ الجُـنُــــودُ وأَيْـنَ الخَـيْــلُ والخَـوَلُ

أَيْنَ الكُنُوزُ الَّتِي كانَتْ مَفَاتِحُها
تَنُوءُ بالعُصْبَةِ المُقْوِيْنَ لَوْ حَمَلُوْا
أَيْنَ العَبِيدُ الَّتِي أَرْصَدْتَهُمْ عُدَدًا
أَيْنَ الحَدِيدُ وأَينَ البِيْضُ والأَسَلُ
أَيْنَ الفَوارِسُ والغِلْمَانُ ما صَنَعُوا
أَيْنَ الصَوارِمُ والخِطِّيَةُ الذُبُلُ

* * *

*** ولله دَرُّ من قال عن الميت في قبره:**

وسِيْقَ سَوْقًا إِلى ضَرِيْحٍ ... يُرْصَفُ بالرَّغْمِ فِيْهِ رَصْفَا
وبَاتَ لِلدُّوْدِ فيه طَعْمًا ... ولِلْهَوامِّ العِطَاشِ رَشْفَا
ولَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ رَهِيْنًا ... بكل مَا قَدْ هَفَا وأَهْفَا

حال أهل القبور

يَا ذَا الوِجَاهَةِ والجَاهِ العَرِيضِ لَقَدْ ... خَانَتْ عُهُوْدَكَ أَعْوَانٌ وأَنْصَارُ
أَلْقَوْكَ فِي حُفْرَةٍ هَالَتْكَ وَحْشَتُهَا ... كَأَنَّهَا مِخْدَعٌ يُغْلَى بِهِ القَارُ
وَغَادَرُوْكَ وَمَا فِي الحَيِّ مِن حَكَمٍ ... تَشْكُو إِلَيْهِ وَمَا فِي الدَّارِ دَيَّارُ
يَا رَاقِدًا وَمَضِيْقُ القَبْرِ مَضْجَعُهُ ... أمَلَّكَ القَطْرُ أَمْ ضَاقَتْ بِكَ الدَّارُ
أَبْعَدَ مَا فِي مَغَانِي الحَيِّ مِن سَعَةٍ ... تُغْنِي الضَّجِيْعَ عنِ الأَمْيَالِ أَشْبَارُ
خَلَوْتَ وَحْدَكَ لاَ خِلٌّ وَلاَ خَدَمٌ ... فَهَلْ تُنَاجِيْكَ بالإِصْلاَحِ أَفْكَارُ
أَمْ أَنْتَ مِمَّنْ يَرَوْنَ المَوْتَ رَاحَتَهُمْ ... يَا حَبَّذا المَوْتُ لَوْلاَ الحَشْرُ والنَّارُ

وَالقَبْرُ إِنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ مُنَغِّصَةٌ حَاكَتْ زَوَايَاهُ رَوْضًا فِيهِ أَزْهَارُ
لَكِنَّهُ وَظَلامُ الزَّيْغِ يُوحِشُهُ سِجْنٌ لَهُ مِنْ ذَوَاتِ النَّهْشِ عُمَّارُ
فَهَلْ يُحَاكِي قُبُورَ القَوْمِ مَضْجَعُهُمْ أَمْ زَاحَمَتْهُ ظَلامَاتٌ وَآصَارُ
بِالأَمْسِ صَدْرًا أَخَا كِبْرٍ وَغَطْرَسَةٍ وَمَا سِوَى الصَّدرِ نَهَّاءٌ وَأَمَّارُ
وَاليَوْمَ بَيْنَ هَوَامِ الأَرْضِ مُضْطَجِعٌ فِي مَضْجَعٍ مَا بِهِ جَارٌ وَسُمَّارُ

* * *

● قال الحسن البصري: يا معشر الشيوخ! الزرعُ إذا بلغ ما يُصنع به؟ قالوا: يُحْصد. قال: يا معشر الشَّباب! كم زرع لم يبلغْ قد أدركتْهُ آفة[١].

كَمْ رأينا من أناسٍ هلكوا

كم رأينا من أُنَاسٍ هَلَكُوا فبكى أحبابُهم ثم بَكُوا
تركُوا الدنيا لمن بَعْدَ هُمُ وُدُّهُمُ لو قَدّموا ما تَرَكُوا
كم رأيْنا من ملوك سُوقَةٍ ورَأيْنَا سوقةً قد مَلكُوا

رب قوم غبروا من عيشهم

ربّ قومٍ غبروا من عَيْشِهِم في نعيمٍ وسُرُورٍ وَغَدَقْ
سكتَ الدهرُ زمانًا عنهمُ ثم أبكاهمُ دَمًا حِينَ نطقْ

* * *

ليت شعري ما أبقى لك المالُ؟

أبقيت مالَكَ ميراثًا لوارثه — فليتَ شعْرِيَ ما أبقى لك المالُ؟
القومُ بعدَك في حالٍ تَسُرُّهُمُ — فكيفَ بعدَهُمُ دارتْ بكَ الحَالُ؟
ملّوا البكاءَ فما يَبكِيكَ من أحدٍ — وَاستحكم القيل في الميراث والقالُ
مَا لَتْ بهم عنك دُنيا أقبلت لهمُ — وَأدبرت عنك والأيام أحْوالُ

نهايــة المــرء

كلُّ ابنِ أنْثَى وإن طالت سَلامَتُهُ — يومًا على آلةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُولُ

من كان حين تصيب الشمس جبهته

من كان حين تصيب الشَّمْسُ جبهتَهُ — أو الغبارُ يخاف الشَّيْنَ والشَّعَثَا
ويألفُ الظلَّ كي تبقَى بشاشتُه — فسوف يسكنُ يومًا راغمًا جَدَثَا
في قعرِ مظلمةٍ غبراءَ مُوحِشةٍ — يطيلُ فيها - وَلا يختارها - اللّبثَا
تجهزِي بجهازٍ تبلُغين به — يا نفسُ وَاقتصدي لم تُخلقي عبثا

أنت راحـــــل

أيُّها الشَّيخُ المُعَلّـ — ـلُ نفسَه والشيبُ شَامِلْ
وَالليلُ يَطْوِي لا يفتّـ — ـرُ والنهارُ بك المنازلْ
اعلم بأنك نَائِمٌ — فوقَ الفراشِ وأَنتَ راحِلْ
يتعاقبانِ بك الرَّدَى — لا يَغْفُلاَنِ وأنتَ غَافِلْ[1]

---

(١) «بهجة المجالس وأنس المجالس» (٢/ ٣٥٤ - ٣٢٥).

● وقال ابن الكلبيّ ، عن أبيه: خرج النُّعْمان بن المنذر إلى الصَّيد، ومعه عديٌّ بن زيد، فمرَّ بشجرة، فقال له: أتدري ما تقولُ هذه الشجرة؟

قال: لا. قال: تقول:

رُبَّ ركبٍ قد أناخُوا عندنَا ... يَشْرَبُون الخمرَ بالماءِ الزُّلالْ
عصف الدهْرُ بهم فانقَرَضُوا ... وكذاك الدَّهْرُ حالاً بعد حالْ

قال: ثم مرَّ بِمَقْبَرَةٍ، فقال له عديّ أتدري أيّها الملك ما تقول هذه المقبرة؟

قال: لا. قال: تقول:

أيّها الركب المُخبُّونَ ... على الأرْضِ المجدُّونَ
كما أنتمُ كُنّا ... كما نحنُ تكونُونَ

كنا أناسٌ كما كنتم

يا أيّها الناسُ سيرُوا إن قَصرْكُمُ ... أن تُصْبِحُوا ذات يومٍ لا تَسيرُونَا
حُثّوا المَطِيَّ وَأرْخُوا في أزمّتِها ... قبلَ المماتِ وَقَضُّوا ما تُقَضّونا
كنا أناسًا كما كُنْتُمْ فغيّرَنا ... دهرٌ فأنتم كما كنّا تكونُونا

دارٌ تسافر منها في غدٍ سفراً

قل للمُؤَمِّلِ إنّ الموتَ في أثَرِكْ ... وليس يَخْفَى عليكَ الموتُ في نَظَرِكْ
فيمَنْ مضى لك إن فَكَّرْتَ مُعْتَبَرٌ ... ومَن يَمُتْ كلَّ يوم فهْوَ من نُذُرِكْ
دارٌ تُسافرُ منها في غدٍ سفرًا ... ولا تَؤُوب إذا سافَرْتَ من سَفَرِكْ
تَضحَى غداً سَمَرًا للذاكرين كَمَا ... كان الّذين مَضَوْا بالأمسِ من سَمَرِكْ

كأن قلبك من حجر

الشَّمْسُ تَنْعِي ساكنَ الـ ... ـدُّنْيَا وَيُسْعِدُهَا القَمَرْ
أين الّذين عَهِدْتَهُمْ ... لهم المهابَةُ وَالأَثَرْ
أوْدَوْا وَصارَ عليهِمُ ... رَكْمُ الجَنادِلِ وَالمَدَرْ
أفْناهُمُ غَلَسُ العِشَـ ... ـاءِ وَهزُّ أجنحةِ السَّحَرْ
ما للقلوبِ رقيقة ... وكأنّ قلبَكَ مِنْ حَجَرْ
ولقلّما تبقى وُعُو ... دُكَ كلَّ يوم يُعْتَصَرْ[1]

ومنتظرٍ للموتِ في كلِّ ساعةٍ

وَمنتظرٍ للموتِ في كلِّ ساعةٍ ... يَشيدُ وَيَبْني دائبًا وَيُحَصِّنُ
له حين تَبْلُوه حقيقةُ مُوقِنٍ ... وَأفعالُه أفعالُ من ليس يُوقِنُ
عَيانُ كَإنْكَارٍ وكالجهلِ علمُهُ ... لمذْهَبِهِ في كلِّ ما تَيَقّنُ

***

لِدُوا للموتِ وَابْنُوا للخرابِ ... فكلّكُمُ يصيرُ إلى تبابِ
لمن نَبْني وَنحنُ إلى ترابٍ ... نصيرُ كما خُلقنا للتُّرابِ
ألا يا موتُ لم تقبل فِداءً ... أتيتَ فما تَحيفُ ولا تُحابي
كأنّك قد هجمتَ على مَشيبي ... كما هجم المشيبُ على شَبَابِي

***

نُراعُ إذا الجنائزُ قابَلَتْنَا ... ويُحْزِنُنَا بكاءُ الباكياتِ

---

(١) «بهجة المجالس» (٢/ ٣٢٩ ـ ٣٣١).

كروعـــةِ ثَلَّـــةٍ لِمُغَـــار سَـــبُعٍ فـلـــمـا غـــابَ عــادَتْ راتــعـــاتِ

* * *

أتَـلْـهُـو وقـد ذهـبَ الأطْـيَـبَـان وأنْـذَرَكَ الـشَّـيْـبُ قُـرْبَ الأَجَـلْ
كَـأنَّـك لـم تَـرَ حَـيًّـا يَـمُـوت ولـم تـر مَـيْـتًـا عـلـى مُـغْـتَـسَـلْ

* * *

أينَ الملوكُ الّتي عن خطبها غَفلَتْ حتّى سقاها بكاسِ الموتِ سَاقِيها
نـرجُـو ونـأمُـلُ أيّـامًـا تُـعَـدُّ لـنـا سـريـعـةَ المرِّ تـطـويـنَـا ونَـطْـويـهـا
أمـوالُـنـا لـذوي الـمـيـراثِ نجـمَـعُـهـا ودارُنـا لخـرابِ الـدهـر نَـبْـنِـيـهـا[1]

فكم من صحيحٍ بات للموت آمنًا

فكم من صحيحٍ باتَ للموتِ آمنًا أتـتـهُ المنـايـا بـغـتـةً بـعـد مـا هَـجَـعْ
فـلـم يـسـتـطـعْ إذ جـاءهُ الموتُ بـغـتـةً فـرارًا ولا مـنـهُ بـحـيـلـةٍ امْـتَـنَـعْ
ولا يـتـركُ المـوتُ الـغـنـيَّ لمـالـهِ ولا مُعْدِمًا في المالِ ذا حاجةٍ يَدَعْ

وَعَظَتْكَ أجداثٌ صُمُتْ

وَعَـظَـتْـكَ أجْـدَاثٌ صُـمُـتْ وَنَـعَـتْـك أزمـنـةٌ خُـفُـتْ
وأَرَتْـك قـبـرَك فـي الـقُـبُـو رِ وأنـت حـيٌّ لـم تَـمُـتْ
وتَـكَـلَّـمَـتْ عـن أَوْجُـهِ تَـبْـلـى وعن صُـورٍ شُتُتْ

* * *

(١) «بهجة المجالس» (٢/ ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٣٧).

يحدوك حادٍ ما يُريدُ بكَ الهُزْءا

حيـاتُك أنفـاسٌ تُـعَدُّ وكـلّـما ... مضى نَفَسٌ منها انتقَصْتَ به جُزْءا
فتصْبحُ في نقصٍ وتُمْسِي بمثلهِ ... وما لَكَ معقـولٌ تُحِسُّ به رُزْءا
يُميتُكَ ما يُحْيِيكَ في كلِّ ساعةٍ ... ويحدُوك حادٍ ما يريدُ بك الهُزْءا

لو رأت عيناك عيني

يـا رُسُـومَ الجَـدَثِ المَهْـ ... ـجُورِ قُولي لابنِ سَعْدِ
لـو رَأتْ عـينـاك عـيـني ... كيف سَالَتْ فوق خدِّي
بَعْـدَ دفنـي بثـلاثٍ ... ما هَنَـاكَ العيشُ بَعْدي[1]

وَطِئَ التُّراب بصفحة الخَدِّ

من كان لا يَطَـأُ الترابَ بنَعْلِه ... وطِئَ التُّرَابَ بصَفْحَةِ الخَدِّ
من كان بَيْنَكَ في التُّرابِ وبَيْنَهُ ... شبرانِ فهْوَ بغايةِ البُعْدِ
لو كُشِّفت للناس أَغْطِيَـةُ الثرى ... لم يُعْرَفِ المولى من العَبْدِ

أَهْـلُ القُبـورِ

مَنْ رآنا فليُحَدِّثْ نَفْسَهُ ... أنّه مُوفٍ على قَرْنِ الزَّوَالْ
وصُرُوفُ الدهرِ لا تَبْقَى لها ... ولما تأتي به صُمُّ الجبالْ
رُبَّ ركبٍ قد أناخُوا عندنا ... يشربُون الخَمْرَ بالماءِ الزُّلالْ

---

(١) «بهجة المجالس» (٢/٣٣٨، ٣٣٩).

والأباريقُ عليها فُدُمٌ ... وجِيَادُ الخيل تَرْدِي في الجِلالْ
عَمَّروا الدّهر بعيشٍ حَسَنٍ ... آمِنِي دهرهم غير عِجالْ
ثم أَضْحَوْا عَصَفَ الدهرُ بهمْ ... وكذاك الدّهْرُ حالاً بعدَ حالْ

لا شيءَ مِمَّا ترى تَبْقى بَشَاشَتُهُ

لا شيء مما تَرَى تَبْقَى بَشَاشَتُهُ ... يبقى الإلهُ ويُودَى المالُ والولدُ
لم تُغْنِ عن هُرمزٍ يومًا خزائنُهُ ... والخُلْدَ قد حاوَلَتْ عادٌ فما خَلدُوا
ولا سُليمانَ إذ تجري الرِّياحُ له ... والإنسُ والجنّ فيما بينها تَرِدُ
أينَ الملوكُ التي كانت لعزَّتها ... مِنْ كلِّ أوْبٍ إليها وَافِدٌ يَفِد
حَوْضٌ هنالك مَوْرُودٌ بلا كذبٍ ... لا بدَّ من وردِهِ يومًا كما وَرَدُوا
وجيرانِ صِدْقٍ لا تَزاوُرَ بينهمْ ... على قُرْبِ بَعْضٍ من التَّجَاوُرِ من بَعْضِ
كأن خواتيمًا من الطّين فوقهمُ ... فليس لَها حتّى القيامةِ من فضٍّ[1]

ووجِدَ على قبر مَكْتوبٌ:

سيُعْرِض عَن ذكري وتُنْسى مَودّتي ... ويَحْدُثُ بَعْدي للخليلِ خليلُ
إذا انقطعت يومًا من العَيْش مُدَّتي ... فإن غَناء الباكياتِ قليلُ

أَوَّلُ لَيْلَةٍ في القَبْرِ

كيف يفرح مَن الموت بَيْن يديه، وكيف يلهو من مالهُ بَلاءٌ عليه، وكيف يغفل ورسُل الموت تختلف إليه، كيف يلتذ بوطنه من يرى اللحد بعينيه:

إنـي أُبثُّكَ مِنْ حديثي ... والحديثُ له شجونُ

---

(١) «بهجة المجالس» (٢/ ٣٤٠، ٣٤١).

غـيَّـرتُ مَـوْضـع مَـرْقـدِي لَـيْلا فـنـافَـرنـي الـسُّـكـونُ
قُـلْ لـي فـأولُ لـيـلـةٍ فـي الـقـبـر كـيـف تُـرَى تـكـونُ؟!

إنَّما الدنيا بلاءٌ

إنمـا الـدنـيـا بـلاءُ لـيـس فـي الـدنـيـا ثُـبـوتُ
إنمـا الـدنـيـا كـبَـيْـتٍ نـسـجَـتْـه الـعـنـكـبـوتُ
كـلٌّ مـن فـيـهـا لـعـمـري عـن قـريـب سـيـمـوتُ
إنمـا يـكـفـيـك مـنـهـا أيـهـا الـراغِـبُ قُـوتُ

قِفْ بالقُبـورِ

قِـفْ بالـقُـبُورِ وَقُـلْ عَـلَى سَاحَاتِـهَا
مَنْ مِـنكُمُ المَغْمُوْر في ظُلُمَاتِـهَـا
وَمَـنِ المُـكَـرَّمُ مِـنـكـمُ فـي قَـعْـرِهَا
قَـدْ ذَاقَ بَـرْدَ الأَمْـنِ مِـن رَوْعَـاتِـهَـا
أَمَّـا الـسُّـكُـونُ لِذِي الـعُـيُـونِ فَوَاحِـدٌ
لا يَـسْـتَـبِـيْـنُ الـفَـضْـلُ فـي دَرَجَـاتِـهَـا
لَـوْ جَـاوَبُـوْكَ لأَخْـبَـرُوْكَ بِـأَلْـسُـنٍ
تَـصِـفُ الحَـقَـائِقَ بَـعْـدُ مِـن حَـالاَتِـهَـا
أَمَّـا المُـطِـيْـعُ فَـنَـازِلٌ فـي رَوْضَـةٍ
يُـفْـضِـيْ إلـي مَـا شَـاءَ مِـن دَوْحَـاتِـهَـا

وَالْمُجْرِمُ الطَّاغِي بِهَا مُتَقَلِّبٌ
فِي حُفْرَةٍ يَأْوِي إِلَى حَيَّاتِهَا
وَعَقَارِبٌ تَسْعَى إِلَيْهِ فَرُوحُهُ
فِي شِدَّةِ التَّعْذِيبِ مِن لَدَغَاتِهَا

* * *

أهل القبور محا التراب وجوهكم

يا مَعْشَرَ الأمْواتِ يا ضِيفَانَ تُرْ ... بِ الأرْضِ كَيْفَ وَجَدْتُمْ طَعْمَ الثَّرى
أَهْلَ الْقُبورِ مَحا التُّرابُ وُجوهَكُمْ ... أَهْلَ الْقُبورِ تَغَيَّرَتْ تِلْكَ الْحُلى
أَهْلَ الْقُبورِ كَفى بِنَأْيِ دِيارِكُمْ ... إِنَّ الدِّيارَ بِكُمْ لَشاحِطَةُ النَّوى
أَهْلَ الْقُبورِ لا تَواصُلَ بَيْنَكُمْ ... مَنْ ماتَ أَصْبَحَ حَبْلُهُ رَثَّ الْقُوى
كَمْ مِنْ أَخٍ لِيَ قَدْ وَقَفْتُ بِقَبْرِهِ ... فَدَعَوْتُهُ لِلَّهِ دَرُّكَ مِنْ فَتى
أَأُخَيَّ لَمْ يَقِكَ الْمَنِيَةَ إِذْ أَتَتْ ... ما كانَ أَطْعَمَكَ الطَّبيبُ وَما سَقى
أَأُخَيَّ لَمْ تُغْنِ التَّمائِمُ عَنْكَ ما ... قَدْ كُنْتُ أَحْذَرُهُ عَلَيْكَ وَلا الرُّقى
أَأُخَيَّ كَيْفَ وَجَدْتَ مَسَّ خُشونَةِ الْـ ... ـمَأْوى وَكَيْفَ وَجَدْتَ ضيقَ الْمُتَكا
قَدْ كُنْتُ أَفْرَقُ مِنْ فِراقِكَ سالِمًا ... فَأَجَلُّ مِنْهُ فِراقُ دائِرَةِ الرَّدى
فَالْيَوْمَ حُقَّ لِيَ التَّوَجُّعُ إِذْ جَرى ... قَدَرُ الإِلَهِ عَلَيَّ فيكَ بِما جَرى
تَبْكيكَ عَيْني ثُمَّ قَلْبي حَسْرَةً ... وَتَقَطُّعًا مِنْهُ عَلَيْكَ إِذا بَكى
وَإِذا ذَكَرْتُكَ يا أُخَيَّ تَقَطَّعَتْ ... كَبِدي فَأُقْلِقَتِ الْجَوانِحُ وَالْحَشا

* * *

أيضحكُ مَنْ للمَوْتِ فيه نصيبٌ؟

أَيَضْكَكُ من للموت فيه نصيبُ ... وينعم عيشًا إن ذا لعجيبُ

ويأكل والأيام تأكل عمرَهُ ... وليس له جسمٌ لذاك يذوبُ

ومن عرف الرحمنَ لم يهن قلبه ... نعيمٌ ولم ينفك عنه نحيبُ

بعدت عن الورد الرضي بزلة ... وبي قطعت دون الوصول ذنوبُ

أَمُرُّ على المقابرِ

أمر على المقابر كل حين ... ولا أدري بأي الأرض قبري

وأفرح بالغنى إن زاد مالي ... ولا أبكي على نقصان عمري

سكرةٌ تتركُ العزيزَ ذليلاً

قف بنا بالقبور نبكي طويلاً ... ونداوي بالدمع داء جليلاَ

فعسى الدمعُ أن يبرد منا ... بعض لوعاتِنا ويشفي الغليلا

ونادي الأحباب كيف وجدتم ... سكرةَ الموتِ بعدنا والمقيلاَ

لو أطاقوا الجواب قالوا وجدنا ... سكرةً تترك العزيزَ ذليلاَ

بدلوا بعد القصورِ قبوراً ... ثم بعد اللباسِ ردمًا ثقيلاَ

ما حالُ مَن سكن الثَّرى ما حالُه؟

ما حالَ من سكن الثرى ما حالهُ؟ ... أمسى وقد صرمت هناك حبالُهْ

أمسى ولا روحُ الحياةِ تصيبه ... يومًا ولا لطف الحبيب ينالُهْ

أضحى وقد درست محاسن وجهه ... وتفرقت في قبرهِ أوصالُهْ

واستبدلت منه المحاسنُ غبرةً ... وتقسمت من بعده أوصالُهْ
ما زالت الأيام تلعبُ بالفتى ... والمالُ يذهب صفوه وحلاَلُه

تناجيك أجداثٌ وهن سكوتُ

تناجيك أجداثٌ وهنَّ سكوتُ ... وسكانها تحت التراب خفوتُ
فيا جامعَ الدنيا لغيرِ بلاغةٍ ... لمن تجمع الدنيا وأنتَ تموتُ

أهل القبور أبينوا عن قبوركمُ

هل كان قبلك للذات مرتاحًا ... لو شفه ذكر ذنب قد مضى ناحًا
للَّه عبد جنى ذنبًا فأحزنه ... فظل حيران يذري الدمع سفاحًا
فاسفح دموعك عن ذنب أصبت به ... فرب دمعٍ جري للخير مفتاحًا
ورب عين رآها اللَّهُ باكيةً ... خوف القبور ستلقى الرُّوحَ والرَّاحَا
مستعبرٌ قلقٌ مستيقظٌ فطنٌ ... كأنَّ في قلبه للنورِ مصباحًا
يا صاحبيَّ دعا التسويف ويحكما ... واستبدلا بفساد الدين إصلاحًا
لا تأمنن وقوع الموت إنَّ له ... لأنفسًا من جميع الخلق مجتاحًا
إن لم يبيتهم ناداهم سحرًا ... وإن تأخر عن تبكيرهم راحًا
لا يترك الموت بيتًا حشوه فرح ... إلا أعاضهم ذُلاً وأتراحًا
أهل القبور أبينوا عن قبوركم ... هل تستطيعون لي بالرد إفصاحًا
ماذا لقيتم وماذا بعد قيل لكم ... لما فقدتم من الأجساد أرواحًا
يعزز عليَّ بأبدان منعمة ... أمسى بها الدودُ جوَّالاً وسواحًا
الناس في غفلة عما يراد بهم ... من كان ذا بصرٍ فالصبحُ قد لاحًا

ما للمقابر لا تجيب؟

ما للمقابر لا تجيب ... إذا دعاهن اللبيبْ
حفر يستر فوقهن مـ ... ـن الجنادل والكثيبْ
فيهن أطفالٌ وولـ ... ـدانُ وشبانٌ وشيبْ
كم من حميمٍ لم تَكُنْ ... نفسي بفرقته تطيبْ
غادرته في بعضهن ... مجندلاً وهو الحبيبْ

جدّوا الرحيل فقد آوى المقيمون

زرنا منازلَ قومٍ لا يزورونَا ... إنا لفي غفلةٍ عما يقاسونُا
لو ينطقون لقالوا الجد ويحكم ... جدوا الرحيل فقد آوى المقيمونَا
الموت أحدق بالدنيا وعزتها ... وفعلنا فعل قوم لا يموتونَا
فابكوا كثيرًا فقد حق البكاءُ لكم ... فالحاملون لعرش اللَّه باكونَا

للموت فينا سهام غير مخطئة

الموت لا والدًا يبقي ولا ولدًا ... هو السبيل إلى أن لا ترى أحدًا
مات النبيُّ فلم يخلد لأمته ... لو خَلَّدَ اللَّهُ حيًّا قبله خلدَا
للموت فينا سهامٌ غيرُ مخطئةٍ ... من فاته اليومَ سهمٌ لم يفته غدا
ما ضر من عرف الدنيا وغدرتها ... ألا ينافسَ فيها أهلها أبدا

* * *

ألا أزف الرحيلُ

يخيل لي بكاء القوم حولي ... وقولهم ألا أزف الرحيلُ
وما يغني البكاء إذا تقضى ... لدى عمري وإن كثر العويلُ
فخذ للموت أهبته فإمَّا ... نجاة بعد أو هول طويلُ

وكم للموت من دارٍ ودار

رأيت الموت لا يبقي خليلاً ... على خل وإن عاشا زمانَا
فكن منه على حذرٍ فإني ... رأيت الموتَ لا يُعطي أمانَا
أنسنا غرةً منه كأنا ... بما نعنى به يعنى سوانَا
وكم للموت من دارٍ ودارٍ ... أبان عميرها عنها فبانَا
فكم ذي نخوة وعزيزِ قومٍ ... أذلَّ الموتُ عزَّته فهانَا
كأنا قد نظرنا عن قريبٍ ... إلى ما قد وعدناه عيانَا

إن اللبيب بذكر الموت مشغولُ

الموت لا شك آت فاستعد له ... إن اللبيب بذكر الموت مشغولُ
فكيف يلهو بعيش أو يلذ به ... من التراب على عينيه مجعولُ

الموت نغّص دنيانا وزهرتها

طَارَتْ بِنَا لِدِيَارِ البَيْنِ أطْيَارُ ... فأقْفَرتْ بَعْدَنَا الأوْطَانُ والدَّارُ
ولِلْمَقَادِيْرِ يَجْرِي العَبْدُ كَيْفَ تَشَا ... بِحِكْمَةِ اللَّهِ يَرْضَاهَا ويَخْتَارُ

قَضَى وَقَدَّرَ فِينَا الموتَ أجْمَعَنَا ... ونَحْنُ للَّهِ بالمَقْضِيِّ صُبَّارُ

والموتُ نَغَصَ دُنْيَانَا وَزَهْرَتَهَا ... وسَوْفَ تَفْنَى ومَا في الحَيِّ دَيَّارُ

نسيْرُ بِمَوتَانَا مَسَاءً وبُكرةً ... وسَوْفَ بنا بَعْدَ المَمَاتِ يُسَارُ

ألا كل مولود فللموت يولدُ

ألا كل مولود فللموت يولد ... ولست أرى حيًّا عليها يخلَّدُ

تجرد من الدنيا فإنك إنما ... خرجت من الدنيا وأنت مجردُ

ضعوا خدّي على لحدي ضعوهُ

ضعوا خدي على لحدي ضعوه ... ومن عَفرِ التراب فوسدوهُ

وشقوا عنه أكفانًا رقاقًا ... وفي الرمسِ البعيد فغيبوهُ

فلو أبصرتموه إذا تقضت ... صبيحة ثالث أنكرتموهُ

وقد سالت نواظر مقلتيه ... على وجناته وانفض فوهُ

وناداه البلَى: هذا فلان ... هلموا فانظروا هل تعرفوهُ

حبيبكم وجاركم المفدي ... تقادم عهده فنسيتموهُ[1]

أكل التراب محاسني

ما لي وقفت على القبور مُسلِّمًا ... قبر الحبيب فلم يرد جوابي

يا صَاحِ مَا لك لا ترد جوابنا ... أنسيت بعدي خلة الأحباب

---

(١) «التذكرة» للقرطبي ص(١١٤).

قال الحبيب وكيف لي بجوابكم وأنا رهين جنادل وتراب
أكل التراب محاسني فنسيتكم وحُجبت عن أهلي وعن أقراني
فعليكم مني السلام تقطعت مني ومنكم خلة الأحباب(١)

فكرة تورث العبرة

تفكرت في حشري ويوم قيامتي وإصباح خدي في المقابر ثاويا
فريداً وحيداً بعد عزٍ ورفعةٍ رهينًا بجرم والتراب وِساديا
تفكرت في طول الحساب وعرضه وذل مقامي حين أعطى كتابيا
ولكن رجائي منك ربي وخالقي بأنك تعفو يا إلهي خطائيا(٢)

ناديت سكان القبور فأُسكِتُوا

نَادَيْتُ سُكَّانَ القُبُورِ فَأُسْكِتُوْا وَأَجَابَنِي عَن صَمْتِهِمْ تُرْبُ الحَصَا
قَالَ أتدْرِيْ مَا فَعَلتُ بِسَاكِنِي مَزَّقْتُ لَحْمَهُوْا خَرَّقْتُ الكِسَا
وحشَوْتُ أعْيُنَهُمْ تُرَابًا بَعْدَمَا كَانَتْ تَأذى باليسِيْرِ من القَذَا
أمَّا العِظَامُ فَإنَّني مَزَّقْتُهَا حَتَّى تَبَايَنْتِ المَفَاصِلُ والشَّوا

البقاءُ فناء

يحب الفتى طول البقاء وإنه على ثقة أن البقاء فناءُ
زيادته في الجسم نقص حياته وليس على نقص الحياة نماءُ

---

(١) «ديوان الإمام علي» ص(٣٠).
(٢) «مكاشفة القلوب» ص(٣٥).

إذا ما طوى يومًا طوى اليوم بَعْضَهُ ويطويه من بعد الصباح مساءُ

جديدان لا يبقى الجميع عليهما ولا لهما بعد الجميع بقاءُ

***

تموتُ كما مات الذين نسيتهم

بكيت فما تبكي شباب صباك

كفاك نذير الشيب فيك كفاكا

ألم تر أن الشيب قد قام ناعيًا

مكان الشباب الغض ثم نعاكا

ألم تر يومًا مر إلا كأنه

بإهلاكه للهالكين عناكا

ألا أيها الفاني وقد حان حينه

أتطمع أن تبقى فلست هناكا

ستمضي ويبقى ما تراه كما ترى

فينساك ما خلفته، هو ذاكا

تموت كما مات الذين نسيتهم

وتنسى ويهوى الحي بعد هواكا

كأنك قد أقصيت بعد تقرب

إليك وإن باكٍ عليك بكاكا

كأن الذي يحثو عليك من الثرى

يريد بما يحثو عليك رضاكا

كأن خطوب الدهر لم تجر ساعة

عليك إذا الخطب الجليل أتاكا

ترى الأرض كم فيها رهون دفينة

غلقن فلم يقبل لهن فكاكا

* * *

ليس الغريب

للإمام علي زين العابدين بن الحسين

لَيْسَ الغَرِيْبُ غَرِيبَ الشَّامِ واليَمَنِ ... إنَّ الغَرِيْبَ غَرِيْبُ اللَّحْدِ والكَفَنِ

إنَّ الغَرِيْبَ لَهُ حَقٌّ لِغُرْبَتِهِ ... عَلَى المُقِيمينَ في الأوْطَانِ والسَّكَنِ

لا تَنْهَرنَّ غريبًا حَالَ غُربتِهِ ... الدَّهْرُ يَنْهَرْه بالذِّلِ والمِحَنِ

سَفَرِيْ بعيدٌ وزادي لَنْ يُبَلِّغَني ... وَقُوَّتي ضَعُفَتْ والموتُ يَطْلُبُني

ولي بَقَايَا ذُنُوبٍ لَسْتُ أعْلمُهَا ... اللَّهُ يَعْلَمُها في السِّرِ والعَلَنِ

مَا أَحْلَمَ اللَّهُ عَنِّي حَيْثُ أمْهَلَني ... وقد تَمادَيْتُ في ذَنْبي وَيَسْتُرني

تمرُ سَاعَاتُ أيامي بلا نَدَمٍ ... ولا بُكَاءٍ ولا خَوفٍ ولا حَزَنِ

أنا الذي أُغْلقُ الأَبْوابَ مُجْتَهِدًا ... على المعاصي وعَينُ اللَّه تَنْظُرُني

يا زَلةً كُتِبَتْ في غَفْلَةٍ ذَهَبَتْ ... يا حَسْرَةً بَقِيَتْ في القَلْبِ تُحرِقُني

دَعْني أَنُوحُ على نَفْسِي وأندُبُها ... وأَقْطَعُ الدَّهْرَ بالتَذْكِيرِ والحَزَنِ

دَعْ عَنْكَ عَذْلي يَا مَنْ كان يَعْذِلُني ... لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا بي كُنْت تَعْذُرُني

دَعْني أسحُّ دُمُوعًا لا انْقِطَاعَ لَهَا ... فَهَلْ عَسَى عَبْرَةٌ مِنْهَا تُخَلِّصُني

كَأَنَّنِي بَيْنَ تِلْكَ الأَهْلِ مُنْطرِحًا ... على الفِرَاشِ وَأَيْدِيْهِمْ تُقَلِّبُني

كَأَنَني وَحَولي مَنْ يَنُوحُ ومَنْ ... يَبْكي عَلَيَّ ويَنْعَاني وَيَنْدُبُني

وَقَدْ أتوا بِطبيبٍ كَيْ يُعَالجَني ... وَلَمْ أَرَ الطَبِيْبَ اليومَ يَنْفَعُني

وَاشْتَدَّ نَزْعِي وصَارَ الموتُ يَجْذِبُها ... مِنْ كُلِّ عِرْقٍ بلاَ رِفْقٍ وَلا هَوَنِ

وَاستَخْرَجَ الروْحَ مِنِّي في تَغَرْغُرِهَا ... وصَارَ رِيقي مَرِيرًا حِيْنَ غَرْغَرَني

وَغَمَّضُوني وَرَاحَ الكُلُ وانْصَرَفُوا ... بَعْدَ الإيَاسِ وَجَدّوا في شِرَا الكَفَني

وَقَامَ مَنْ كَانَ أحَبَّ النَاس في عَجَلٍ ... نَحْوَ المُغَسِّل يأَتيني يُغَسِّلُنِي
وقَالَ يا قَومُ نَبْغِي غَاسِلاً حذِقًا ... حُرًّا أديبًا أريبًا عَارِفًا فَطِنِي
فَجَاءَنِي رَجُلٌ مِنْهُمْ فَجَرَّدَنِي ... مِنْ الثِّيَاب وَأعْرَانِي وأفْرَدَنِي
وَأوْدَعُونِي عَلَى الألْوَاحِ مُنْطَرِحًا ... وصَارَ فَوْقِي خَرِيرُ الماءِ يَنْظِفُنِي
وأسْكَبَ الماءَ مِنْ فوقِي وَغَسَّلَنِي ... غَسْلاً ثَلاَثًا وَنَادَى القَوْمَ بِالكَفَنِي
وَألْبَسُونِي ثِيَابًا لا كِمَامَ لَهَا ... وَصَارَ زَادِي حَنُوطِي حَيْنَ حَنَّطنِي
وأخْرَجُونِي مِنَ الدنيا فَوا أسَفا ... عَلى رَحِيل بلا زَادٍ يُبَلِّغُنِي
وَحَمَّلُونِي على الأكْتَاف أرْبَعَةٌ ... مِنَ الرجَالِ وخَلْفِي مَنْ يُشَيِّعُنِي
وَقَدَّمُونِي إلى المِحْرَاب وانْصَرَفُوا ... خَلْفَ الإمَامِ فَصَلَّى ثُمَّ وَدَّعَنِي
صَلَّوا عَلَيَّ صَلاَةً لاَ رُكُوعَ لَهَا ... وَلاَ سُجُوْدَ لَعَلَّ اللَّه يَرْحَمُنِي
وَأنْزَلُونِي إلى قَبْرِي عَلَى مَهَلٍ ... وَقَدَّمُوا وَاحِداً مِنْهُمْ يُلَحِّدُنِي
وكَشَّفَ الثَوْبَ عَنْ وَجْهِي لِيَنْظُرنِي ... وَأسْبَلَ الدَّمْعَ مِن عَينَيه أغْرَقَنِي
فَقَامَ مُحْتَرِمًا بالعَزْمِ مُشْتَمِلاً ... وَصَفَّفَ اللَّبِنَ مِنْ فَوقِي وَفَارَقَنِي
وَقَالَ هُلُّوا عَلَيه التُّرابَ واغْتَنِمُوا ... حُسْنَ الثَّوَابِ مِن الرحمن ذِي المِنَنِ
في ظُلْمَة القَبْرِ لا أمٌّ هُنَاكَ ولا ... أبٌ شَفِيقٌ ولا أخٌ يُؤَنِّسُنِي
وَهَالَنِي صُورَةً في العَين إذ نَظَرَتْ ... مِنْ هَوْلِ مطْلَعَ مَا قَدْ كَانَ أدْهَشَنِي
مِنْ مُنْكرٍ وَنَكِيْرٍ ما أقُولُ لَهُمْ ... قَدْ هَالَنِي أمْرُهُمْ جداًّ فَأفْزَعَنِي
وأقْعَدُونِي وَجَدُّوا في سُؤَلِهِمُ ... مَا لي سِوَاكَ إلَهِي مَنْ يُخَلِّصُنِي
فامْنُنْ عَلَيَّ بِعُفْوٍ مِنْكَ يَا أمَلِي ... فَإنَّنِي مُوثَقٌ بالذَّنْبِ مُرْتَهَنِ
تَقَاسَمَ الأهْلُ مَالِيْ بَعدَمَا انْصَرَفُوا ... وَصَارَ وزْرِي على ظَهْرِيْ فأثْقَلنِي
واسْتَبْدَلَتْ زَوجَتِي بَعْلاً لَهَا بَدَلِي ... وَحكَّمَتْهُ في الأمْوَالِ والسَكَنِ

وصَيَّرَتْ إِبْني عَبْداً لِيَخْدِمَهُ وَصَارَ مَالِي لَهُمْ حِلاً بِلا ثَمَنِ

فَلا تَغُرَّنَّكَ الدُّنْيَا وزِينَتُهـا وانْظُرْ إلى فِعْلِهَا في الأهل والوَطنِ

وانْظُرْ إلي مَنْ حَوَى الدنيا بأجْمَعِهَا هَلْ رَاحَ منها بغَيْرِ الحَنْطِ والكَفَنِ

خُذِ القَنَاعَةَ مِنْ دُنْيَاكَ وارضَ بها لَوْ لَمْ يكُنْ لَكَ فيها، إلاَّ رَاحَةَ البَدَنِ

يا زَارِعَ الخيرِ تَحْصُدْ بَعْدَهُ ثَمَراً يا زَارِعَ الشَرِّ مَوْقُوفٌ على الوَهَنِ

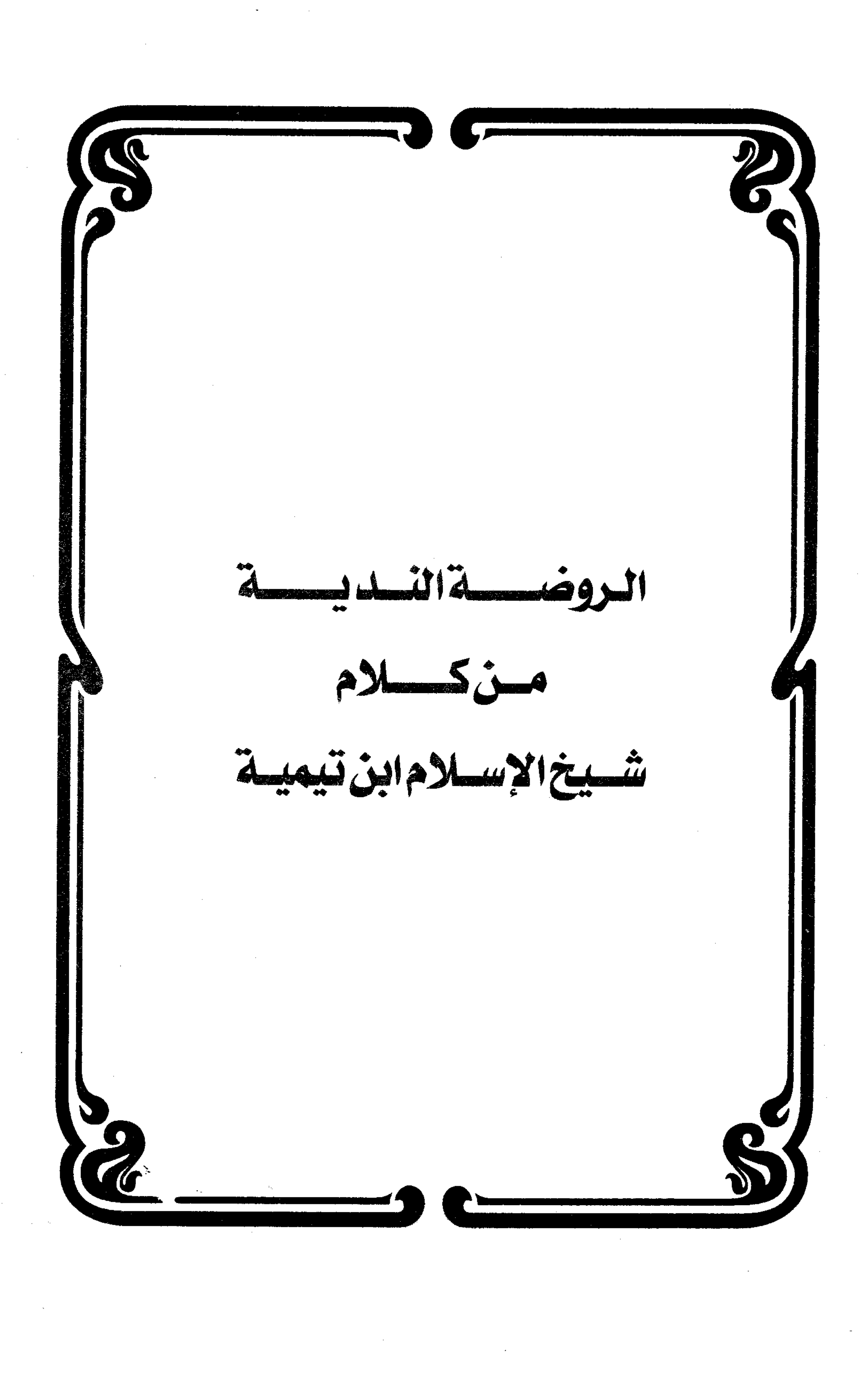
يَا نَفْسُ كُفِّي عنِ العِصْيَانِ واكْتَسِبي فِعْلاً جَمِيْلاً لَعلَّ اللَّه يَرْحَمُني

يَا نَفْسُ وَيحَكِ تُوبِي واعْمَلِي حَسَنًا عَسَى تُجْزَيْن بَعْدَ المَوت بالحَسَنِ

ثُمَّ الصَلاَةُ على المُخْتَارِ سَيِّدنَا مَا وضَّأَ البَرْقُ في شَامٍ وفي يَمَنِ

والحَمدُ للَّهِ مُمْسِيْنَا ومُصْبِحِنَا بالخَيْرِ والعَفْوِ والإِحْسَانِ والمِنَنِ

* * *



الروضة الندية
من كلام
شيخ الإسلام ابن تيمية



● **سئل ـ رحمه اللَّه تعالى ـ:**

عن قوم مسلمين مجاوري النصارى: فهل يجوز للمسلم إذا مرض النصراني أن يعوده؟ وإذا مات أن يتبع جنازته؟ وهل على من فعل ذلك من المسلمين وزر، أم لا؟

● **فأجاب:** الحمد للَّه رب العالمين. لا يتبع جنازته، وأما عيادته فلا بأس بها؛ فإنه قد يكون في ذلك مصلحة لتأليفه على الإسلام، فإذا مات كافرًا فقد وجبت له النار؛ ولهذا لا يصلى عليه. واللَّه أعلم[1] .

● **فتوى هامة ودرة نفيسة فعضّ عليها بالنواجذ:**

سئل:

عن رجل يصلي وقتًا، ويترك الصلاة كثيرًا، أو لا يصلي، هل يصلي عليه؟؟

● **فأجاب:** مثل هذا ما زال المسلمون يصلون عليه. بلى المنافقون الذين يكتمون النفاق يصلي المسلمون عليهم، ويغسلون، وتجري عليهم أحكام الإسلام. كما كان المنافقون على عهد رسول اللَّه ﷺ .

وإن كان من علم نفاق شخص لم يجز له أن يصلي عليه، كما نهى النبي ﷺ عن الصلاة على من عُلم نفاقه.

وأما من شك في حاله فتجوز الصلاة عليه، إذا كان ظاهر الإسلام. كما صلى النبي ﷺ على من لم ينه عنه، وكان فيهم من لم يعلم نفاقه. كما قال تعالى: ﴿ **وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ** ﴾ ومثل هؤلاء لا يجوز النهي عنه، ولكن

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٤/ ٢٦٥).

صلاة النبي ﷺ والمؤمنين على المنافق لا تنفعه. كما قال النبي ﷺ - لما ألبس ابن أبي قميصه «**وما يغني عنه قميصي من الله**»، وقال تعالى: ﴿**سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ**﴾.

وتارك الصلاة أحيانًا، وأمثاله من المتظاهرين بالفسق، فأهل العلم والدين إذا كان في هجر هذا، وترك الصلاة عليه منفعة للمسلمين بحيث يكون ذلك باعثًا لهم على المحافظة على الصلاة عليه [هجروه ولم يصلوا عليه]، كما ترك النبي ﷺ الصلاة على قاتل نفسه والغال. والمدين الذي لا وفاء له، وهذا شر منهم[1].

● **تنبيه**: هذا مذهب شيخ الإسلام ابن تيمية الذي يخفى على الكثيرين.

يقول ابن تيمية - رحمه الله - معلقًا على حديث: «**خمس صلوات كتبهن الله على العباد في اليوم والليلة، فمن حافظ عليها كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يحافظ عليهن لم يكن له عند الله عهد، إن شاء عذّبه وإن شاء أدخله الجنة**».

يقول: «فالنبي ﷺ إنما أدخل تحت المشيئة من لم يحافظ عليها، لا من ترك، ونفي المحافظة يقتضي أنهم صلوا ولم يحافظوا عليها...»[2].

ثم قال: «فإن كثيرًا من الناس، بل أكثرهم في كثير من الأمصار لا يكونون محافظين على الصلوات الخمس، ولا هم تاركيها بالجملة، بل يصلون أحيانًا، ويدعون أحيانًا، فهؤلاء فيهم إيمان ونفاق، وتجري عليهم

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٨٧ - ٢٨٨).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٦١٥).

أحكام الإسلام الظاهرة. . .»[١] .

● ويقول في موضع آخر: «فأما من كان مصرًّا على تركها لا يصلي قط، ويموت على هذا الإصرار والترك فهذا لا يكون مسلمًا، لكن أكثر الناس يصلون تارة، ويتركونها تارة، فهؤلاء ليسوا يحافظون عليها، وهؤلاء تحت الوعيد وهم الذين جاء فيهم الحديث الذي في «السنن» حديث عبادة بن الصامت ـ ثم ساق الحديث المذكور ـ»[٢] .

● يؤيد هذا قوله ﷺ: «**إن أول ما يحاسب به العبد صلاته، فإن أتمها، وإلا نظر هل له من تطوع، فإن كان له تطوع، أكملت الفريضة من تطوعه**».

والانتقاص هنا عام يتناول ترك الأداء لبعض الصلوات. . . وهذا من مطلق الترك الذي لا يعدّ كفرًا، ومن ثم صارت مقبولة وأكملت بالتطوع، فهناك فرق بين الترك المطلق، وبين مطلق الترك.

يشهد لهذا قول اللَّه عز وجل: ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**﴾ [مريم: ٥٩].

فالمراد من تضييع الصلاة ـ ها هنا ـ تركها بالكلية كما قاله محمد بن كعب القرظي وزيد بن أسلم والسديّ واختاره ابن جرير[٣] .

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٦١٦).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٤٩)، و«مجموع الفتاوى» (٦/ ٤٢٩)، و«الصارم المسلول» ص(٥٥٤).

(٣) انظر: «نواقض الإيمان القولية والفعلية» للدكتور عبد العزيز العبد اللطيف ص(٤٩٧ ـ ٤٩٨) ـ دار الوطن.

وقال شيخ الإسلام ـ رحمه اللَّه ـ:

قد ثبت عن النبي ﷺ أنه امتنع عن الصلاة على من عليه دين؛ حتى يخلف وفاء، قبل أن يتمكن من وفاء الدين عنه، فلما تمكن صار هو يوفيه من عنده، فصار المدين يخلف وفاء.

هذا مع قوله فيما رواه أبو موسى عنه: «**إن أعظم الذنوب عند اللَّه أن يلقاه عبد بها، بعد الكبائر التي نهى عنها، أن يموت الرجل وعليه دين لا يدع قضاء**» رواه أحمد. فثبت بهذا أن ترك الدين بعد الكبائر.

فإذا كان قد ترك الصلاة على المدين الذي لا قضاء له، فعلى فاعل الكبائر أولى، ويدخل في ذلك قاتل نفسه، والغال: لما لم يصل عليهما. ويستدل بذلك على أنه يجوز لذوي الفضل ترك الصلاة على ذوي الكبائر الظاهرة. والدعاة إلي البدع، وإن كانت الصلاة عليهم جائزة في الجملة.

فأما قوله: «**الشهيد يغفر له كل شيء إلا الدين**» فأراد به أن صاحبه يوفاه[1].

● **وسئل:**

عن رجل ركب البحر للتجارة: فغرق، فهل مات شهيداً؟

● **فأجاب**: نعم! مات شهيداً، إذا لم يكن عاصيًا بركوبه، فإنه قد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**الغريق شهيد، والمبطون شهيد، والحريق شهيد، والميت بالطاعون شهيد، والمرأة تموت في نفاسها شهيدة، وصاحب الهدم شهيد**». وجاء ذكر غير هؤلاء.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٤/٢٨٨ ـ ٢٨٩).

وركوب البحر للتجارة جائز إذا غلب على الظن السلامة. وأما بدون ذلك فليس له أن يركبه للتجارة، فإن فعل فقد أعان على قتل نفسه، ومثل هذا لا يقال: إنه شهيد، والله أعلم[1].

● **وسئل - رحمه الله -:**

عن امرأة نصرانية، بعلها مسلم: توفيت وفي بطنها جنين له سبعة أشهر. فهل تدفن مع المسلمين؟ أو مع النصارى؟

فأجاب: لا تدفن في مقابر المسلمين، ولا مقابر النصارى؛ لأنه اجتمع مسلم، وكافر، فلا يدفن الكافر مع المسلمين، ولا المسلم مع الكافرين، بل تدفن منفردة، ويجعل ظهرها إلى القبلة؛ لأن وجه الطفل إلى ظهرها، فإذا دفنت كذلك كان وجه الصبي المسلم مستقبل القبلة، والطفل يكون مسلمًا بإسلام أبيه، وإن كانت أمه كافرة باتفاق العلماء[2].

● **وسئل - رحمه الله -:**

عن تلقين الميت في قبره بعد الفراغ من دفنه، هل صح فيه حديث عن النبي ﷺ، أو صحابته؟ وهل إذا لم يكن فيه شيء يجوز فعله؟ أم لا؟

● **فأجاب:** هذا التلقين المذكور قد نقل عن طائفة من الصحابة: أنهم أمروا به، كأبي أمامة الباهلي، وغيره. وروي فيه حديث عن النبي ﷺ، لكنه مما لا يحكم بصحته، ولم يكن كثير من الصحابة يفعل ذلك، فلهذا قال الإمام أحمد، وغيره من العلماء: إن هذا التلقين لا بأس به، فرخصوا فيه،

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٤/ ٢٩٣).

(٢) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٤/ ٢٩٥ - ٢٩٦).

ولم يأمروا به. واستحبه طائفة من أصحاب الشافعي، وأحمد، وكرهه طائفة من العلماء من أصحاب مالك، وغيرهم.

والذي في «السنن» عن النبي ﷺ: أنه كان يقوم على قبر الرجل من أصحابه إذا دفن، ويقول: «**سلوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل**»، وقد ثبت في «الصحيحين» أن النبي ﷺ قال: «**لقنوا أمواتكم لا إله إلا اللَّه**». فتلقين المحتضر سنة، مأمور بها.

وقد ثبت أن المقبور يسأل، ويمتحن، وأنه يؤمر بالدعاء له؛ فلهذا قيل: إن التلقين ينفعه، فإن الميت يسمع النداء. كما ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنه ليسمع قرع نعالهم**» وأنه قال: «**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**»، وأنه أمرنا بالسلام على الموتى. فقال: «**ما من رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد اللَّه روحه حتى يرد عليه السلام**». واللَّه أعلم[١]، [٢].

● **وسئل ـ رحمه اللَّه ـ:**

هل يجب تلقين الميت بعد دفنه؟ أم لا؟ وهل القراءة تصل إلى الميت؟

● **فأجاب:** تلقينه بعد موته ليس واجبًا، بالإجماع. ولا كان من عمل المسلمين المشهور بينهم على عهد النبي ﷺ، وخلفائه. بل ذلك مأثور عن طائفة من الصحابة، كأبي أمامة، وواثلة بن الأسقع.

فمن الأئمة من رخص فيه كالإمام أحمد، وقد استحبه طائفة من

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٤/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧).

(٢) هذا القول قول مرجوح، وقد ذكرناه هنا من باب الأمانة العلمية... وهدي رسول اللَّه ﷺ أولى.

أصحابه، وأصحاب الشافعي. ومن العلماء من يكرهه لاعتقاده أنه بدعة. فالأقوال فيه ثلاثة: الاستحباب، والكراهة، والإباحة، وهذا أعدل الأقوال[1].

فأما المستحب الذي أمر به وحض عليه النبي ﷺ فهو الدعاء للميت.

وأما القراءة على القبر فكرهها أبو حنيفة، ومالك، وأحمد في إحدى الروايتين. ولم يكن يكرهها في الأخرى. وإنما رخص فيها؛ لأنه بلغه ان ابن عمر أوصى أن يقرأ عند قبره بفواتح البقرة، وخواتيمها. وروي عن بعض الصحابة قراءة سورة البقرة. فالقراءة عند الدفن مأثورة في الجملة، وأما بعد ذلك فلم ينقل فيه أثر والله أعلم[2].

• **وسئل:**

هل يشرع تلقين الميت الكبير والصغير؟ أو لا؟

• **فأجاب:** وأما تلقين الميت فقد ذكره طائفة من الخراسانيين من أصحاب الشافعي، واستحسنوه أيضًا. ذكره المتولي. والرافعي، وغيرهما. وأما الشافعي نفسه فلم ينقل عنه فيه شيء.

ومن الصحابة من كان يفعله: كأبي أمامة الباهلي، وواثلة بن الأسقع وغيرهما من الصحابة.

ومن أصحاب أحمد من استحبه. والتحقيق أنه جائز، وليس بسنة راتبة والله أعلم.

---

(١) هذا خلاف الأولى. وإذا أتى نهر الله بطل نهر معقل... وهدي رسول الله ﷺ أكمل الهدي وأتمه.

(٢) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٢٤/٢٧٩ ـ ٢٩٨).

● **وسئل :**

عن الختمة التي تعمل على الميت، والمقرئين بالأجرة. هل قراءتهم تصل إلى الميت؟ وطعام الختمة يصل إلى الميت؟ أم لا؟ وإن كان ولد الميت يداين لأجل الصدقة إلى الميسور: تصل إلى الميت؟

● **فأجاب:** استئجار الناس ليقرءوا. ويهدوه إلى الميت، ليس بمشروع، ولا استحبه أحد من العلماء، فإن القرآن الذي يصل ما قرئ للَّه. فإذا كان قد استؤجر للقراءة للَّه، والمستأجر لم يتصدق عن الميت، بل استأجر من يقرأ عبادة للَّه عز وجل لم يصل إليه.

لكن إذا تصدق عن الميت على من يقرأ القرآن، أو غيرهم: ينفعه ذلك باتفاق المسلمين. وكذلك من قرأ القرآن محتسبًا، وأهداه إلى الميت نفعه ذلك، واللَّه أعلم[١] .

● **وسئل :**

عن جعل المصحف عند القبر، ووقيد قنديل في موضع يكون من غير أن يقرأ فيه، مكروه أم لا؟

● **فأجاب:** وأما جعل المصحف عند القبور، وإيقاد القناديل هناك، فهذا مكروه منهي عنه، ولو كان قد جعل للقراءة فيه هنالك، فكيف إذا لم يقرأ فيه، فإن النبي ﷺ قال: «**لعن اللَّه زوارات القبور، والمتخذين عليها المساجد، والسرج**»، فإيقاد السرج من قنديل وغيره على القبور منهي عنه، مطلقًا؛ لأنه أحد الفعلين اللذين لعن رسول اللَّه ﷺ من يفعلهما.

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٤/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠).

كما قال: **«لا يخرج الرجلان يضربان الغائط، كاشفين عن عوراتهما يتحدثان، فإن الله يمقت على ذلك»** رواه أبو داود وغيره. ومعلوم أنه ينهي عن كشف العورة وحده، وعن التحدث وحده، وكذلك قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا** ﴾ فتوعد على مجموع أفعال، وكل فعل منها محرم.

وذلك لأن ترتيب الذم على المجموع، يقتضي أن كل واحد له تأثير في الذم، ولو كان بعضها مباحًا لم يكن له تأثير في الذم. والحرام، لا يتوكد بانضمام المباح المخصص إليه.

والأئمة قد تنازعوا في القراءة عند القبر: فكرهها أبو حنيفة، ومالك، وأحمد في أكثر الروايات، ورخص فيها في الرواية الأخرى عنه: هو طائفة من أصحاب أبي حنيفة، وغيرهم.

وأما جعل المصاحب عند القبور لمن يقصد قراءة القرآن هناك، وتلاوته، فبدعة منكرة، لم يفعلها أحد من السلف. بل هي تدخل في معنى: «اتخاذ المساجد على القبور»، وقد استفاضت السنن عن النبي ﷺ [في النهي] عن ذلك، حتى قال: **«لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»** يحذر ما صنعوا. قالت عائشة ﵂: ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن كره أن يتخذ مسجدًا. وقال: **«إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد. فأني أنهاكم عن ذلك»**. ولا نزاع بين السلف والأئمة في النهي عن اتخاذ القبور مساجد.

ومعلوم أن المساجد بنيت للصلاة والذكر، وقراءة القرآن، فإذا اتخذ القبر

لبعض ذلك كان داخلاً في النهي، فإذا كان هذا مع كونهم يقرءون فيها، فكيف إذا جعلت المصاحف بحيث لا يقرأ فيها؟ ولا ينتفع بها لا حي ولا ميت. فإن هذا لا نزاع في النهي عنه.

ولو كان الميت ينتفع بمثل ذلك لفعله السلف، فإنهم كانوا أعلم بما يحبه اللَّه ويرضاه، وأسرع إلى فعل ذلك، وتحريه[1] .

● **وسئل :**

عن الميت هل يجوز نقله. أم لا؟ وأرواح الموتى هل تجتمع بعضها ببعض، أم لا؟ وروح الميت هل تنزل في القبر، أم لا؟ ويعرف الميت من يزوره، أم لا؟

● **فأجاب:** الحمد للَّه. لا ينبش الميت من قبره، إلا لحاجة. مثل أن يكون المدفن الأول فيه ما يؤذي الميت، فينقل إلى غيره، كما نقل بعض الصحابة في مثل ذلك.

وأرواح الأحياء إذا قبضت تجتمع بأرواح الموتى، ويسأل الموتى القادم عليهم عن حال الأحياء فيقولون: ما فعل فلان؟ فيقولون: فلان تزوج. فلان على حال حسنة. ويقولون: ما فعل فلان؟ فيقول: ألم يأتكم؟ فيقولون: لا. ذهب به إلى أمه الهاوية.

وأما أرواح الموتى فتجتمع: الأعلى ينزل إلى الأدنى، والأدنى لا يصعد إلى الأعلى. والروح تشرف على القبر، وتعاد إلى اللحد أحيانًا. كما قال النبي ﷺ: **«ما من رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا، فيسلم عليه، إلا رد اللَّه عليه روحه، حتى يرد عليه السلام»**.

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٤/ ٣٠٠ ـ ٣٠٢).

والميت قد يعرف من يزوره، ولهذا كانت السنة أن يقال: «**السلام عليكم، أهل دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء اللَّه بكم لاحقون. ويرحم اللَّه المستقدمين منا ومنكم. والمستأخرين**». واللَّه أعلم[1] .

● **وسئل ـ رحمه اللَّه ـ:**

عن قوم لهم تربة: وهي في مكان منقطع، وقتل فيها قتيل، وقد بنوا لهم تربة أخرى، هل يجوز نقل موتاهم إلى التربة المستجدة؟ أم لا؟

● **فأجاب:** لا ينبش الميت لأجل ما ذكر. واللَّه أعلم[2] .

● **وسئل:**

عما يقوله بعض الناس: إن للَّه ملائكة ينقلون من مقابر المسلمين إلى مقابر اليهود، والنصارى، وينقلون من مقابر اليهود والنصارى إلى مقابر المسلمين. مقصودهم أن من ختم له بشر في علم اللَّه، وقد مات في الظاهر مسلمًا، أو كان كتابيًّا وختم له بخير، فمات مسلمًا في علم اللَّه، وفي الظاهر مات كافرًا فهؤلاء ينقلون. فهل ورد في ذلك خبر أم لا؟ وهل لذلك حجة أم لا؟

● **فأجاب:** الحمد للَّه. أما الأجساد فإنها لا تنقل من القبور، لكن نعلم أن بعض من يكون ظاهره الإسلام، ويكون منافقًا، إما يهوديًّا، أو نصرانيًّا، أو مرتدًا معطلاً. فمن كان كذلك فإنها يكون يوم القيامة مع نظرائه. كما قال تعالى: ﴿**احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ**﴾ أي: أشباههم، ونظراءهم. وقد يكون في بعض من مات، وظاهره كافرًا، أن يكون آمن باللَّه، قبل أن

---

(١) المصدر السابق ص(٣٠٣ ـ ٣٠٤).

(٢) المصدر السابق ص(٣٠٤).

يغرغر، ولم يكن عنده مؤمن، وكتم أهله ذلك، إما لأجل ميراث، أو لغير ذلك، فيكون مع المؤمنين، وإن كان مقبورًا مع الكفار.

وأما الأثر في نقل الملائكة، فما سمعت في ذلك أثرًا[1].

● **وسئل ـ رحمه الله ـ:**

هل الميت يسمع كلام زائره، ويرى شخصه؟ وهل تعاد روحه إلى جسده في ذلك الوقت، أم تكون ترفرف على قبره في ذلك الوقت وغيره؟ وهل تصل إليه القراءة والصدقة من ناحليه وغيرهم، سواء كان من المال الموروث عنه وغيره؟ وهل تجمع روحه مع أرواح أهله وأقاربه الذين ماتوا قبله، سواء كان مدفونًا قريبًا منهم أو بعيدًا؟ وهل تنقل روحه إلى جسده في ذلك الوقت، أو يكون بدنه إذا مات في بلد بعيد؟ ودفن بها ينقل إلى الأرض التي ولد بها، وهل يتأذى ببكاء أهله عليه؟ والمسئول من أهل العلم رضي الله عنهم الجواب عن هذه الفصول ـ فصلاً فصلاً ـ جوابًا واضحًا، مستوعبًا لما ورد فيه من الكتاب والسنة، وما نقل فيه عن الصحابه رضي الله عنهم، وشرح مذاهب الأئمة والعلماء: أصحاب المذاهب، واختلافهم، وما الراجح من أقوالهم، مأجورين إن شاء الله تعالى.

● **فأجاب:** الحمد لله رب العالمين. نعم! يسمع الميت في الجملة، كما ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «**يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه**». وثبت عن النبي ﷺ: «**أنه ترك قتلى بدر ثلاثًا، ثم أتاهم فقال: يا أبا جهل بن هشام! يا أمية بن خلف! يا عتبة بن ربيعة! يا شيبة بن ربيعة! هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقًا**» فسمع عمر رضي الله عنه ذلك فقال: يا رسول الله! كيف يسمعون، وأنى يجيبون، وقد

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٤/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥).

جيفوا؟! فقال: «**والذي نفسي بيده! ما أنت بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا**» ثم أمر بهم فسحبوا في قليب بدر، وكذلك في «الصحيحين» عن عبد اللَّه بن عمر أن النبي ﷺ وقف على قليب بدر فقال: «**هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا؟** وقال: **إنهم يسمعون الآن ما أقول**».

وقد ثبت عنه في «الصحيحين» من غير وجه أنه كان يأمر بالسلام على أهل القبور. ويقول: « **قولوا السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء اللَّه بكم لاحقون، ويرحم اللَّه المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، نسأل اللَّه لنا ولكم العافية، اللَّهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم، واغفر لنا ولهم**» فهذا خطاب لهم، وإنما يخاطب من يسمع. وروى بن عبد البر عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من رجل يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد اللَّه عليه روحه حتى يرد عليه السلام**».

وفي «السنن» عنه أنه قال: «**أكثروا من الصلاة عليّ يوم الجمعة، وليلة الجمعة، فإن صلاتكم معروضة عليّ**، فقالوا: يا رسول اللَّه! وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ ـ يعني: صرت رميمًا ـ فقال: «**إن اللَّه تعالى حرم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء**»، وفي «السنن» أنه قال: «**إن اللَّه وكل بقبري ملائكة يبلغوني عن أمتي السلام**».

فهذه النصوص وأمثالها تبين أن الميت يسمع في الجملة كلام الحي ولا يجب أن يكون السمع له دائمًا، بل قد يسمع في حال دون حال كما قد يعرض للحي فإنه قد يسمع أحيانًا خطاب من يخاطبه، وقد لا يسمع لعارض يعرض له، وهذا السمع سمع إدراك، ليس يترتب عليه جزاء، ولا هو السمع المنفي بقوله: ﴿ **إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ** ﴾ فإن المراد بذلك سمع القبول والامتثال.

فإن اللَّه جعل الكافر كالميت الذي لا يستجيب لمن دعاه، وكالبهائم التي تسمع الصوت، ولا تفقه المعنى. فالميت وإن سمع الكلام وفقه المعنى فإنه لا يمكنه إجابة الداعي، ولا امتثال ما أمر به، ونهى عنه، فلا ينتفع بالأمر والنهي. وكذلك الكافر لا ينتفع بالأمر والنهي، وإن سمع الخطاب، وفهم المعنى. كما قال تعالى: ﴿**وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ**﴾.

وأما رؤية الميت: فقد روي في ذلك آثار عن عائشة وغيرها.

وأما قول القائل: هل تعاد روحه إلى بدنه ذلك الوقت، أم تكون ترفرف على قبره في ذلك الوقت وغيره؟ فإن روحه تعاد إلى البدن في ذلك الوقت. كما جاء في الحديث. وتعاد أيضًا في غير ذلك. وأرواح المؤمنين في الجنة كما في الحديث الذي رواه النسائي، ومالك والشافعي، وغيرهم: «**أن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه اللَّه إلى جسده يوم يبعثه**» وفي لفظ: «**ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش**»، ومع ذلك فتتصل بالبدن متى شاء اللَّه، وذلك في اللحظة بمنزلة نزول الملك، وظهور الشعاع في الأرض، وانتباه النائم.

وهذا جاء في عدة آثار، أن الأرواح تكون في أفنية القبور، قال مجاهد: الأرواح تكون على أفنية القبور سبعة أيام من يوم دفن الميت لا تفارقه، فهذا يكون أحيانًا، وقال مالك بن أنس: بلغني أن الأرواح مرسلة، تذهب حيث شاءت. واللَّه أعلم.

● وأما «القراءة، والصدقة» وغيرهما من أعمال البر، فلا نزاع بين علماء السنة والجماعة في وصول ثواب العبادات المالية، كالصدقة والعتق، كما يصل إليه أيضًا الدعاء والاستغفار، والصلاة عليه صلاة الجنازة، والدعاء عند قبره.

وتنازعوا في وصول الأعمال البدنية: كالصوم، والصلاة، والقراءة. والصواب أن الجميع يصل إليه، فقد ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «**من مات وعليه صيام صام عنه وليه**» وثبت أيضًا: «أنه أمر امرأة ماتت أمها، وعليها صوم، أن تصوم عن أمها». وفي المسند عن النبي ﷺ أنه قال لعمرو بن العاص: «**لو أن أباك أسلم فتصدقت عنه، أو صمت، أو أعتقت عنه، نفعه ذلك**» وهذا مذهب أحمد، وأبي حنيفة، وطائفة من أصحاب مالك، والشافعي.

وأما احتجاج بعضهم بقوله تعالى: ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلا مَا سَعَىٰ**﴾ فيقال له قد ثبت بالسنة المتواترة وإجماع الأمة: أنه يصلى عليه، ويدعى له، ويستغفر له. وهذا من سعي غيره. وكذلك قد ثبت ما سلف من أنه ينتفع بالصدقة عنه، والعتق، وهو من سعي غيره. وما كان من جوابهم في موارد الإجماع فهو جواب الباقين في مواقع النزاع. وللناس في ذلك أجوبة متعددة.

لكن الجواب المحقق في ذلك أن اللَّه تعالى لم يقل: إن الإنسان لا ينتفع إلا بسعي نفسه، وإنما قال: ﴿**لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلا مَا سَعَىٰ**﴾ فهو لا يملك إلا سعيه، ولا يستحق غير ذلك. وأما سعي غيره فهو له، كما أن الإنسان لا يملك إلا مال نفسه، ونفع نفسه. فمال غيره ونفع غيره هو كذلك للغير؛ لكن إذا تبرع له الغير بذلك جاز[1] .

---

(١) هذا مذهب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في «النيابة في النيّات »وفي إهداء ثواب العبادة للأموات وهو مذهب مرجوح والأدلة والنصوص التي ساقها لا تنهض للاستدلال على جواز إهداء الثواب إلى الميت في كل العبادات وقول الشافعي أقوى وأرجح وأولى، وفتوى اللجنة الدائمة في هذه المسألة تخالف فتوى شيخ الإسلام ابن =

وهكذا هذا إذا تبرع له الغير بسعيه نفعه اللَّه بذلك، كما ينفعه بدعائه له، والصدقة عنه، وهو ينتفع بكل ما يصل إليه من كل مسلم، سواء كان من أقاربه، أو غيرهم، كما ينتفع بصلاة المصلين عليه ودعائهم له عند قبره.

● وأما قوله: هل تجتمع روحه مع أرواح أهله وأقاربه؟ ففي الحديث عن أبي أيوب الأنصاري وغيره من السلف، ورواه أبو حاتم في «الصحيح» عن النبي ﷺ: «**إن الميت إذا عرج بروحه تلقته الأرواح يسألونه عن الأحياء، فيقول بعضهم لبعض: دعوه حتى يستريح، فيقولون له: ما فعل فلان؟ فيقول: عمل عمل صلاح، فيقولون: ما فعل فلان؟ فيقول: ألم يقدم عليكم؟! فيقولون: لا، فيقولون: ذهب به إلى الهاوية**». ولما كانت أعمال الأحياء تعرض على الموتى، كان أبو الدرداء يقول: «اللَّهم إني أعوذ بك أن أعمل عملاً أخزى به عند عبد اللَّه بن رواحة». فهذا اجتماعهم عند قدومه يسألونه فيجيبهم.

● وأما استقرارهم فبحسب منازلهم عند اللَّه، فمن كان من المقربين كانت منزلته أعلى من منزلة من كان من أصحاب اليمين؛ لكن الأعلى ينزل إلى الأسفل، والأسفل لا يصعد إلى الأعلى، فيجتمعون إذا شاء اللَّه، كما يجتمعون في الدنيا مع تفاوت منازلهم، ويتزاورون.

وسواء كانت المدافن متباعدة في الدنيا، أو متقاربة. قد تجتمع الأرواح مع تباعد المدافن، وقد تفترق مع تقارب المدافن، يدفن المؤمن عند الكافر، وروح هذا في الجنة وروح هذا في النار، والرجلان يكونان جالسين أو نائمين

= تيمية. ولقد سقنا فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية للأمانة العلمية.

وتفصيل القول في «النيابة في النيات» في «نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان» ج٢ ص(٨٧ ـ ١٠٨) نقلاً من كتاب «مقاصد المكلفين» للشيخ عمر سليمان الأشقر فارجع إليه فإنه مهم في بابه.

في موضع واحد، وقلب هذا ينعم، وقلب هذا يعذب. وليس بين الروحين اتصال. فالأرواح كما قال النبي ﷺ: «**جنود مجندة: فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**».

والبدن لا ينقل إلى موضع الولادة، بل قد جاء: «إن الميت يذر عليه من تراب حفرته» ومثل هذا لا يجزم به، ولا يحتج به. بل أجود منه حديث آخر فيه: «أنه ما من ميت يموت في غير بلده إلا قيس له من مسقط رأسه إلى منقطع أثره في الجنة». والإنسان يبعث من حيث مات، وبدنه في قبره مشاهد، فلا تدفع المشاهدة، بظنون لا حقيقة لها، بل هي مخالفة في العقل، والنقل.

● وأما قول السائل: هل يؤذيه البكاء عليه؟

فهذه مسألة فيها نزاع بين السلف والخلف والعلماء. والصواب أنه يتأذى بالبكاء عليه، كما نطقت به الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه** ـ وفي لفظ ـ: **من ينح عليه يعذب بما نيح عليه**»، وفي الحديث الصحيح أن عبد اللَّه بن رواحة لما أغمي عليه جعلت أخته تندب، وتقول: وا عضداه. وا ناصراه، فلما أفاق قال: ما قلت لي شيئًا إلا قيل لي: أكذلك أنت؟

وقد أنكر ذلك طوائف من السلف والخلف، واعتقدوا أن ذلك من باب تعذيب الإنسان بذنب غيره، فهو مخالف لقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ**﴾ ثم تنوعت طرقهم في تلك الأحاديث الصحيحة.

فمنهم من غلط الرواة لها، كعمر بن الخطاب وغيره، وهذه طريقة عائشة، والشافعي وغيرهما.

ومنهم من حمل ذلك على ما إذا أوصى به فيعذب على إيصائه، وهو قول طائفة: كالمزني، وغيره.

ومنهم من حمل ذلك على ما إذا كانت عادتهم، فيعذب على ترك النهي عن المنكر، وهو اختيار طائفة: منهم جدي أبو البركات. وكل هذه الأقوال ضعيفة جدًّا.

والأحاديث الصحيحة الصريحة التي يرويها مثل عمر بن الخطاب، وابنه عبد اللَّه، وأبي موسى الأشعري، وغيرهم لا ترد بمثل هذا. وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها لها مثل هذا نظائر ترد الحديث بنوع من التأويل والاجتهاد لاعتقادها بطلان معناه، ولا يكون الأمر كذلك. ومن تدبر هذا الباب وجد هذا الحديث الصحيح الصريح الذي يرويه الثقة لا يرده أحد بمثل هذا إلا كان مخطئًا.

وعائشة رضي الله عنها روت عن النبي صلى الله عليه وسلم لفظين - وهي الصادقة فيما نقلته - فروت عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «**ان اللَّه ليزيد الكافر عذابًا ببكاء أهله عليه**» وهذا موافق لحديث عمر، فإنه إذا جاز أن يزيده عذابًا ببكاء أهله، جاز أن يعذب غيره ابتداء ببكاء أهله؛ ولهذا رد الشافعي في مختلف الحديث هذا الحديث نظرًا إلى المعنى. وقال: الأشبه روايتها الأخرى: «**إنهم يبكون عليه، وإنه ليعذب في قبره**».

والذين أقروا هذا الحديث على مقتضاه، ظن بعضهم أن هذا من باب عقوبة الإنسان بذنب غيره، وإن اللَّه يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد. واعتقد هؤلاء أن اللَّه يعاقب الإنسان بذنب غيره، فجوزوا أن يدخلوا أولاد الكفار النار بذنوب آبائهم. وهذا وإن كان قد قاله طوائف منتسبة إلى السنة، فالذي دل عليه الكتاب والسنة أن اللَّه لا يدخل النار إلا من عصاه. كما

قال: ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فلا بد أن يملأ جهنم من أتباع إبليس، فإذا امتلأت لم يكن لغيرهم فيها موضع. فمن لم يتبع إبليس لم يدخل النار.

وأطفال الكفار أصح الأقوال فيهم: أن يقال فيهم: اللَّه أعلم بما كانوا عاملين. كما قد أجاب بذلك النبي ﷺ في الحديث الصحيح. فطائفة من أهل السنة وغيرهم قالوا: إنهم كلهم في النار، واختار ذلك القاضي أبو يعلى، وغيره، وذكر أنه منصوص عن أحمد، وهو غلط على أحمد. وطائفة جزموا أنهم كلهم في الجنة، واختار ذلك أبو الفرج بن الجوزي، وغيره، واحتجوا بحديث فيه رؤيا النبي ﷺ «لما رأى إبراهيم الخليل، وعنده أطفال المؤمنين، قيل: يا رسول اللَّه! وأطفال المشركين؟ قال: «**وأطفال المشركين**».

والصواب أن يقال فيهم: اللَّه أعلم بما كانوا عاملين، ولا يحكم لمعين منهم بجنة ولا نار، وقد جاء في عدة أحاديث أنهم يوم القيامة في عرصات القيامة يؤمرون وينهون، فمن أطاع دخل الجنة، ومن عصى دخل النار، وهذا هو الذي ذكره أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة والجماعة.

والتكليف إنما ينقطع بدخول دار الجزاء وهي الجنة والنار، وأما عرصات القيامة فيمتحنون فيها كما يمتحنون في البرزخ، فيقال لأحدهم: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وقال تعالى: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ**﴾ وقد ثبت في «الصحيح» من غير وجه عن النبي ﷺ أنه قال: «**يتجلى اللَّه لعباده في الموقف، إذا قيل: ليتبع كل قوم ما كانوا**

يعبدون، فيتبع المشركون آلهتهم، وتبقى المؤمنون فيتجلى لهم الرب الحق في غير الصورة التي كانوا يعرفون فينكرونه، ثم يتجلى لهم في الصورة التي يعرفون، فيسجد له المؤمنون، وتبقى ظهور المنافقين كقرون البقر، فيريدون أن يسجدوا فلا يستطيعون. وذلك قوله:﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ الآية». والكلام على هذه الأمور مبسوط في غير هذا الموضع.

والمقصود ههنا أن اللَّه لا يعذب أحدًا في الآخرة إلا بذنبه، وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى، وقوله: «**إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه**» ليس فيه أن النائحة لا تعاقب، بل النائحة تعاقب على النياحة، كما في الحديث الصحيح: «**أن النائحة إذا لم تتب قبل موتها تلبس يوم القيامة درعا من جرب وسربالاً من قطران**»، فلا يحمل عمن ينوح وزره أحد.

وأما تعذيب الميت: فهو لم يقل: إن الميت يعاقب ببكاء أهله عليه. بل قال: «**يعذب**»، والعذاب: أعم من العقاب، فإن العذاب: هو الألم، وليس كل من تألم بسبب كان ذلك عقابًا له على ذلك السبب، فإن النبي ﷺ قال: «**السفر قطعة من العذاب، يمنع أحدكم طعامه وشرابه**» فسمى السفر عذابًا، وليس هو عقابًا على ذنب.

والإنسان يعذب بالأمور المكروهة التي يشعر بها، مثل الأصوات الهائلة، والأرواح الخبيثة، والصور القبيحة، فهو يتعذب بسماع هذا وشم هذا، ورؤية هذا، ولم يكن ذلك عملاً له عوقب عليه، فكيف ينكر أن يعذب الميت بالنياحة وإن لم تكن النياحة عملاً له. يعاقب عليه؟

والإنسان في قبره يعذب بكلام بعض الناس، ويتألم برؤية بعضهم، وبسماع كلامه. ولهذا أفتى القاضي أبو يعلى: بأن الموتى إذا عمل عندهم المعاصي فإنهم يتألمون بها، كما جاءت بذلك الآثار، فتعذبهم بعمل المعاصي

عند قبورهم كتعذيبهم بنياحة من ينوح عليهم. ثم النياحة سبب العذاب.

وقد يندفع حكم السبب بما يعارضه، فقد يكون الميت من قوة الكرامة ما يدفع عنه من العذاب، كما يكون في بعض الناس من القوة ما يدفع ضرر الأصوات الهائلة، والأرواح والصور القبيحة.

وأحاديث الوعيد يذكر فيها السبب. وقد يتخلف موجبه لموانع تدفع ذلك: إما بتوبة مقبولة، وإما بحسنات ماحية، وإما بمصائب مكفرة، وإما بشفاعة شفيع مطاع، وإما بفضل اللَّه ورحمته ومغفرته، فإنه: ﴿**لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ .

وما يحصل للمؤمن في الدنيا والبرزخ والقيامة من الألم التي هي عذاب، فإن ذلك يكفر اللَّه به خطاياه، كما ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب، ولا هم ولا حزن، ولا أذى، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر اللَّه بها من خطاياه**» .

وفي المسند لما نزلت هذه الآية: ﴿**مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ**﴾ قال أبو بكر: يا رسول اللَّه! جاءت قاصمة الظهر، وأينا لم يعمل سوءًا؟! فقال: «**يا أبا بكر! ألست تحزن؟! ألست يصيبك الأذى؟!**»، فإن الجنة طيبة لا يدخلها إلا طيب. كما قال تعالى: ﴿**طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**﴾ . وفي الحديث الصحيح: «أنهم إذا عبروا على الصراط، وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة. والكلام في هذه المسألة مبسوط في غير هذا الجواب، واللَّه أعلم بالصواب.

وما ذكرنا في أن الموتى يسمعون الخطاب، ويصل إليهم الثواب، ويعذبون بالنياحة، بل وما لم يسأل عنه السائل من عقابهم في قبورهم وغير

ذلك، فقد يكشف لكثير من أبناء زماننا يقظة ومنامًا، ويعلمون ذلك، ويتحققونه، وعندنا من ذلك أمور كثيرة، لكن الجواب في المسائل العلمية يعتمد فيه على ما جاء به الكتاب والسنة، فإنه يجب على الخلق التصديق به، وما كشف للإنسان من ذلك، أو أخبره به من هو صادق عنده، فهذا ينتفع به من علمه، ويكون ذلك مما يزيده إيمانًا وتصديقًا بما جاءت به النصوص، ولكن لا يجب على جميع الخلق الإيمان بغير ما جاءت به الأنبياء، فإن اللَّه عز وجل أوجب التصديق بما جاءت به الأنبياء، كما في قوله تعالى: ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ**﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿**وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ**﴾ الآية. وقد ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «**قد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فعمر**».

فالمحدث الملهم المكاشف من هذه الأمة يجب عليه أن يزن ذلك بالكتاب والسنة، فإن وافق ذلك صدق ما ورد عليه، وإن خالف لم يلتفت إليه. كما كان يجب على عمر رضي الله عنه وهو سيد المحدثين إذا أُلقي في قلبه شيء، وكان مخالفًا للسنة لم يقبل منه، فإنه ليس معصومًا، وإنما العصمة للنبوة.

ولهذا كان الصديق أفضل من عمر، فإن الصديق لا يتلقى من قلبه، بل من مشكاة النبوة، وهي معصومة، والمحدث يتلقى تارة عن قلبه، وتارة عن النبوة، فما تلقاه عن النبوة فهو معصوم يجب اتباعه، وما ألهم في قلبه: فإن وافق ما جاءت به النبوة فهو حق، وإن خالف ذلك فهو باطل.

فلهذا لا يعتمد أهل العلم والإيمان في مثل مسائل العلم والدين إلا على نصوص الكتاب والسنة، وإجماع الأئمة، وإن كان عندهم في بعض ذلك

شواهد وبينات مما شاهدوه ووجدوه، ومما عقلوه وعملوه، وذلك ينتفعون به هم في أنفسهم، وأما حجة اللَّه تعالى على عباده فهم رسله، وإلا فهذه المسائل فيها من الدلائل والاعتبارات العقلية والشواهد الحسية الكشفية ما ينتفع به من وجد ذلك، وقياس بني آدم وكشفهم تابع لما جاءت به الرسل عن اللَّه تعالى، فالحق في ذلك موافق لما جاءت به الرسل عن اللَّه تعالى لا مخالف له، ومع كونه حقًا فلا يفصل الخلاف بين الناس، ولا يجب على من لم يحصل له ذلك التصديق به، كما يجب التصديق بما عرف أنه معصوم، وهو كلام الأنبياء صلوات اللَّه وسلامه عليهم.

ولكن من حصل له في مثل هذه الأمور بصيرة أو قياس أو برهان كان ذلك نورًا على نور. قال بعض السلف: بصيرة المؤمن تنطق بالحكمة، وإن لم يسمع فيها بأثر. فإذا جاء الأثر كان نورًا على نور ﴿**وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ**﴾، قال تعالى: ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ (١).

- **وسئل ـ رحمه اللَّه ـ :**

هل يتكلم الميت في قبره؟ أم لا؟

- **فأجاب**: يتكلم، وقد يسمع أيضًا من كلمه، كما ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنهم يسمعون قرع نعالهم**» وثبت عنه في

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٤/ ٣٧٨).

الصحيح «أن الميت يسأل في قبره: فيقال له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيثبت اللَّه المؤمن بالقول الثابت، فيقول: اللَّه ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبيي، ويقال له: ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: المؤمن هو عبد اللَّه ورسوله، جاءنا بالبينات والهدى، فآمنا به واتبعناه». وهذا تأويل قوله تعالى: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**﴾ وقد صح عن النبي ﷺ أنها نزلت في عذاب القبر.

وكذلك يتكلم المنافق فيقول: آه! آه! لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته، فيضرب بمرزبة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان.

وثبت عنه في «الصحيح» أنه قال: «**لولا أن لا تدافنوا لسألت اللَّه أن يسمعكم من عذاب القبر مثل الذي أسمع**». وثبت عنه في «الصحيح» أنه نادى المشركين يوم بدر لما ألقاهم في القليب، وقال: «**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**» والآثار في هذا كثيرة منتشرة. واللَّه أعلم[1].

● **وسئل:**

عما يتعلق بالتعزية؟

● **فأجاب:** التعزية مستحبة، ففي الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: «**من عزى مصابًا فله مثل أجره**». وأما قول القائل: ما نقص من عمره زاد في عمرك، فغير مستحب. بل المستحب أن يدعى له بما ينفع، مثل أن يقول: «أعظم اللَّه أجرك، وأحسن عزاك، وغفر لميتك».

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٤/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠).

وأما نقص العمر وزيادته، فمن الناس من يقول: إنه لا يجوز بحال، ويحمل ما ورد على زيادة البركة، والصواب أنه يحصل نقص وزيادة عما كتب في صحف الملائكة. وأما علم اللَّه القديم فلا يتغير.

وأما اللوح المحفوظ: فهل يغير ما فيه؟ على قولين. وعلى هذا يتفق ما ورد في هذا الباب من النصوص.

وأما صنعة الطعام لأهل الميت، فمستحبة كما قال النبي ﷺ: **«اصنعوا لآل جعفر طعامًا، فقد أتاهم ما يشغلهم»**. لكن إنما يطيب إذا كان بطيب نفس المهدي، وكان على سبيل المعاوضة، مثل أن يكون مكافأة عن معروف مثله، فإن علم الرجل أنه ليس بمباح لم يأكل منه، وإن اشتبه أمره فلا بأس بتناول اليسير منه إذا كان فيه مصلحة راجحة، مثل تأليف القلوب، ونحو ذلك. واللَّه أعلم.

• وسئل ـ رحمه اللَّه تعالى ـ:

عن قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ﴾ وقوله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» فهل يقتضي ذلك إذا مات لا يصل إليه شيء من أفعال البر؟

• **فأجاب:** الحمد للَّه رب العالمين. ليس في الآية، ولا في الحديث أن الميت لا ينتفع بدعاء الخلق له، وبما يعمل عنه من البر، بل أئمة الإسلام متفقون على انتفاع الميت بذلك، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام، وقد دل عليه الكتاب والسنة والإجماع، فمن خالف ذلك كان من أهل البدع.

قال اللَّه تعالى: **﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ**

وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾ . فقد أخبر سبحانه أن الملائكة يدعون للمؤمنين بالمغفرة، ووقاية العذاب، ودخول الجنة ودعاء الملائكة ليس عملاً للعبد.

وقال تعالى: ﴿**وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾ وقال الخليل عليه السلام: ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ**﴾، وقال نوح عليه السلام: ﴿**رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾ فقد ذكر استغفار الرسل للمؤمنين، أمرًا بذلك، وإخبارًا عنهم بذلك.

ومن السنن المتواترة التي من جحدها كفر: صلاة المسلمين على الميت، ودعاؤهم له في الصلاة، وكذلك شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة، فإن السنن فيها متواترة، بل لم ينكر شفاعته لأهل الكبائر إلا أهل البدع، بل قد ثبت أنه يشفع لأهل الكبائر، وشفاعته دعاؤه، وسؤاله الله تبارك وتعالى. فهذا وأمثاله من القرآن، والسنن المتواترة، وجاحد مثل ذلك كافر بعد قيام الحجة عليه.

والأحاديث الصحيحة في هذا الباب كثيرة، مثل ما في الصحاح عن بن عباس رضي الله عنهما «أن رجلا قال للنبي ﷺ: إن أمي توفيت، أفينفعها أن أتصدق عنها؟ قال: «**نعم!**»، قال: إن لي مخرفًا ـ أي: بستانًا ـ أشهدكم أني تصدقت به عنها».

وفي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها: «أن رجلا قال للنبي ﷺ: «إن أمي افتلتت نفسها، ولم توص، وأظنها لو تكلمت تصدقت، فهل لها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: «**نعم!**».

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه: « أن رجلا قال للنبي ﷺ: إن أبي مات ولم يوص، أينفعه إن تصدقت عنه؟ قال: «**نعم**».

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص: «إن العاص بن وائل نذر في الجاهلية أن يذبح مائة بدنة، وإن هشام بن العاص نحر حصته خمسين، وإن عمرًا سأل النبي ﷺ عن ذلك، فقال: **أما أبوك فلو أقر بالتوحيد فصمت عنه، أو تصدقت عنه نفعه ذلك**».

وفي «سنن الدارقطني»: «أن رجلا سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إن لي أبوان، وكنت أبرهما حال حياتهما، فكيف بالبر بعد موتهما؟ فقال النبي ﷺ: **إن من بعد البر أن تصلي لهما مع صلاتك، وأن تصوم لهما مع صيامك، وأن تصدق لهما مع صدقتك**».

وقد ذكر «مسلم» في أول كتابه عن أبي إسحاق الطالقاني، قال: قلت لعبد الله بن المبارك: يا أبا عبد الرحمن! الحديث الذي جاء «**إن البر بعد البر، أن تصلي لأبويك مع صلاتك، وتصوم لهما مع صيامك؟**» قال عبد الله: يا أبا إسحاق! عمن هذا؟ قلت له: هذا من حديث شهاب بن حراس، قال: ثقة، قلت: عمن؟ قال: عن الحجاج بن دينار. فقال: ثقة، عمن؟ قلت: عن رسول الله ﷺ قال: يا أبا إسحاق! إن بين الحجاج وبين رسول الله ﷺ مفاوز تقطع فيها أعناق المطي، ولكن ليس في الصدقة اختلاف. والأمر كما ذكره عبد الله بن المبارك، فإن هذا الحديث مرسل.

والأئمة اتفقوا على أن الصدقة تصل إلى الميت، وكذلك العبادات المالية: كالعتق.

وإنما تنازعوا في العبادات البدنية: كالصلاة، والصيام، والقراءة، ومع هذا ففي «الصحيحين». عن عائشة ﵂ عن النبي ﷺ قال: «**من مات وعليه صيام، صام عنه وليه**» وفي «الصحيحين» عن ابن عباس ﵄: «أن امرأة قالت: يا رسول اللَّه! إن أمي ماتت، وعليها صيام نذر، قال: «**أرأيت إن كان على أمك دين فقضيتيه، أكان يؤدي ذلك عنها؟** قالت: نعم، قال: «**فصومي عن أمك**».

وفي «الصحيح» عنه: «أن امرأة جاءت إلى رسول اللَّه ﷺ فقالت: إن أختي ماتت، وعليها صوم شهرين متتابعين. قال: **أرأيت لو كان على أختك دين أكنت تقضيه؟** قالت: نعم، قال: **فحق اللَّه أحق**». وفي «صحيح مسلم» عن عبد اللَّه بن بريدة بن حصيب عن أبيه: «أن امرأة أتت رسول اللَّه فقالت: إن أمي ماتت، وعليها صوم شهر. أفيجزي عنها أن أصوم عنها؟ قال: «**نعم**».

فهذه الأحاديث الصحيحة صريحة في أنه يصام عن الميت ما نذر، وأنه شبه ذلك بقضاء الدين.

والأئمة تنازعوا في ذلك، ولم يخالف هذه الأحاديث الصحيحة الصريحة من بلغته، وإنما خالفها من لم تبلغه، وقد تقدم حديث عمرو بأنهم إذا صاموا عن المسلم نفعه. وأما الحج فيجزي عند عامتهم، ليس فيه إلا اختلاف شاذ.

وفي «الصحيحين» عن ابن عباس ﵄: « إن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي نذرت أن تحج، فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ فقال: «**حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين، أكنت قاضيته عنها؟**

اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء». وفي رواية «البخاري»: « إن أختي نذرت أن تحج» وفي «صحيح مسلم» عن بريدة: « أن امرأة قالت: يا رسول الله! إن أمي ماتت، ولم تحج، أفيجزي - أو يقضي - أن أحج عنها، قال: «**نعم**».

ففي هذه الأحاديث الصحيحة: « أنه أمر بحج الفرض عن الميت وبحج النذر». كما أمر بالصيام .وأن المأمور تارة يكون ولدًا وتارة يكون أخًا، وشبه النبي ﷺ ذلك بالدين، يكون على الميت. والدين يصح قضاؤه من كل أحد، فدل على أنه يجوز أن يفعل ذلك من كل أحد، لا يختص ذلك بالولد. كما جاء مصرحًا به في الأخ.

فهذا الذي ثبت بالكتاب والسنة والإجماع علم مفصل مبين. فعلم أن ذلك لا ينافي قوله: ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ**﴾ «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث**»؛ بل هذا حق، وهذا حق.

أما الحديث فإنه قال: «**انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**» فذكر الولد، ودعاؤه له خاصين؛ لأن الولد من كسبه، كما قال: ﴿**مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ**﴾ قالوا: إنه ولده. وكما قال النبي ﷺ: « **إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه**». فلما كان هو الساعي في وجود الولد كان عمله من كسبه، بخلاف الأخ، والعم والأب، ونحوهم. فإنه ينتفع أيضًا بدعائهم، بل بدعاء الأجانب، لكن ليس ذلك من عمله. والنبي ﷺ قال: «**انقطع عمله إلا من ثلاث..**» لم يقل: إنه لم ينتفع بعمل غيره. فإذا دعا له ولده كان هذا من عمله الذي لم ينقطع، وإذا دعا له غيره لم يكن من عمله، لكنه ينتفع به.

وأما الآية فللناس عنها أجوبة متعددة. كما قيل: إنها تختص بشرع من

قبلنا، وقيل: إنها مخصوصة، وقيل: إنها منسوخة، وقيل: إنها تنال السعي مباشرة، وسببًا. والإيمان من سعيه الذي تسبب فيه. ولا يحتاج إلى شيء من ذلك، بل ظاهر الآية حق لا يخالف بقية النصوص. فإنه قال: ﴿ **لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ** ﴾ وهذا حق، فإنه إنما يستحق سعيه، فهو الذي يملكه ويستحقه. كما أنه إنما يملك من المكاسب ما اكتسبه هو. وأما سعي غيره فهو حق، وملك لذلك الغير، لا له، لكن هذا لا يمنع أن ينتفع بسعي غيره، كما ينتفع الرجل بكسب غيره.

فمن صلى على جنازة فله قيراط، فيثاب المصلي على سعيه الذي هو صلاته، والميت أيضًا يرحم بصلاة الحي عليه، كما قال: « **ما من مسلم يموت فيصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون أن يكونوا مائة**»، ويروى: **أربعين**، ويروى: **ثلاثة صفوف، ويشفعون فيه، إلا شفعوا فيه** ـ أو قال: **إلا غفر له ـ** » فاللَّه تعالى يثيب هذا الساعي على سعيه الذي هو له، ويرحم ذلك الميت بسعي هذا الحي لدعائه له، وصدقته عنه، وصيامه عنه، وحجه عنه.

وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: « **ما من رجل يدعو لأخيه دعوة إلا وكل اللَّه به ملكًا، كلما دعا لأخيه دعوة قال الملك الموكل به: آمين. ولك بمثله**» . فهذا من السعي الذي ينفع به المؤمن أخاه يثيب اللَّه هذا، ويرحم هذا. ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ** ﴾ وليس كل ما ينتفع به الميت، أو الحي، أو يُرحم به يكون من سعيه، بل أطفال المؤمنين يدخلون الجنة مع آبائهم بلا سعي، فالذي لم يجز إلا به أخص من كل انتفاع؛ لئلا يطلب الإنسان الثواب على غير عمله، وهو كالدين يوفيه الإنسان عن غيره، فتبرأ

ذمته، لكن ليس له ما وفى به الدين، وينبغي له أن يكون هو الموفي له، والله أعلم.

***

● وسئل - رحمه الله -:

ما تقول السادة الفقهاء وأئمة الدين - وفقهم الله تعالى لمرضاته - في القراءة للميت، هل تصل إليه؟ أم لا؟ والأجرة على ذلك؟

● **فأجاب**: الحمد لله رب العالمين. أما الصدقة عن الميت فإنه ينتفع بها باتفاق المسلمين، وقد وردت بذلك عن النبي ﷺ أحاديث صحيحة. مثل قول سعد: «يا رسول الله! إن أمي افتلتت نفسها، وأراها لو تكلمت تصدقت، فهل ينفعها أن أتصدق عنها؟ فقال: «نعم». وكذلك ينفعه الحج عنه، والأضحية عنه، والعتق عنه. والدعاء والاستغفار له بلا نزاع بين الأئمة.

وأما الصيام عنه وصلاة التطوع عنه، وقراءة القرآن عنه، فهذا فيه قولان للعلماء:

أحدهما: ينتفع به، وهو مذهب أحمد، وأبي حنيفة، وغيرهما. وبعض أصحاب الشافعي وغيرهم.

والثاني: لا تصل إليه، وهو المشهور في مذهب مالك والشافعي.

وأما الاستئجار لنفس القراءة، والإهداء، فلا يصح ذلك. فإن العلماء إنما تنازعوا في جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن، والأذان، والإمامة. والحج عن الغير؛ لأن المستأجر يستوفي المنفعة. فقيل: يصح لذلك، كما هو

المشهور من مذهب مالك، والشافعي. وقيل: لا يجوز، لأن هذه الأعمال يختص فاعلها يختص فاعلها أن يكون من أهل القربة فإنها إنما تصح من المسلم دون الكافر، فلا يجوز إيقاعها إلا على وجه التقرب إلى اللَّه تعالى. وإذا فعلت بعروض لم يكن فيها أجر بالاتفاق، لأن اللَّه إنما يقبل من العمل ما أريد به وجهه، لا ما فعل لأجل عروض الدنيا. وقيل: يجوز أخذ الأجرة عليها للفقير، دون الغني. وهو القول الثالث في مذهب أحمد، كما أذن اللَّه لولي اليتيم أن يأكل مع الفقر ويستغني مع الغنى. وهذا القول أقوى من غيره على هذا، فإذا فعلها الفقير للَّه، وإنما أخذ الأجرة لحاجته إلى ذلك، وليستعين بذلك على طاعة اللَّه، فاللَّه يأجره على نيته، فيكون قد أكل طيبًا، وعمل صالحًا.

وأما إذا كان لا يقرأ القرآن إلا لأجل العروض، فلا ثواب لهم على ذلك. وإذا لم يكن في ذلك ثواب. فلا يصل إلى الميت شيء؛ لأنه إنما يصل إلى الميت ثواب العمل، لا نفس العمل. فإذا تصدق بهذا المال على من يستحقه وصل ذلك إلى الميت، وإن قصد بذلك من يستعين على قراءة القرآن وتعليمه كان أفضل، وأحسن، فإن إعانة المسلمين بأنفسهم وأموالهم على تعلم القرآن وقراءته، وتعليمه من أفضل الأعمال.

وأما صنعة أهل الميت طعامًا يدعون الناس إليه فهذا غير مشروع وإنما هو بدعة، بل قد قال جرير بن عبد اللَّه: كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت، وصنعتهم الطعام للناس من النياحة.

وإنما المستحب إذا مات الميت أن يصنع لأهله طعام. كما قال النبي ﷺ لما جاء نعي جعفر بن أبي طالب: «**اصنعوا لآل جعفر طعامًا، فقد أتاهم ما يشغلهم**».

وأما القراءة الدائمة على القبور، فلم تكن معروفة عند السلف. وقد تنازع الناس في القراءة على القبر، فكرهها أبو حنيفة ومالك، وأحمد في أكثر الروايات عنه، ورخص فيها في الرواية المتأخرة، لما بلغه أن عبد اللَّه بن عمر أوصى أن يقرأ عند دفنه بفواتح البقرة، وخواتمها.

وقد نقل عن بعض الأنصار أنه أوصى عند قبره بالبقرة، وهذا إنما كان عند الدفن، فأما بعد ذلك فلم ينقل عنهم شيء من ذلك، ولهذا فرق في القول الثالث بين القراءة حين الدفن، والقراءة الراتبة بعد الدفن، فإن هذه بدعة لا يعرف لها أصل.

ومن قال: إن الميت ينتفع بسماع القرآن، ويؤجر على ذلك، فقد غلط؛ لأن النبي ﷺ قال: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**». فالميت بعد الموت لا يثاب على سماع، ولا غيره، وإن كان الميت يسمع قرع نعالهم، ويسمع سلام الذي يسلم عليه ويسمع غير ذلك، لكن لم يبق له عمل غير ما استثني.

● **وسئل:**

عمن يقرأ القرآن العظيم، أو شيئًا منه، هل الأفضل أن يهدي ثوابه لوالديه، ولموتى المسلمين؟ أو يجعل ثوابه لنفسه خاصة؟

● فأجاب: أفضل العبادات ما وافق هدي رسول اللَّه ﷺ، وهدي الصحابة، كما صح عن النبي ﷺ أنه كان يقول في خطبته: «**خير الكلام كلام اللَّه، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**».

وقال ﷺ: «**خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم**».

وقال ابن مسعود: من كان منكم مستنًا فليستن بمن قد مات؛ فإن الحي لا

تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد.

فإذا عرف هذا الأصل. فالأمر الذي كان معروفًا بين المسلمين في القرون المفضلة، أنهم كانوا يعبدون اللَّه بأنواع العبادات المشروعة، فرضها ونفلها، من الصلاة، والصيام، والقراءة، والذكر، وغير ذلك وكانوا يدعون للمؤمنين والمؤمنات، كما أمر اللَّه بذلك لأحيائهم، وأمواتهم، في صلاتهم على الجنازة، وعند زيارة القبور، وغير ذلك.

وروي عن طائفة من السلف عند كل ختمة دعوة مجابة، فإذا دعا الرجل عقيب الختم لنفسه، ولوالديه، ولمشائخه، وغيرهم من المؤمنين والمؤمنات، كان هذا من الجنس المشروع، وكذلك دعاؤه لهم في قيام الليل، وغير ذلك من مواطن الإجابة.

وقد صح عن النبي ﷺ : أنه أمر بالصدقة على الميت، وأمر أن يصام عنه الصوم. فالصدقة عن الموتى من الأعمال الصالحة، وكذلك ما جاءت به السنة في الصوم عنهم. وبهذا وغيره احتج من قال من العلماء إنه يجوز إهداء ثواب العبادات المالية، والبدنية إلى موتى المسلمين. كما هو مذهب أحمد، وأبي حنيفة، وطائفة من أصحاب مالك، والشافعي.

فاذا أهدى لميت ثواب صيام، أو صلاة، أو قراءة، جاز ذلك، وأكثر أصحاب مالك، والشافعي يقولون: إنما يشرع ذلك في العبادات المالية، ومع هذا فلم يكن من عادة السلف إذا صلوا تطوعًا، وصاموا، وحجوا، أو قرءوا القرآن، يهدون ثواب ذلك لموتاهم المسلمين، ولا لخصوصهم، بل كان عادتهم كما تقدم، فلا ينبغي للناس أن يعدلوا عن طريق السلف، فانه أفضل وأكمل. واللَّه أعلم.

● وسئل:

عمن « هلل سبعين ألف مرة، وأهداه للميت، يكون براءة للميت من النار» حديث صحيح؟ أم لا؟ وإذا هلل الإنسان وأهداه إلى الميت يصل إليه ثوابه، أم لا؟

● فأجاب: إذا هلل الإنسان هكذا: سبعون ألفًا، أو أقل، أو أكثر. وأهديت إليه نفعه اللَّه بذلك، وليس هذا حديثًا صحيحًا، ولا ضعيفًا. واللَّه أعلم.

● وسئل:

عن قراءة أهل الميت تصل إليه؟ والتسبيح والتحميد، والتهليل والتكبير، إذا أهداه إلى الميت يصل إليه ثوابها أم لا؟

فأجاب: يصل إلى الميت قراءة أهله، وتسبيحهم، وتكبيرهم، وسائر ذكرهم للَّه تعالى، إذا أهدوه إلى الميت، وصل إليه، واللَّه أعلم.

● وسئل:

هل القراءة تصل إلى الميت من الولد أو لا؟ على مذهب الشافعي؟

● فأجاب: أما وصول ثواب العبادات البدنية: كالقراءة، والصلاة، والصوم، فمذهب أحمد، وأبي حنيفة، وطائفة من أصحاب مالك، والشافعي، إلى أنها تصل، وذهب أكثر أصحاب مالك، والشافعي، إلى أنها لا تصل، واللَّه أعلم.

● **وسئل شيخ الإسلام ـ رحمه اللَّه ـ:**

عن زيارة النساء القبور: هل ورد في ذلك حديث عن النبي ﷺ أم لا؟

● فأجاب: الحمد للَّه رب العالمين. صح عن رسول اللَّه ﷺ من حديث أبي هريرة ﵁ قال: «**لعن اللَّه زوارات القبور**» رواه أحمد، وابن

ماجه، والترمذي، وصححه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج» رواه أهل السنن الأربعة: أبو داود، والنسائي، والترمذي، وابن ماجه. وقال الترمذي: حديث حسن، وأخرجه أبو حاتم في صحيحه وعلى هذا العمل في أظهر قولي أهل العلم. أنه نهى زوارات القبور عن ذلك، فإن النبي ﷺ قال: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإنها تذكركم الآخرة**» .

فإن قيل فالنهي عن ذلك منسوخ، كما قال ذلك أهل القول الآخر. قيل: هذا ليس بجيد؛ لأن قوله: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها**» هذا خطاب للرجال دون النساء، فإن اللفظ لفظ مذكر، وهو مختص بالذكور، أو متناول لغيرهم بطريق التبع. فإن كان مختصًا بهم فلا ذكر للنساء، وإن كان متناولاً لغيرهم كان هذا اللفظ عامًا، وقوله: «**لعن اللَّه زوارات القبور**» خاص بالنساء دون الرجال، ألا تراه يقول: « **لعن اللَّه زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج**» فالذين يتخذون عليها المساجد والسرج لعنهم اللَّه، سواء كانوا ذكورًا أو إناثًا، وأما الذين يزورون فإنما لعن النساء الزوارات دون الرجال، وإذا كان هذا خاصًا ولم يعلم أنه متقدم على الرخصة كان متقدمًا على العام عند عامة أهل العلم، كذلك لو علم أنه كان بعدها.

وهذا نظير قوله ﷺ : « **من صلى على جنازة فله قيراط، ومن تبعها حتى تدفن فله قيراطان» فهذا عام والنساء لم يدخلن في ذلك، لأنه ثبت عنه في « الصحيح**» أنه نهى النساء عن اتباع الجنائز.

عن عبد اللَّه بن عمر قال: سرنا مع رسول اللَّه ﷺ يعني «نشيع» ميتًا، فلما فرغنا انصرف رسول اللَّه ﷺ وانصرفنا معه، فلما توسطنا الطريق إذا نحن بامرأة مقبلة، فلما دنت إذا هي فاطمة، فقال لها رسول اللَّه

ﷺ: «**ما أخرجك يا فاطمة من بيتك؟!** قالت: أتيت يا رسول اللَّه! أهل هذا البيت فعزيناهم بميتهم، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**لعلك بلغت معهم الكدى، أما إنك لو بلغت معهم الكدى ما رأيت الجنة، حتى يراها جد أبيك**» رواه أهل السنن. ورواه أبو حاتم في صحيحه، وقد فسر «الكدى» بالقبور. واللَّه أعلم.

● **وسئل: عن عرض الأديان عند الموت:**

هل لذلك أصل في الكتاب والسنة أم لا؟ وقوله ﷺ: «إنكم لتفتنون في قبوركم» ما المراد بالفتنة؟ وإذا ارتد العبد ـ والعياذ باللَّه ـ هل يجازى بأعماله الصالحة قبل الردة أم لا؟ أفتونا مأجورين!!.

● **فأجاب**: الحمد للَّه رب العالمين:

أما عرض الأديان على العبد وقت الموت فليس هو أمرًا عامًّا لكل أحد، ولا هو أيضًا منتفيًا عن كل أحد، بل من الناس من تعرض عليه الأديان قبل موته، ومنهم من لا تعرض عليه، وقد وقع ذلك لأقوام. وهذا كله من فتنة المحيا والممات التي أمرنا أن نستعيذ منها في صلاتنا.

منها: ما في الحديث الصحيح: «أمرنا النبي ﷺ أن نستعيذ في صلاتنا من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال». ولكن وقت الموت أحرص ما يكون الشيطان على إغواء بني آدم؛ لأنه وقت الحاجة.

وقد قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**الأعمال بخواتيمها**»، وقال ﷺ: «**إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن العبد ليعمل بعمل أهل**

النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها».

ولهذا روي: «أن الشيطان أشد ما يكون على ابن آدم حين الموت، يقول لأعوانه: دونكم هذا فإنه إن فاتكم لن تظفروا به أبدًا».

وحكاية عبد اللَّه بن أحمد بن حنبل مع أبيه، وهو يقول: لا، بعد. لا، بعد: مشهورة[1] .

ولهذا يقال: إن من لم يحج يخاف عليه من ذلك، لما روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من ملك زادًا أو راحلة تبلغه إلى بيت اللَّه الحرام ولم يحج: فليمت إن شاء يهوديًّا، وإن شاء نصرانيًّا**».

قال اللَّه تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾، قال عكرمة لما نزلت هذه الآية: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾، قالت اليهود والنصارى: نحن مسلمون. فقال اللَّه لهم: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ**﴾، فقالوا: لا نحجه، فقال اللَّه تعالى: ﴿**كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾.

وأما الفتنة في القبور فهي الامتحان، والاختبار للميت، حين يسأله الملكان، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم «محمد»؟ فيثبت اللَّه الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول المؤمن: اللَّه ربي، والإسلام ديني ومحمد نبيي. ويقول: هو محمد رسول اللَّه، جاءنا بالبينات والهدى فآمنا به واتبعناه. فينتهرانه انتهارة شديدة ـ وهي آخر فتنه التي يفتن

---

(١) لا تصح، راجع فصل التُّرهات.

بها المؤمن - فيقولان له: كما قالا أولاً.

وقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في هذه الفتنة من حديث البراء ابن عازب، وأنس بن مالك، وأبي هريرة وغيرهم ﵃، وهي عامة للمكلفين، إلا النبيين فقد اختلف فيهم. وكذلك اختلف في غير المكلفين، كالصبيان والمجانين. فقيل: لا يفتنون؛ لأن المحنة إنما تكون للمكلفين، وهذا قول القاضي وابن عقيل.

وعلى هذا فلا يلقنون بعد الموت. وقيل: يلقنون ويفتنون أيضًا، وهذا قول أبي حكيم، وأبي الحسن بن عبدوس، ونقله عن أصحابه، وهو مطابق لقول من يقول: إنهم يكلفون يوم القيامة، كما هو قول أكثر أهل العلم، وأهل السنة، من أهل الحديث والكلام. وهو الذي ذكره أبو الحسن الأشعري ﵁ عن أهل السنة، واختاره، وهو مقتضى نصوص الإمام أحمد.

وأما «الردة عن الإسلام» بأن يصير الرجل كافرًا مشركًا، أو كتابيًّا، فإنه إذا مات على ذلك حبط عمله باتفاق العلماء، كما نطق بذلك القرآن في غير موضع. كقوله: ﴿**وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**﴾، وقوله: ﴿**وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ**﴾، وقوله: ﴿**وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾، وقوله: ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾.

ولكن تنازعوا فيما: إذا ارتد، ثم عاد إلى الإسلام. هل تحبط الأعمال التي عملها قبل الردة أم لا تحبط إلا إذا مات مرتدًا؟ على قولين مشهورين، هما قولان في مذهب الإمام أحمد، والحبوط: مذهب أبي حنيفة ومالك. والوقوف: مذهب الشافعي.

وتنازع الناس أيضًا في «المرتد». هل يقال: كان له إيمان صحيح يحبط بالردة؟ أم يقال: بل بالردة تبينا أن إيمانه كان فاسدًا؟ وأن الإيمان الصحيح لا يزول ألبتة؟ على قولين لطوائف الناس، وعلى ذلك يبنى قول المستثني: أنا مؤمن ـ إن شاء اللَّه ـ هل يعود الاستثناء إلى كمال الإيمان؟ أو يعود إلى الموافاة في المآل واللَّه أعلم[1].

● **وسئل:**

هل جميع الخلق حتى ـ الملائكة ـ يموتون؟

● **فأجاب:** الذي عليه أكثر الناس: أن جميع الخلق يموتون حتى الملائكة، وحتى عزرائيل ملك الموت. وروي في ذلك حديث مرفوع إلى النبي ﷺ. والمسلمون واليهود والنصارى متفقون على إمكان ذلك وقدرة اللَّه عليه، وإنما يخالف في ذلك طوائف من المتفلسفة، أتباع «أرسطو» وأمثالهم، ومن دخل معهم من المنتسبين إلى الإسلام، أو اليهود، أو النصارى: كأصحاب «رسائ إخوان الصفا» وأمثالهم، ممن زعم أن «الملائكة» هي العقول والنفوس، وأنه لا يمكن موتها بحال، بل هي عندهم آلهة وأرباب لهذا العالم.

والقرآن وسائر الكتب: تنطق بأن الملائكة عبيد مدبرون، كما قال سبحانه: **﴿لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾**. وقال تعالى: **﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ**

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٥٥ ـ ٢٥٨).

ارْتَضَىٰ﴾. وقال: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾.

واللَّه سبحانه قادر على أن يميتهم ثم يحييهم، كما هو قادر على إماتة البشر والجن، ثم إحيائهم. وقد قال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾.

وقد ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ من غير وجه وعن غير واحد من الصحابة أنه قال: «إن اللَّه إذا تكلم بالوحي أخذ الملائكة مثل الغشي»، وفي رواية: «إذا سمعت الملائكة كلامه صعقوا»، وفي رواية: «سمعت الملائكة كجر السلسلة على الصفوان فيصعقون فإذا فزع عن قلوبهم» أي: أزيل الفزع عن قلوبهم «قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق فينادون: الحق! الحق!» ف.قد أخبر في هذه الأحاديث الصحيحة أنهم يصعقون صعق الغشي؛ فإذا جاز عليهم صعق الغشي جاز صعق الموت، وهؤلاء المتفلسفة لا يجوزون لا هذا ولا هذا، وصعق الغشي هو مثل صعق موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾.

والقرآن قد أخبر بثلاث نفخات:

نفخة الفزع ذكرها في سورة النمل في قوله: ﴿ونفخ[1] فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ﴾.

ونفخة الصعق والقيام ذكرهما في قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾.

---

(١) كذا.

وأما الاستثناء فـهو متناول لمن في الجنة من الحور العـين، فإن الجنة ليس فيها موت، ومتناول لغيرهم. ولا يمكن الجـزم بكل من استثناه اللَّه، فإن اللَّه أطلق في كتابه.

وقد ثبت في «الصحـيح» أن النبي ﷺ قال: «**إن الناس يصـعقون يوم القيامـة فأكون أول من يفيق فأجـد موسى آخذًا بساق العـرش، فلا أدري هل أفاق قبلي أم كان ممن استثناه اللَّه؟**»، وهذه الصعقة قد قيل: إنها رابعة، وقيل: إنها من المذكورات في القرآن.

وبكل حـال: النبي ﷺ قـد توقف في مـوسى، وهل هو داخـل في الاستثنـاء فيمن استثـناه اللَّه أم لا؟ فإذا كان الـنبي ﷺ لم يخبـر بكل من استثـنى اللَّه: لم يمـكنا نحن أن نجـزم بذلك، وصار هـذا مثل العلـم بوقت الساعة وأعيان الأنـبياء، وأمثال ذلك مما لم يخبر به، وهـذا العلم لا ينال إلا بالخبر. واللَّه أعلم وصلى اللَّه على محمد وآله وصحبه وسلم(١) .

* * *

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٥٩ ـ ٢٦١).

قال شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ

مذهب سائر المسلمين بل وسائر أهل الملل إثبات «القيامة الكبرى»، وقيام الناس من قبورهم، والثواب والعقاب: هناك، وإثبات الثواب والعقاب في البرزخ ـ ما بين الموت إلى يوم القيامة ـ هذا قول السلف قاطبة وأهل السنة والجماعة، وإنما أنكر ذلك في البرزخ قليل من أهل البدع.

لكن من أهل الكلام من يقول: هذا إنما يكون على البدن فقط، كأنه ليس عنده نفس تفارق البدن، كقول من يقول ذلك من المعتزلة والأشعرية.

ومنهم من يقول: بل هو على النفس فقط. بناء على أنه ليس في البرزخ عذاب على البدن ولا نعيم، كما يقول ذلك ابن ميسرة، وابن حزم.

ومنهم من يقول: بل البدن ينعم ويعذب بلا حياة فيه، كما قاله طائفة من أهل الحديث، وابن الزاغوني يميل إلى هذا في مصنفه في حياة الأنبياء في قبورهم، وقد بسط الكلام على هذا في مواضع.

والمقصود هنا: أن كثيرًا من أهل الكلام ينكر أن يكون للنفس وجود بعد الموت ولا ثواب ولا عقاب، ويزعمون أنه لم يدل على ذلك القرآن والحديث، كما أن الذين أنكروا عذاب القبر والبرزخ مطلقًا زعموا أنه لم يدل على ذلك القرآن، وهو غلط؛ بل القرآن قد بين في غير موضع بقاء النفس بعد فراق البدن، وبين النعيم والعذاب في البرزخ.

وهو سبحانه وتعالى في السورة الواحدة يذكر «القيامة الكبرى» و«الصغرى» كما في سورة الواقعة، فإنه ذكر في أولها القيامة الكبرى، وأن الناس يكونون أزواجًا ثلاثة، كما قال تعالى: ﴿**إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ**

لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنْبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً ﴾.

ثم إنه في آخرها ذكر القيامة الصغرى بالموت، وأنهم ثلاثة أصناف بعد الموت، فقال: ﴿ **فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ** ﴾، فهذا فيه أن النفس تبلغ الحلقوم، وأنهم لا يمكنهم رجعها، وبين حال المقربين وأصحاب اليمين والمكذبين حينئذ.

وفي سورة القيامة: ذكر أيضًا القيامتين فقال: ﴿ **لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ** ﴾، ثم قال: ﴿ **وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ** ﴾: وهي نفس الإنسان.

وقد قيل: إن النفس تكون لوامة وغير لوامة، وليس كذلك. بل نفس كل إنسان لوامة، فإنه ليس بشر إلا يلوم نفسه ويندم إما في الدنيا وإما في الآخرة، فهذا إثبات النفس. ثم ذكر معاد البدن فقال: ﴿ **أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ** ﴾» ووصف حال القيامة إلى قوله: ﴿ **تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ** ﴾.

ثم ذكر الموت فقال: ﴿ **كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ** ﴾، وهذا إثبات للنفس وأنها تبلغ التراقي كما قال هناك: ﴿ **بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ** ﴾، والتراقي متصلة بالحلقوم.

ثم قال: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ يرقيها، وقيل: من صاعد يصعد بها إلى اللَّه؟ والأول أظهر؛ لأن هذا قبل الموت، فإنه قال: ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ فدل على أنهم يرجونه ويطلبون له راقيًا يرقيه، وأيضًا فصعودها لا يفتقر إلى طلب من يرقى بها، فإن للَّه ملائكة يفعلون ما يؤمرون، والرقية أعظم الأدوية فإنها دواء روحاني؛ ولهذا قال النبي ﷺ في صفة المتوكلين: «لا يسترقون»، والمراد: أنه يخاف الموت، ويرجو الحياة بالراقي؛ ولهذا قال: ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾.

ثم قال: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ فدل على نفس موجودة قائمة بنفسها تساق إلى ربها، والعرض القائم بغيره لا يساق، ولا بدن الميت، فهذا نص في إثبات نفس تفارق البدن تساق إلى ربها، كما نطقت بذلك الأحاديث المستفيضة في قبض روح المؤمن وروح الكافر.

ثم ذكر بعد هذا صفة الكافر بقوله مع هذا الوعيد الذي قدمه: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾، وليس المراد أن كل نفس من هذ النفوس كذلك.

وكذلك سورة «ق» هي في ذكر وعيد القيامة، ومع هذا قال فيها: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾، ثم قال: بعد ذلك: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾، فذكر القيامتين: الصغرى والكبرى، وقوله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ أي: جاءت بما بعد الموت من ثواب وعقاب، وهو الحق الذي أخبرت به الرسل، ليس مراده أنها جاءت بالحق الذي هو الموت، فإن هذا مشهور لم ينازع فيه، ولم يقل أحد: إن الموت باطل حتى يقال: جاءت بالحق.

وقوله: ﴿ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾، فالإنسان وإن كره الموت فهو يعلم أنه تلاقيه ملائكته، وهذا كقوله: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ واليقين ما بعد الموت، كما قال النبي ﷺ: «**أما عثمان بن مظعون فقد جاءه اليقين من ربه**»، وإلا فنفس الموت ـ مجرد عما بعده ـ أمر مشهور لم ينازع فيه أحد حتى يسمى يقينًا.

وذكر عذاب القيامة والبرزخ معًا في غير موضع: ذكره في قصة آل فرعون فقال: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾، وقال في قصة قوم نوح: ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾ مع إخبار نوح لهم بالقيامة في قوله: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ﴾.

وقد ذكرنا في غير موضع: أن الرسل قبل محمد أنذروا بالقيامة الكبرى تكذيبًا لمن نفى ذلك من المتفلسفة، وقال عن المنافقين: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾، قال غير واحد من العلماء: المرة الأولى في الدنيا والثانية في البرزخ ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ في الآخرة.

وقال تعالى في الأنعام: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ * وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾، وهذه صفة حال الموت وقوله: ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾ دل على وجود النفس التي تخرج من البدن، وقوله: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ دل على وقوع الجزاء عقب الموت.

وقال تعالى في الأنفال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ وهذا ذوق له بعد الموت.

وقد ثبت في «الصحيحين» من غير وجه: أن النبي ﷺ لما أتى المشركين يوم بدر في القليب ناداهم: «**يا فلان! يا فلان! هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟ فقد وجدت ما وعدني ربي حقًّا**». وهذا دليل على وجودهم وسماعهم، وأنهم وجدوا ما وعدوه بعد الموت من العذاب، وأما نفس قتلهم فقد علمه الأحياء منهم.

وقال تعالى في سورة النساء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾، وهذا خطاب لهم إذا توفتهم الملائكة؛ وهم لا يعاينون الملائكة إلا وقد يئسوا من الدنيا، ومعلوم أن البدن لم يتكلم لسانه، بل هو شاهد: يعلم أن الذي يخاطب الملائكة هو النفس، والمخاطب لا يكون عرضًا.

وقال تعالى في النحل: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾، وهذا إلقاء للمسلم إلى حين الموت، وقول للملائكة ما كنا نعمل من سوء وهذا إنما يكون من النفس.

وقد قال في النحل: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وقال في السجدة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا

رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾، وقد ذكروا أن هذا التنزل عند الموت.

وقال تعالى في سورة آل عمران: **﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾**، وقال قبل ذلك في سورة البقرة: **﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾**.

وأيضًا فقال تعالى: **﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾**، وهذا بيان لكون النفس تقبض وقت الموت، ثم منها ما يمسك فلا يرسل إلى بدنه: وهو الذي قضى عليه الموت، ومنها ما يرسل إلى أجل مسمى. وهذا إنما يكون في شيء يقوم بنفسه، لا في عرض قائم بغيره، فهو بيان لوجود النفس المفارقة بالموت.

والأحاديث الصحيحة توافق هذا، كقول النبي ﷺ: «**باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، فإن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**». وقال ـ لما ناموا عن صلاة الصبح ـ: «**إن اللّه قبض أرواحنا حيث شاء**».

وقال تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**

وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ * ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾، فهذا توفٍّ لها بالنوم إلى أجل الموت الذي ترجع فيه إلى اللَّه، وإخبار [أن] الملائكة تتوفاها بالموت، ثم يردون إلى اللَّه، والبدن وما يقوم به من الأعراض لا يرد، إنما يرد الروح.

وهو مثل قوله في يونس: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾، وقال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾، وتوفي الملك إنما يكون لما هو موجود قائم بنفسه، وإلا فالعرض القائم بغيره لا يتوفى، فالحياة القائمة بالبدن لا تتوفى، بل تزول وتعدم كما تعدم حركته وإدراكه.

وقال تعالى في المؤمنين: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، فقوله: ﴿ارْجِعُونِ﴾ طلب لرجع النفس إلى البدن، كما قال في الواقعة: ﴿فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، وهو يبين أن النفس موجودة تفارق البدن بالموت، قال تعالى: ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾. آخره.

والحمد للَّه رب العالمين. وصلى اللَّه على محمد وعلى آله وصحبه وسلم[2].

---

(١) كذا.

(٢) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٥٩ ـ ٢٧٠).

● **وسئل شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ:**

عن «الروح المؤمنة» أن الملائكة تتلقاها وتصعد بها إلى السماء التي فيها اللَّه.

● **فأجاب:**

أما الحديث المذكور في «قبض روح المؤمن، وأنه يصعد بها إلى السماء التي فيها اللَّه»: فهذا حديث معروف جيد الإسناد، وقوله «فيها اللَّه» بمنزلة قوله تعالى: ﴿**ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ** (١٦) **أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ**﴾، وبمنزلة ما ثبت في «الصحيح» أن النبي ﷺ قال لجارية معاوية بن الحكم: «**أين اللَّه؟**»، قالت: في السماء، قال: «**من أنا؟**»، قالت: أنت رسول اللَّه. قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**».

وليس المراد بذلك أن السماء تحصر الرب وتحويه، كما تحوي الشمس والقمر وغيرهما، فإن هذا لا يقوله مسلم، ولا يعتقده عاقل، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**﴾، والسماوات في الكرسي كحلقة ملقاة في أرض فلاة، والكرسي في العرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة، والرب سبحانه فوق سماواته، على عرشه، بائن من خلقه، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته.

وقال تعالى: ﴿**وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ**﴾، وقال: ﴿**فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ**﴾، وقال: ﴿**يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ**﴾، وليس المراد أنهم في جوف النخل، وجوف الأرض، بل معنى ذلك أنه فوق السماوات، وعليها، بائن من المخلوقات، كما أخبر في كتابه عن نفسه أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام، ثم استوى على العرش.

وقال: ﴿يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾، وقال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾، وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾. وأمثال ذلك في الكتاب والسنة وجواب هذه المسألة مبسوط في غير هذا الموضع[1].

● **وسئل هل يتكلم الميت في قبره؟:**

● فقال: وأما سؤال السائل هل يتكلم الميت في قبره فجوابه أنه يتكلم، وقد يسمع أيضًا من كلمه؛ كما ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنهم يسمعون قرع نعالهم**»، وثبت عنه في «الصحيح» أن الميت يسأل في قبره، فيقال له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك فيثبت اللَّه الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول: اللَّه ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبيي. ويقال له: ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول المؤمن: هو عبد اللَّه ورسوله، جاءنا بالبينات والهدى فآمنا به واتبعناه، وهذا تأويل قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾.

وقد صح عن النبي ﷺ: «**أنها نزلت في عذاب القبر، وكذلك يتكلم المنافق فيقول: آه، آه، لا أدري! سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته؛ فيضرب بمرزبة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان**».

وثبت عنه في «الصحيح» أنه قال: «**لولا أن لا تدافنوا لسألت اللَّه أن يسمعكم عذاب القبر مثل الذي أسمع**»، وثبت عنه في «الصحيح» أنه نادى المشركين يوم بدر: لما ألقاهم في القليب. وقال: «**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**». والآثار في هذا كثيرة منتشرة، واللَّه أعلم[2].

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٧١ ـ ٢٧٢).

(٢) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٧٣).

● **وسئل شيخ الإسلام ـ رحمه اللَّه تعالى ـ:**

عن سؤال منكر ونكير الميت إذا مات، تدخل الروح في جسده ويجلس ويجاوب منكراً ونكيراً، فيحتاج موتًا ثانيًا؟!

● **فأجاب:** عود الروح إلى بدن الميت في القبر ليس مثل عودها إليه في هذه الحياة الدنيا، وإن كان ذاك قد يكون أكمل من بعض الوجوه، كما أن النشأة الأخرى ليست مثل هذه النشأة، وإن كانت أكمل منها، بل كل موطن في هذه الدار وفي البرزخ والقيامة: له حكم يخصه؛ ولهذا أخبر النبي ﷺ: أن الميت يوسع له في قبره ويسأل ونحو ذلك، وإن كان التراب قد لا يتغير فالأرواح تعاد إلى بدن الميت وتفارقه.

وهل يسمى ذلك موتًا؟ فيه قولان.

قيل: يسمى ذلك موتًا. وتأولوا على ذلك قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ**﴾: قيل: إن الحياة الأولى في هذه الدار، والحياة الثانية في القبر. والموتة الثانية في القبر، والصحيح أن هذه الآية كقوله: ﴿**وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ**﴾ فالموتة الأولى قبل هذه الحياة، والموتة الثانية بعد هذه الحياة، وقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ يُحْيِيكُمْ**﴾ بعد الموت. قال تعالى: ﴿**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ**﴾، وقال: ﴿**قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ**﴾. فالروح تتصل بالبدن متى شاء اللَّه تعالى، وتفارقه متى شاء اللَّه تعالى، لا يتوقف ذلك بمرة ولا مرتين، والنوم أخو الموت.

ولهذا كان النبي ﷺ يقول إذا أوى إلى فراشه: «**باسمك اللَّهم أموت وأحيا**»، وكان إذا استيقظ يقول: «**الحمد للَّه الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه**

النشور» فقد سمى النوم موتًا، والاستيقاظ حياة.

وقد قال تعالى: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى**﴾ فبين أنه يتوفى الأنفس على نوعين: فيتوفاها حين الموت، ويتوفى الأنفس التي لم تمت بالنوم، ثم إذا ناموا فمن مات في منامه أمسك نفسه، ومن لم يمت أرسل نفسه.

ولهذا كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال: «**باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، فإن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**».

والنائم يحصل له في منامه لذة وألم، وذلك يحصل للروح والبدن، حتى إنه يحصل له في منامه من يضربه، فيصبح والوجع في بدنه، ويرى في منامه أنه أطعم شيئًا طيبًا فيصبح وطعمه في فمه وهذا موجود. فإذا كان النائم يحصل لروحه وبدنه من النعيم والعذاب ما يحس به - والذي إلى جنبه لا يحس به - حتى قد يصيح النائم من شدة الألم، أو الفزع الذي يحصل له ويسمع اليقظان صياحه، وقد يتكلم إما بقرآن وإما بذكر، وإما بجواب.

واليقظان يسمع ذلك وهو نائم، عينه مغمضة، ولو خوطب لم يسمع، فكيف ينكر حال المقبور الذي أخبر الرسول ﷺ أنه يسمع قرع نعالهم؟ وقال: «**ما أنتم أسمع لما أقول منهم**».

والقلب يشبه القبر؛ ولهذا قال ﷺ لما فاتته صلاة العصر يوم الخندق: «**ملأ اللَّه أجوافهم وقبورهم نارًا**»، وفي لفظ: «**قلوبهم وقبورهم نارًا**»، وفرق بينهما في قوله: ﴿**بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ**﴾ وهذا تقريب

وتقرير لإمكان ذلك.

ولا يجوز أن يقال: ذلك الذي يجده الميت من النعيم والعذاب ـ مثلما ـ يجده النائم في منامه؛ بل ذلك النعيم والعذاب أكمل وأبلغ وأتم. وهو نعيم حقيقي وعذاب حقيقي، ولكن يذكر هذا المثل لبيان إمكان ذلك، إذا قال السائل: الميت لا يتحرك في قبره، والتراب لا يتغير، ونحو ذلك، مع أن هذه المسألة لها بسط يطول، وشرح لا تحتمله هذه الورقة، واللَّه أعلم. وصلى اللَّه على محمد وآله وصحبه وسلم[1].

● **وسئل:**

عن الصغير، وعن الطفل إذا مات. هل يمتحن؟ إلخ.

● **فأجاب:** . . .[2] الوقوف فيهم وأن يقال: اللَّه أعلم بما كانوا عاملين، ولبسطه موضع آخر. وإذا مات الطفل فهو يمتحن في قبره ويسأله منكر ونكير؟ فيه قولان في مذهب أحمد وغيره.

أحدهما: أنه لا يمتحن، وأن المحنة إنما تكون على من كلف في الدنيا، قاله طائفة: منهم القاضي أبو يعلى وابن عقيل.

والثاني: أنهم يمتحنون ذكره أبو حكيم الهمداني، وأبو الحسن بن عبدوس، ونقله عن أصحاب الشافعي. وعلى هذا التفصيل «تلقين الصغير والمجنون»: من قال: إنه يمتحن في القبر لقنه، ومن قال: لا يمتحن لم يلقنه. وقد روى مالك وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه صلى الله عليه وسلم صلى على طفل. فقال: **«اللَّهم قه عذاب القبر وفتنة القبر»**، وهذا القول موافق لقول من قال:

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٧٤ ـ ٢٧٦).

(٢) سقط أول الجواب.

إنهم يمتحنون في الآخرة، وإنهم مكلفون يوم القيامة، كما هو قول أكثر أهل العلم وأهل السنة من أهل الحديث والكلام، وهو الذي ذكره أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة واختاره، وهو مقتضى نصوص الإمام أحمد والله أعلم.

وإذا دخل أطفال المؤمنين الجنة فأرواحهم وأرواح غيرهم من المؤمنين في الجنة. وإن كانت درجاتهم متفاضلة، والصغار يتفاضلون بتفاضل آبائهم، وتفاضل أعمالهم ـ إذا كانت لهم أعمال ـ فإن إبراهيم بن النبي ﷺ ليس هو كغيره، والأطفال الصغار يثابون على ما يفعلونه من الحسنات، وإن كان القلم مرفوعًا عنهم في السيئات، كما ثبت في «الصحيح»: أن النبي ﷺ رفعت إليه امرأة صبيًّا من محفة قالت: ألهذا حج؟ قال: «**نعم. ولك أجر**» رواه مسلم في «صحيحه».

وفي «السنن» أنه قال: «**مروهم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**»، وكانوا يصومون الصغار يوم عاشوراء وغيره، فالصبي يثاب على صلاته وصومه، وحجه وغير ذلك من أعماله، ويفضل بذلك على من لم يعمل كعمله، وهذا غير ما يفعل به إكرامًا لأبويه، كما أنه في النعم الدنيوية قد ينتفع بما يكسبه وبما يعطيه أبواه، ويتميز بذلك على من ليس كذلك.

وأرواح المؤمنين في الجنة، كما جاءت بذلك الآثار، وهو كما قال النبي ﷺ: «**نسمة المؤمن تعلق من الجنة**» أي: تأكل ولم يوقت في ذلك وقت قبل يوم القيامة.

والأرواح مخلوقة بلا شك، وهي لا تعدم ولا تفنى، ولكن موتها

مفارقة الأبدان، وعند النفخة الثانية تعاد الأرواح إلى الأبدان.

وأهل الجنة الذين يدخلونها على صورة أبيهم آدم عليه السلام، طول أحدهم ستون ذراعًا. كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة.

وقد قال بعض الناس: أن أطفال الكفار يكونون خدم أهل الجنة، ولا أصل لهذا القول.

وقد ثبت في «الصحيحين» أن الجنة يبقى فيها فضل عن أهل الدنيا فينشئ اللَّه لها خلقًا آخر فيسكنهم الجنة، فإذا كان يسكن من ينشئه من الجنة من غير ولد آدم في فضول الجنة فكيف بمن دخلها من ولد آدم وأسكن في غير فضولها؟ فليسوا أحق بأن يكونوا من أهل الجنة، ممن ينشأ بعد ذلك ويسكن فضولها.

وأما الورود المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ فقد فسره النبي ﷺ في الحديث الصحيح، رواه مسلم في «صحيحه» عن جابر: «بأنه المرور على الصراط»، والصراط هو الجسر؛ فلا بد من المرور عليه لكل من يدخل الجنة، من كان صغيرًا في الدنيا ومن لم يكن.

(والولدان) الذين يطوفون على أهل الجنة: خلق من خلق الجنة ليسوا من أبناء الدنيا؛ بل أبناء أهل الدنيا إذا دخلوا الجنة كمل خلقهم كأهل الجنة، على صورة آدم، أبناء ثلاث وثلاثين في طول ستين ذراعًا، كما تقدم. وقد روي أن العرض سبعة أذرع. واللَّه أعلم[1].

* * *

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٧٧ ـ ٢٧٩).

● **وسئل الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ:**

عن الصغير هل يحيا ويسأل أو يحيا ولا يسأل؟ وبماذا يسأل عنه؟ وهل يستوي في الحياة، والسؤال من يكلف ومن لا يكلف؟

● **فأجاب**: الحمد للَّه رب العالمين. أما من ليس مكلفًا كالصغير والمجنون فهل يمتحن في قبره ويسأله منكر ونكير؟ على قولين للعلماء.

أحدهما: أنه يمتحن وهو قول أكثر أهل السنة، ذكره أبو الحسن بن عبدوس عنهم، وذكره أبو حكيم النهرواني وغيرهما.

والثاني: أنه لا يمتحن في قبره، كما ذكره القاضي أبو يعلى، وابن عقيل وغيرهما. قالوا: لأن المحنة إنما تكون لمن يكلف في الدنيا.

ومن قال بالأول: يستدل بما في «الموطأ» عن أبي هريرة ﷺ أنه ﷺ صلى على صغير لم يعمل خطيئة قط، فقال: «**اللَّهم قه عذاب القبر وفتنة القبر**»، وهذا يدل على أنه يفتن.

وأيضًا: فهذا مبني على أن أطفال الكفار الذين لم يكلفوا في الدنيا يكلفون في الآخرة، كما وردت بذلك أحاديث متعددة، وهو القول الذي حكاه أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة والجماعة، فإن النصوص عن الأئمة كالإمام أحمد وغيره: الوقف في أطفال المشركين، كما ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه سئل عنهم فقال: «**اللَّه أعلم بما كانوا عاملين**».

وثبت في «صحيح البخاري» من حديث سمرة أن منهم من يدخل الجنة. وثبت في «صحيح مسلم» أن الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرًا، فإن كان الأطفال وغيرهم فيهم شقي وسعيد: فإذا كان ذلك لامتحانهم في الدنيا لم يمنع امتحانهم في القبور، لكن هذا مبني على أنه لا

يشهد لكل معين من أطفال المؤمنين بأنه في الجنة، وإن شهد لهم مطلقًا، ولو شهد لهم مطلقًا. فالطفل الذي ولد بين المسلمين قد يكون منافقًا بين مؤمنين. والله أعلم[1] .

● **وسئل شيخ الإسلام ـ قدس الله روحه ـ:**

وهو بمصر ـ عن «عذاب القبر ـ . هل هو على النفس، والبدن أو على النفس، دون البدن؟ والميت يعذب في قبره حيًّا أم ميتًا؟ وإن عادت الروح إلى الجسد أم لم تعد، فهل يتشاركان في العذاب والنعيم؟ أو يكون ذلك على أحدهما دون الآخر؟!

● **فأجاب** ﷺ: وجعل جنة الفردوس منقلبه ومثواه آمين.

الحمد لله رب العالمين: بل العذاب والنعيم على النفس، والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعتين، كما يكون للروح منفردة عن البدن.

وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح؟ هذا فيه قولان مشهوران لأهل الحديث والسنة والكلام، وفي المسألة أقوال شاذة ليست من أقوال أهل السنة والحديث، قول من يقول: إن النعيم والعذاب لا يكون إلا على الروح، وأن البدن لا ينعم ولا يعذب، وهذا تقوله: «الفلاسفة» المنكرون لمعاد الأبدان، وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين.

ويقوله كثير من «أهل الكلام» من المعتزلة وغيرهم: الذين يقولون: لا يكون ذلك في البرزخ، وإنما يكون عند القيام من القبور.

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٨٠ ـ ٢٨١).

وقول من يقول: إن الروح بمفردها لا تنعم ولا تعذب، وإنما الروح هي الحياة، وهذا يقوله طوائف من أهل الكلام: من المعتزلة، وأصحاب أبي الحسن الأشعري، كالقاضي أبي بكر، وغيرهم، وينكرون أن الروح تبقى بعد فراق البدن. وهذا قول باطل، خالفه الأستاذ أبو المعالي الجويني وغيره، بل قد ثبت في الكتاب والسنة، واتفاق سلف الأمة أن الروح تبقى بعد فراق البدن، وأنها منعمة أو معذبة.

«والفلاسفة» الإلهيون يقولون بهذا، لكن ينكرون معاد الأبدان، وهؤلاء يقرون بمعاد الأبدان، لكن ينكرون معاد الأرواح، ونعيمها وعذابها بدون الأبدان، وكلا القولين خطأ وضلال، لكن قول الفلاسفة أبعد عن أقوال أهل الإسلام، وإن كان قد يوافقهم عليه من يعتقد أنه متمسك بدين الإسلام، بل من يظن أنه من أهل المعرفة والتصوف، والتحقيق والكلام.

والقول الثالث: الشاذ. قول من يقول إن البرزخ ليس فيه نعيم ولا عذاب، بل لا يكون ذلك حتى تقوم القيامة الكبرى، كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة، ونحوهم، الذين ينكرون عذاب القبر ونعيمه، بناء على أن الروح لا تبقى بعد فراق البدن، وأن البدن لا ينعم ولا يعذب.

فجميع هؤلاء الطائفتين: ضلال في أمر البرزخ، لكنهم خير من الفلاسفة؛ لأنهم يقرون بالقيامة الكبرى.

فإذا عرفت هذه الأقوال الثلاثة الباطلة: فلتعلم أن مذهب «سلف الأمة وأئمتها» أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه ولبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحيانًا ، فيحصل له معها النعيم والعذاب.

ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى أجسادها، وقاموا من قبورهم لرب العالمين.

ومعاد الأبدان متفق عليه عند المسلمين، واليهود، والنصارى. وهذا كله متفق عليه عند علماء الحديث والسنة.

وهل يكون للبدن دون الروح نعيم أو عذاب؟ أثبت ذلك طائفة منهم، وأنكره أكثرهم.

ونحن نذكر ما يبين ما ذكرناه، فأما أحاديث عذاب القبر ومسألة منكر ونكير: فكثيرة متواترة عن النبي ﷺ، مثل ما في «الصحيحين»: عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مرَّ بقبرين فقال: **«إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما: فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله»**، ثم دعا بجريدة رطبة فشقها نصفين، ثم غرز في كل قبر واحدة. فقالوا: يا رسول اللَّه لم فعلت هذا؟ قال: **«لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا»**.

وفي «صحيح مسلم» عن زيد بن ثابت قال: بينا رسول اللَّه ﷺ في حائط لبني النجار على بغلة - ونحن معه - إذ جالت به، فكادت تلقيه، فإذا أقبر ستة أو خمسة، أو أربعة. فقال: **«من يعرف هذه القبور؟»** فقال رجل: أنا. قال: **«فمتى هؤلاء؟»**، قال: ماتوا في الإشراك. فقال: **«إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت اللَّه أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه»**، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: **«تعوذوا باللَّه من عذاب القبر»**، قالوا: نعوذ باللَّه من عذاب القبر. قال: **«تعوذوا باللَّه من عذاب النار»**، قالوا: نعوذ باللَّه من عذاب النار. قال: **«تعوذوا باللَّه من الفتن ما ظهر منها وما بطن»**، قالوا: نعوذ باللَّه من الفتن ما ظهر منها وما بطن. قال: **«تعوذوا باللَّه**

من **فتنة الدجال»**، قالوا: نعوذ باللَّه من فتنة الدجال.

وفي «صحيح مسلم» وسائر السنن عن أبي هريرة ﵁، أن النبي ﷺ قال: «**إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليقل: أعوذ باللَّه من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال**».

وفي «صحيح مسلم» وغيره عن ابن عباس ﵄، عن النبي ﷺ أنه كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن: «**اللَّهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات**».

وفي «صحيح البخاري» و«مسلم» عن أبي أيوب الأنصاري قال: خرج النبي ﷺ وقد وجبت الشمس. فقال: «**يهود يعذبون في قبورهم**».

وفي «الصحيحين» عن عائشة ﵂ قالت: دخلت على عجوز من عجائز يهود المدينة، فقالت: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم. قالت: فكذبتها ولم أنعم أن أصدقها، قالت: فخرجت فدخل عليَّ رسول اللَّه ﷺ، فقلت: يا رسول اللَّه! عجوز من عجائز أهل المدينة دخلت عليّ فزعمت أن أهل القبور يعذبون في قبورهم. فقال: «**صدقت. إنهم يعذبون عذابًا يسمعه البهائم كلها**»، فما رأيته بعد في صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر.

وفي «صحيح أبي حاتم البستي» عن أم مبشر ﵂ قالت: دخل عليّ رسول اللَّه ﷺ وأنا في حائط وهو يقول: «**تعوذوا باللَّه من عذاب القبر**»، فقلت: يا رسول اللّه! للقبر عذاب؟ فقال: «**إنهم ليعذبون في قبورهم عذابًا تسمعه البهائم**».

قال بعضهم: ولهذا السبب يذهب الناس بدوابهم إذا مغلت إلى قبور اليهود، والنصارى والمنافقين، كالإسماعيلية والنصيرية، وسائر القرامطة: من بني عبيد وغيرهم، الذين بأرض مصر والشام وغيرها، فإن أهل الخيل يقصدون قبورهم لذلك، كما يقصدون قبور اليهود والنصارى. والجهال تظن أنهم من ذرية فاطمة، وأنهم من أولياء الله، وإنما هو من هذا القبيل. فقد قيل: إن الخيل إذا سمعت عذاب القبر حصلت لها من الحرارة ما يذهب بالمغل. والحديث في هذا كثير لا يتسع له هذا السؤال.

وأحاديث المسألة كثيرة أيضًا، كما في «الصحيحين» و«السنن» عن البراء ابن عازب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «**المسلم إذا سئل في قبره شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فذلك قول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾**»، وفي لفظ: «**نزلت في عذاب القبر يقال له من ربك؟ فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد. وذلك قول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾**».

وهذا الحديث قد رواه أهل السنن والمسانيد مطولاً، كما في «سنن أبي داود» وغيره عن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار. فانتهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس النبي ﷺ وجلسنا حوله، كأنما على رءوسنا الطير، وفي يده عود ينكت به الأرض، فرفع رأسه، فقال: «**استعيذوا بالله من عذاب القبر**» مرتين أو ثلاثًا. وذكر صفة قبض الروح وعروجها إلى السماء، ثم عودها إليه. إلى أن قال: «**وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حين يقال له يا هذا! من ربك؟ وما**

دينك؟ ومن نبيك؟».

وفي لفظ: «فيأتيه ملكان فيجلسانه ويقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي اللَّه. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان: ما هذا الرجل الذي أرسل فيكم؟ قال: فيقول: هو رسول اللَّه. فيقولان: وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب اللَّه وآمنت به، وصدقت به، فذلك قول اللَّه: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾، قال: «فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي، فافرشوا له في الجنة وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة»، قال: «فيأتيه من روحها وطيبها»، قال: «ويفسح له مد بصره»، قال: «وإن الكافر» فذكر موته. وقال: «وتعاد روحه إلى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه، هاه، لا أدري. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه. هاه، لا أدري، فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فافرشوا له من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار»، قال: «ويأتيه من حرها وسمومها»، قال: «ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه»، قال: «ثم يقيض له أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار ترابًا»، قال: «فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير ترابًا. ثم تعاد فيه الروح».

فقد صرح الحديث بإعادة الروح إلى الجسد، وباختلاف أضلاعه، وهذا بين في أن العذاب على الروح والبدن مجتمعين.

وقد روي مثل حديث البراء في قبض الروح والمسألة، والنعيم والعذاب، رواه أبو هريرة، وحديثه في «المسند» وغيره، ورواه أبو حاتم بن حبان في «صحيحه» عن أبي هريرة ﵁، عن النبي ﷺ قال: «إن الميت إذا وضع في

قبره يسمع خفق نعالهم إذا ولوا عنه مدبرين، فإن كان مؤمنًا كانت الصلاة عند رأسه، وكان الصيام عن يمينه، وكانت الصدقة عن شماله، وكان فعل الخير من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان عند رجليه، فيأتيه الملكان من قبل رأسه، فتقول الصلاة: ما قبلي مدخل. ثم يؤتى عن يمينه، ويقول الصيام: ما قبلي مدخل. ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة: ما قبلي مدخل. ثم يؤتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة، والمعروف والإحسان: ما قبلي مدخل!! فيقول له: اجلس. فيجلس قد مثلت له الشمس، وقد أصغت للغروب. فيقول: دعوني حتى أصلي. فيقولون: إنك ستصلي. أخبرنا عما نسألك عنه، أريتك هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقولون فيه؟ وماذا تشهد به عليه؟ فيقول: محمد، نشهد أنه رسول اللَّه، جاء بالحق من عند اللَّه. فيقال له: على ذلك حييت، وعلى ذلك تبعث إن شاء اللَّه. ثم يفتح له باب إلى الجنة. فيقال: هذا مقعدك، وما أعد اللَّه لك فيها، فيزداد غبطة وسرورًا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا، وينور له فيه، ويعاد الجسد لما بدئ منه، وتجعل روحه نسم طير يعلق في شجر الجنة»، قال: «فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾».

وذكر في الكافر ضد ذلك أنه قال: «يضيق عليه قبره إلى أن تختلف فيه أضلاعه، فتلك المعيشة الضنك، التي قال اللَّه تعالى: ﴿لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾، هذا الحديث أخصر.

وحديث البراء المتقدم أطول ما في «السنن»، فإنهم اختصروه لذكر ما فيه من عذاب القبر، وهو في «المسند» وغيره بطوله. وهو حديث حسن ثابت يقول النبي ﷺ فيه: «إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة، وانقطاع من الدنيا: نزلت إليه ملائكة بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من

أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه. فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة ورضوان»، قال: «فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيّ السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذونها، فيجعلونها في ذلك الكفن وذلك الحنوط فيخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض»، قال: «فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة؟! فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه في الدنيا، فينتهون به إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له فيفتح له قال: فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهوا بها إلى السماء السابعة. فيقول: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى»، قال: «فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه»، وذكر المسألة كما تقدم، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، طيب الريح، فيقول له: أبشر بالذي يسرك فهذا يومك الذي قد كنت توعد، فيقول له: من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير؟! فيقول: أنا عملك الصالح. فيقول: رب! أقم الساعة، رب! أقم الساعة، رب! أقم الساعة؛ حتى أرجع إلى أهلي ومالي»، قال: «وإن العبد الكافر إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط الله وغضبه، فتفرق في أعضائه كلها، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فتتقطع معها العروق والعصب»، قال: «فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلونها في تلك المسوح»، قال: «فيخرج منها كأنتن ما يكون من جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها،

فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهوا إلى السماء الدنيا، فيستفتحون لها فلا يفتح لها»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿**لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ**﴾، **ثم يقول الله تعالى: اكتبوا كتابه في سجين** ـ في الأرض السفلى ـ قال: «**فتطرح روحه طرحًا**»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿**أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**﴾، قال: «**فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه، هاه، لا أدري**» وساق الحديث كما تقدم إلى أن قال: «**ويأتيه رجل قبيح الوجه منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا عملك الذي قد كنت توعد، فيقول: من أنت فوجهك الوجه الذي لا يأتي بالخير؟ قال: أنا عملك السوء. فيقول: رب لا تقم الساعة**» ثلاث مرات.

ففي هذا الحديث أنواع من العلم:

منها: أن الروح تبقى بعد مفارقة البدن، خلافًا لضلال المتكلمين، وأنها تصعد وتنزل خلافًا لضلال الفلاسفة، وأنها تعاد إلى البدن، وأن الميت يسأل، فينعم أو يعذب، كما سأل عنه أهل السؤال، وفيه أن عمله الصالح أو السيئ يأتيه في صورة حسنة أو قبيحة.

وفي «الصحيحين» عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع خفق نعالهم، أتاه ملكان فيقرانه. فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه محمد عبد الله ورسوله**»، قال: «**فيقول: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة**»، قال رسول الله ﷺ: «**فيراهما**

كليهما»، قال قتادة: وذكر لنا أن يفسح له في قبره سبعون ذراعًا، ويملأ عليه خضرًا إلى يوم يبعثون». ثم نرجع إلى حديث أنس، «**ويأتيان الكافر والمنافق فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول كما يقول الناس. فيقول: لا دريت ولا تليت. ثم يضرب بمطارق من حديد بين أذنيه، فيصيح صيحة فيسمعها من عليها غير الثقلين**».

وروى الترمذي وأبو حاتم في «صحيحه» - وأكثر اللفظ له - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا قبر أحدكم الإنسان، أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لهما: منكر والآخر نكير. فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد؟ فهو قائل: ما كان يقول، فإن كان مؤمنًا قال: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فيقولان: إنا كنا لنعلم أنك تقول ذلك.**

ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا، وينور له فيه. ويقال له: نم. فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم. فيقولون له: نم. كنومة العروس: الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك. وإن كان منافقًا، قال: لا أدري، كنت أسمع الناس يقولون شيئًا فقلته: فيقولان: إنا كنا نعلم أنك تقول ذلك. ثم يقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه حتى تختلف فيها أضلاعه فلا يزال معذبًا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»، وهذا الحديث فيه اختلاف أضلاعه وغير ذلك مما يبين أن البدن نفسه يعذب.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا احتضر الميت أتته الملائكة بحريرة بيضاء. فيقولون: اخرجي كأطيب ريح المسك، حتى إنه ليناوله بعضهم بعضًا، حتى يأتوا به باب السماء. فيقولون: ما أطيب هذا الريح متى جاءتكم من**

الأرض؟ فيأتون به أرواح المؤمنين، فلهم أشد فرحًا به من أحدكم بغائبه يقدم عليه، يسألونه ماذا فعل فلان؟ فيقولون: دعوه فإنه في غم الدنيا، فإذا قال: إنه أتاكم قالوا: ذهب إلى أمه الهاوية. وأن الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسح. فيقولون: اخرجي مسخوطًا عليك إلى عذاب اللَّه، فتخرج كأنتن جيفة، حتى يأتوا به أرواح الكفار»، رواه النسائي والبزار، ورواه مسلم مختصرًا عن أبي هريرة ﷺ. وعند الكافر ونتن رائحة روحه، فرد رسول اللَّه ﷺ ريطة كانت عليه على أنفه هكذا. والريطة: ثوب رقيق لين مثل الملاءة.

وأخرجه أبو حاتم في «صحيحه»، وقال: **«إن المؤمن إذا حضره الموت حضرت ملائكة الرحمة، فإذا قبضت نفسه جعلت في حريرة بيضاء، فتنطلق بها إلى باب السماء، فيقولون: ما وجدنا ريحًا أطيب من هذه الرائحة، فيقال: دعوه يستريح، فإن كان في غم الدنيا. فيقال: ما فعل فلان، ما فعلت فلانة؟ وأما الكافر إذا قبضت روحه ذهب بها إلى الأرض تقول خزنة الأرض: ما وجدنا ريحًا أنتن من هذه، فيبلغ بها في الأرض السفلى»**، ففي هذه الأحاديث ونحوها اجتماع الروح والبدن في نعيم القبر وعذابه، وأما انفراد الروح وحدها فقد تقدم بعض ذلك.

وعن كعب بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: **«إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه إلى جسده يوم يبعثه». رواه النسائي ورواه مالك والشافعي كلاهما. وقوله: «يعلق» بالضم أي يأكل وقد نقل هذا في غير هذا الحديث.**

فقد أخبرت هذه النصوص أن الروح تنعم مع البدن الذي في القبر ـ إذا شاء اللَّه ـ وإنما تنعم في الجنة وحدها، وكلاهما حق.

وقد روى ابن أبي الدنيا في كتاب «ذكر الموت» عن مالك بن أنس قال:

«بلغني أن الروح مرسلة تذهب حيث شاءت»، وهذا يوافق ما روي: «أن الروح قد تكون على أفنية القبور» كما قال مجاهد: إن الأرواح تدوم على القبور سبعة أيام يوم يدفن الميت لا تفارق ذلك، وقد تعاد الروح إلى البدن في غير وقت المسألة، كما في الحديث الذي صححه ابن عبد البر عن النبي ﷺ أنه قال: **«ما من رجل يمر بقبر الرجل الذي كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد اللَّه عليه روحه حتى يرد عليه السلام»**.

وفي «سنن أبي داود» وغيره عن أوس بن أوس الثقفي عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن خير أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا عليَّ من الصلاة يوم الجمعة، وليلة الجمعة، فإن صلاتكم معروضة علي»**. قالوا: يا رسول اللَّه! كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟! فقال: **«إن اللَّه حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»**.

وهذا الباب فيه من الأحاديث والآثار ما يضيق هذا الوقت عن استقصائه مما يبين أن الأبدان التي في القبور تنعم وتعذب ـ إذا شاء اللَّه ذلك ـ كما يشاء، وأن الأرواح باقية بعد مفارقة البدن، ومنعمة ومعذبة.

ولهذا أمر النبي ﷺ بالسلام على الموتى، كما ثبت في «الصحيح» و«السنن» «أنه كان يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا: **«السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين، وإنا إن شاء اللَّه بكم لاحقون، يرحم اللَّه المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، نسأل اللَّه لنا ولكم العافية. اللَّهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم، واغفر لنا ولهم»**.

وقد انكشف لكثير من الناس ذلك حتى سمعوا صوت المعذبين في قبورهم، ورأوهم بعيونهم يعذبون في قبورهم في آثار كثيرة معروفة، ولكن

لا يجب ذلك أن يكون دائمًا على البدن في كل وقت، بل يجوز أن يكون في حال دون حال.

وفي «الصحيحين» عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم ترك قتلى بدر ثلاثًا، ثم أتاهم فقام عليهم فقال: «**يا أبا جهل بن هشام! يا أمية بن خلف! يا عتبة بن ربيعة! يا شيبة بن ربيعة! أليس قد وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقًّا**»، فسمع عمر رضي الله عنه قول النبي صلى الله عليه وسلم. فقال: يا رسول اللَّه! كيف يسمعون وقد جيفوا؟ فقال: «**والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا**»، ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا في قليب بدر.

وقد أخرجاه في «الصحيحين» عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف على قليب بدر فقال: «**هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا؟**»، وقال: «**إنهم ليسمعون الآن ما أقول**» فذكر ذلك لعائشة فقالت: وهم ابن عمر. إنما قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: «**إنهم ليعلمون الآن أن الذي قلت لهم هو الحق**»، ثم قرأت قوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ**﴾ حتى قرأت الآية.

وأهل العلم بالحديث والسنة: اتفقوا على صحة ما رواه أنس وابن عمر، وإن كانا لم يشهدا بدرًا، فإن أنسًا روى ذلك عن أبي طلحة، وأبو طلحة شهد بدرًا. كما روى أبو حاتم في «صحيحه» عن أنس عن أبي طلحة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش، فقذفوا في طوى من أطواء بدر، وكان إذا ظهر على قوم أحب أن يقيم في عرصتهم ثلاث ليال: فلما كان اليوم الثالث: أمر براحلته فشد عليها فحركها، ثم مشى وتبعه أصحابه. وقالوا: ما نراه ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفاء الركي، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «**يلا فلان بن فلان! أيسركم**

أنكم أطعتم اللَّه ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا. فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا؟»، قال عمر بن الخطاب: يا رسول اللَّه! ما تكلم من أجساد ولا أرواح فيها. فقال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**».

قال قتادة: أحياهم اللَّه حتى سمعهم توبيخًا وتصغيرًا، ونقمة وحسرة وتنديمًا. وعائشة تأولت فيما ذكرته كما تأولت أمثال ذلك.

والنص الصحيح عن النبي ﷺ مقدم على تأويل من تأول من أصحابه وغيره، وليس في القرآن ما ينفي ذلك فإن قوله: ﴿**إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ**﴾ إنما أراد به السماع المعتاد، الذي ينفع صاحبه، فإن هذا مثل ضرب للكفار، والكفار تسمع الصوت، لكن لا تسمع سماع قبول بفقه واتباع، كما قال تعالى: ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً**﴾.

فهكذا الموتى الذين ضرب لهم المثل، لا يجب أن ينفى عنهم جميع السماع المعتاد أنواعَ السماع، كما لم ينف ذلك عن الكفار، بل قد انتفى عنهم السماع المعتاد الذي ينتفعون به، وأما سماع آخر فلا ينفى عنهم.

وقد ثبت في «الصحيحين» وغيرهما أن الميت يسمع خفق نعالهم، إذا ولوا مدبرين، فهذا موافق لهذا، فكيف يدفع ذلك؟ ومن العلماء من قال: إن الميت في قبره لا يسمع ما دام ميتًا، كما قالت عائشة. واستدلت به من القرآن، وأما إذا أحياه اللَّه فإنه يسمع كما قال قتادة: أحياهم اللَّه له. وإن كانت تلك الحياة لا يسمعون بها، كما نحن لا نرى الملائكة والجن، ولا نعلم ما يحس به الميت في منامه، وكما لا يعلم الإنسان ما في قلب الآخر، وإن كان قد يعلم ذلك من أطلعه اللَّه عليه.

[وهذه] جملة يحصل بها مقصود السائل، وإن كان لها من الشرح والتفصيل ما ليس هذا موضعه، فإن ما ذكرناه من الأدلة البينة على ما سأل عنه ما لا يكاد مجموعًا. والله أعلم.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم(١).

● **وسئل ـ رحمه الله ـ:**

عن رجلين تنازعا في أمر نبي الله «عيسى ابن مريم» ـ عليه السلام ـ فقال أحدهما: أن عيسى ابن مريم توفاه الله، ثم رفعه إليه، وقال الآخر: بل رفعه إليه إنّي حيًّا. فما الصواب في ذلك.وهل رفعه بجسده، أو روحه أم لا؟ وما الدليل على هذا وهذا؟ وما تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾؟!

● **فأجاب:** الحمد لله. عيسى عليه السلام حي، وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً وإمامًا مقسطًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية**»، وثبت في «الصحيح» عنه: «**أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق، وأنه يقتل الدجال**». ومن فارقت روحه جسده لم ينزل جسده من السماء، وإذا أحيي فإنه يقوم من قبره.

وأما قوله تعالى: **﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** فهذا دليل على أن لم يعن بذلك الموت، إذ لو أراد بذلك الموت لكان عيسى في ذلك كسائر المؤمنين، فإن الله يقبض أرواحهم ويعرج بها إلى السماء، فعلم أن ليس في ذلك خاصية. وكذلك قوله: **﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾**، ولو كان قد فارقت روحه جسده لكان بدنه في الأرض كبدن سائر الأنبياء، أو غيره من الأنبياء.

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٨٢ ـ ٢٩٩).

وقد قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾، فقوله هنا: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ يبين أنه رفع بدنه وروحه كما ثبت في «الصحيح» أنه ينزل بدنه وروحه، إذ لو أريد موته لقال: وما قتلوه وما صلبوه، بل مات. فقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ يبين أنه رفع بدنه وروحه كما ثبت في «الصحيح» أنه ينزل بدنه وروحه.

ولهذا قال من قال من العلماء: إني متوفيك: أي قابضك: أي قابض روحك وبدنك، يقال: توفيت الحساب واستوفيته، ولفظ التوفي لا يقتضي نفسه توفي الروح دون البدن، ولا توفيهما جميعًا، إلا بقرينة منفصلة.

وقد يراد به توفي النوم كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾، وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾، وقد ذكروا في صفة توفي المسيح ما هو مذكور في موضعه. والله تعالى أعلم[1].

● وسئل الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ:

هل صح عن النبي ﷺ: أن الله تبارك وتعالى أحيا له أبويه حتى أسلما على يديه، ثم ماتا بعد ذلك؟

● فأجاب: لم يصح ذلك عن أحد من أهل الحديث، بل أهل المعرفة متفقون على أن ذلك كذب مختلق، وإن كان قد روى في ذلك أبوبكر ـ يعني الخطيب ـ في كتابه «السابق واللاحق»، وذكره أبو القاسم السهيلي في «شرح السيرة» بإسناد فيه مجاهيل، وذكره أبو عبد الله القرطبي في «التذكرة» وأمثال

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٣٢٢ ـ ٣٢٣).

هذه المواضع فلا نزاع بين أهل المعرفة أنه من أظهر الموضوعات كذبًا كما نص عليه أهل العلم، وليس ذلك في الكتب المعتمدة في الحديث، لا في «الصحيح» ولا في «السنن» ولا في المسانيد ونحو ذلك من كتب الحديث المعروفة، ولا ذكره أهل كتب المغازي والتفسير، وإن كانوا قد يروون الضعيف مع «الصحيح»؛ لأن ظهور كذب ذلك لا يخفى على متدين، فإن مثل هذا لو وقع لكان مما تتوافر الهمم والدواعي على نقله، فإنه من أعظم الأمور خرقًا للعادة من وجهين:

من جهة إحياء الموتى، ومن جهة الإيمان بعد الموت. فكان نقل مثل هذا أولى من نقل غيره، فلما لم يروه أحد من الثقات علم أنه كذب.

والخطيب البغدادي هو في كتاب «السابق واللاحق» مقصوده أن يذكر من تقدم ومن تأخر من المحدثين عن شخص واحد سواء كان الذي يروونه صدقًا أو كذبًا، وابن شاهين يروى الغث والسمين. والسهيلي إنما ذكر ذلك بإسناد فيه مجاهيل.

ثم هذا خلاف الكتاب، والسنة الصحيحة، والإجماع. قال اللَّه تعالى: ﴿**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ**﴾.

فبين اللَّه تعالى: أنه لا توبة لمن مات كافرًا. وقال تعالى: ﴿**فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ**﴾، فأخبر أن سنته في عباده أنه لا ينفع الإيمان بعد رؤية البأس،

فكيف بعد الموت؟ ونحو ذلك من النصوص.

وفي «صحيح مسلم»: «أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أين أبي؟ قال: «**إن أباك في النار**». فلما أدبر دعاه فقال: «**إن أبي وأباك في النار**».

وفي «صحيح مسلم» أيضًا أنه قال: «**استأذنت ربي أن أزور قبر أمي، فأذن لي، واستأذنته في أن أستغفر لها فلم يأذن لي. فزوروا القبور فإنها تذكر الآخرة**».

وفي الحديث الذي في «المسند» وغيره قال: «**إن أمي مع أمك في النار**»، فإن قيل: هذا في عام الفتح والإحياء كان بعد ذلك في حجة الوداع، ولهذا ذكر ذلك من ذكره وبهذا اعتذر صاحب التذكرة، وهذا باطل لوجوه:

الأول: أن الخبر عما كان ويكون لا يدخله نسخ، كقوله في أبي لهب: ﴿**سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ**﴾، وكقوله في الوليد: ﴿**سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا**﴾.

وكذلك في: «**إن أبي وأباك في النار**» و«**إن أمي وأمك في النار**»، وهذا ليس خبرًا عن نار يخرج منها صاحبها كأهل الكبائر؛ لأنه لو كان كذلك لجاز الاستغفار لهما، ولو كان قد سبق في علم اللَّه إيمانهما لم ينهه عن ذلك، فإن الأعمال بالخواتيم، ومن مات مؤمنًا فإن اللَّه يغفر له فلا يكون الاستغفار له ممتنعًا.

الثاني: أن النبي ﷺ زار قبر أمه؛ لأنها كانت بطريقه «بالحجون» عند مكة عام الفتح، وأما أبوه فلم يكن هناك، ولم يزره إذ كان مدفونًا بالشام في غير طريقه، فكيف يقال: أُحيي له؟.

الثالث: أنهما لو كانا مؤمنين إيمانًا ينفع كانا أحق بالشهرة والذكر من عميه: حمزة، والعباس؛ وهذا أبعد مما يقوله الجهال من الرافضة ونحوهم، من أن أبا طالب آمن، ويحتجون بما في «السيرة» من الحديث الضعيف، وفيه

أنه تكلم بكلام خفي وقت الموت.

ولو أن العباس ذكر أنه آمن لما كان قال للنبي ﷺ: «**عمك الشيخ الضال كان ينفعلك فهل نفعته بشيء؟**»، فقال: «**وجدته في غمرة من نار فشفعت فيه حتى صار في ضحضاح من نار، في رجليه نعلان من نار يغلي منهما دماغه، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**».

هذا باطل مخالف لما في «الصحيح» وغيره فإنه كان آخر شيء قاله: هو على ملة عبد المطلب، وأن العباس لم يشهد موته، مع أن ذلك لو صح لكان أبو طالب أحق بالشهرة من حمزة والعباس، فلما كان من العلم المتواتر المستفيض بين الأمة خلفًا عن سلف أنه لم يذكر أبو طالب ولا أبواه في جملة من يذكر من أهله المؤمنين، كحمزة، والعباس، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين رضي الله عنهم، كان هذا من أبين الأدلة على أن ذلك كذب.

الرابع: أن اللَّه تعالى قال: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ** ـ إلى قوله ـ: **لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ**﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ**﴾.

فأمر بالتأسي بإبراهيم والذين معه، إلا في وعد إبراهيم لأبيه بالاستغفار. وأخبر أنه لما تبين له أنه عدو للَّه تبرأ منه. واللَّه أعلم[1].

● **وسئل ـ رحمه اللَّه ـ:**

عن هذه الأحاديث: أن النبي ﷺ رأى «موسى» عليه السلام وهو يصلي في قبره، ورآه وهو يطوف بالبيت، ورآه في السماء، وكذلك بعض الأنبياء. وهل

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٣٢٤ ـ ٣٢٧).

إذا مات أحد يبقى له عمل؟ والحديث أنه ينقطع عمله. وهل ينتفع بهذه الصلاة والطواف؟ وهل رأى الأنبياء بأجسادهم في هذه الأماكن أم بأرواحهم؟

● **فأجاب**: الحمد للَّه رب العالمين. أما رؤيا موسى عليه السلام في الطواف فهذا كان رؤيا منام لم يكن ليلة المعراج، كذلك جاء مفسرًا كما رأى المسيح أيضًا، ورأى الدجال. وأما رؤيته ورؤية غيره من الأنبياء ليلة المعراج في السماء لما رأى آدم في السماء الدنيا، ورأى يحيى وعيسى في السماء الثانية، ويوسف في الثالثة، وإدريس في الرابعة، وهارون في الخامسة، وموسى في السادسة، وإبراهيم في السابعة، أو بالعكس، فهذا رأى أرواحهم مصورة في صور أبدانهم.

وقد قال بعض الناس: لعله رأى نفس الأجساد المدفونة في القبور، وهذا ليس بشيء.

لكن «عيسى» صعد إلى السماء بروحه وجسده، وكذلك قد قيل في «إدريس».

وأما «إبراهيم» و«موسى» وغيرهما فهم مدفونون في الأرض.

والمسيح ـ صلى اللَّه عليه وسلم وعلى سائر النبيين ـ لا بد أن ينزل إلى الأرض على المنارة البيضاء شرقي دمشق فيقتل الدجال، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة، ولهذا كان في السماء الثانية مع أنه أفضل من يوسف، وإدريس، وهارون؛ لأنه يريد النزول إلى الأرض قبل يوم القيامة، بخلاف غيره.

وآدم كان في سماء الدنيا؛ لأن نسم بنيه تعرض عليه: أرواح السعداء ـ والأشقياء لا تفتح لهم أبواب السماء، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في

سم الخياط ـ فلا بد إذا عرضوا عليه أن يكون قريبًا منهم.

وأما كونه رأى موسى قائمًا يصلي في قبره، ورآه في السماء أيضًا فهذا لا منافاة بينهما، فإن أمر الأرواح من جنس أمر الملائكة. في اللحظة الواحدة تصعد، وتهبط كالملك، ليست في ذلك كالبدن.

وقد بسطت الكلام على أحكام الأرواح بعد مفارقة الأبدان في غير هذا الموضع، وذكرت بعض ما في ذلك من الأحاديث، والآثار، والدلائل.

وهذه الصلاة ونحوها مما يتمتع بها الميت، ويتنعم بها كما يتنعم أهل الجنة بالتسبيح، فإنهم يلهمون التسبيح كما يلهم الناس في الدنيا النفس، فهذا ليس من عمل التكليف الذي يطلب له ثواب منفصل، بل نفس هذا العمل هو من النعيم الذي تتنعم به الأنفس وتتلذذ به.

وقول النبي ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له**» يريد به العمل الذي يكون له ثواب، لم يرد به نفس العمل الذي يتنعم به، فإن أهل الجنة يتنعمون بالنظر إلى اللَّه، ويتنعمون بذكره وتسبيحه، ويتنعمون بقراءة القرآن، ويقال لقارئ القرآن اقرأ وارق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها.

ويتنعمون بمخاطبتهم لربهم ومناجاته، وإن كانت هذه الأمور في الدنيا أعمالاً يترتب عليها الثواب، فهي في الآخرة أعمال يتنعم بها صاحبها أعظم من أكله وشربه ونكاحه، وهذه كلها أعمال أيضًا، والأكل والشرب والنكاح في الدنيا مما يؤمر به ويثاب عليه مع النية الصالحة، وهو في الآخرة نفس الثواب الذي يتنعم به، واللَّه أعلم.

وهذا قدر ما احتملته هذه الورقة فإن هذه المسائل لها بسط طويل[١] .

• سئل الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ[٢] :

هل كان الخضر عليه السلام نبيًّا أو وليًّا؟ وهل هو حي إلى الآن؟ وإن كان حيًّا فما تقولون فيما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لو كان حيًّا لزارني» هل هذا الحديث صحيح أم لا؟

• فأجاب: أما نبوته: فمن بعد مبعث رسول اللَّه ﷺ لم يوح إليه ولا إلى غيره من الناس، وأما قبل مبعث النبي ﷺ فقد اختلف في نبوته، ومن قال إنه نبي: لم يقل إنه سلب النبوة، بل يقول هو كإلياس نبيء؛ لكنه لم يوح إليه في هذه الأوقات، وترك الوحي إليه في مدة معينة ليس نفيًا لحقيقة النبوة، كما لو فتر الوحي عن النبي ﷺ في أثناء مدة رسالته.

وأكثر العلماء على أنه لم يكن نبيًا، مع أن نبوة من قبلنا يقرب كثير منها من الكرامة والكمال في الأمة. وإن كان كل واحد من النبيين أفضل من كل واحد من الصديقين كما رتبه القرآن وكما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر الصديق**»، وروي عنه ﷺ أنه قال: «**إن كان الرجل ليسمع الصوت فيكون نبيًّا**».

وفي هذه الأمة من يسمعه ويرى الضوء وليس بني؛ لأن ما يراه ويسمعه يجب أن يعرضه على ما جاء به محمد ﷺ ، فإن وافقه فهو حق، وإن

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٣٢٨ ـ ٣٣٠).

(٢) هكذا وجدت هذه الرسالة. وهذه الفتوى خلاف ما كان عليه شيخ الإسلام في بقية كتبه بل وفي «مجموع الفتاوى» . . . فلا يؤخذ بها.

خالفه تيقن أن الذي جاء من عند اللَّه يقين لا يخالطه ريب ولا يحوجه أن يشهد عليه بموافقة غيره.

وأما حياته: فهو حي. والحديث المذكور لا أصل له، ولا يعرف له إسناد، بل المروي في «مسند الشافعي» وغيره: أنه اجتمع بالنبي ﷺ، ومن قال إنه لم يجتمع بالنبي ﷺ فقد قال ما لا علم له به، فإنه من العلم الذي لا يحاط به.

ومن احتج على وفاته بقول النبي ﷺ: **«أرأيتكم ليلتكم هذه فإنه على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها اليوم أحد»**. فلا حجة فيه، فإنه يمكن أن يكون الخضر إذ ذاك على وجه الأرض.

ولأن الدجال ـ وكذلك الجساسة ـ الصحيح أنه كان حيًّا موجودًا على عهد النبي ﷺ، وهو باق إلى اليوم لم يخرج، وكان في جزيرة من جزائر البحر.

فما كان من الجواب عنه كان هو الجواب عن الخضر، وهو أن يكون لفظ الأرض لم يدخل في هذا الخبر، أو يكون أراد ﷺ الآدميين المعروفين، وأما من خرج عن العادة لم يدخل في العموم كما لم تدخل الجن، وإن كان لفظًا ينتظم الجن والإنس. وتخصيص مثل هذا من مثل هذا العموم كثير معتاد. واللَّه أعلم[1].

* * *

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٣٣٨ ـ ٣٤٠).

● **وسئل شيخ الإسلام:**

عن المقتول: هل مات بأجله؟ أم قطع القاتل أجله؟

● **فأجاب:** المقتول كغيره من الموتى، لا يموت أحد قبل أجله، ولا يتأخر أحد عن أجله. بل سائر الحيوان والأشجار لها آجال لا تتقدم ولا تتأخر. فإن أجل الشيء هو نهاية عمره وعمره مدة بقائه، فالعمر مدة البقاء، والأجل نهاية العمر بالانقضاء.

وقد ثبت في «صحيح مسلم» وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «**قدر اللَّه مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة. وكان عرشه على الماء**»، وثبت في «صحيح البخاري» أن النبي ﷺ قال: «**كان اللَّه ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء وخلق السماوات والأرض**»، - وفي لفظ - «**ثم خلق السماوات والأرض**». وقد قال تعالى: ﴿**فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾.

واللَّه يعلم ما كان قبل أن يكون، وقد كتب ذلك، فهو يعلم أن هذا يموت بالبطن، أو ذات الجنب، أو الهدم أو الغرق أو غير ذلك من الأسباب، وهذا يموت مقتولاً: إما بالسم. وإما بالسيف وإما بالحجر وإما بغير ذلك، من أسباب القتل.

وعلم اللَّه بذلك وكتابته له بل مشيئته لكل شيء وخلقه كل شيء لا يمنع المدح والذم والثواب والعقاب، بل القاتل: إن قتل قتيلاً أمر اللَّه به ورسوله، كالمجاهد في سبيل اللَّه أثابه اللَّه على ذلك، وإن قتل قتيلاً حرمه اللَّه ورسوله كقتل القطاع والمعتدين، عاقبه اللَّه على ذلك، وإن قتل قتيلاً مباحًا - كقتيل المقتص - لم يثب ولم يعاقب إلا أن يكون له نية حسنة،

أو سيئة في أحدهما.

والأجل أجلان «أجل مطلق» يعلمه اللَّه، و«أجل مقيد» وبهذا يتبين معنى قوله ﷺ: «**من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه**»، فإن اللَّه أمر الملك أن يكتب له أجلاً، وقال: «**إن وصل رحمه زدته كذا وكذا**»، والملك لا يعلم أيزداد أم لا، لكن اللَّه يعلم ما يستقر عليه الأمر فإذا جاء ذلك لا يتقدم ولا يتأخر.

ولو لم يقتل المقتول، فقد قال بعض القدرية: إنه كان يعيش، وقال بعض نفاة الأسباب: إنه يموت، وكلاهما خطأ؛ فإن اللَّه علم أنه يموت بالقتل، فإذا قدر خلاف معلومه كان تقديرًا لما لا يكون لو كان كيف كان يكون، وهذا قد يعلمه بعض الناس، وقد لا يعلمه، فلو فرضنا أن اللَّه علم أنه لا يقتل أمكن أن يكون قدر موته في هذا الوقت، وأمكن أن يكون قدر حياته إلى وقت آخر فالجزم بأحد هذين على التقدير الذي لا يكون جهل.

وهذا كمن قال: لو لم يأكل هذا ما قدر له من الرزق كان يموت أو يرزق شيئًا آخر، وبمنزلة من قال: لو لم يحبل هذا الرجل لهذه المرأة هل تكون عقيمًا أو يحبلها رجل آخر، ولو لم تزدرع هذه الأرض هل كان يزدرعها غيره، أم كانت تكون مواتًا لا يزرع فيها، وهذا الذي تعلم القرآن من هذا، لو لم يعلمه: هل كان يتعلم من غيره؟ أم لم يكن يتعلم القرآن البتة، ومثل هذا كثير[1].

* * *

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٨/٥١٦ ـ ٥١٩).

• وسئل ـ قدس اللَّه روحه ـ:

عن حكم قول بعض العلماء والفقراء: إن الدعاء مستجاب عند قبور أربعة ـ من أصحاب الأئمة الأربعة «قبر الفندلاوي» من أصحاب مالك و«قبر البرهان البخلي» من أصحاب أبي حنيفة و«قبر الشيخ نصر المقدسي» من أصحاب الشافعي. و«قبر الشيخ أبي الفرج» من أصحاب أحمد ﷺ؟ ومن استقبل القبلة عند قبورهم ودعا استجيب له؟ وقول بعض العلماء عن بعض المشايخ يوصيه: إذا نزل بك حادث أو أمر تخافه استوحني ينكشف عنك ما تجده من الشدة: حيًّا كنت، أو ميتًا؟ ومن قرأ آية الكرسي واستقبل جهة الشيخ عبد القادر الجيلاني وسلم عليه سبع مرات يخطو مع كل تسليمة خطوة إلى قبره قضيت حاجته، أو كان في سماع فإنه يطيب ويكثر التواجد.

وما يفعله بعض المتعبدين من الدعاء عند قبر زكريا، وقبر هود، والصلاة عندهما، والموقف بين شرقي رواق الجامع بباب الطهارة بدمشق، والدعاء عند المصحف العثماني، ومن ألصق ظهره الموجوع بالمعمود الذي عند رأس قبر معاوية عند الشهداء بباب الصغير.

فهل للدعاء خصوصية قبول أو سرعة إجابة بوقت مخصوص، أو مكان معين: عند قبر نبي، أو ولي، أو يجوز أن يستغيث إلى اللَّه تعالى في الدعاء بنبي مرسل، أو ملك مقرب، أو بكلامه تعالى، أو بالكعبة، أو بالدعاء المشهور باحتياط قاف، أو بدعاء أم داود، أو الخضر؟؟.

• فأجاب: الحمد للَّه رب العالمين. أما قول القائل: أن الدعاء مستجاب عند قبور المشايخ الأربعة المذكورين ﷺ فهو من جنس قول غيره: قبر فلان هو الترياق المجرب، ومن جنس ما يقوله أمثال هذا القائل: من أن الدعاء

مستجاب عند قبر فلان وفلان. فإن كثيرًا من الناس يقول مثل هذا القول عند بعض القبور، ثم قد يكون ذلك القبر قد علم أنه قبر رجل صالح من الصحابة، أو أهل البيت أو غيرهم من الصالحين، وقد يكون نسبة ذلك القبر إلى ذلك كذبًا، أو مجهول الحال: مثل أكثر ما يذكر من قبور الأنبياء، وقد يكون صحيحًا والرجل ليس بصالح، فإن هذه الأقسام موجودة فيمن يقول مثل هذا القول، أو من يقول: إن الدعاء مستجاب عند قبر بعينه، وأنه استجيب له الدعاء عنده، والحال أن ذاك إما قبر معروف بالفسق والابتداع، وإما قبر كافر، كما رأينا من دعا فكشف له حال القبور فبهت لذلك، ورأينا من ذلك أنواعًا.

وأصل هذا: أن قول القائل: إن الدعاء مستجاب عند قبور الأنبياء والصالحين قول ليس له أصل في كتاب اللَّه، ولا سنة رسوله، ولا قاله أحد من الصحابة، ولا التابعين لهم بإحسان، ولا أحد من أئمة المسلمين المشهورين بالإمامة في الدين، كمالك والثوري، والأوزاعي، والليث بن سعد، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق.

وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**أحب البقاع إلى اللَّه المساجد**»، فليس في البقاع أفضل منها، وليست مساكن الأنبياء لا أحياء ولا أمواتًا بأفضل من المساجد. هذا هو الثابت بنص الرسول، واتفاق علماء أمته.

وما ذكره بعضهم من أن قبور الأنبياء والصالحين أفضل من المساجد، وأن الدعاء عندها أفضل من الدعاء في المساجد، حتى في المسجد الحرام والمسجد النبوي. فقول يعلم بطلانه بالاضطرار من دين الرسول، ويعلم إجماع علماء الأمة على بطلانه إجماعًا ضروريًا، كإجماعهم على أن الاعتكاف في المساجد

أفضل منه عند القبور. والمقصود بالاعتكاف: العبادة والصلاة، والقراءة، والذكر، والدعاء.

وما ذكره بعضهم من الإجماع على تفضيل قبر من القبور على المساجد كلها. فقول محدث في الإسلام، لم يعرف عن أحد من السلف، ولكن ذكره بعض المتأخرين، فأخذه عنه آخر وظنه إجماعًا، لكون أجساد الأنبياء أنفسها أفضل من المساجد. فقولهم يعم المؤمنين كلهم، فأبدانهم أفضل من كل تراب في الأرض، ولا يلزم من كون أبدانهم أفضل أن تكون مساكنهم أحياء وأمواتًا أفضل، بل قد علم بالاضطرار من دينهم أن مساجدهم أفضل من مساكنهم.

وقد يحتج بعضهم بما روي من: «أن كل مولود يذر عليه من تراب حفرته» فيكون قد خلق من تراب قبره. وهذا الاحتجاج باطل لوجهين:

أحدهما: أن هذا لا يثبت، وما روي فيه كله ضعيف.

ولم يكن على عهد الصحابة قبر نبي ظاهر يزار، لا بسفر ولا بغير سفر. لا قبر الخليل، ولا غيره. ولما ظهر بتستر «قبر دانيال» وكانوا يستسقون به كتب فيه أبو موسى الأشعري إلى عمر بن الخطاب، فكتب إليه يأمره أن يحفر بالنهار ثلاثة عشر قبرًا، ويدفنه بالليل في واحد منها، ويعفي القبور كلها لئلا يفتتن به الناس. وهذا قد ذكره غير واحد. وممن رواه يونس بن بكر في «زيادات مغازي ابن إسحاق» عن أبي خلدة بن دينار. حدثنا أبو العالية، قال: لما فتحنا «تستر» وجدنا في بيت مال الهرمزان سريرًا عليه رجل ميت، عند رأسه مصحف له، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فدعا له كعبًا فنسخه بالعربية، فأنا أول رجل من العرب قرأه: قرأته مثلما أقرأ

القرآن هذا. فقلت: لأبي العالية: ما كان فيه؟ قال: سيرتكم، وأموركم، ولحون كلامكم، وما هو كائن بعد. قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة، فلما كان بالليل دفناه، وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس لا ينبشونه. قلت: وما يرجون فيه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون. فقلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال: رجل يقال له «دانيال» فقلت: منذ كم وجدتموه مات؟ قال: منذ ثلاثمائة سنة. قلت: ما كان تغير منه شيء؟ قال: لا، إلا شعيرات من قفاه، إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض، ولا تأكلها السباع.

ولم تدع الصحابة في الإسلام قبراً ظاهراً من قبور الأنبياء يفتتن به الناس، ولا يسافرون إليه ولا يدعونه، ولا يتخذونه مسجداً، بل قبر نبينا ﷺ حجبوه في الحجرة، ومنعوا الناس منه بحسب الإمكان، وغيره من القبور عفوه بحسب الإمكان، إن كان الناس يفتتنون به، وإن كانوا لا يفتتنون به فلا يضر معرفة قبره»[1].

* * *

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية».

وقفة أخيرة

«كل يأخذ من قوله ويترك إلا صاحب الروضة ﷺ»

مرت بك فتاوى هي الدرر والتبر لشيخ الإسلام.

حقًّا أحمد بن تيمية وهو الجبل الذي لا يناطح..

ولكن كل يؤخذ من قوله ويترك... وهنا نسجل ما كتبه إمام السنة في عصرنا سيدنا الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ... وننقل بحثين من كلام الشيخ الألباني ردًّا على شيخ الإسلام في مسألتين قد نازعه فيهما كثير من أهل العلم وهما: حكم زيارة النساء للقبور فقد ذهب للمنع وخالفه الجمهور.

والثانية: مسألة إهداء ثواب الأعمال للمُتَوَفَّى وهو فرع عن «النيابة في النيات وقد وافق شيخ الإسلام ابن تيمية ابن أبي العز شارح الطحاوية وخالفه ناصر السنة الشافعي وناصر السنة في عصرنا ناصر الدين الألباني.

زيارة النساء للقبور

قال الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ في «أحكام الجنائز» ص(٢٢٩):

«والنساء كالرجال في استحباب زيارة القبور، لوجوه:

● **الأول:** عمومُ قوله ﷺ: «... **فَزُوروا القُبور**»، فيدخلُ فيه النساء، وبيانه: أن النبي ﷺ لما نهى عن زيارة القبورِ في أول الأمر، فلا شك أن النهي كان شاملاً للرجال والنساء معًا، فلما قال: «**كُنتُ نهيتُكم عن زيارةِ القبورِ**»، كان مفهومًا أنه كان يعني الجنسين ضرورة أنه يُخبرهم عما كان في أول الأمر من نهي الجنسين، فإذا كان الأمر كذلك، كان لزامًا أن الخطاب في

الجملة الثانية من الحديث وهو قوله: «فَزُوروها»، إنما أراد به الجنسين أيضًا، ويُؤيده أن الخطاب في بقية الأفعالِ المذكـورة في زيادةِ مسلمٍ في حديث بُريدة المتـقدم آنـفًا: «**وَنَهيْتـكُم عن لُحومِ الأضاحي فـوقَ ثلاث فأمسكوا مـا بدا لكم، ونهيتُـكُم عن النبيذِ إلا فـي سقاءٍ فاشربوا في الأسقـيةِ كُلها ولا تشربَـوا مُسْكِرًا**»، وأقولُ: فالخطاب في جـميع هذه الأفعالِ موجهٌ إلى الجنسين قـطعًا، كما هو الشأنُ فـي الخطابِ الأول: «**كنت نهـيتُكم**»، فإذا قيل بأن الخـطاب في قوله: «**فَزُوروها**» خاصٌّ بالرجال، اختل نظامُ الكلام وذهبت طراوتُه، الأمرُ الذي لا يليـقُ بمن أُوتي جوامعَ الـكَلِمِ، ومن هو أفـصحُ من نطق بـالضاد[1] ﷺ، ويزيدُه تأييدًا الوجوه الآتيةُ:

● **الثـانـي**: مُشاركتُهن الـرجال في العلة التي من أجلـها شُرعت زيارةُ القبور: «فإنها تُرق القلب وتُدمعُ العين، وتُذكر الآخرة».

● **الثالث**: أن النبي ﷺ قد رخص لهن في زيارة القبور، في حديثين حفظتهُمُا لنا أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

١ ـ عن عبد اللَّه بن مُليكة:

«أن عائشة أقبلت ذاتَ يومٍ من المقابرِ، فـقلتُ لها: يا أم المؤمنين من أين أقبلتِ؟ قـالت: من قبرِ عبـد الرحمن بن أبي بـكر، فقلتُ لهـا: أليس كان رسول اللَّه ﷺ نهى عن زيارة القبور؟ قالت: نعم: ثم آمر بزيارتِها». وفي روايةٍ عنها: «أن رسول اللَّه ﷺ رخص في زيارة القبور».

أخرجه الحاكم (١/ ٣٧٦)، وعـنه البيهقي (٤/ ٧٨)، وابن عـبد البر في

---

(١) هذا من صـفته ﷺ، أما حديثُ: «أنا أفصحُ من نطق بـالضادِ» فلا أصل له، كما قال الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (٣٢١).

«التمـهيد» (٣/ ٢٣٣) من طـريق بسطام بـن مُسلم، عن أبـي التياح يـزيد بن حُميد، عن عبد اللَّه بن أبي مليكة، والرواية الأخرى لابن ماجه (١/ ٤٧٥).

قـلـت: سكَت عنه الحاكم، وقال الذهبـي: «صحيح»، وقال البوصيري في «الزوائد» (١/٩٨٨): «إسنادهُ صحيحٌ رجاله ثقات». وهو كما قالا. وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/ ٤١٨):

«رواه ابن أبي الدنيا في «القبور» والحاكم بإسناد جيد»[1].

٢ ـ عن محمد بن قيس بن مخرمة بن المطلب أنه قال يومًا: ألا أحدثكم عني وعـن أمي؟ فظنـنا أنه يريدُ أمـه التي ولدتـهُ، قال: قالت عـائشة: ألا أحدثكم عني وعن رسول اللَّه ﷺ؟ قلنا: بلى، قالت:

(١) **قلـت**: وقد أعله ابن القيم بشيءٍ عجيـبٍ، والأحرى بلا شيء! فقال في «تهذيب السنن» (٤/ ٣٥٠):

«وأما رواية البيـهقي فهي من رواية بسطام بـن مسلم، ولو صح، فعائشـةُ تأولت ما تأول غيرها من دخول النساء»!

قلـت: وبسطامٌ ثقة بدون خلافٍ أعلمهُ، فلا وجه لغمز ابن القيم له، والإسنادُ صحيحٌ لا شبهة فيـه، وقد احتج به أحمدُ فيمـا رواه ابن عبد البر في «التمـهيد» (٣/ ٢٣٤) عن أبي بكر الأثرم، قال: «سـمعتُ أحمد بن حنبـل يُسأل عن المرأة تزور القبـر؟ فقال: أرجو إن شاء اللَّه أن لا يكون به بأسٌ، عائشة زارت قبر أخيها».

وقد تابـعه عبد الجبار بـن الورد، قال: سمعـتُ ابن أبي مليـكة، يقول: ركبت عـائشة، فخـرج إلينـا غلامهـا، فقلـتُ: أين ذهبـت أم المؤمـنين؟ قال: ذهـبت إلى قـبر أخيـها عبد الرحمن تُسلم عليه. أخرجه ابن عبد البر وسنده حسنٌ.

ولا يعله ما أخرجه الترمذي (٢/ ١٥٧) من طريق ابن جـريج عن عبد اللَّه ابن أبي مُليكة قال: توفي عبد الـرحمن بن أبي بكر بـ (الحبشـي) (مكان بينه وبين مكة اثنـا عشر ميلاً) فَحُمل إلى مكة فدُفن فيها، فلما قدمت عائشة أتت قبر عبد الرحمن بن أبي بكر فقالت:

وكُنّا كَندْمَانَيْ جُذَيَمَـة حُقْـبةً ... من الدهر حتى قيلَ: لن يتصدّعا

فَلمّـا تفَـرَّقنـا كأنّي ومالِكًـا ... لِطُولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليـلةً مَعَـا =

«لما كانت ليلتي التي كان النبي ﷺ فيها عندي، انقلب فوضعَ رداءه، وخلعَ نعليه، فوضعهما عند رجليه، وبسط طرف إزاره على فراشه، فاضطجع، فلم يلبث إلا ريثما ظهر أنه قد رقدتُ، فأخذَ رداءه رُويدًا، وانتعل رُويدًا، وفتح الباب رُويدًا، فخرج، ثم أجافه رُويدًا، فجعلتُ درعي في رأسي واختمرتُ، وتقنعتُ إزاري[1]، ثم انطلقتُ على إثره حتى جاء البقيع، فقام فأطالَ القيامَ، ثم رفع يديه ثلاثَ مرات، ثم انحرفَ فانحرفتُ، وأسرعَ فأسرعتُ، فهرول، فهرولتُ، فأحضرَ فأحضرتُ، فسبقتُه، فدخلتُ، فليس إلا أن اضطجعتُ، فدخل فقال: ما لك يا عائشُ[2] **حَشْيًا[3] رابيةً؟**»، قالت: قلت: لا شيء يا رسول الله، قال: لتُخبرنِّي أو ليُخبرني اللطيفُ الخبيرُ، قالت: قلت: يا رسول الله بأبي وأنت وأمي، فأخبرتُه الخبرَ قال:

= ثم قالت: والله لو حضرتُك ما دُفنت إلا حيث مت، ولو شهدتُك ما زُرتُك». وكذا أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤/ ١٤٠)، واستدركه الهيثمي فأورده في «المجمع» وقال: (٣/ ٦٠): «رواه الطبراني في «الكبير»، ورجاله رجال الصحيح»، فوهم في الاستدراك لإخراج الترمذي له، ورجالهُ رجالُ الشيخين لكن ابن جُريج مُدلس وقد عنعنه، فهو علة الحديث، ومع ذلك فقد ادّعى ابن القيم (٤/ ٣٤٩) أنه: «المحفوظ مع ما فيه». كذا قال، بل هو مُنكرٌ لما ذكرنا؛ ولأنه مخالفٌ لرواية يزيد بن حُميد وهو ثقةٌ ثبتٌ عن ابن أبي مُليكة، ووجه المخالفة ظاهرةٌ من قولها: «ولو شهدتُك ما زُرتُك»، فإنه صريحٌ في أن سبب الزيارة إنما هو عدمُ شهودها وفاته، فلو شهدت ما زارت، بينما حديثُ ابن حُميد صريحٌ في أنها زارت؛ لأن النبي ﷺ أمر بزيارة القبور، فحديثه هو المحفوظ خلاف ما ذهب إليه ابن القيم - رحمه الله تعالى - وأما ما ذكره من تأوّل عائشة فهو مُحتملٌ، ولكن الاحتمال الآخر، وهو أنها زارت بتوقيفٍ منه ﷺ أقوى بشهادة حديثها الثاني - وهو الآتي -.

(١) بغير باء التعدية، بمعنى: لبستُ إزاري فلهذا عُدِّي بنفسه.

(٢) يجوزُ في (عائش) فتحُ الشين وضمها، وهما وجهان جاريان في كل المُرخَّمات.

(٣) بفتح المهملة وإسكان المعجمة، معناه: وقع عليك الحشا وهو الربو والتهيجُ الذي يعرضُ للمُسرع في مشيه من ارتفاع النفس وتواتره. وقوله: (رابية) أي: مُرتفعة البطن.

فأنتِ السوادُ الذي رأيتهُ أمامي؟ قلتُ: نعم، فلهزني في صدري لهزة[1] أوجعتني، ثم قال: «أظننت أن يحيف اللَّه عليك ورسوله؟!» قالت: مهما يكتم الناسُ يعلمه اللَّه! قال: «نعم»، قال: «فإن جبريل أتاني حين رأيت فَنَادَاني - فأخفاه منك، فأجبته، فأخفيتُه منك، ولم يكُن ليَدْخُلَ عليك، وقد وَضَعْتِ ثيابَك، وظَنَنْتُ أنْ قدْ رَقَدْت، فكرهتُ أَنْ أُوقظَك، وخشيتُ أن تَستَوْحشي - فقال: إنّ ربَّك يأمرُكَ أن تأتي أهلَ البقيعِ فتستغفرَ لهم»، قالت: قُلت: كيف أقولُ لهم يا رسول اللَّه؟ قال: «قُولي: السلامُ على أهل الديارِ من المُؤمنين والمُسلمين، ويرحَمُ اللَّه المُستقدمين منّا والمُستأخرين، وإنّا إنْ شاءَ اللَّه بكُم للاحقُون».

أخرجه مسلم (٣/ ١٤)، والسياقُ له، والنسائي (١/ ٢٨٦) و(٢/ ١٦٠و١٦٠ - ١٦١)، وعبد الرزاق (٣/ ٥٧٠ - ٥٧١)، وأحمد (٦/ ٢٢١)، والزيادات له إلا الأولى، والثالثة فإنها للنسائي، وفي رواية لعبد الرزاق (٣/ ٥٧٦/ ٦٧٢٢): كنتُ سألتُ النبي ﷺ: كيف نقول في التسليم على القبور؟ فقال: فذكره.

والحديثُ استدل به الحافظ في «التلخيص» (٥/ ٢٤٨) على جواز الزيارة للنساء وهوظاهرُ الدلالةِ عليه، وهو يُؤيدُ أن الرخصة شملتهُنَّ مع الرجال؛ لأن القصة إنما كانت في المدينة، لما هو معلومٌ أنه ﷺ بنى بعائشة في المدينة، والنهيُ إنما كان في أول الأمر في مكة، ونحن نجزمُ بهذا وإن كنا لا نعرفُ تاريخًا يُؤيد ذلك؛ لأن الاستنتاج الصحيح يشهدُ له، وذلك من قوله ﷺ: «كنتُ نهيتُكم» إذ لا يُعقلُ في مثل هذا النهي أن يُشرعَ في العهد المدني، دون العهد المكي الذي كان أكثر ما شُرع فيه من الأحكام إنما هو فيما

(١) اللَّهزُ: الضربُ بجمع الكف في الصدر.

يتعلق بالتوحيد والعقيدة، والنهيُ عن الزيارة من هذا القبيل؛ لأنه من باب سد الذرائع، وتشريعهُ إنما يناسبُ العهد المكي؛ لأن الناس كانوا فيه حديثي عهدٍ بالإسلام، وعهدُهم بالشرك كان قريبًا، فنهاهم ﷺ عن الزيارة لكي لا تكون ذريعةً إلى الشركِ، حتى إذا استقر التوحيدُ في قلوبهم، عرفوا ما ينافيه من أنواع الشرك أذنَ لهم بالزيارة، وأما أن يدعهُم طيلةَ العهد المكي على عادتهم في الزيارةِ، ثم ينهاهم عنها في المدينة فهو بعيدٌ جدًّا عن حِكْمةِ التشريع، ولهذا جزمنا بأن النهي إنما كان تشريعهُ في مكة، فإذا كان كذلك فإذنُهُ لعائشةَ بالزيارة في المدينة دليلٌ واضحٌ على ما ذكرنا، فتأمله فإنه شيءٌ انقدحَ في النفس، ولم أر من شرحه على هذا الوجه، فإن أصبتُ فمن اللَّه، وإن أخطأتُ فمن نفسي[1].

---

(١) وأما استدلالُ صاحب رسالة «وصية شرعية» على ذلك بقوله ص(٢٦):

«وقد أقر الرسول ﷺ ابنته فاطمة ﵂ على زيارة قبر عمها حمزةَ ﵁».

فهو استدلالٌ باطلٌ؛ لأن الإقرارَ المذكور لا أصل له في شيء من كتب السنة، وما أظنه إلا وهمًا من المؤلف، فإن المروي عنها ﵂ إنما هو زيارتُها فقط ليس فيه ذكرٌ للإقرار المزعوم أصلاً ومع ذلك فلا يثبت ذلك عنها، فإنه من رواية سُليمان بن داود عن جعفر بن محمد، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه أن فاطمة بنت النبي ﷺ كانت تزورُ قبر عمها حمزة كل جمعةٍ فتُصلي وتبكي عنده.

هكذا أخرجه الحاكم (١/ ٣٧٧) ومن طريقه البيهقي (٤/ ٧٨) وقال:

«كذا قال، وقد قيل عن سُليمان بن داود عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه دون ذكر علي ابن الحسين، عن أبيه فيه، فهو مُنقطع». وقال الحاكم:

«رواتهُ عن آخرهم ثقات»! ورده الذهبي بقوله:

«قلت: هذا منكرٌ جدًّا، وسليمان ضعيفٌ».

قلت: وأنا أظنه سليمان بن داود بن قيس الفراء المدني، قال أبو حاتم: «شيخ لا أفهمه كما ينبغي» وقال الأزدي: «تُكُلم فيه»، وهذا أورده الذهبي في «الضعفاء»، وحكى قول الأزدي المذكور، فلا تغترَّ بسكوت الحافظ على هذا الأثر في «التلخيص» ص(١٦٧) وإن=

● الرابع: إقرار النبي ﷺ المرأة التي رآها عند القبرِ في حديث أنس رضي الله عنه: «مر رسول اللَّه ﷺ بأمرأةٍ عند قبرٍ وهي تبكي، فقال لها: «**اتقي اللَّه واصبري..**».

رواه البخاري وغيره، وترجم له: «باب زيارة القبور»، قال الحافظ في «الفتح»:

«وموضعُ الدلالة منه أنه ﷺ لم يُنكر على المرأة قعودها عند القبر، وتقريرهُ حُجة».

وقال العيني في «العمدة» (٣/ ٧٦):

«وفيه جوازُ زيارةِ القبور مطلقًا، سواءٌ كان الزائرُ رجلاً أو امرأةً، وسواءٌ كان المزورُ مسلمًا أو كافرًا، لعدم الفصل في ذلك».

وذكر نحوه الحافظ أيضًا في آخر كلامه على الحديث فقال عقب قوله: «لعدم الاستفصال في ذلك»:

«قال النووي: وبالجواز قطع الجمهور، وقال صاحب «الحاوي»: لا يجوزُ زيارةُ قبر الكافر، وهو غلطٌ[1] انتهى».

= تابعه عليه الشوكاني كما هي عادتُه في «نيل الأوطار» (٤/ ٩٥)!! على أنه وقع عند الأول: «علي بن الحسين عن علي»، فجعله من مسند علي رضي الله عنه وإنما هو من رواية ابنه الحسين رضي الله عنه، كما عند الحاكم، أو من رواية جعفر بن محمد، عن أبيه كما في رواية البيهقي المُعلقة، فلعل ما في «التلخيص» وهو قوله: «عن علي» محرف عن «عن أبيه».
وسقط هذا كله عند الصنعاني في «سبل السلام» (٢/ ١٥١) فعزاه للحاكم من حديث علي ابن الحسين أن فاطمة..! ثم قال: «قلت: وهو حديثٌ مرسلٌ فإن علي بن الحسين لم يُدرك فاطمة بنت محمد»!
والحديثُ إنما هو من حديث علي بن الحسين، عن أبيه على ما سبق بيانُه.

(١) قلت: والدليلُ عليه في المسألة الآتية. وصاحب «الحاوي» هو أبو الحسن الماوردي، (ت ٤٥٠هـ).

وما دل عليه الحديث من جوازِ زيارة المرأةِ هو المتبادرُ من الحديث، ولكن إنما يتم ذلك إذا كانت القصة لم تقع قبل النهي، وهذا هو الظاهر، إذا تذكرنا ما أسلفناه من بيان أن النهي كان في مكة، وأن القصة رواها أنسٌ وهو مدنيٌّ جاءت به أمه أم سليمٍ إلى النبي ﷺ حين قدم المدينة، وأنسٌ ابن عشر سنين، فتكونُ القصة مدنيةً، فثبت أنها بعد النهي، فتم الاستدلالُ بها على الجواز.

وأما قولُ ابن القيم في «تهذيب السنن» (٤/ ٣٥٠):

«وتقوى اللَّه، فعلُ ما أمر به وترْكُ ما نهى عنه، ومن جُملتها النهيُ عن الزيارة». فصحيحٌ لو كان عند المرأة علمٌ بنهي النساء عن الزيارة وأنه استمر ولم يُنسخ، فحينئذٍ يثبت قوله: «ومن جُملتها النهي عن الزيارة» أما وهذا غيرُ معروفٍ لدينا فهو استدلالٌ غير صحيح، ويُؤيده أنه لو كان النهيُ لا يزالُ مستمرًا لنهاها رسول اللَّه ﷺ عن الزيارة صراحةً وبين ذلك لها، ولم يكتف بأمرها بتقوى اللَّه بصورةٍ عامة، وهذا ظاهرٌ إن شاء اللَّه تعالى.

● لكن لا يجوزُ لهن الإكثارُ من زيارة القبور والتردد عليها؛ لأن ذلك قد يُفضي بهن إلى مُخالفة الشريعة، من مثل الصياح والتبرج واتخاذ القبور مجالسَ للنزهةِ، وتضييع الوقت في الكلام الفارغِ، كما هو مُشاهدٌ اليوم في بعض البلاد الإسلامية، وهذا هو المراد ـ إن شاء اللَّه ـ بالحديث المشهور:

«لعن رسول اللَّه ﷺ ـ وفي لفظ: لعن اللَّه ـ زَوّارات القُبور».

وقد رُوي عن جماعة من الصحابة: أبو هريرة، وحسان بن ثابت، وعبد اللَّه بن عباس.

١ ـ أما حديثُ أبي هريرة، فهو من طريق عُمر بن أبي سلمة، عن أبيه، عنه.

أخرجه الترمذي (٢/ ١٥٦ ـ تحفة)، وابن ماجه ١/ ٤٧٨)، وابن حبان (٧٩٠)، والبيهقي (٤/ ٧٨)، والطيالسي (١/ ١٧١ ـ ترتيبه)، وأحمد (٢/ ٣٣٧)، وابن عبد البر (٣/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥)، واللفظ الآخر للطيالسي، والبيهقي، وقال الترمذي:

«حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وقد رأى بعض أهل العلم أن هذا كان قبل أن يرخص النبي ﷺ في زيارة القبور، فلما رخص دخل في رُخصتهِ الرجالُ والنساءُ، وقال بعضهم: إنما كره زيارة القبور في النساء لقلة صبرهن وكثرة جزعهن».

قلت: ورجال إسناد الحديث ثقاتٌ كلهم، غير أن في عمر بن أبي سلمة كلامًا لعل حديثه لا ينزلُ به عن مرتبة الحسن، لكن حديثه هذا صحيحٌ لما له من الشواهد الآتية.

٢ ـ وأما حديث حسان بن ثابت، فهو من طريق عبد الرحمن بن بهمان، عن عبد الرحمن بن ثابتٍ، عن أبيه به.

أخرجه ابن أبي شيبة (٤/ ١٤١)، وابن ماجه (١/ ٤٧٨)، والحاكم (١/ ٣٧٤)، والبيهقي وأحمد (٣/ ٤٤٢).

وقال البوصيري في «الزوائد» (ق ٩٨/ ٢): «إسناده صحيحٌ، رجاله ثقاتٌ».

كذا قال، وابن بهمان هذا لم يوثقه غير ابن حبان والعجلي، وهما معروفان بالتساهل في التوثيق، وقال ابن المديني فيه: «لا نعرفه»، ولذا قال الحافظ في «التقريب»: «مقبول» يعني: عند المتابعة، ولم أجد له متابعًا، لكن الشاهد الذي قبله وبعده في حكم المتابعة، فالحديث مقبولٌ.

٣ ـ وأما حديث ابن عباس، فهو من طريق أبي صالحٍ عنه باللفظ الأول إلا أنه قال: «زائرات القبور»، وفي روايةٍ: «زوارات».

أخرجه ابن أبي شيبة (٤/ ١٤٠) وأصحابُ السنن الأربعة وابن حبان (٧٨٨)، والحاكم، والبيهقي، والطيالسي، والرواية الأخرى لهما، وأحمد (رقم ٢٠٣٠ و٢٦٠٣ و٢٩٨٦ و٣١١٨)، وقال الترمذي:

«حديثٌ حسنٌ، وأبو صالح هذا مولى أم هانئ بنت أبي طالبٍ واسمه باذانُ، ويُقال: باذامُ».

قلت: وهو ضعيفٌ بل اتهمه بعضهم، وقد أوردتُ حديثه في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٢٢٣) لزيادة تفرد بها فيه، وذكرت بعض أقوال الأئمة في حاله فليراجع.

فقد تبين من تخريج الحديث أن المحفوظ فيه إنما هو بلفظ: «زوارات» لاتفاق حديث أبي هريرة وحسان عليه وكذا حديث ابن عباس في رواية الأكثرين، على ما فيه من ضعفٍ فهي إن لم تصلح للشهادة فلا تضر، كما لا يضرُ في الاتفاق المذكور الروايةُ الأخرى من حديث ابن عباس كما هو ظاهرٌ، وإذا كان الأمر كذلك فهذا اللفظ «زوارات» إنما يدل على لعن النساء اللاتي يُكثرن الزيارة، بخلاف غيرهنٌ فلا يشملهن اللعن، فلا يجوزُ حينئذٍ أن يُعارض بهذا الحديث ما سبق من الأحاديث الدالة على استحباب الزيارة للنساء؛ لأنه خاصٌ وتلك عامةٌ، فَيُعمل بكل منهما في محله، فهذا الجمع أولى من دعوى النسخ، وإلى نحو ما ذكرنا ذهب جماعةٌ من العلماء، فقال القرطبي: «اللعن المذكور في الحديث إنما هو للمُكثراتِ من الزيارة لما تقتضيه الصيغةُ من المُبالغة، ولعل السبب ما يُفضي إليه ذلك من تضييع حق الزوج

والتبرج، وما ينشأ من الصياح ونحو ذلك، وقد يُقال: إذا أُمِنَ جميعُ ذلك فلا مانعَ من الإذن لهن؛ لأن تذكرَ الموتِ يحتاجُ إليه الرجالُ والنساءُ».

قال الشوكاني في «نيل الأوطار» (٤/ ٩٥):

«وهذا الكلامُ هو الذي ينبغي اعتماده في الجمع بين أحاديث الباب المُتعارضةِ في الظاهر»[1].

* * *

(١) وإلى هذا الجمع ذهب الصنعاني أيضًا في «سبل السلام»، ولكنه استدل للجواز بأدلة فيها نظرٌ فأحببتُ أن أنبه عليها، أولاً: حديث الحسين بن علي ﵄: «أن فاطمة بنت النبي ﷺ كانت تزورُ قبر عمها حمزة كل جمعة فتُصلي وتبكي». أخرجه الحاكم (١/ ٣٧٧)، وعنه البيهقي (٤/ ٧٨)، وقال: «وهو منقطعٌ»، وسكت عليه الحافظ في «التلخيص» (٥/ ٢٤٨) وتبعه الصنعاني! وسكوتُ هذين، واقتصار البيهقي على إعلاله بالانقطاع قد يُوهم أنه سالمٌ من علة أخرى. وليس كذلك كما سبق بيانُه قريبًا.
ثانيًا: حديث البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٩٠١) مرسلاً: «من زار قبر الوالدين أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب بارًّا».
سكت عليه الصنعاني أيضًا، وهو ضعيفٌ جدًّا بل هو موضوع، وليس هو مرسلاً فقط كما ذكر الصنعاني، بل هو معضلٌ؛ لأن الذي رفعه إنما هو محمد بن النعمان وليس تابعيًّا، قال العراقي في «تخريج الأحياء» (٤/ ٤١٨): «رواه ابن أبي الدنيا وهو مُعضلٌ، ومحمد بن النعمان مجهول». قلت: ويحيى كذبه وكيع وأحمد، وقال ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٢٠٩) عن أبيه: «الحديث منكرٌ جدًّا، كأنه موضوعٌ».
وانظر: تخريجه مفصلاً في «الضعيفة» رقم (٤٩).

ما ينتفع به الميت

من أجمل ما كُتب فيها بحث الشيخ الألباني فننقله.

● قال الشيخ الألباني ـ رحمه اللَّه ـ في «أحكام الجنائز»:

*** وينتفعُ الميتُ من عمَلِ غيرِه بأمورٍ:**

● أولاً: دعاءُ المسلم له، إذا توفرت فيه شروطُ القبول، لقول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ [الحشر: ١٠].

وأما الأحاديثُ فهي كثيرةٌ جداً، وقد سبق بعضها، ويأتي بعضها في زيارة القبور، ودُعاء النبي ﷺ لهم، وأمره بذلك، ومنها قوله ﷺ: «**دعوةُ المرءِ المسلم لأخيه بظهرِ الغيبِ مُستجابةٌ، عند رأسه ملكٌ موكلٌ، كلما دعا لأخيه بخير، قال الملكُ المُوكلُ به: آمين ولك بمثلٍ**».

أخرجه مسلم (٨/ ٨٦، ٨٧) والسياق له، وأبو داود (١/ ٢٤٠)، وأحمد (٦/ ٤٥٢) من حديث أبي الدرداء.

بل إن صلاة الجنازةِ جلها شاهد لذلك؛ لأن غالبها دعاءٌ للميت، واستغفارٌ له.

● **ثانيًا**: قضاءُ ولي الميت صومَ النذرِ عنه، وفيه أحاديثُ:

الأول: عن عائشة ﵂ أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«**من ماتَ وعليه صيامٌ، صامَ عنه وليه**».

أخرجه البخاري (٤/ ١٥٦)، ومسلم (٣/ ١٥٥)، وأبو داود (١/ ٣٧٦)، ومن طريقه البيهقي (٦/ ٢٧٩)، والطحاوي في «مُشكل الآثار» (٣/ ١٤٠

و١٤١)، وأحمد (٦/ ٦٩).

الثاني: عن ابن عباس رضي الله عنه:

«أن امرأةً ركبت البحر فنذرت، إنِ اللَّه تبارك وتعالى أنجاها أن تصوم شهرًا، فأنجاها اللَّه عز وجل، فلم تصُم حتى ماتت، فجاءت قرابةٌ لها ـ إما أختها أو ابنتُها ـ إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فذكرت ذلك له، فقال:

«أرأيتُك لو كان عليها دينٌ كنت تقضينه؟» قالت: نعم. قال: **«فدينُ اللَّه أحقُّ أن يُقضى، فاقضِ عن أمك»**.

أخرجه أبو داود (٢/ ٨١)، والنسائي (٢/ ١٤٣)، والطحاوي (٣/ ١٤٠)، والبيهقي (٤/ ٢٥٥، ٢٥٦)، (١٠/ ٨٥)، والطيالسي (٢٦٣٠)، وأحمد (١٨٦١، ١٩٧٠، ٣١٣٧، ٣٢٢٤، ٣٤٢٠)، والسياق مع الزيادة الثانية له، وإسناده صحيح على شرط الشيخين، والزيادة الأولى لأبي داود والبيهقي.

وأخرجه البخاري (٤/ ١٥٨ ـ ١٥٩)، ومسلم (٣/ ١٥٦)، والترمذي (٢/ ٤٢ ـ ٤٣) وصححه، وابن ماجه (١/ ٥٣٥) بنحوه، وفيه عندهم جميعًا الزيادةُ الثانية، وعند مسلم الأخيرةُ.

الثالث: عنه أيضًا:

«أن سعد بن عُبادة رضي الله عنه استفتى رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: إن أمي ماتت وعليها نذرٌ؟ فقال: **«اقْضِه عنها»**.

أخرجه البخاري (٥/ ٤٤٠، ٤٩٤)، ومسلم (٦/ ٧٦)، وأبو داود (٢/ ٨١)، والنسائي (٢/ ١٣٠، ١٤٤)، والترمذي (٢/ ٣٧٥)، وصححه البيهقي (٤/ ٢٥٦)، (٦/ ٢٧٨)، (١٠/ ٨٥)، والطيالسي (٢٧١٧)، وأحمد

(١٨٩٣، ٣٠٤٩)، (٦/ ٤٧).

قلت: وهذه الأحاديث صريحة الدلالة في مشروعية صيام الولي عن الميت صوم النذر، إلا أن الحديث الأول يدل بإطلاقه على شيء زائدٍ على ذلك وهو أنه يصومُ عنه صوم الفرض أيضًا. وقد قال به الشافعية، وهو مذهب ابن حزم (٧/ ٢، ٨) وغيرهم. وذهب إلى الأول الحنابلة، بل هو نص الإمام أحمد، فقال أبو داود في «المسائل» (٩٦):

«سمعتُ أحمد بن حنبل قال: لا يُصامُ عن الميتِ إلا في النذر».

وحمل أتباعُه الحديث الأول على صوم النذر، بدليل ما روت عمرةُ: أن أمُها ماتت وعليها من رمضان فقالت لعائشة: أقضيه عنها؟ قالت: لا بل تصدقي عنها مكان كل يوم نصفَ صاعٍ على كل مسكين. أخرجه الطحاوي (٣/ ١٤٢)، وابن حزم (٧/ ٤) واللفظُ له بإسنادٍ قال ابن التُركماني: «صحيح» وضعفه البيهقي، ثم العسقلاني، فإن كانا أراد تضعيفه من هذا الوجه، فلا وجه له، وإن عنيا غيره، فلا يضره، وبدليل ما روى سعيد بن جُبير عن ابن عباس قال: «إذا مرض الرجل في رمضان، ثم مات ولم يصم، أطعم عنه ولم يكن عليه قضاءٌ وإن كان عليه نذرٌ قضى عنه وليه». أخرجه أبو داود بسند صحيح على شرط الشيخين، وله طريقٌ آخرُ بنحوه عند ابن حزم (٧/ ٧) وصحح إسناده. وله طريقٌ ثالثٌ عند الطحاوي (٣/ ١٤٢)، لكن الظاهر أنه سقط من متنه شيءٌ من الناسخ أو الطابع ففسد المعنى.

قلت: وهذا التفصيلُ الذي ذهبت إليه أم المؤمنين، وحبرُ الأمة ابن عباس ﷺ وتابعهما إمامُ السنة أحمد بن حنبل هو الذي تطمئن إليه النفسُ، وينشرحُ له الصدر، وهو أعدلُ الأقوالِ في هذه المسألةِ وأوسطُها، وفيه إعمالٌ

لجميع الأحاديث دون ردٍّ لأي واحد منها، مع الفهم الصحيح لها خاصةً الحديث الأول منها، فلم تفهم منه أم المؤمنين ذلك الإطلاق الشامل لصومِ رمضان، وهي راويتُه، ومن المقرر أن راوي الحديث أدرى بمعنى ما روى، لا سيما إذا كان ما فهم هو الموافق لقواعد الشريعة وأصولها، كما هو الشأن هنا، وقد بيَّن ذلك المحققُ ابن القيم ـ رحمه اللَّه تعالى ـ فقال في «إعلام المُوَقعين» (٣/ ٥٥٤) بعد أن ذكر الحديث وصححه:

«فطائفةٌ حملت هذا على عمومهِ وإطلاقه، وقالت: يُصام عنه النذرُ والفرضُ. وأبت طائفةٌ ذلك وقالت: لا يُصام عنه نذرٌ ولا فرضٌ، وفصلت طائفة فقالت: يُصام عنه النذرُ دون الفرض الأصليّ. وهذا قول ابن عباس وأصحابه، وهو الصحيحُ؛ لأن فرض الصيام جارٍ مجرى الصلاة، فكما لا يُصلي أحدٌ عن أحد، ولا يُسلم أحدٌ عن أحد، فكذلك الصيامُ، وأما النذرُ فهو التزامٌ في الذمةِ بمنزلةِ الدَّيْنِ، فيُقبل قضاء الوليِّ له كما يَقضي دينه، وهذا محضُ الفقه. وطرد هذا أنه لا يحج عنه، ولا يزكي عنه إذا كان معذورًا بالتأخير كما يُطعم الوليُّ عمن أفطر في رمضان لعذر، فأما المُفرِّطُ من غير عُذر أصلاً فلا ينفعُه أداء غيره لفرائض اللَّه التي فرط فيها، وكان هو المأمورَ بها ابتلاءً وامتحانًا دون الولي، فلا تنفعُ توبةُ أحدٍ عن أحدٍ، ولا إسلامُه عنه، ولا أداءُ الصلاة عنه ولا غيرها من فرائضِ اللَّه تعالى التي فرط فيها حتى مات».

قلت: وقد زاد ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ هذا البحث توضيحًا وتحقيقًا في «تهذيب السنن» (٣/ ٢٧٩ ـ ٢٨٢) فليراجع فإنه مهم.

● **ثالثًا:** قضاءُ الدين عنه من أي شخصٍ وليًّا كان أو غيره، وفيه أحاديث كثيرةٌ.

• **رابعًا**: ما يفعله الولد الصالحُ من الأعمال الصالحة، فإن لوالديه مثل أجره، دون أن ينقص من أجرِه شيءٌ؛ لأن الولد من سعيهما وكسبهما، واللَّه عز وجل يقول: ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ**﴾ [النجم: ٣٩]، وقال رسول اللَّه ﷺ:

«**إن أطيبَ ما أكل الرجلُ من كسبه، وإن ولده من كسبه**».

أخرجه أبو داود (٢/ ١٠٨)، والنسائي (٢/ ٢١١)، والترمذي (٢/ ٢٨٧) وحسنه، والدارمي (٢/ ٢٤٧)، وابن ماجه (٢/ ٢ ـ ٤٣٠)، والحاكم (٢/ ٤٦)، والطيالسي (١٥٨٠)، وأحمد (٦/ ٤١، ١٢٦، ١٦٢، ١٧٣، ١٩٣، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٢٠)، وقال الحاكم:

«صحيحٌ على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي!

وهو خطأٌ من وجوه لا يتسع المجالُ لبيانها.

وله شاهدٌ من حديث عبد اللَّه بن عمرو:

رواه أبو داود، وابن ماجه، وأحمد (٢/ ١٧٩، ٢٠٤، ٢١٤) بسند حسنٍ.

ويُؤيدُ ما دلت عليه الآية والحديث، أحاديث خاصةٌ وردت في انتفاعِ الوالد بعمل ولده الصالحِ كالصدقة والصيام والعتقِ ونحوه، وهي هذه:

الأول: عن عائشة رضي الله عنها:

«**أن رجلاً قال: إن أمي افتُلتت[1] نفسُها ولم تُوص، وأظنها لو تكلمت تصدقت، فهل لها أجرٌ إن تصدقتُ عنها ولي أجرٌ؟ قال: «نعم، فتصدق عنها»**».

(١) بضم المثناة وكسر اللام، أي: سلبت، على ما لم يسم فاعله، أي: ماتت فجأة.

أخرجه البخاري (٣/ ١٩٨)، (٥/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠)، ومسلم (٣/ ٨١)، (٥/ ٧٣)، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٢٢٨)، وأبو داود (٢/ ١٥)، والنسائي (٢/ ١٢٩)، وابن ماجه (٢/ ١٦٠)، والبيهقي (٤/ ٦٢)، (٦/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨)، وأحمد (٦/ ٥١).

والسياقُ للبخاري في إحدى روايتيه، والزيادةُ الأخيرة له في الرواية الأخرى، وابن ماجه، وله الزيادةُ الثانيةُ، ولمسلم الأولى.

الثاني: عن ابن عباس رضي الله عنهما:

«أنّ سعد بن عبادة ـ أخا بني ساعدة ـ تُوفيت أمه وهو غائبٌ عنها، فقال: يا رسول اللّه إن أمي توُفيت، وأنا غائبٌ عنها، فهل ينفعها إن تصدقتُ بشيءٍ عنها؟ قال: «**نعم**»، قال: فإني أشهدُك أن حائط المخرافِ[1] صدقةٌ عليها».

أخرجه البخاري (٥/ ٢٩٧، ٣٠١، ٣٠٧)، وأبو داود (٢/ ١٥)، والنسائي (٢/ ١٣٠)، والترمذي (٢/ ٢٥)، والبيهقي (٦/ ٢٧٨)، وأحمد (٣٠٨٠ ـ ٣٥٠٤ ـ ٣٥٠٨)، والسياق له.

الثالث: عن أبي هريرة رضي الله عنه:

«أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إن أبي مات وترك مالاً ولم يُوصِ فهل يُكفِّر عنه أن أتصدق عنه؟ قال: «نعم».

أخرجه مسلم (٥/ ٧٣)، والنسائي (٢/ ١٢٩)، وابن ماجه (٢/ ١٦٠)، والبيهقي (٦/ ٢٧٨)، وأحمد (٢/ ٣٧١).

---

(١) أي: المثمر، سمي بذلك لما يخرف منه أي: يجنى من الثمرة.

الرابع: عن عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما:

«أن العاص بن وائل السهمي أوصى أن يُعتق عنه مائة رقبةٍ، فأعتق ابنه هشامٌ خمسين رقبةً، وأراد ابنه عمروٌ أن يُعتق عنه الخمسين الباقية، قال: حتى أسأل رسول اللَّه ﷺ، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه إن أبي أوصى أن يُعتق عنه مائة رقبةٍ، وإن هشامًا أعتق عنه خمسين، وبقيت عليه خمسون، أَفَأُعْتِقُ عنه؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إنه لو كان مُسلمًا فأعتقتم أو تصدقتُم عنه، أو حججتُم عنه بلغه ذلك**، (وفي رواية): **فلو كان أقر بالتوحيد فصُمت وتصدقت عنه نفعه ذلك**».

أخرجه أبو داود في آخر «الوصايا» (٢/ ١٥)، والبيهقي (٦/ ٢٧٩)، والسياقُ له، وأحمد رقم (٦٧٠٤)، والروايةُ الأخرى له، وإسنادُهم حسنٌ.

قال الشوكاني في «نيل الأوطار» (٤/ ٧٩):

«وأحاديثُ الباب تدل على أن الصدقة من الولد تلحقُ الوالدين بعد موتهما بدون وصية منهما، ويصل إليهما ثوابُها، فيُخصص بهذه الأحاديث عمومُ قوله تعالى: ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ**﴾. ولكن ليس في أحاديث الباب إلا لحوقُ الصدقةِ من الولد، وقد ثبت أن ولد الإنسان من سعيه فلا حاجة إلى دعوى التخصيص، وأما من غير الولد فالظاهرُ من العموميات القرآنية أنه لا يصلُ ثوابهُ إلى الميتِ، فيوقفُ عليها، حتى يأتي دليلٌ يقتضي تخصيصها».

قلت: وهذا هو الحق الذي تقتضيه القواعد العلمية، أن الآية على عُمومها وأن ثواب الصدقة وغيرها يصلُ من الولد إلى الوالد؛ لأنه من سعيه بخلاف غير الولد، لكن قد نقل النووي وغيره الإجماع على أن الصدقة تقع

عن الميت ويصله ثوابها، هكذا قالوا: «الميت» فأطلقوه، ولم يُقيدوه بالوالد، فإن صح هذا الإجماعُ كان مُخصِّصًا للعمومات التي أشار إليها الشوكاني فيما يتعلق بالصدقة، ويظل ما عداها داخلاً في العُمومِ كالصيام وقراءة القرآن ونحوهما من العبادات، ولكنني في شك كبيرٍ من صحة الإجماع المذكور، وذلك لأمرين.

الأول: أن الإجماع بالمعنى الأصولي لا يُمكن تحققه في غير المسائل التي عُلمت من الدين بالضرورة، كما حقق ذلك العلماء الفحولُ، كابن حزم في «أصول الأحكام» والشوكاني في «إرشاد الفحول»، والأستاذ عبد الوهاب خلاف في كتابه «أصول الفقه» وغيرهم، وقد أشار إلى ذلك الإمام أحمد في كلمته المشهورة في الرد على من ادعى الإجماع. ورواها عنه ابنهُ عبد اللَّه بن أحمد في «المسائل».

الثاني: أنني سبرتُ كثيرًا من المسائل التي نقلوا الإجماع فيها، فوجدتُ الخلاف فيها معروفًا! بل رأيتُ مذهب الجمهور على خلاف دعوى الإجماع فيها، ولو شئتُ أن أورد الأمثلة على ذلك لطال الكلام وخرجنا به عما نحن بصدده، فحسبنا الآن أن نُذكِّر بمثال واحدٍ، وهو نقلُ النووي الإجماع على أن صلاة الجنازة لا تُكره في الأوقات المكروهة! مع أن الخلاف فيها قديمٌ معروفٌ، وأكثر أهل العلم على خلاف الإجماع المزعوم.

وذهب بعضهم إلى قياس غير الوالد على الوالد، وهو قياسٌ باطلٌ من جوه:

الأول: أنه مخالفٌ للعموميات القرآنية كقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ**﴾ [فاطر: ١٨]، وغيرها من الآيات التي علقت الفلاحَ ودخول الجنة بالأعمال الصالحة، ولا شك أن الوالد يُزكي نفسه بتربيته لولده وقيامه

عليه فكان له أجرهُ بخلاف غيره.

الثاني: أنه قياسٌ مع الفارق إذا تذكرت أن الشرع جعل الولد من كسب الوالد كما سبق في حديث عائشة فليس هو كسبًا لغيره، والله عز وجل يقول: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**﴾ ويقول: ﴿**لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾. وقد قال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله عز وجل: ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ**﴾:

«أي: كما لا يُحمَلُ عليه وزر غيره، كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه. ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي ـ رحمه الله ـ ومن اتّبعه أن القراءة لا يصلُ إهداءُ ثوابها إلى الموتى؛ لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم، ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أُمته، ولا حثهم عليه، ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماءٍ ولم يُنقل ذلك عن أحدٍ من الصحابة ﷺ، ولو كان خيرًا لسبقُونا إليه، وباب القربات يُقتصرُ فيه على النصوص ولا يُتصرفُ فيه بأنواع الأقيسة والآراءِ».

وقال العز بن عبد السلام في «الفتاوى» (٢/٢٤ ـ عام ١٦٩٢):

«ومن فعل طاعةً للَّه تعالى، ثم أهدى ثوابها إلى حي أو ميتٍ، لم يُنتقل ثوابُها إليه، إذ ﴿ **لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ**﴾ فإن شرع في الطاعةِ ناويًا أن يقع عن الميت لم يقع عنه، إلا فيما استثناه الشرعُ كالصدقة والصوم والحج».

وما ذكره ابن كثيرٍ عن الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ هو قول أكثر العلماء وجماعةٍ من الحنفية كما نقله الزبيدي في «شرح الإحياء» (٣٦٩/١٠)[1].

---

(١) **قلت**: ومما سبق تعلم بطلان الإجماع الذي ذكره ابن قدامة في «المغني» (٥٦٩/٢) على =

الثالث: أن هذا القياس لو كان صحيحًا، لكان من مقتضاه استحباب إهداء الثواب إلى الموتى، ولو كان كذلك لفعله السلف؛ لأنهم أحرصُ على الثواب منا بلا ريب، ولم يفعلوا ذلك كما سبق في كلام ابن كثير، فدل هذا على أن القياس المذكور غير صحيح، وهو المراد: وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في «الاختيارات العلمية» ص(٥٤):

«ولم يكن من عادة السلف إذا صلوا تطوعًا، أو صاموا تطوعًا، أو حجوا تطوعًا، أو قرءوا القرآن يُهدون ثواب ذلك إلى أموات المسلمين، فلا ينبغي العدولُ عن طريق السلف فإنه أفضلُ وأكملُ».

وللشيخ ـ رحمه اللَّه تعالى ـ قولٌ آخر في المسألة، خالف فيه ما ذكره آنفًا عن السلف، فذهب إلى أن الميت ينتفعُ بجميع العبادات من غيره! وتبنَّى هذا القول وانتصر له ابن القيم ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في كتابه «الروح» بما لا ينهضُ من القياس الذي سبق بيانُ بطلانه قريبًا، وذلك على خلاف ما عهدناه منه ـ رحمه اللَّه ـ مِن ترك التوسع في القياس في الأمور التعبدية المحضة لا سيما ما كان منه على خلاف ما جرى عليه السلف الصالح ﷺ وقد أورد خلاصة كلامه العلامةُ السيد محمد رشيد رضا في «تفسير المنار» (٨/ ٢٥٤ ـ ٢٧٠) ثم رد عليه ردًّا علميًّا قويًّا، فليراجعه من شاء أن يتوسّع في المسألة.

وقد استغل هذا القول كثيرٌ من المبتدعة، واتخذوه ذريعةً في مُحاربة السنة، واحتجوا بالشيخ وتلميذه على أنصار السنة وأتباعها، وجهل أولئك المبتدعةُ أو تجاهلوا أن أنصار السنة، لا يقلدون في دين اللَّه تعالى رجلاً بعينه

= وصول ثواب القراءة إلى الموتى، وكيف لا يكون باطلاً، وفي مقدمة المخالفين الإمام الشافعي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ وهذا مثال آخر من أمثلة ما ادعى فيه الإجماع وهو غير صحيح، وقد سبق التنبيه على هذا قريبًا.

كما يفعل أولئك!! ولا يُؤثرون على الحق الذي تبين لهم قول أحدٍ من العلماء مهما كان اعتقادهم حسنًا في علمه وصلاحه، وأنهم إنما ينظرون إلى القول لا إلى القائل، وإلى الدليل، وليس إلى التقليد، جاعلين نصب أعينهم قول إمام دار الهجرة: «ما منا من أحد إلا رَدَّ ورُدَّ عليه إلا صاحب هذا القبر»! وقال: «كل أحدٍ يُؤخذُ من قوله ويُرَد إلا صاحب هذا القبر».

وإذا كان من المسلَّم به عند أهل العلم أن لكل عقيدةٍ؟ أو رأي يتبناه أحدٌ في هذه الحياة أثرًا في سلوكه إن خيرًا فخيرٌ، وإن شرًّا فشر، فإن من المسلم به أيضًا، أن الأثر يدل على المؤثر، وأن أحدهما مرتبطٌ بالآخر، خيرًا أو شرًّا كما ذكرنا، وعلى هذا فلسنا نشك أن لهذا القول أثرًا سيئًا في من يحمله أو يتبناه، من ذلك مثلاً أن صاحبه يتكلُ في تحصيل الثواب والدرجات العاليات على غيره، لعلمه أن الناس يُهدون الحسنات مئات المرات في اليوم الواحد إلى جميع المسلمين الأحياء منهم والأموات، وهو واحدٌ منهم، فلماذا لا يستغني حينئذٍ بعمل غيره عن سعيه وكسبه! ألست ترى مثلاً أن بعض المشايخ الذي يعيشون على كسب بعض تلامذتهم، لا يسعون بأنفسهم ليحصلوا على قوت يومهم بِعَرَقِ جبينهم وكدِّ يمينهم.! وما السبب في ذلك إلا أنهم استغنوا عن ذلك بكسب غيرهم! فاعتمدُوا عليه وتركوا العمل، هذا أمرٌ مشاهدٌ في الماديات، معقولٌ في المعنويات كما هو الشأن في هذه المسألة. وليت أن ذلك وقف عندها، ولم يتعدها إلى ما هو أخطرُ منها، فهناك قولٌ بجواز الحج عن الغير ولو كان غير معذورٍ كأكثر الأغنياء التاركين للواجبات فهذا القول يحملهم على التساهُل في الحج والتقاعُس عنه؛ لأنه يتعلل به ويقول في باطنه: يحجون عني بعد موتي! بل إن ثمة ما هو أضر من ذلك، وهو القول بوجوب إسقاط الصلاة عن الميت التارك لها! فإنه من العوامل الكبيرة على

ترك بعض المسلمين لـلصلاة؛ لأنه يتعلل أيضًا بأن الناس يُسقـطونها عنه بعد وفاته! إلى غير ذلك من الأقوال التي لا يخفى سوءُ أثرها على المُجتمع، فمن الواجـب على العـالم الذي يُريـد الإصلاح أن ينـبذ هذه الأقوال لمُـخالفتـها نصوص الشريعة ومقاصدها الحسنة.

وقابل أثر هذه الأقوال بأثر قول الواقفين عند النصوص لا يخرجون عنها بتأويل أو قـياس تجد الفرق كالشمـس، فإن من لم يأخُذ بمثـل الأقوال المشار إليها لا يُعقلُ أن يتكل على غيره فـي العمل والثواب؛ لأنه يرى أنه لا يُنجيه إلا عملـه، ولا ثواب له إلا ما سـعى إليه هـو بنفسـه، بل المفروض فـيه أن يسعى ما أمكنه إلى أن يُخَلفَ من بعـده أثرًا حسنًا يأتيه أجرُه، وهو وحيدٌ في قبره، بـدل تلك الحسـنات الموهومة، وهـذا من الأسباب الـكثيرة فـي تقدم السلف وتأخرنا، ونصر اللَّه إياهم، وخُذلانه إيانا، نسألُ اللَّه تعالى أن يهدينا كما هداهم، وينصرنا كما نصرهم.

خامسًا: ما خلفه من بعده من آثارٍ صالحة وصدقاتٍ جارية، لقوله تبارك وتعالى: ﴿**وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ**﴾ [يس: ١٢]، وفيه أحاديثُ:

الأول: عن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله[1] إلا من ثلاثة أشياء، إلا من صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنتفعُ به، أو ولدٍ صالحٍ[2] يدعو له».

---

(١) أي: فائدة عمله وتجديد ثوابه، قال الخطابي في «المعالم»:
«فيه دليلٌ على أن الـصوم والصلاة وما دخل في معناهما من عـمل الأبدان لا تجري فيها النيابة وقد يستدل به من يذهب إلى أن من حج عن ميتٍ فإن الحج في الحقيقة للحاج دون المحجوج عنه، وإنما يلحقهُ الدعاء، ويكون له الأجرُ في المال الذي أعطى إن كان حج عنه بمال».

(٢) قُيدَ بالصالح؛ لأن الأجر لا يحصلُ من غيره، وأما الوزرُ فلا يلحقُ بالوالد من سيئةِ ولده =

أخرجه مسلم (٥/ ٧٣)، والسياق له، والبخاري في «الأدب المُفرد» ص(٨)، وأبو داود (٢/ ١٥)، والنسائي (٢/ ١٢٩)، والطحاوي في «المشكل» (١/ ٨٥)، والبيهقي (٦/ ٢٧٨)، وأحمد (٢/ ٣٧٢)، والزيادة لأبي داود والبيهقي.

الثاني: عن أبي قتادة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«خيرُ ما يُخلِّف الرجل من بعده ثلاثٌ: ولدٌ صالحٌ يدعو له، وصدقةٌ تجري يبلغه أجرُها، وعلم يُعملُ به من بعده».

أخرجه ابن ماجه (١/ ١٠٦)، وابن حبان في «صحيحه» رقم (٨٤، ٨٥)، والطبراني في «المعجم الصغير» ص(٧٩)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١/ ١٥)، وإسنادهُ صحيحٌ كما قال المنذري في «الترغيب» (١/ ٥٨).

الثالث: عن أبي هريرة ﷺ أيضًا قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إن مما يلحقُ المؤمن من عمله وحسناته بعد موته، علمًا عمله ونشره، وولدًا صالحًا تركه، ومُصحفًا ورثه، أو مسجدًا بناهُ، أو بيتًا لابن السبيل بناهُ، أو نهرًا أجراهُ، أو صدقةً أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقُهُ من بعد موته».

أخرجه ابن ماجه (١/ ١٠٦) بإسناد حسن، ورواه ابن خزيمة في «صحيحه» (٢٤٩٠) أيضًا والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٤٤٨).

= إذا كان نيته في تحصيل الخير، وإنما ذكر الدعاءَ له تحريضًا على الدعاء لأبيه، لا لأنه قيدٌ؛ لأن الأجر يحصلُ للوالد من ولده الصالح، كلما عمل عملاً صالحًا، سواء أدعا لأبيه أم لا، كمن غرس شجرة يحصل له من أكل ثمرتها ثوابٌ سواء أدعا له من أكلها أم لم يدعُ، وكذلك الأم.

كذا في «مبارق الأزهار في شرح مشارق الأنوار» لابن الملك.

الرابع: حديث جرير بن عبد اللَّه ﷺ قال: قال ﷺ:

«**من سن في الإسلام سنةً حسنةً فله أجرُها، ومثل أجر من عمل بها بعده من غير أن ينقُص من أجورهم شيءٌ، ومن سن سنةً في الإسلام سيئةً كان عليه وزرُها، ومثلُ وزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقُص من أوزارهم شيءٌ**»، ثم تلى هذه الآية: ﴿**وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ**﴾، قال: «**فقسَّمه بينهم**».

أخرجه مسلم (٣/ ٨٨ و٨٩) و(٨/ ٦١ و٦٢)، والنسائي (١/ ٣٥٥ و٣٥٦)، والدارمي (١/ ١٢٦ و١٢٧)، والطحاوي في «المشكل» (١/ ٩٣ و٩٧)، والبيهقي (٤/ ١٧٥ و١٧٦)، والطيالسي (٦٧٠)، وأحمد (٤/ ٣٥٧ و٣٥٨ و٣٥٩ و٣٦٠)، وابن كثير (٣/ ٥٦٥) «تفسير» والزيادة قبل الأخيرة له وإسنادها صحيح. ا.هـ كلام الألباني ـ رحمه اللَّه ـ.

*** ونختم بهدية لك:**

● عن أنس ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**سبع يُجرى للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته: مَنْ علّم علمًا، أو أجرى نهرًا، أو حفر بئرًا، أو غرس نخلاً، أو بنى مسجدًا، أو ورّث مصحفًا، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته**»[1].

● وعن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**أربعة تجرى عليهم أجورهم بعد الموت: من مات مرابطًا في سبيل اللَّه، ومن علّم علمًا أجري له عمله ما عُمل به، ومن تصدّق بصدقة فأجرها يجرى له ما وُجدت، ورجل ترك ولدًا صالحًا يدعو له**»[2].

---

(١) **حسن**: رواه البزار وسمويه، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٦٠٢).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد، والطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٨٧٧).





فهـرس المـوضـوعـات



الموضـــوع | الصفحة

عقيدة السلف السادات

في الموت والقبر والسكرات ٥ ـ ٢٢٩

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع | الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة